



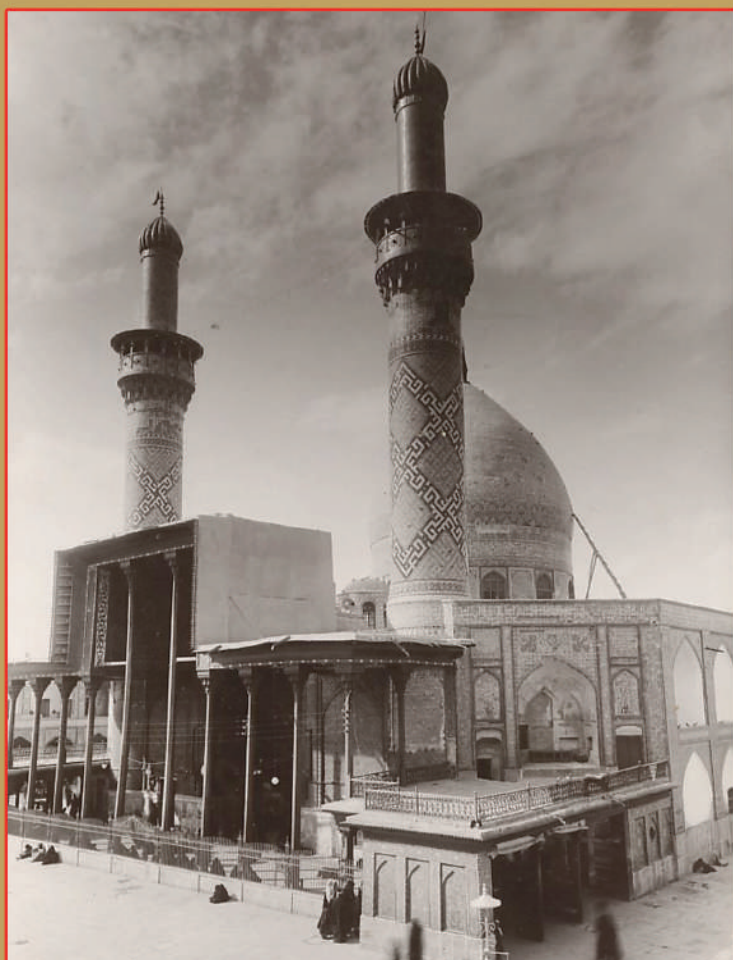
ذات الذاكرة الشريفة الوثائقية

مجلة فصلية وثائقية مخصصة للتراث والتوثيق تصدر عن المؤسسة العامة للثقافة العراقية
العدد الثامن - السنة الثانية ١٤٤١ - ٢٠١٩ - الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٧٥٧

ذات الذاكرة الشريفة الوثائقية



مجلة فصلية وثائقية مخصصة للتراث والتوثيق تصدر عن المؤسسة العامة للثقافة العراقية



الراحل الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني في مكتبته ينقب في صفحات التراث الإسلامي

ذِكْرُ الْأَشْرَفِ الزَّنَائِقِ

مَجَلَّتْ فَصِيلُهُ وَتَأَقَّى مَصَوْرُهُ تُعْنَى بِالْأَثَرِ وَالتَّوْثِيقِ
تَصْدَرُ عَنِ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ قِسْمِ الشُّؤْنِ الْفِكْرِيِّ وَالثَّقَافِيِّ

المشرف العام

سَيِّدُ الْحَسَنِ السَّيِّدِ أَحْمَدُ الصَّافِي

رئيس التحرير

سَيِّدُ الْحَبُورِيِّ

كربلاء المقدسة، باب بغداد، (مجمع الإمام العسكري، ط ٣)

هاتف: ٠٧٨١٥١٦٦٦٦ - ٠٧٧١٦٦٦٦٤٧

البريد الإلكتروني: arshefbaghdad@gmail.com

المحتويات

الشيخ محمد متولي الشعراوي	٥
سليم الجبوري	
الحلة وأثرها العلمي والأدبي	١٩
د. حازم سليمان الحلبي	
تأثير الصحافة الإلكترونية على مستقبل الصحافة الورقية	٨٣
جمال عسكر مضحي	
عبد الرزاق الهلالي سيرته ومؤلفاته ١٩١٦ - ١٩٨٥	١١١
المشرف أ.د. محمد عصفور سلمان	
إعداد سجي خضير عباس	
مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها	١٤٧
كوركيس عواد	
ميخائيل عواد ومنهجه في تحقيق المخطوطات	١٨٧
م. شيماء ماجد الحبوبي	
التوثيق الاعلامي أصوله التاريخية وجوانبه العملية (القسم الأول) .	٢٠١
د. محمود علم الدين	

وجوه وأقلام لبنانية ٢٤٩

غسان التويني

البصرة في مذكرات سليمان فيضي ٣١٧

د. حسن علي عبد الله

مهرجان الحي في تحقيق مجلة الغري في ٢٢ نيسان ١٩٤٧ م ٣٤١

وثائق وصور من أرشيف التعليم في العراق (القسم الثاني) ٤٦٥

**الشيخ محمد متولي الشعراوي داعية إسلامي ووزير
الأوقاف المصري الأسبق نال إعجاب الناس وصار
حديثهم وحقق رقماً قياسياً في الإثارة والتشويق
وصارت الناس تتلقف كتبه بشغف وطبعت في
دول عديدة.**

سليم الجبوري

في مدينة مصر الجديدة إحدى ضواحي محافظة القاهرة الحديثة، وهي من المدن الراقية والرائعة، وأجمل ما فيها التنوع الفكري والديني والجغرافي؛ إضافة إلى جامعة عين شمس ومتاحف لأهم الشخصيات المصرية ومكتبات عامة ومقاهٍ لا تنام الليل، وبعض الأحيان تجد قطعة نقشت عليها عبارة (حتى القطن يحكي مصري) لكنني كانت تجول في خاطري الإسهامات الفكرية التي قدمتها رجالات مصر مثل سعد زغلول، وعباس محمود العقاد، وطه حسين، وخالد محمد خالد، وسلامة موسى، وعلي الجارم، وبنيت الشاطئ، وزكي مبارك، وشوقي ضيف وغيرهم.. وأنا مشدود لهذا التاريخ القيم فوجئت باتصالٍ هاتفي من شخصية مصرية رفيعة المستوى بأن الشيخ علي جمعة خصّص لكم جولة في أجواء القاهرة القديمة وزيارة مقام سيدنا الحسين عليه السلام وجامع الأزهر الشريف، وخلال مرافقتي جمعاً من الأدباء المصريين وهم من ألوان شتى وثقافات مختلفة شعرت

بارتياح بالغ وأنا أستعيد النجف وكربلاء من روحانية فائقة وتشابه الأزقة الضيقة والبيوت التراثية وهي تشعرني بقدسية المكان وجمالية المشهد؛ وراح الشيخ في المقام يحدثنا عن الحسين عليه السلام ويكرر، وهذا ما قاله الشيخ الشعراوي مما جعلني أصدق في سيرته ومواقفه ودوره في المجتمع فقد عكفت أياماً طويلة بقراءة سيرته النقية والتي تطفح بالإيمان والخشوع.

شكل الداعية الإسلامي ووزير الأوقاف المصري الأسبق الشيخ محمد متولي الشعراوي ظاهرة فريدة من نوعها في العطاء والأداء، وأحدث ثورة ثقافية ودينية واجتماعية، وقدم طرحاً رائعاً وأسلوباً جديداً في الخطاب الديني يتناغم مع التراث والمعاصرة.

وكان لإطلالته المباركة دور مشهود في تأصيل روح التمدن الإسلامي منطلقاً من قاعدة «إن الدين عند الله الإسلام»، استطاع من خلالها رسم ملامح القدوة المصلح صاحب الكاريزما الجيدة، وكان لحضوره الواسع ضجة عارمة، وحقق قفزة نوعية في سماء الأزهر الشريف، نال إعجاب الناس وصار حديثهم في السر والعلن، وأصبح في عداد رجالات الفكر والأدب، يتمتع بشخصية محبوبة، تناول أهم قضايا العقيدة الإسلامية مع طرح جميل، وخزين ثقافي لا يتوقف عند حدٍّ معيّن، كانت الناس تتأمل في روائعه وجميل كلامه وسرده المؤثر وعذوبة منطقته السيل.

اجتمعت في شخصيته الرائدة صورة الإنسان الواعي والعميق في فكره وإحاطته في صنوف المعرفة، والتي تدلل على دراساته وأبحاثه ومطالعاته المكثفة، مكنته من الإحاطة في الإبداع والرقي العلمي، استفاد الشيخ الشعراوي من شاشات التلفزة وثورة الكاسيت التي كانت تحتل الواقع الاجتماعي في سبعينيات القرن المنصرم، ووجد فيها منفذاً ناجحاً لاختراق القلوب والأفئدة التي هي بحاجة إلى سماع حديث يكهرب أسماعهم بخشوع وخضوع، كما أصدر العديد من الكتب والتي هي في أغلبها محاضرات ودروس تتمحور حول الأخلاق والتوبة والعقيدة وغيرها، حققت

رقماً قياسيًّا في الإثارة والتشويق وصارت الناس تتلقف كتبه بشغف، حتى طُبعت كتبه في دول عديدة دون علمه، وتردد اسمه في محافل الفكر بين مؤيد ومعارض، وتكاد تكون شخصيته مثيرة للجدل، ورأى البعض حراكه الديني وعبر عنه بأنه لغز محير؛ ومن الصعب فك ألغازه وطلاسمه المشفرة، وتطوع الكثير من الصحفيين والباحثين والدارسين لإجراء مقابلات صحفية معه، كان أبرزها (الراوي هو الشعراوي)، وأنتجت الدراما المصرية عنه مسلسلاً بعنوان «إمام الدعاة» في ثلاثين حلقة، كما نوقشت العديد من الرسائل الجامعية حول شخصيته وأفكاره ومنهجه في تفسير القرآن الكريم.

تسلل الشيخ محمد متولي الشعراوي إلى عقول الناس، ودخل في أذهانهم ورسم صورته في مشاعرهم من خلال جاذبيته الخارقة للمعتاد، حركاته بديهية ونبرة صوته والإيماءات والابتسامة البريئة كلها ساعدت على التكيف مع الجمهور، وهو في طرحه يتحدث إليك بدون تكلف أو تصنع ولا يحتاج إلى عناء طويل كي يوصل أفكاره إلى متابعيه، وكان يبتعد عن الأساليب المعقدة والصعبة، واختار السهل الممتنع في أحاديثه المبسطة، كما لا ننسى أن الشيخ خطيب مفوه وأديب مبدع، ولديه خبرة وتجربة في التدريس، وتمرس في الذكاء وحنكته استمدتها من خلال تجربة دينية وثقافية موسعة، ومارس الخطابة في المساجد والمدارس ولديه أسلوب جميل في المعاني والبدع والبيان.

أصبح له جمهور عريق متنوع الأعمار والاختصاصات، مما جعله يوليه الاهتمام الكامل ويعطيه العناية الخاصة، ويحرص دائماً على معرفة غرائزهم وهواجسهم، أدرك جيداً أن جمهوره من ثقافات متنوعة ومتعددة بحاجة إلى طرح ديني يتناغم مع متطلبات العصر، لهذه الشريحة إقبال واضح حول مدرسته، وتأثرت بجواهر كلامه وصارت تلاحقه وتعشق الجلوس تحت منبره، فكان يختار لهم أجمل القصص وأروع الطرائف

النادرة التي تنفس همومهم وتمتص غضبهم وتفك عقدهم النفسية.

عندما تحاول رسم صوره المتناثرة بين مصر والمملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر، تجده الإنسان الهادئ صاحب الخلق الرفيع والوقار والسكينة إضافة إلى جرأة وصراحة في الحديث.

لم يكن الشعراوي وحيد عصره وفريد دهره، بل هناك شخصيات منافسة في هذا الاتجاه الديني، لكنه خاض تجارب عديدة مكنته من فهم الواقع، وعاصر حكومات وشاهد انقلابات وتعرّف إلى ثقافات وسافر إلى البلدان، واطلع على مناهجهم وأحوالهم، مما جعله يحتل مركز الصدارة من بين علماء وخطباء الأزهر الشريف، وحظي باهتمام بالغ من قبل الشخصيات الإسلامية والوطنية، مما جعل الراحل سعد زغلول عندما يقف القطار في منطقة طنطا يسأل: أين الشيخ الشعراوي!!

وتبوأ الشيخ الشعراوي مكانة سامية في العالمين العربي والإسلامي، وقُدمت له دعوات لإلقاء محاضرات في الجامعات والمساجد، حتى أنه غطى ذكره على كثير من مشيخة الأزهر! وصار التركيز على شخصيته فغبطه أقرانه على تفوقه ونجاحه الباهر، وفي الوقت نفسه لم يسلم الشيخ الشعراوي من النقد اللاذع، إذ تعرض إلى حملات منظمة حاولت النيل والتشويش على مسيرته الوضاعة.

عندما تقلب صفحاته وسجلات أرشيفه وتاريخه الطويل تجده من أبرز العلماء المصلحين، وأحد رموز الدعوة الإسلامية وأنه الرجل المخلص لأُمته، تميز الشيخ بالورع والتقوى والتواضع والزهد، وحتى في ملبسه كان يرتدي ملابس عادية جداً لا تشبه ملابس مشيخة الأزهر، ويبدو أنه تأثر جداً بأخلاقيات المتصوفة، فالرجل صوفي الاتجاه، إذ عرفه معاصروه بأنه يبتعد عن الغرور والمباهاة، حتى روى نجله الأكبر بأنه كُرم من قبل إحدى الجامعات المصرية تقديراً لجهوده وعطائه وعندما خرج من التكريم ذهب إلى مقام سيدنا الحسين عليه السلام يساهم في الخدمة، ولما سأله عن سبب ذلك

قال لهم: أخشى أن يصيبني الغرور من خلال التكريم فقلت أكسر هذا النوع بالخدمة للمقام المكرم والمشهد المعظم، واستمر الشيخ الشعراوي برسم روح الإسلام الخالد الذي سعى لإنقاذ الإنسان من الظلمات إلى النور وتنظيم الحياة وتهذيب سلوك الفرد والصلة بين مبادئ الإسلام والإنسانية ومعالمها.

عني الشيخ الشعراوي بهموم الأمة الإسلامية وتابع أهم القضايا العالقة في المحاور النفسية والاجتماعية، ووقف إلى جانب الفقراء والمحرومين ودعا إلى نصرتهم والوقوف إلى جانبهم وكثيراً ما كان يردد دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام): (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَادْخِرْهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَعَجَّلْ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إِلَى جَوَارِكَ وَوُضْلَةً إِلَى قُرْبِكَ وَذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ).

ينتمي الشيخ الشعراوي إلى مدرسة عريقة في فكرها وتراثها ألا وهي مدرسة الأزهر الشريف، الذي خرّج العديد من الشخصيات الإسلامية الرائدة، التي ساهمت في دعم اليقظة الفكرية والأدبية في مصر والعالم الإسلامي، وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده والشيخ حسن الباقوري والشيخ محمود أبو رية والشيخ محمود أبو زهرة وغيرهم، وتأثر برموز الأزهر وواكب مسيرته في السراء والضراء، ووقف إلى جانب مدرسته الأصيلة، ومن خلال هذه القلعة المحصنة بأوتادها حرص على قراءة الكثير من الكتب والموسوعات وأجمل ما في تلك القراءات المتنوعة والمتعددة هو التعبير القرآني، كان يعكف على تفسير الرازي والزمخشري والقرطبي والآلوسي واستفاد كثيراً من موسوعة شرح نهج البلاغة (شرح ابن أبي الحديد المعتزلي) واستفاد كثيراً من الحكم المعبرة والخطب ذات المعاني السامية والبديعة، فقد رافق هذه الموسوعة مذ أن كان صبيّاً وجعلها الكتاب

الثاني بعد القرآن الكريم وكتب أخرى قيمة يستخرج الجيد منها، وسلك في طريقه الطويل الاعتدال والوسطية واحترامه للأفكار الأخرى، حارب التعصب والأفكار المنغلقة وأعجب بدور الاجتهاد وجعل من القرآن الكريم دستوره ومنهجه الرسالي في السمو والعلو والارتفاع، واستحدث طريقة خاصة في التفسير، اعتمد على ثقافة القرآن لذلك كان تفسيره مختصراً غايته الوصول إلى الحقيقة، وعلى الرغم من إحاطته بالتفسير إلا أنه طرح شرحه بطريقة مختصرة، وأجمل ما تميز به الرؤية الموضوعية في الطرح والتحليل.

من هو الشعراوي؟

هو الشيخ محمد متولي عبد الحافظ الشعراوي، والشعراوي نسبة إلى ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية بمصر وهي نسبة إلى أحد الصالحين فيها والنسبة إلى الشعراني والشعراوي، وتحدث الشعراوي في إحدى إطلاطاته الإعلامية بأنه ينتسب إلى أهل بيت النبوة وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولد في بدقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، في الخامس عشر من شهر أبريل سنة إحدى عشرة وتسعمائة وألف ميلادية الموافق السابع عشر من ربيع الثاني سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

ولولادته قصة طريفة وهي أن والده رأى في المنام كتكوتاً يرتقي المنبر ويقرأ القرآن ويؤذن وعندما سأل والده شيخ الجامع أخبره بأنه سوف يكون له ولد يكون عالم دين ومفسراً للقرآن الكريم.

عاش الشعراوي في أسرة متوسطة الحال وكان والده يعمل في الزراعة إلا أنه كان يحب مرافقة العلماء والأدباء، وهو شديد الطموح بأن يسلك ولده طريق العلم ويلتحق برحاب الأزهر الشريف، إلا أن ولده في بداية الأمر كان يحب العمل في الزراعة، أرسله والده إلى الكتّاب، فالتحق وهو في قمة صباه وكانت الكتّاب في ذلك الوقت المصدر الأول للتعليم، وكان أبناء القرية يدرسون في هذه المدرسة البسيطة وهي عبارة عن شيخ يعلم

الأبناء القرآن والأحاديث والحساب والخط، أخذه والده إلى كتاب الشيخ عبد الرحمن الشهابي، ومن الجدير بالذكر عندما قدّم ولده للشيخ قال له: هذا ابني اكسر له ضلعاً وأنا أعالجه، والشيخ كان صارماً وحازماً في التعليم، ومعروف عنه من لم يستمع إليه يضربه (الفلقة)! وكان قاسياً على الشعراوي أكثر من غيره، وهذه المدرسة الأولى التي أسست النواة واللبنة الأولى التي ساهمت في بناء شخصيته العلمية، وكانت معاصرة الشيخ الشعراوي للشيخ عبد الرحمن لها قيمة عالية في تطوير عقلية وتشجيعه، فحفظ الشيخ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره وجوّده في الرابعة عشرة من عمره.

في عام ١٩٢٢م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهرى، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي الأزهرى، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظي بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيساً لاتحاد الطلبة، ورئيساً لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور أحمد هيكل والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون. كانت نقطة تحوّل في حياة الشيخ الشعراوي، عندما أراد والده إلحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة.

له العديد من المؤلفات منها :

١. الإنسان الكامل محمد ﷺ.
٢. الأحاديث القدسية.
٣. الإسراء والمعراج.
٤. الإسلام والفكر المعاصر.
٥. الإسلام والمرأة، عقيدة ومنهج الأدلة المادية على وجود الله.

٦. الآيات الكونية ودلالاتها على وجود الله تعالى.
٧. البعث والميزان والجزاء.
٨. التوبة.
٩. الجنة وعد الصدق.
١٠. الجهاد في الإسلام.
١١. الحج الأكبر - حكم، أسرار، عبادات.
١٢. الحج المبرور.
١٣. الحسد.
١٤. الحصن الحصين.
١٥. الحياة والموت.
١٦. الخير والشر.
١٧. الراوي هو الشعراوي - محمد زايد.
١٨. السحر.
١٩. السحر والحسد.
٢٠. السيرة النبوية.
٢١. الشعراوي بين السياسة والدين - سناء السعيد.
٢٢. الشورى والتشريع في الإسلام.
٢٣. الشيخ الشعراوي وفتاوى العصر محمود فوزي.
٢٤. الصلاة وأركان الإسلام.
٢٥. الشيخ الشعراوي وقضايا إسلامية حائرة تبحث عن حلول - محمود فوزي.
٢٦. الشيخ الشعراوي ويسألونك عن الدنيا والآخرة - محمود فوزي.
٢٧. الشيطان والإنسان.

٢٨. الطريق إلى الله.
٢٩. الظلم والظالمون.
٣٠. الغارة على الحجاب.
٣١. الغيب.
٣٢. الفتاوى.
٣٣. الفضيلة والرذيلة.
٣٤. الفقه الإسلامي الميسر وأدلته الشرعية.
٣٥. القضاء والقدر.
٣٦. الله والنفس البشرية.
٣٧. المرأة في القرآن الكريم.
٣٨. المرأة كما أرادها الله.
٣٩. المعجزة الكبرى.
٤٠. المنتخب في تفسير القرآن الكريم.
٤١. النصائح الذهبية للمرأة العصرية.
٤٢. الوصايا.
٤٣. الشفاعة.
٤٤. أحكام الصلاة.
٤٥. أسرار بسم الله الرحمن الرحيم.
٤٦. أسماء الله الحسنى.
٤٧. أسئلة حرجة وأجوبة صريحة.
٤٨. أضواء حول اسم الله الأعظم - محمد السيد أبو سبع -
الشعراوي.
٤٩. أنت تسأل والإسلام يجيب.

٥٠. معجزة القرآن.
 ٥١. من فيض القرآن.
 ٥٢. نظرات في القرآن.
 ٥٣. نهاية العالم.
 ٥٤. هذا ديننا.
 ٥٥. بين الفضيلة والرذيلة.
 ٥٦. جامع البيان في العبادات والأحكام.
 ٥٧. حفاوة المسلمين بميلاد خير المرسلين.
 ٥٨. خواطر الشعراوي.
 ٥٩. خواطر قرآنية.
 ٦٠. يوم القيامة.
 ٦١. عداوة الشيطان للإنسان.
 ٦٢. عذاب النار وأهوال يوم القيامة.
 ٦٣. على مائدة الفكر الإسلامي.
 ٦٤. فقه المرأة المسلمة.
 ٦٥. قصص الأنبياء.
 ٦٦. قضايا العصر.
 ٦٧. لييك اللهم لييك.
 ٦٨. مائة سؤال وجواب في الفقه الإسلامي - محمد متولي الشعراوي
- عبد القادر أحمد عطا.
 ٦٩. هذا هو الإسلام.
 ٧٠. وصايا الرسول.
- بدأ الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسيره على شاشات التلفاز قبل

سنة ١٩٨٠ بمقدمة حول التفسير ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى عند أواخر سورة الممتحنة وأوائل سورة الصف وحالت وفاته دون أن يفسر القرآن الكريم كاملاً، ويُذكر أن له تسجيلاً صوتياً يحتوي على تفسير جزء عم واعتمد في تفسيره على عدة عناصر من أهمها:

١. الإصلاح الاجتماعي.
٢. اللغة كمنطلق لفهم النص القرآني.
٣. محاولة الكشف عن فصاحة القرآن وسر نظمته.
٤. ضرب المثل وحسن تصويره.
٥. رد شبهات المستشرقين.
٦. يذكر أحياناً تجاربه الشخصية من واقع الحياة.
٧. المزاجية بين العمق والبساطة وذلك من خلال اللهجة المصرية الدارجة.
٨. الاستطراد الموضوعي.
٩. النفس الصوفي.
١٠. الأسلوب المنطقي الجدلي.
١١. في الأجزاء الأخيرة من تفسيره أثر الاختصار حتى يتمكن من إكمال خواتمه.

حصل على العديد من الجوائز منها :

- مُنح الشعراوي وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى لمناسبة بلوغه سن التقاعد قبل تعيينه وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر في ١٥ أبريل عام ١٩٧٦.

- منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ وعام ١٩٨٨ ووسام في يوم الدعاة.

- حصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية.

- اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي تنظمه الرابطة، وعهدت إليه بترشيح من يراهم من المحكمين في مختلف التخصصات الشرعية والعلمية، لتقويم الأبحاث الواردة إلى المؤتمر.

- جعلته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان الثقافي لعام ١٩٨٩م والذي تعده كل عام لتكريم أحد أبنائها البارزين، وأعلنت المحافظة عن مسابقة لنيل جوائز تقديرية وتشجيعية، عن حياته وأعماله ودوره في الدعوة الإسلامية محلياً، ودولياً، ورصدت لها جوائز مالية ضخمة.

المناصب التي تولّاها

عيّن مدرساً بمعهد طنطا الأزهري وعمل به، ثم نقل إلى معهد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق.

أُعير للعمل بالسعودية سنة ١٩٥٠م. وعمل مدرساً بكلية الشريعة، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

عُيّن وكيلاً لمعهد طنطا الأزهري سنة ١٩٦٠م.

عُيّن مديراً للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م.

عُيّن مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر الشريف سنة ١٩٦٢م.

عُيّن مديراً لمكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر حسن مأمون سنة ١٩٦٤م.

عُيّن رئيساً لبعثة الأزهر في الجزائر سنة ١٩٦٦م.

عُيّن أستاذاً زائراً بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠م.

عُيّن رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧٢م.

عُيِّنَ وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٧٦م.

عُيِّنَ عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م.
اختير عضواً بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٨٠م.
عُرضت عليه مشيخة الأزهر وكذا منصب في عدد من الدول الإسلامية لكنه رفض وقرر التفرغ للدعوة الإسلامية.



الحلة وأثرها العلمي والأدبي

الدكتور حازم سليمان الحلي

احتلت مدينة الحلة منزلةً علميةً مرموقةً بين مدن العراق؛ ونبغ من أبنائها عدد من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء؛ وتألفت أسماؤهم في مختلف ضروب المعرفة فاشتهروا في الأوساط العلمية كالفقه؛ وأصول الفقه؛ والفلسفة؛ وعلم الكلام؛ وعلم الحديث؛ وعلم الدراية؛ وعلم الرجال؛ والأدب والشعر حاملين معهم إلى الدنيا اسم مدينتهم التي انتموا إليها.

فما هي هذه المدينة التي قالوا عنها: من لم يقرأ الفقه الحلي فليس بفقيه؟

الحلّة لغةً:

الحلّة بكسر الحاء مشترك لفظي وهي تعني لغةً:

[١] القوم النزول، اسم للجمع.

[٢] وجماعة بيوت الناس، لأنها تحلّ، وقدّروها بمئة بيت. مع جلال بالكسر يُقال: حيّ جلال أي كثير، قال زهير (ت ١٣ ق.هـ):

لحيّ جلالٍ يعصمُ النَّاسَ أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمُعْظَمٍ
وقال الأعشى ميمون (ت ٧هـ):

لقد كان في شيبان لو كنت عالماً قبابٌ وحيّ حلّة وقبائلُ

- [٣] والحلة المجلس جمعه حلال.
- [٤] والحلة المُجتمع جمعه حلال.
- [٥] والحلة بالكسر القومُ التَّزُولُ اسمُ جمعٍ.
- [٦] والحلة المحلةُ أي منزل القوم.
- [٧] وحلة الشيء بالفتح وحلته بالكسر جهته وقصده، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): هو حلة الغور أي قصده.
- [٨] والحلة بالفتح المرة الواحدة من هيئة الحُلُول.
- [٩] والحلة شجرة شاكة أصغر من العوسجة لا ثمر لها، ولها ورق صغار إذا أكلتها الإبل سهلت خروج لبنها. قال الشاعر يصفُ جمالاً:
- يَأْكُلُ مِنْ خَضَبٍ سِيَالٍ وَسَلَمٍ وَحِلَّةٍ لَمَّا يُوطِّئُهَا النَّعَمُ
- وهي التي يسميها أهل البادية الشبرق.
- [١٠] وحلة الشيء، بكسر الحاء وفتحها: جهته. قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): هو قصدك كما قال الشاعر بشر بن عمرو بن مرثد:
- سرى بعد ما غار الثريا وبعد ما كأن الثريا حلة الغور مُنْخَلُ
- أي قصده يُقال، هو حلة الغور أي قصده، وسمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب.
- [١١] الحلة الزنبيل الكبير من الخوص أو القصب.
- [١٢] والحلة الشقة من البواري يوضع فيها الحبوب.
- [١٣] والحلة بالفتح عند المصريين قدر النحاس لأنه يحل فيه الطعام.
- [١٤] والحلة بالكسر اسم علم يُطلق على:
- أ - حلة دبيس بن عفيف الأسدي قرب الحويزة التي بناها ملك العرب أبو الأغر دبيس بن عفيف الأسدي الذي ينتهي نسبُه إلى ناشرة بن نصر ابن سُوءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد الأسدي؛

ملك الجزيرة والأهواز وواسط؛ توفي سنة ٣٨٦هـ؛ وأعقب ثلاثة عشر ابناً، آخرهم همام الدولة أبو الحسن صدقة بن منصور بن حسين بن دُبيس؛ مات سنة ٤٩٧هـ؛ وانقرض به ذلك البيت.

ب - حِلَّة ابنِ قَيْلة من أعمال ميسان بين واسط والبصرة.

ج - الحِلَّة السيفية المزيديّة؛ وهي موضوع البحث.

د - والحِلَّة مدينةٌ في العراق بين بغداد والكوفة على الفرات اختطها أمير العرب سيف الدولة صدقة الأسدي عام ٤٩٥هـ وتنسب إليه.

هـ - الحلة قرية في طريق الدُّجيل؛ شمال بغداد؛ بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ؛ قرب سامراء.

و - الحلة أرض غليظة بين ضرية واليمامة.

ز - والحلة موضع في الشام.

مَنْ بنى الحلة؟

الذي بنى الحلة هو أمير العرب أبو الحسن فخر الدين سيف الدولة المزيدي، الناشري الأسدي، صدقة بن منصور بن دُبيس بن علي بن يزيد بن مرثد بن الدِّيَّان بن عمرو بن خالد بن حيّ بن زنجي بن عمرو بن خالد بن مالك بن عوف بن مالك بن ناشرة بن نصر بن سواء بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد الأسدي؛ حُطِب له من الفراتِ إلى البحر؛ ولُقِّب بملك العرب؛ ويلتقي مع أبي الأغر دُبيس بن عفيف الأسدي بجدهم المشترك ناشرة بن نصر. ولد صدقة سنة ٤٤٢هـ، وتولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٩هـ، فكانت مدة حكمه ٢٢ عاماً.

يقول عنه ابن الأثير: «كان جواداً حليماً؛ صدوقاً؛ كثير البر والإحسان؛ ما برح ملجأً لكل ملهوف؛ يلقي من قصده في أمن ودعة؛ وكان عفيفاً؛ عادلاً؛ لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها؛ ولم يصادر أحداً من نوابه؛ ولم يأخذهم بإساءة قديمة؛ وكان أصحابه يُودَّعون أموالهم

في خزانته؛ ويدلون عليه أدلال الولد على أبيه. ولم يُر رعية أحبت أميرها كحبهم له. وكان متواضعاً يبادر إلى النادرة. وكان حافظاً للأشعار؛ وكانت له مكتبة تحوي ألوف المجلدات».

وخضعت له قبائل الفرات وامتدت إمارته إلى البصرة؛ وواسط؛ والبطيحة؛ والكوفة؛ وهيت وعنه وحديثة؛ وسيطر على أقوى القبائل العراقية لذلك العهد مثل خفاجة وعقيل وعبادة وغيرها. وقد اهتم بالشؤون الإدارية والعمرانية والثقافية. ورأى أنّ أفضل ما يعينه على ذلك هو العدل في الحكم. هذا عدا عما كان يلقاه العلماء والأدباء في كنفه من الرعاية فأقبلوا عليه من كل ناحية.

قُتِل في النعمانية سنة ٥٠١هـ في حربه مع السلاجقة وحُمل رأسه إلى بغداد ودفن في المدائن وهذا ينفي أن يكون الأمير صدقة قد دفن في الحلة؛ مع وجود قبر يزعمون أنه للأمير صدقة؛ ومنهم من يزعم أنه للأمير دُبيس بن علي بن مزيد؛ وبجواره قبر الشيخ يحيى بن أحمد بن سعيد الهذلي الحلبي؛ يقع على شارع الإمام علي في محلة الطاق في الجانب المقابل لموضع قبر محمد بن الحسين ذي الدعة ابن زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين عليه السلام الذي أُزيل وأقيم بجوار موضع قبره دار سينما عرفت بسينما بابل.

وهناك رواية تؤكد أنّ الأمير صدقة دفن في مشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؛ أمّا دبيس بن علي بن مزيد فقد توفي سنة ٤٧٤هـ؛ ودفن في مدينة النواير على ضفاف نهر النيل؛ على مسافة ٣٠ ميلاً من الحلة. وكان صدقة أديباً شاعراً، ومن شعره قوله:

هبنی كما زعم الواشون لا زعموا ذنبت؛ حاشاي؛ مذلّت بي القدم
وهبك ضاق عليك الصبر عن جرم ما أجنه أيضيق العفو والكرم؟
ما أنصفتني في حكم الهوى أدن صغي لواش وعن غدري بها صم
وفي رجال هذه الدولة المزيديّة يقول العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ)

في كتابه الخريدة: ملوك العرب وأمراؤها بنو مزيد الأسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات كانوا ملجأ اللاجئين وثمان الراجين وموئل المعتفين وكنف المستضعفين تشد إليهم رحال الآمال وتنفق عندهم فضائل الرجال، وأثرهم في الخيرات أثير، والحديث عن كرمهم كثير. وكان صدقة يهتز للشعر اهتزاز الاعتزاز ويخص الشاعر من جوده بالاختصاص والامتياز ويؤمنه مدة عمره من طارق الإعواز يُقبل على الشعراء ويمدُّهم، جميل الإصغاء وجزيل العطاء.

ولسيف الدولة أبي الحسن صدقة الأسدي مؤسس الحلة ولدان هما:

١ - تاج الملوك أبو النجم بدران؛ ولما قتل أبوه غادر العراق وصار إلى الشام؛ فأقام فيها مدة؛ ثم توجه إلى مصر؛ ومات هناك سنة ٥٣٠هـ؛ وكان شاعراً له شعرٌ حسنٌ جمعه بعض الفضلاء في ديوان؛ ولما هزّه الحنين إلى وطنه كتب إلى أخيه دُبَيْس يقول:

أَلَا قُلْ لِمَنْصُورٍ وَقُلْ لِمُسَيِّبٍ قُلْ لِدُبَيْسٍ: إِنَّنِي لَغَرِيبٌ
هَنِيئاً لَكُمْ مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْفُرَاتِ نَصِيبٌ

وكان أخوه دُبَيْس شاعراً فكتب إليه يقول:

أَلَا قُلْ لِبَدْرَانَ الَّذِي حَنَّ نَازِعاً قُلْ لِدُبَيْسٍ: إِنَّنِي لَغَرِيبٌ
تَمَتَّعَ بِأَيَّامِ السَّرُورِ فَإِنَّمَا نَذَارُ الْأَمَانِي بِالْهُمُومِ يَشِيبُ
وَلَلَّهِ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ حِكْمَةٌ (وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ)

٢ - وسيف الدولة أبو الأغر دُبَيْس مَلِك الجزيرة إلى ما بين الأهواز وواسط؛ كان جواداً كريماً؛ عنده معرفة بالأدب؛ وعناه الحريري (ت ٥١٦هـ) وعن جده دُبَيْس بن علي بن مزيد بقوله في المقامة التاسعة والثلاثين: (أو الأسدي دُبَيْس) لأنه كان معاصراً له فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته لجلالة قدره؛ وله نظم حسن ذكره العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) في كتابه الخريدة؛ ونسب له الأبيات التالية:

أسلمه حبّ سليمانكم إلى هوى أسره القتل
 قالت لنا جند ملاحته ما بدا ما قالت النمل
 قوموا ادخلوا مسكنكم قبل أن تحطمكم أعينّه النجل
 وهي أبيات تنسب أيضاً إلى ابن رشيق.

ووالد صدقة أبو كامل بهاء الدولة منصور بن دُبيس بن علي، ولي بعد أبيه أربع سنوات وتوفي سنة ٤٧٩هـ.

ووالده أبو الأغر نور الدولة دُبيس بن علي بن مزيد؛ ولي الإمارة وهو ابن أربع عشرة سنة؛ ذلك بعد وفاة والده علي بن مزيد سنة ٤٠٨هـ. دامت إمارة دُبيس ستاً وستين سنة؛ له أيادٍ على العرب.

مدحه الشعراء، فقال أحدهم:

سألت الندى والجود: حيّان أنتم؟ ما متما من بعد آل محمد؟
 فقالوا: نعم متنا وأعدمنا البلا ماناً وأحياناً دُبيس بن مزيد

توفي دُبيس بن مزيد سنة ٤٧٤هـ؛ في مدينة النوايعر؛ على ضفاف نهر النيل المتفرع من الفرات؛ على بعد ٣٠ ميلاً من الحلة؛ وفيها قبر الرجالي المعروف أبي العباس أحمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠هـ) المعاصر للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

أما والد دُبيس فهو سند الدولة علي بن مزيد وقد ملك جزيرة بني دُبيس سنة ٤٠٣هـ، ومات سنة ٤٠٨هـ.

استمرت الإمارة المزيديّة بعده حتى سنة ٥٤٥هـ؛ إذ انتهت بموت علي ابن دبيس.

وعن المزيديين والشعر يتحدث الدكتور علي جواد الطاهر فيقول: كانت مكانة بني مزيد في الشعر بارزة بروزها في التاريخ؛ ولقد مدح الشعراء نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد؛ فلما توفي في سنة ٤٧٤هـ رثوه فأكثروا؛ ولقد رثوه بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته؛ وظل ذكره يتردد

عند مدح أعقابه ولما أفضت الإمارة بعد وفاته إلى ولده بهاء الدولة منصور هناؤه البندنجي؛ ودعا للسلطان ملكشاه؛ وكان بين منصور وشرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي مكاتبات ومعاتبات؛ وقد استنجد العقيلي مرة ببهاء الدولة فلما لم ينجده عزم واعتمد على نفسه وانتصر؛ فأجابه بهاء الدولة بأبياتٍ معتذراً؛ وقد ذكرها العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) في خريدة القصر وجريدة العصر:

ولو أني جريت على اختياري قد دتُ إليكم الفلواتِ قدّا
لتعلم أن بيت بني عليٍّ لكم وبكم يعد إذا استعدا
ولا بدّ من تصديق عذر منصور لأنه معروف بالشجاعة والنجدة فهو
يقول والتاريخ يؤيده:

فإن أنا لم أحملُ عظيماً ولم أقُدْ لهماً ولم أصبرْ على فعلٍ معظم
ولم أجرِ الجاني وأمنع حوزةً غداة أنادي للفرار وأنتمي
فلا نهضت لي همّةً عربيّةً إلى المجد ترقى بي ذراً كلّ مخرم
لما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب في ديار بكر عام ٤٧٦هـ، وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل صدقة بن منصور الأموال؛ وفك أسرى عقيل ونساءهم وأولادهم؛ وجهزهم جميعاً؛ وردّهم إلى بلادهم؛ ففعل أمراً عظيماً؛ وأسدى مكرمة شريفة؛ فشكره الناس على ذلك؛ وامتدحه الشعراء فأكثروا.

كانت مساكن المزيديين على ضفاف نهر النيل أحد فروع الفرات على مسافة ٣٠ ميلاً من الحلة قبل أن يختاروها عاصمةً لإمارتهم في المحرم من عام ٤٩٥هـ؛ وكانت تعرف بالجامعين؛ والجامعين اليوم إحدى محلات الحلة؛ ويبدو أنّ المزيديين كانوا يترددون على المنطقة في بعض مواسم السنة أو يتخذون من موقعها معسكراً لقواتهم ثم وسعها الأمير صدقة وبنى البيوت فيها وشيد القصور على الرغم من أنّ معظم المصادر تقول أسسها صدقة.

على مقربة من مدينة بابل الأثرية التي لا تبعد عنها أكثر من أربعة أميال حيث نشأت أقدم حضارات العالم؛ وما تركه حمورابي ونبوخذ نصر؛ وما اكتشفوا من اكتشافات كالقوس والعجلة؛ ودونوا العلوم على ألواح الرق بالخط المسماري؛ وما وضعوا من قوانين في شريعة حمورابي؛ وما تركوه من آثار مثل باب عشتار التي بناها نبوخذ نصر؛ والجنائن المعلقة؛ وأسد بابل وشارع الموكب؛ والمعابد كمعبد مردوخ؛ وما عليها من تماثيل ونقوش تشهد لتفوق سكان هذه المنطقة في الفن؛ ومعرفة وضع اللمسات الجمالية.

في سهل زراعي خصب ترويه مياه الفرات فينتج المحاصيل الزراعية وما لذ وطاب من الثمار يسكنه ناس قال لهم ربهم: ﴿وَأَسْقِنُكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ يأكلون مما من الله عليهم به من آلائه ونعمه وشرابهم ماء «فُرَاتٍ سَائِعٍ شَرَابُهُ».

في هذه البيئة المعطاء الخصبية السخية بالخير والعطاء أسس المزيديون إمارتهم؛ ونشروا العدل؛ ورعوا العلم؛ وحملته وطلابه؛ فالتفت من حولهم العلماء وعاشوا في كنفهم؛ وأقبل الطلاب على العلماء ينهلون من علمهم؛ وكان الناس في هذه المنطقة وما حولها كالنجف والكوفة وكربلاء والمناطق الممتدة إلى الخليج من الموالين لأهل البيت عليه السلام.

قال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) في إحدى زيارتيه للحلة في سنة ٧٢٥ هـ: «ونزلنا مدينة الحلة؛ وهي مدينة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلاً وخارجاً؛ ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة في ما بين الشاطئين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل؛ وأهل هذه المدينة كلهم إمامية اثنا عشرية؛ وهم طائفتان إحداهما تعرف بالأكراد، والأخرى تعرف بأهل الجامعين».

وقد زار ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) الحلة مرتين.

وقال السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ): «وتشيعُ أهل الحلة مشهورٌ معروفٌ من قديم الزمان وكانت دار العلم للشيعة في القرن الخامس وما بعده وإليها الهجرةُ وخرج منها جماعةٌ من أجلاء علماء الشيعة وفقهائهم وأدبائهم».

والمجتمع الحلي معروف بولائه لآل البيت عليهم السلام وأعطت الحلة الساحة العلمية خيرة العلماء من فقهاء الإمامية وسنأتي على ذكر بعضهم، وأدبيات أبنائها طافحة بهذا ودواوين شعرائهم والمجاميع الشعرية كالبابليات لليعقوبي وشعراء الحلة للخاقاني تبتك بعقيدتهم حتى شاع هذا وعرف.

قال عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أبي الغنائم الكناني العسقلاني (ت ٦٣٥هـ) يهجو الشاعر شرف الدين راجحاً الحلي (ت ٦٢٧هـ):

يَقُولُونَ لِي مَا بَالُ حَظِّكَ نَاقِصاً لَدَى رَاجِحِ رَبِّ الْفَهَاهَةِ وَالْجَهْلِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي سَمِيُّ ابْنِ مُلْجَمٍ وَذَلِكَ اسْمٌ لَا يَقُولُ بِهِ حَلِّي
لَأَنَّ الْحَلِيلِينَ الْمَوَالِينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام يَبْغُضُونَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ
قَاتِلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام.

ولكن محمد بن شاكِر الكُتَيْبِي (ت ٧٦٤هـ) عدّ البيتين في مدح راجح الحلي ورواهما هكذا:

يَقُولُونَ لِي مَا بَالُ حَظِّكَ نَاقِصاً لَدَى رَاجِحِ رَبِّ السَّمَاةِ وَالْفَضْلِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي سَمِيُّ ابْنِ مُلْجَمٍ وَذَلِكَ اسْمٌ لَا يَقُولُ بِهِ حَلِّي
وَمَا يَتَخَلَّلُ الْحَلَةَ وَمَا يَحِيطُ بِهَا مِنْ بَسَاتِينَ وَأَشْجَارٍ وَنَهْرِ الْفَرَاتِ الَّذِي
يَفْتَرَعُهَا كَسَاهَا جَمَالاً وَجَعَلَ الشُّعْرَاءَ يَتَغَنُّونَ بِهَا.

قال صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا السِّنْسِي (ت ٧٥٠هـ) في وصف الحلة:

مَنْ لَمْ تَرِ الْحَلَةَ الْفِيحَاءَ مُقْلَتُهُ فَإِنَّهُ فِي انْقِضَاءِ الْعَمْرِ مَغْبُونٌ
أَرْضٌ بِهَا سَائِرُ الْأَهْوَالِ قَدْ جُمِعَتْ كَمَا تَجْمَعُ فِيهَا الضَّبُّ وَالنُّونُ

فَالْعُدْرُ طَافِحَةٌ وَالرِّيحُ نَافِحَةٌ وَالْوَرْقُ صَادِحَةٌ وَالطَّلُّ مُوضُونُ
 مَا شَأْنَهَا غَيْرُ بَغْيٍ الْجَاهِلِينَ بِهَا كَأَنَّهَا جَنَّةٌ فِيهَا شَيَاطِينُ
 وَكَانَ يَحِيطُ بِهَا سُرٌّ فَقَالَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِي:

مَا جَلَّهٗ ابْنُ دَبِيسٍ إِلَّا كَحَصْنٍ حَصِينٍ
 لِلْقَلْبِ فِيهَا قَرَارٌ وَقُرَّةٌ لِلْعَيْنِ
 إِنْ أَصْبَحَ الْمَاءُ غَوْرًا جَادَتْ بِمَاءٍ مَعِينِ
 وَحَوْلَهَا سُرٌّ طِينٍ كَأَنَّهُ طَوْرٌ سِينِ
 الْأَمْنُ الَّذِي نَشَرَهُ الْمَزِيدِيُّونَ وَالْعَدْلُ الَّذِي أَفْشَوْهُ فِي النَّاسِ وَرِعَايَةُ
 الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ جَعَلَ الْعُلَمَاءَ يَلْتَفُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَيُرْتَادُونَ مَدِينَةَ الْحِلَّةِ عَاصِمَةَ
 إِمَارَتِهِمْ مِمَّا مَهَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِقِيَامِ الْحَوْزَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِيهَا.



الفصل الثاني

الحوزة العلمية في الحلة

العالم المجدد ابن إدريس الحلي

الحرب الطائفية ورقة يعرفها المستكبرون؛ ويستعملونها لإضعاف الشعوب والسيطرة عليها؛ فبعد هجوم طغرل بك السلجوقي (٣٨٥ - ٤٥٥هـ) على بغداد؛ وسقوطها بيده عام ٤٤٧هـ أشعل نار الحرب الطائفية بين المسلمين؛ فحصلت الفتنة في بغداد؛ وأحرقت مكتبة سابور وزير بهاء الدولة البويهية المعروفة بدار العلم التي كانت من أهم دور الكتب؛ تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب وصفها ياقوت الحموي بقوله: كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة؛ ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها؛ كانت كلها بخطوط الأئمة المعبرين؛ وأصولهم المحررة؛ إنَّ هذا الوزير قد جمع فيها أنفس الكتب والآثار القيمة...؛ ونافت كتبها على عشرة آلاف مجلد؛ وهي بحق من أعظم المكتبات العالمية؛ وكان فيها مئة مصحف بخط ابن مقله.

وفتنة الطواغيت غالباً ما تستهدف قادة الفكر؛ فتحاربهم؛ وتقصد العلم فتقطع أسبابه؛ لهذا توسعت الفتنة فالتهمت النيران الظالمة التراث الذي اختزنه العالم الفقيه الأصولي المتكلم الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في مكتبته الخاصة؛ وانصبَّ الحقد على العلم وخزَّانه؛ فنُهب ما وُجد في مكتبته وداره من دفاتره؛ وأحرق كرسي درسه؛

أليس هذا هو المنبر الذي ينطلق منه صوت الحق؟ فليحترق إذاً.

ذكر ذلك أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في المنتظم؛ في حوادث سنة ٤٤٨هـ بقوله: وفي صفر من هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي؛ وأخذ ما وجد فيها من دفاتره؛ وكسري كان يجلس عليه للكلام... فأحرق.

فاضطرّ الشيخ الطوسي إلى مغادرة بغداد؛ وتوجه إلى كربلاء عام ٤٤٨هـ؛ ثم انتقل إلى النجف الأشرف؛ فاستقر فيها والتفّ من حوله طلبة العلم وألف كتبه فيها؛ ومنها المبسوط في الفقه؛ والخلاف في الفقه المقارن؛ والنهاية في الفقه والفتاوى. وفي الأصول كتب الشيخ الطوسي: العدة في أصول الفقه والأصول الاعتقادية، وفي علم الرجال يبرز كتابه المعروف (رجال الشيخ الطوسي)، وهو أحد الأصول الرجالية المعوّل عليها عند العلماء.

فالشيخ الطوسي عالم موسوعي. ازدهرت الحوزة العلمية في النجف الأشرف في عهده وكان هو محور الحوزة والحركة العلمية، وقطب رحاها، فأسس هيئةً علميةً وتخرّج على يديه تلاميذ كُثُر.

مكث الشيخ الطوسي في النجف اثنتي عشرة سنةً ثم انتقل إلى جوار ربه ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم الحرام عام ٤٦٠هـ عن عمر ناهز الخامسة والسبعين عاماً مليئةً بالعباءة العلمية.

وبعد وفاة الشيخ الطوسي في النجف عام ٤٦٠هـ تجمد العلماء عند آرائه فلم يجرؤ أحدٌ منهم على مناقشة آرائه ونقدّها واستمرت الحال إلى مئة سنة بعد وفاته إلى أن نبغ في الحلة سبطه الشيخ محمد بن إدريس (٥٤٣ هـ - ٥٩٨ هـ) ففتح الباب لنقاش آراء جدّه ونقدّها وتوجّه العلماء إلى الحلة في القرن السادس الهجري فانتقلت الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة. فلنذكر الآن بعض أعلام الحوزة العلمية في الحلة وأثرهم في الوسط العلمي؛ لنعرف أثر الحلة العلمي والأدبي.

العالم المجدّد ابن إدريس الحلّي (٥٤٣هـ - ٥٩٨هـ)

اسمه وكنيته ونسبه:

هو الشيخ أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي.

ولادته:

ولد الشيخ محمد بن إدريس العجلي الحلّي سنة ٥٤٣هـ في مدينة الحلة.

أساتذته:

تتلمذ الشيخ محمد بن إدريس على عدد من الشيوخ؛ ومنهم:

- ١ - أبو علي جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٥٠٠هـ).
- ٢ - الشيخ محمّد بن أبي القاسم الطبري.
- ٣ - الشيخ العربي بن مسافر العبادي.
- ٤ - الشيخ حسن بن رطبة السواري.
- ٥ - السيّد حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (٥١١ - ٥٨٥هـ)، صاحب كتاب (غنية النزوع في علمي الأصول والفروع) يقع في جزئين، والكتاب يشتمل على علوم ثلاثة: الكلام والفقه وأصوله، وقد طبع الكتاب أخيراً بتحقيق الشيخ إبراهيم البهادري.

تلامذته:

درس عليه عدد كبير من الطلبة والباحثين ومنهم:

- ١ - الشيخ نجيب الدين بن نما الحلّي (ت ٦٤٥هـ).
- ٢ - السيّد فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠هـ).

٣ - السيّد محمّد بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلبي.

٤ - الشيخ طومان بن أحمد العاملي.

أقوال العلماء فيه:

١ - قال عنه الشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي (توفي بعد ٧٠٧هـ) في رجاله: إنّه كان زعيم فقهاء الحلة، ومتقناً في العلوم، وله مصنّفات كثيرة.

٢ - ووصفه الشهيد الأوّل أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني (ت ٧٨٦هـ) في إجازته له: بالشيخ، الإمام، العلامة، شيخ العلماء، وزعيم الطائفة الشيعية.

٣ - وقال الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ): إنّ المتأخّرين من علمائنا قد أشادوا به كثيراً على كتاب سرائره، كما اعتمدوا على ما ذكره في نهاية كتابه من أصول المتقدّمين.

٤ - قال الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ): أبو عبد الله محمّد ابن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي عالم، كبير مشهور، حيث إنّ كبار الفقهاء أشادوا بعلمه ودقّته في إجازاتهم.

مؤلفاته:

نذكر من مؤلفاته:

١ - السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى.

٢ - الاستدلال.

٣ - التعليقات.

٤ - الخلاصة.

٥ - رسالة في معنى الناصب.

٦ - منتخب كتاب التبيان.

وُلِدَ أبو عبد الله محمد بن إدريس العجلي الحلي في الحلة ونشأ فيها وتعلم في حوزتها، وهو مؤسس المركز العلمي الكبير في الحلة، وهو أوّل من برز من العلماء في الحلة بل في العالم الشيعي آنذاك منتصف القرن السادس الهجري، وهو ابنُ بنت الشيخ أبي نصر محمد (ت ٥٤٠هـ) بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) وجدّته لأُمّه بنت الشيخ مسعود ابن الشيخ ورام.

وعندما استوعب آراء جدّه لأُمّه الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) رحمه الله بدأ بالظعن على العلماء الذين تلقوا فتاوى شيخ الطائفة الطوسي من غير نقد لها أو مناقشة وقد آلى على نفسه أن يدرس ويمحص آراء جده الشيخ الطوسي وفتاواه ويناقشها وينقدها، محطماً بذلك تلك الهالة القدسية التي وضعت حول شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

يقول ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ) في مقدمة كتابه السرائر: (إني لما رأيْتُ زُهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمدية والأحكام الإسلامية، وثقلهم عن طلبها، وعداوتهم لما يجهلون وتضييعهم لما يعلمون، ورأيتُ ذا المنِّ من أهل دهرنا لغلبة، الغباوة عليه، مُضيّعاً لما استودعته الأيامُ مُقَصِّراً في البحثِ عمّا يجب عليه علمُه حتى كأنّه ابنُ يومٍ ونتاجُ ساعته... ورأيتُ العلمَ عنانُهُ في يدِ الامتهانِ وميدانُهُ قد عُطِّلَ منه الرّهانُ تداركتُ منه النّماءُ الباقي؛ وتلافيْتُ نفساً بلغتِ التراقي).

وكان كلامُهُ هذا موجّهاً إلى العلماء الذين أخذوا فتاوى الشيخ الطوسي على أنّها مسلمات غير قابلة للنقاش؛ ووضعوا من حول الشيخ وفتاواه وآرائه هالةً قدسيّةً؛ فلم يجرؤ منهم أحدٌ على مناقشة مسألةٍ واحدةٍ من مسائله.

فللشيخ المجدد أبي عبد الله محمد بن إدريس العجلي الحلي (ت ٥٩٨هـ) الفضلُ الكبيرُ في دفع عجلة الحركة العلمية الفقهية إلى الأمام، وتنشيط الحوزة العلمية في الحلة في منتصف القرن السادس الهجري.

وقالت عنه بعض المصادر: كان محمد بن إدريس فقيهاً أصولياً ومجتهداً صرفاً؛ وهو أوّل من فتح باب الطعن على الشيخ الطوسي؛ وإلا فكلُّ من كان في عهد الطوسي أو من بعده إنما كانوا يحذون حذوه غالباً إلى أن انتهت النوبة إليه.

ووصفه الشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (توفي بعد ٧٠٧هـ): بأنه شيخُ الفقهاء في الحلة وكان متقناً للعلوم.

وقال عنه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ): قد أثنى عليه علماءنا المتأخرون؛ واعتمدوا على كتابه وما رواه في آخره من كتب المتقدمين وأصولهم على مدى مئة عام أو يزيد بعد وفاة الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ركزت الحركة العلمية في النجف الأشرف وتجمّدت على آراء الشيخ الطوسي وفتاواه؛ حيث سيطرت تلك الآراء والفتاوى على الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف؛ وأعاقت العلماء من التجديد والتفاعل الفكري، حتى غلب على ظن الذين عاشوا تلك الفترة أنّ باب الاجتهاد قد سُدّ.

فإنّ المئة عام التي عاشتها الحركة العلمية في الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) كان تقليد العلماء فيها للشيخ الطوسي واضحاً جلياً فتلقت الجامعة الإسلامية إرثاً لم يحسن العلماء الاستفادة منه وتطويره والبناء عليه بل توقفوا عنده مبهورين به مقلدين له بسبب هالة التقديس والاحترام التي تحيط بالشيخ الطوسي وأفكاره وفتاواه فكان من الصعب أن يتعرض لها أحدٌ بالنقاش أو الاعتراض فهي عندهم أقدس من أن تتعرض للتمحيص أو النقد فصار أكثرُ الفقهاء الذين جاؤوا من بعده يقلّدونه ويقتدون به في الفتوى لحسن ظنّهم به ولأنّهم موضعُ ثقتهم.

فبعد انتهاء قرن كامل من وفاة شيخ الطائفة واتّباع فتاواه على نحو مطلق؛ بادر عدد من الفقهاء في النصف الثاني من القرن السادس للاعتراض على الأساس الذي نهض عليه مشروع الشيخ الطوسي.

ففي الوقت الذي تجمدت فيه آراء العلماء وتوقفت عند آراء الشيخ الطوسي وفتاواه، فقد حفل النصف الأول من القرن السابع وأواسطه بوجود عدد من الفقهاء المبدعين بحيث راحت آراؤهم تُتناقل في الكتب الفقهية.

وارتفعت أصواتٌ نقدية فمن بين اعتراض الحركة الجديدة مناقشة الأخذ (بخبز الواحد) وأعاد أصحاب هذه الأصوات إلى الساحة المشروع الفقهي لمدرسة المتكلمين وأحيوه مجدداً. كان هذا الاتجاه النقدي في حقيقته عودة إلى فقه الشيخ المفيد والسيد الشريف المرتضى علم الهدى.

لكن هذه الصحوة لم تمتد وتزدهر ومن أهم شخصيات هذا التوجه:

- ١ - سديد الدين محمود بن علي الحمصي الرازي (توفي بعد ٥٧٣هـ).
- ٢ - وأبو المكارم عز الدين حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (ت ٥٨٥هـ) مؤلف (غنية النزوع).
- ٣ - ومحمد بن إدريس الحلبي (ت ٥٩٨هـ) مؤلف (السرائر).

وأبرز هذه الشخصيات وأكثرها ألماً وتوهجاً هو محمد بن إدريس الفقيه الأديب، فمن خلال تطعيمه كتاباته والتدقيقات اللغوية والرجالية في الفقه أسبغ على هذا العلم صبغة خاصة وأكسبه رونقاً متميزاً، وألبسه حلةً جديدةً، يشهد على ذلك أثره الفقهي المشهور (السرائر) الذي يعد أفضل مثال لهذا الضرب من الفقه المتوشح بالأدب.

لمع نجم الشيخ المجدد أبي عبد الله محمد بن إدريس على مسرح النقد، فكان أول من فتح الباب لمناقشة آراء جده الرائد في علم الفقه وفتاواه وكان أول من برز من العلماء في منتصف القرن السادس الهجري في الحلة بل في العالم الفقهي الشيعي، فكان هذا البروز الجريء قد لفت الأنظار إلى حركة علمية قوية.

فتوجهت الأنظار لهذا العالم الجريء الذي أسس في الحلة مركزاً علمياً يستقبل العلماء والطلبة فشدد العلماء والطلاب الرحال إلى هذا المركز

العلمي لينهلوا من معينه في الحلة وانتفعوا من أبحاث هذا العالم المجدد أبي عبد الله محمد بن إدريس (ت ٥٩٨هـ) فالتف من حوله العلماء وطلبة العلم.

كان الشيخ محمد بن إدريس شاباً نابغة حادّ الذكاء؛ كما كان محققاً ومجدداً.

قال عنه الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ) صاحب كتاب الحقائق: كان هذا الشيخ (ابن إدريس الحلبي) فقيهاً أصولياً بحتاً ومجتهداً صرفاً، وهو أول من فتح باب الطعن على الشيخ الطوسي وإلا فكل من كان في عصر الشيخ أو من بعده إنما كان يحذو حذوه غالباً إلى أن انتهت النبوة إليه.

هذا التوجه منه لقي من العلماء المعاصرين له معارضةً كأي فكر جديد يجابه بالمعارضة؛ وبذلك حصل أول صراع في الفقه الشيعي بين الجمود والتجديد.

فعلى الرغم من أنّ انتقادات ابن إدريس لم تلق النجاح الكافي؛ ولم تستطع أن تجذب لها أنصاراً إلا أنها صارت بمنزلة الروح الحركية التي ساهمت في إخراج الفقه الشيعي من دائرة جموده؛ ومن ثم عبّرت عن خدمة جديدة لحركة الاجتهاد والمسار التكاملي للفقه. تتميز المكونات الأساس لمنهج ابن إدريس بالروح النقدية وبالاعتراض، والإيمان بالتفكير الحرّ وبأنّ الاجتهاد والأفكار عرضة للخطر كما دلل على ذلك بشكل واضح في مقدمة كتابه (السرائر) وخاتمته التي تعد بدورها دليلاً حياً على حرية الفكر والروح النقدية العلمية التي يتمتع بها البحث العلمي.

وبقي كتابه: السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى من أهم المصادر الفقهية يرجع إليه العلماء يأخذون منه ويناقشونه في بعض ما ذهب إليه.

فكان عهد محمد بن إدريس إيذاناً بانتقال الحوزة العلمية إلى الحلة، ثم تألقت الحركة العلمية وارتقت صُعداً فبلغت أوجها في عهد المحقق

الحلي أبي القاسم جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ) وابن أخيه العلامة الحلي الحسن بن المظهر (ت ٧٢٦هـ) في القرنين السابع والثامن الهجريين. وأشهر الفقهاء الذين يعدون في الحقيقة من أنصار نقاد مدرسة الشيخ الطوسي هم:

- ١ - مهذب الدين حسين بن محمد النيلي من فقهاء أوائل القرن السابع.
- ٢ - معين الدين سالم بن بدران المصري الذي كان حياً في عام ٦٢٩هـ مؤلف كتاب (تحرير الفرائض) و(المعونة في مسائل الميراث).
- ٣ - زين الدين محمد بن قاسم البرزهي النيسابوري الذي كان حياً عام ٦٦١هـ.
- ٤ - نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ).
- ٥ - سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي (ت ٦٦٥هـ).
- ٦ - أحمد بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٧٣هـ) مؤلف كتاب (بشرى المحققين).
- ٧ - يحيى بن سعيد الحلي (ت ٦٩٠هـ) مؤلف (جامع الشرايع) و(الفصيح) و(نهج العرفان).
- ٨ - عماد الدين حسن بن علي الطبري كان حياً عام ٦٨٩هـ؛ مؤلف كتاب (العمدة) و(الفصيح) و(نهج العرفان).

وفاته:

توفي الشيخ محمد بن إدريس في الثاني عشر من شوال ٥٩٨ هـ، فكان عمره عند وفاته خمساً وخمسين سنة، وفي رواية أنّ وفاته كانت سنة خمسماية وثمان وسبعين، ودُفن في مدينة الحلة، وشيد أبنائها له قبراً ومن حوله مسجد وحسينية كبيرة تعرف بحسينية ابن إدريس تقع في حي مصطفى راغب بجوار الجنائن المعلقة في المنطقة التي تعرف بالجبل.

الفصل الثالث

المحقق الحلّي

٦٠٢ - ٦٧٦هـ

المحقق الحلّي (٦٠٢ - ٦٧٦هـ):

هو الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلّي، المعروف بـ (المحقق الحلّي).

وُلِدَ المحقق الحلّي سنة ٦٠٢هـ، في الحلة وكان والده الشيخ حسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي من كبار العلماء يروي عنه ولده الشيخ جعفر، كما كان جدّه يحيى عالماً محققاً من فقهاء عصره، وله ولدان أحمد وحسن والد المحقق وقد تمتع المحقق الحلّي بكفاءة عالية هيّأته ليُصبح من أبرز العلماء بفضل نشأته وبيئته وتربيته أسرته، وبفضل أساتذته، الذين تعلم على أيديهم، وامتاز بالورع، نشأ مولعاً بالفقه والعلم، وكان شاعراً رغم انشغاله بالفقه، وكان أوّل من نبغ بالتحقيق حتى سبق سواه فعرف باسم المُحقّق.

اشتهر المحقق الحلّي بالعلم وبرز في مجلس درسه أكثر من أربعمئة مجتهد، وهذا لم يتفق لمن سبقه من العلماء، نعم حصل لبعض الأعلام المتأخرين كما حصل للسيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الذي حاضر في طلابه ستة عقود من الزمن إلى حين وفاته في النجف عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م فتخرج على يديه المئات من طلبة البحث الخارج الذين حصلوا منه على إجازة الاجتهاد.

فكان المحققُ بحق من كبار علماء الإمامية ومرجع أهل عصره في الفقه وغيره، وكان فقيهاً جليلاً، محققاً، مدققاً، أديباً شاعراً جيّد الشعر، منشئاً بليغاً، فصيحاً، مؤلفاً.

أقوال العلماء فيه:

لمّا قصدهُ إلى الحلة الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، ودخل المسجد توقّف المُحقّق عن الاستمرار في المحاضرة احتراماً للضيف الكبير ولكِنَّه طلب منه الاستمرار في محاضراته، وكان المحقق يحاضرُ في طلابه في موضوع القبلة فذكر استحباب التياسر في القبلة لأهل العراق.

فقال نصير الدين الطوسي: لا وجه للاستحباب لأنّ التياسر إنّ كان من القبلة إلى غيرها فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فهو واجبٌ.

فقال المُحقّق فوراً: بل منها وإليها، فاكتفى نصير الدين الطوسي بالجواب اللبق المختصر، ثم ألف المُحقّق الحلي في ذلك رسالةً وأرسلها إليه فاستحسنها، وقد أوردّها الشيخُ حسن بن فهد الحلي (توفي بعد ٧٠٧هـ) في المذهب.

وهذا الاستحبابُ مبنيٌّ على أنّ الكعبة الشريفة هي قبلةُ القريبِ منها والحرُمُ قبلةُ البعيد، والحرُمُ عن يسار الكعبة ثمانية أميال وعن يمينها أربعة أميال، فإذا انحرف العراقي إلى جهة يساره لم يخرج عن سمت القبلة لاتساع المسافة فيما يستقبل، فالانحراف اليسير إلى بعض جهاتها لا يخرج عنها بل يكون منها وإليها.

وقد التقى نصير الدين الطوسي في تلك السفرة بالعلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) وكان في ريعانِ شبابه فاعجِب بنبوغِهِ وما يحملُ من ألقٍ علمي باهرٍ، فلمّا سُئل بعد زيارته عمّا شاهد في الحلة قال: رأيتُ خريّتاَ ماهراً، وعالماً إذا جاهد فاق.

أراد بالخريّتين المُحقّق الحلي صاحب الشرائع، وبالعالم العلامة الحلي.

وقال الشيخ حسن اليوسفي الآبي؛ التلميذ الفاضل للمحقق الحلبي؛ وهو يحكي وروده إلى مدينة الحلة في كتابه كشف الرموز: وكان صدر جريدتها وبيت قصيدتها؛ جمال كمالها وكمال جمالها، الشيخ الفاضل عين أعيان العلماء؛ ورأس رؤساء الفضلاء؛ نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين أبا القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد.

وقال ابن داود الحلبي (توفي بعد ٧٠٧هـ) في رجاله: شيخنا نجم الدين، المحقق المدقق العلامة، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضاراً... له تصانيف حسنة محققة محررة عذبة... وله تلاميذ فقهاء فضلاء.... قرأت عليه ورباني صغيراً، وكان له علي إحسان عظيم وأجاز لي جميع ما صنفه وقرأه ورواه وكل ما تصح روايته عنه. وقال العلامة الحلبي في إجازته لبني زهرة: هذا الشيخ كان أفضل أهل عصره في الفقه.

وقال عنه الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجعبي العاملي (ت ٩٦٦هـ): لا أرى في فقهاءنا مثله على الإطلاق.

وعبر عنه فخر المحققين محمد بن العلامة الحلبي (ت ٧٧١هـ) بشيخ مشايخ الإسلام.

كما عبر عنه الشهيد الأول أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني (ت ٧٨٦هـ) بفخر المذهب ومحقق الحقائق.

وقال فيه ابن فهد الحلبي (ت ٨٤١هـ): المولى الأكرم والفقهاء الأعظم عين الأعيان، ونادرة الزمان، قدوة المحققين، وأعظم الفقهاء المتبحرين، نجم الملة والحق والدين.

وكتب الشيخ علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠هـ) في إحدى إجازاته ذاكراً للمحقق الحلبي بقوله: شيخ الإسلام، فقيه أهل البيت في زمانه، ناهج سبل التحقيق والتدقيق في العلوم الشرعية.

وكتب عنه عبد الله الأفندي (ت ١١٣٠هـ) فقال: كان محقق الفقهاء، ومدقق العلماء، وحاله في الفضل والنبالة والعلم والثقة والفصاحة والجلالة والشعر والأدب والإنشاء والبلاغة، أشهر من أن يُذكر، وأكثر من أن يُسطر. وترجم له الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤هـ) فقال: حاله في جميع العلوم والفضائل والمحاسن أشهر من أن يذكر، وكان عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة، لا نظير له في زمانه. وله شعرٌ جيد وإنشاء حسن بديع.

وقال عنه المحقق التستري: الشيخ الرفيع الشأن، اللامع البرهان، كشاف حقائق الشريعة بطرائف من البيان، رئيس العلماء، حكيم الفقهاء.. الوارث لعلوم الأئمة المعصومين.

وكتب عنه السيد محسن الأمين يقول: (كفاه في جلالة قدره اشتهاره بـ(المحقق))، فلم يشتهر من علماء الإمامية على كثرتهم في كلّ عصر بهذا اللقب غيره وغير الشيخ عليّ بن عبد العالي الكركي، وما أخذ هذا اللقب إلّا بجدارة واستحقاق، وقد رُزق في مؤلفاته حظاً عظيماً).

وعرف بين العلماء أنّه أوّل من جعل الكتب الفقهيّة بترتيب المتأخرين، فجمع في شرائعه (شرائع الإسلام) لبّ ما في (نهاية) الشيخ الطوسي وما في (مبسوطه) و(خلافه).

وكتب عنه الشيخ عباس القمّي (ت ١٣٥٩هـ) فقال: أبو القاسم جعفر بن الحسن... الملقّب بالمحقق على الإطلاق، الرافع أعلام تحقيقاته في الآفاق، هو أعلى وأجلّ من أن يصفه مثلي.

وكتب عنه خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) يقول: فقيه إمامي مقدم، من أهل الحلة في العراق، كان مرجع الشيعة الإمامية في عصره، له علمٌ بالأدب وشعرٌ جيّد.

شعره:

ينصرف العلماء غالباً للبحث العلمي فلا يجدون وقتاً لكتابة الشعر
ولكن بعضهم يجدُ فرصة فيكتب شعراً أو يكتبه في شببته، في بدء مسيرته
العلمية وفي كلِّ الأحوال يبقى شعرُ العلماء مجرد نظمٍ.

ويروى أن المُحقِّق الحلي كتب شعراً في شببته، وعرضه على أبيه
قال فيه:

لِيُهِنِكَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْعَلَى أَقْدَمُ رَجُلًا لَا تَزِلُّ بِهَا النَعْلُ
وغيرُ بعيدٍ أَنْ تَرَانِي مُقَدِّمًا عَلَى النَّاسِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
تُطَاوَعَنِي بِكَرِّ الْمَعَانِي وَعَوْنُهَا وَتَنْقَاذُ لِي حَتَّى كَأَنِّي لَهَا بَعْلُ
وَيَشْهَدُ لِي بِالْفَضْلِ كُلُّ مُبَرِّزٍ وَلَا فَاضِلٌ إِلَّا وَلِي فَوْقَهُ فَضْلُ

ولكن الأب الذي كان يريدُ لابنهِ أَنْ يصيرَ فقيهاً لا شاعراً ساءهُ أَنْ
يجدَ ابنهُ قد استأثر به الشعرُ فأرادَ أَنْ يصرفهُ عَنْهُ تماماً؛ فكتب فوق
الآبيات: لئن أحسنت في شعرك فقد أسأت في حقِّ نفسك!! ولستُ أَرْضَى
أَنْ يُقالَ لك شاعر؛ ألم تعلمَ أَنَّ الشعرَ كمالُ الناقصِ ونقصُ الكاملِ؟
فلم يجدْ مَنْ يُشجِّعُهُ لِيُواصلَ كتابةَ الشعرِ.

قال المُحقِّقُ فوقفتُ عندَ ذلكَ حَتَّى كَأَنَّنِي لَمْ أَقِرْعَ لَهُ بَاباً وَلَمْ أَرْفَعْ لَهُ
حِجَاباً.

وأنشد قول الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) متأثراً برأي والده:

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعِلْمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرُ مِنْ لَبِيدٍ
لكن موهبته الشعرية لم تُمُتْ وبقيت كامنةً فيه فحركها يوماً فقال:

هَجَرْتُ صَوْغَ قَوَافِي الشَّعْرِ فِي زَمَنِ هِيَهَاتَ يَرْضَى وَقَدْ أَغْضَبْتَهُ زَمَنُ
وَعَدْتُ أَوْقِظَ أَفْكَارِي وَقَدْ هَجَعْتُ عَنَقاً وَأَزْعَجْتُ عَزْمِي بَعْدَ مَا سَكَنُ
إِنَّ الْخَوَاطِرَ كَالْأَبَارِ إِنْ نُزِحَتْ طَابَتْ، وَإِنْ يَبُقَ فِيهَا مَاؤُهَا أَجْنُ

ومن شعره في الوعظ :

يا راقداً والمنايا غير راقدةٍ وغافلاً وسهام الليل ترميه
فيم اغترارك والأيام مُرصدةٌ والدَّهرُ قد ملاً الأسماع داعيه؟
أما أرتك الليالي قُبْح دخلتها وغدرها بالذي كانت تُصافيه؟
رفقاً بنفسك يا مغرور إن لها يوماً تشيبُ النواصي من دواهيهِ

وقد جرت بينه وبين تلميذه الشيخ أبي محمد شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد الأسدي الحلبي (ت ٦٩٠هـ). مكاتبات منها ما ذكره صاحب المعالم في إجازته الكبيرة نقلاً عن الشهيد الأول أن الشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد الأسدي الحلبي كتب إلى شيخه المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ) قصيدة سنذكرها في ترجمة ابن وشاح مطلعها :

أَغِيبُ عَنْكَ وَأَشْوَاقِي تُجَاذِبُنِي إِلَى لِقَائِكَ جَذَبِ الْمُغْرَمِ الْعَانِي
فَأَجَابَهُ الْمُحَقِّقُ يَقُولُ :

لَقَدْ وَافَتْ قَصَائِدُكَ الْغَوَالِي تَهَيَّزُ مَعَاظِفَ الْلفْظِ الرَّشِيقِ
فَضَضْتُ خِتَامَهُنَّ فَخَلْتُ أَنِّي فَضَضْتُ بِهِنَّ عَنْ مِسْكِ فَتِيقِ
وَجَالَ الطَّرْفُ مِنْهَا فِي رِيَاضٍ كُسَيْنَ بِنَاضِرِ الزَّهْرِ الْأَنِيقِ
فَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ لَفْظٍ بَدِيعٍ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ
وَكَمْ شَاهَدْتُ مِنْ عِلْمٍ خَفِيٍّ يُقَرِّبُ مَطْلَبَ الْفَضْلِ السَّحِيقِ؟
شَرِبْتُ بِهَا كُؤُوساً مِنْ مَعَانٍ غُنِيَتْ بِشَرِبِهِنَّ عَنِ الرَّحِيقِ
وَلَكِنِّي حَمَلْتُ بِهَا حُقُوقاً أَخَافُ لِنَقْلِهِنَّ مِنَ الْعُقُوقِ
فَسَرَّ يَا أَبَا الْفَضَائِلِ بِي رُويْدَا فَلَسْتُ أَطِيقُ كُفْرَانَ الْحُقُوقِ
وَحِمْلٌ مَا أَطِيقُ بِهِ نُهْوضاً فَإِنَّ الرَّفْقَ أَنْسَبُ بِالصَّدِيقِ
فَقَدْ صَيَّرْتَنِي لِعَلَاكَ رِقّاً بِبِرِّكَ بَلْ أَرْقُ مِنَ الرَّقِيقِ

وكتب بعدها نثراً فنياً توجد جملة منه في الإجازات.

مشايخه وتلاميذه:

من أشهر مشايخ المحقق الحلبي:

- ١ - والده الشيخ حسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلبي.
 - ٢ - ومحمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني صاحب (كتاب الأربعين في حقوق الإخوان).
 - ٣ - والشيخ محمد بن جعفر الحلبي.
 - ٤ - والسيد محمد بن عبد الله الحلبي.
 - ٥ - ابن نما الحلبي نجيب الدين محمد بن نما الربيعي الحلبي (ت ٦٤٥هـ) الذي كان عالماً، فقيهاً، وهو شيخ الفقهاء في عصره، وكان محدثاً صدوقاً، جليل القدر، مفتياً، مُحَقِّقاً، مُدَقِّقاً، أديباً، شاعراً، تلمذ عليه عددٌ من العلماء غير المحقق الحلبي، قيل: هو أعلم مشايخه.
 - ٦ - والسيد فخار بن معدّ الموسويّ (ت ٦٣٠هـ) صاحب كتاب (الحُجَّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب) وغيره من الكتب.
 - ٧ - وسديد الدين سالم بن عزيزة بن محفوظ بن وشاح السوراوي (ت ٦٣٠هـ)، وهو من مشايخ السيّد علي بن طاووس (ت ٦٦٣هـ).
- قال السيد أبو القاسم الخوئي: قال الشيخ الحر (ت ١١٠٤هـ) في تذكرة المتبحرين: الشيخ سديد الدين سالم بن عزيزة بن محفوظ بن وشاح السوراوي السوراني (ت ٦٣٠هـ): عالم فقيه فاضل له مصنفات يرويه العلامة عن أبيه عنه منها كتاب المنهاج في الكلام وغير ذلك وقد ذكر الكتاب المذكور المقداد في شرح نهج المسترشدين.

تلاميذه: أمّا تلاميذه فأشهرهم:

- ١ - ابن أخته العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ) الشيخ حسن بن المطهر.
- ٢ - وابن داود الحلبي الشيخ تقي الدين حسن بن علي بن داود الحلبي (توفي بعد ٧٠٧هـ) صاحب الرجال.

- ٣ - والشيخ حسن اليوسفي الآبي صاحب كتاب (كشف الرموز).
- ٤ - والشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد الحلبي (ت ٦٩٠هـ)، ابن عمه، صاحب كتاب (الجامع للشرائع).
- ٥ - وجمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، صاحب كتاب (الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم).
- ٦ - والشيخ صفى الدين محمد بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلبي ابن عم المحقق الحلبي وهو من مشاهير أسرته العلمية.
- ٧ - ورضي الدين علي بن يوسف الحلبي صاحب كتاب (العُدَد القويّة).
- ٨ - والسيد محمد بن محمد الكوفي الهاشمي.
- ٩ - والسيد محمد بن علي بن طاووس.
- ١٠ - والشيخ أبو محمد شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد الأسدي الحلبي (ت ٦٩٠هـ).
- ١١ - والسيد عبد الكريم بن طاووس (٦٩٣هـ) صاحب كتاب فرحة الغري.

آثاره:

- ترك المحقق الحلبي عشرات المؤلفات ومنها:
- ١ - شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. له شروح كثيرة، أشهرها: جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي، ومسالك الأفهام للشهيد الثاني.
 - ٢ - المختصر النافع وله شروح عديدة، من أهمها: المهذب البارع لابن فهد الحلبي، والتنقيح الرائع للفاضل المقداد السيوري، ورياض المسائل للسيد علي الطباطبائي، وجامع المدارك للسيد أحمد الخوانساري.
 - ٣ - المعتبر في شرح المختصر.

- ٤ - نكت النهاية، حاشية على نهاية الشيخ الطوسي.
- ٥ - معارج الأصول.
- ٦ - المسلك - في الكلام.
- ٧ - المسائل العزية.
- ٨ - المسائل المصرية.
- ٩ - نهج الوصول إلى علم الأصول.
- ١٠ - مختصر المراسيم في الفقه.
- ١١ - المسلك في أصول الدين.
- ١٢ - نكت النهاية للشيخ الطوسي.
- ١٣ - النكهة في المنطق.
- ١٤ - الرسائل التسع، ومنها
- ١٥ - رسالة في أحكام القبلة.
- ١٦ - ديوان شعر.

وفاته:

انتقل المحقق الحلّي طيّب الله ثراهُ إلى جوار ربّه يوم الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ؛ وقبره في الحلة؛ وهو مزارٌ معروف وعليه قبة؛ وقد خُربت عمارته فأمر العلامة الحلّي بعض أهل الحلة فعمروها؛ ويقع قبره في محلة الجباويين في شارع يحمل اسمه؛ شارع أبي القاسم في مركز مدينة الحلة يقع ضريحه في منتصف الشارع؛ وفي آخره يقع ضريح الشيخ نجيب الدين محمد بن نما وحوله مسجد يُعرفُ باسمهٍ مظل على حديقة تعرف بمنتزه الشعب؛ وبجواره مدرسة ابتدائية.



الفصل الرابع

العلامة الحلبي

٦٤٨ — ٧٢٦هـ

العلامة الحلبي (٦٤٨ — ٧٢٦هـ):

ولد الشيخ جمال الدين أبو منصور آية الله الحسن بن سديد الدين يوسف ابن زين الدين علي بن محمد بن المطهر، المعروف بالعلامة الحلبي الأسدي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة ٢٧ من رمضان سنة ٦٤٨هـ في مدينة الحلة، التي امتازت بطيب مناخها واعتدال جوها وجمال طبيعتها الخلابة، وفي بيئة صالحة فامتاز بالذكاء الفطري والنبوغ؛ ولد في بيت شيدت دعائمه على العلم والمعرفة والتقوى؛ من أبوين صالحين هما الشيخ العالم سديد الدين يوسف بن المطهر الحلبي (ت ٦٦٥هـ)؛ وعقيلة سديد الدين هي كريمة الشيخ أبي يحيى الحسن بن يحيى صاحب (الجامع) ابن الحسن بن سعيد الهذلي؛ وأخت المحقق أبي القاسم جعفر بن الحسن صاحب (شرائع الإسلام)؛ فأبوه من بني أسد القبيلة العربية وكان أعلم أهل زمانه في الأصول وأمه من أسرة عربية محضّة أيضاً فهي من هذيل؛ أسرة أحرزت المفاخر العلمية، لقوة منزلتها في عالم التأليف والتدريس؛ تلك هي أسرة بني سعيد، وأول من سطع نجمه فيها هو الشيخ نجيب الدين أبو زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الحلبي؛ الذي كان الزعيم في زمانه وزعيم مذهب الإمامية.

وأعقبه من بعده ابنه الفقيه أبو يحيى الحسن؛ والد المحقق الحلي الشهير؛ وقد صاهره الشيخ سديد الدين ابن المطهر على كريمته فأنجبا هذا الإمام الفذ الصافي الذهن المتوقد ذكاءً ومعرفةً جمال الدين؛ العلامة الحلي الذي تزلّع من العلم.

ولِد العلامة الحلي في مدينة الحلة المدينة التي اتخذ منها أمير العرب سيف الدولة صدفة بن منصور بن مزيد الأسدي (ت ٥٠١هـ) مقرّاً لإمارته التي نقلها من النيل على بعد ٣٠ ميلاً عن الحلة؛ باتجاه بغداد.

نشأ الفقيه المرجع، والفيلسوف الناقد؛ والعالم الموسوعي؛ وصاحب الشخصية الفذة؛ التي شغفت أحباءها حباً، وأثرت في أعدائها العلامة الحلي في الحلة؛ في بيت علمي؛ فقد جاء من بيت الزعامة الدينية والعلمية؛ وعاش في جوّ تشيع فيه حركة علمية واسعة؛ وفق منهج سارت عليه أسرته العربية العلمية؛ وحظي بعناية كبيرة من أبيه سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي (ت ٦٦٥هـ) الذي كان من كبار علماء زمانه؛ وتألّق في الفقه والأصول حتى عُدّ من أعلم علماء عصره.

شيوخه:

اغترف العلامة الحلي علومه من أشهر علماء عصره أمثال والده الفقيه المتكلم وخاله المحقق الحلي الذي كان له بمنزلة الأب الشفيق فحظي باهتمامه ورعايته؛ وأخذ عنه الفقه والأصول وسائر علوم الشريعة.

ولازم الفيلسوف نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) مدة؛ وأخذ عنه العلوم العقلية؛ حتى أتقنها ومهر فيها؛ وأخذ عن أحمد بن طاووس وأمثالهما وتخرّج عليهم.

١ - فقد درس على أبيه الإمام سديد الدين يوسف بن عليّ بن المطهر (ت ٦٦٥هـ) صاحب علوم العربية وعلم الفقه والأصول والعلوم الشرعية الأخرى؛ وكان لوالده الجليل التصانيف الكثيرة كالخلاصة

في الأصول؛ وكانت عليه تربيته ودراساته الأولى في العلوم العربية والشرعية.

٢ - وأخذ من خاله المحقق الحلبي الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد بن يحيى الهذلي (ت ٦٧٦هـ) صاحب الكتب الفقهية الشهيرة التي مرّ ذكرها في ترجمته، كبير الفقهاء ورئيس المذهب؛ الذي كانت له الزعامة العلمية والشرعية في العراق؛ وأشرف على إدارة الجامعة الشيعية التي كانت الحلة يوم ذاك مركزها الرئيس؛ فغذاها بعقله وروحه وبذل ما في وسعه من جهد وطاقة في سبيلها.

٣ - خُصّص للعلامة منذ صغره معلّم يعلمه الكتابة والعربية والقرآن، ثم صحب والده وخاله صبيّاً، وتعلم عليهما علم الكلام والمنطق وسائر العلوم، فتقدم وبرع وأفتى ففاق الفحول ولفت إليه الأنظار وهو لم يزل في صباه.

٤ - والسيد جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٧٣هـ).

٥ - والسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ).

٦ - والشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) شارح نهج البلاغة.

٧ - ونجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي (ت ٦٩٠هـ) ابن عم المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ).

٨ - ونجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلبي (ت ٦٨٠هـ).

كما تتلمذ على عدد من علماء المذاهب الأخرى وحفظ لهم حقهم، وأثنى عليهم كثيراً ومنهم:

١ - نجم الدين علي بن عمر بن علي الكاتب القزويني الشافعي المعروف

بیدران (ت ٦٧٥هـ) المنطقي صاحب كتاب مجالس المؤمنين. كان من أفضل علماء الشافعية وأعلم أهل زمانه بالمنطق؛ وكان من علماء عصره عارفاً بالحكمة وأعلمهم بالمنطق وله تصانيف كثيرة، له خلق حسن ومناظرات جيّدة.

٢ - والشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكشي الشافعي الفقيه المتكلم. قرأ عليه العلامة العلوم العقلية، وكان الشيخ يعترف بالعجز عندما يشكل عليه تلميذه النابه أحياناً إشكالاً علمياً فما يحار الشيخ جواباً ويلجأ لعقله فيقول: لا أعلم، لعلمه أن من ترك قول لا أعلم أصيبت مقاتله.

٣ - والشيخ برهان الدين النسفي (ت ٦٨٧هـ) الأديب الفقيه الحنفي شيخ الفلاسفة في بغداد له مصنفات متعددة استخرج مسائل مشكلة؛ قرأ عليه بعض مصنفاته في الجدل وقد أطراه فأثنى عليه ووصفه بأنه كان زاهداً عظيم الشأن منصفاً في جدله.

٤ - والشيخ جمال الدين الحسين بن أبان النحوي، كانت له مصنفات في الأدب؛ وهو أعلم علماء عصره بالنحو والصرف. لقد كان العلامة يختار شيوخه، فيأخذ عن أفضل العلماء في كل علم يتلقاه.

٥ - والشيخ عز الدين الفاروقي الواسطي.

٦ - والشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي الصباغ الحنفي الكوفي الذي كان شيخاً من فقهاء الحنفية الصالحين في الكوفة.

٧ - وكانت صلاته بعلماء المذاهب الأخرى حسنة وثيقة وكان يقدّر العلم وأهله؛ لا تحجزه عن ذلك عصبية ولا يصدّه الهوى والتعصب الأعمى، كما حدث لبعض علماء زمانه وعلى رأسهم أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

وكانت له مناقشات مع القاضي البيضاوي الشيرازي المعاصر له في

مسألة أصولية تتعلق بكتابه (قواعد الأحكام) على إعجاب القاضي به واشتهرت في الأوساط العلمية الفقهية، تلك المناقشات بينه وبين القاضي البيضاوي، التي كانت تنم عن الخلق الإسلامي النبيل والحوار العلمي المتزن الهادئ.

٨ - ولما زار نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن؛ المحقق الفيلسوف؛ الحلة ليلتقي بزعيم الحوزة العلمية فيها المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ) والتقى أيضاً بابن أخته النابغة العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ) فناقشه بأمور عديدة وجادله جدالاً طويلاً؛ فأعجب به غاية الإعجاب ولما سُئل الطوسي بعد الزيارة قال: رأيت خريئاً ماهراً، وعالماً إذا جاهد فاق عني، بالخريّت المحقّق الحلبي (ت ٦٧٦هـ) وبالعالم العلامة الحلبي الحسن بن المظهر.

كان العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ) آنذاك في مقتبل عمره وريعان شبابه، فوجد الحاجة تدعوه لانتهاال المزيد من العلوم والمعارف من العالم الموسوعي الخواجة نصير الدين الطوسي فشد الرحال وعقد العزم على ملازمته، فالتحق به ورحل معه إلى بغداد، فسأله الخواجة وهما في الطريق اثنتي عشرة مسألة من مشكلات العلوم، فأجاب عنها إجابات وافية شافية، فازداد إعجاباً به.

وهكذا صحب العلامة الحلبي أستاذه فترة طويلة، فدرس عليه الحكمة والعقليات وقرأ عليه كتبه في الإلهيات والفلك والرياضيات ومهر فيها ودرس عليه شيئاً مما كتب الشيخ الرئيس علي بن سينا (ت ٥٢٨هـ)، وكان العلامة الحلبي يناقش أستاذه الطوسي ويشكل عليه فيزداد الأستاذ بتلميذه إعجاباً، وظل ملازماً له ولم يفترقا إلا بموت الطوسي سنة (ت ٦٧٢هـ)، وابن المطهر في الرابعة والعشرين من عمره، غير أن ذلك لم يمنعه من مناقشة أستاذه الطوسي مناقشة علمية جادة، مُبيناً أنه لم يكن مقلداً ولا تابعاً له ولا لغيره، بل كان حرّاً في تفكيره، مجتهداً غير مقلدٍ، وقد ردّ عليه

أشياء كثيرة وكتب في معارضته له كتاباً أسماه: المباحثات السنية في المعارضات النصيرية، كما شرح كتبه شرحاً لا نظير له حتى قيل: لولا ابن المطهر لم يفهم أحد كلام نصير الدين الطوسي.

ففي كتابيه شرح التجريد وكشف الفوائد تجلت شخصية العلامة الحلبي القوية حيث سلك منهج أستاذه الفيلسوف نصير الدين الطوسي مع استقلاله بالرأي وتجرده واحتفاظه بآرائه المستقلة، وظهر ذلك في معارضته لكثير من آراء شيخه الطوسي ونقده لها. مع ثنائه على شيخه كثيراً والنظر إليه نظرة احترام وتوقير وإجلال، فقال عنه مرةً: هو أستاذ البشر والعقل الحادي عشر. وانفرد محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) بقوله: إن نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) درس الفقه على العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ) فقال: الشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي. فاضل عالم علامة العلماء، محقق مدقق ثقة فقيه محدث متكلم ماهر، جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة، لا نظير له في الفنون والعلوم العقلية والنقلية، وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تُحصى. قرأ على المحقق الحلبي والمحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقلية، وقرأ عليه في الفقه المحقق الطوسي.

٩ - وقرأ العلامة أيضاً على جماعة كثيرين جداً غير هؤلاء من علماء المسلمين من مختلف المذاهب.

تلامذته:

ترى على يد العلامة الحلبي الكثير من العلماء واستفاد منه جمع غفير من طلبة العلم فصاروا من جهازة العلماء والأساتذة في عصره، وقد هاجر إليه العديد من طلبة العلوم لينهلوا من معارفه وتعلمذ عليه عدد من العلماء ومنهم:

١ - ولده محمد بن الحسن المعروف بـ (فخر الدين) و (فخر المحققين)

- (ت٧٧١هـ) صاحب كتاب (إيضاح الفوائد) في الفقه، و(الكافية الوافية) في الكلام.
- ٢ - الشيخ ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني صاحب كتاب (شرح المبادئ).
- ٣ - السيد مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدني.
- ٤ - زوج أخته مجد الدين أبو الفوارس محمد بن علي ابن الأعرج الحسيني.
- ٥ - ابنا أخته العالمان السيد عميد الدين عبد المطلب بن أبي الفوارس، والسيد ضياء الدين عبد الله بن أبي الفوارس.
- ٦ - السيد أحمد بن زهرة الحلبي.
- ٧ - أبو المحاسن يوسف بن ناصر الحسيني الغروي المشهدي.
- ٨ - علي بن محمد الرشيد الآوي.
- ٩ - الحسين بن علي بن إبراهيم بن زهرة الحسيني الحلبي.
- ١٠ - قطب الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن محمد صاحب (شرح الشمسية) و(المحاكمات) و(شرح المطالع).
- ١١ - الشيخ تقي الدين إبراهيم الآملي.
- ١٢ - رضي الدين علي بن أحمد الحلبي المعروف بالمزيدي (ت٧٥٧هـ).
- ١٣ - تاج الدين محمد بن القاسم ابن مُعيّة الحسيني الحلبي (ت٧٧٦هـ).
- ١٤ - وهاجر إليه من جبل عامل من لبنان الشهيد الأول أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جمال الدين مكّي العاملي الجزيني (ت٧٨٦هـ). ليقراً عليه فوجده قد توفي.

تشكل آثار العلامة الحلبي جزءاً مهماً من التراث العربي الإسلامي، وقد قام بدور عظيم في نشر مبادئ الرسول الأعظم وآله الأطهار وبث

تعاليمهم لا يدانيه أي دور منذ عهده حتى اليوم، وجدير بأن يوصف عصر العلامة الحلبي بعصر إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ذكر في إجازته لبني زهرة بعض شيوخه فقال: (فمن ذلك جميع ما صنّفه والذي سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر (ت ٦٦٥هـ) قدس الله روحه وقرأه ورواه وأجيز له روايته عني عنه. ومن ذلك جميع ما صنّفه الشيخ السعيد المعظم خواجه نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه وقرأه ورواه عني عنه، وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكيمة والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نور الله ضريحه. قرأت عليه إلهيات الشفاء لأبي علي بن سينا (ت ٥٢٨هـ)، وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه رحمه الله، ثم أدركه الموت المحتوم قدس الله روحه. ومن ذلك جميع ما صنّفه الشيخ السعيد نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد وقرأه ورواه وأجيز له روايته عني عنه، وهذا الشيخ كان أفضل أهل عصره في الفقه.

ومن ذلك جميع ما صنّفه السيدان الكبيران السعيدان رضي الدين علي وجمال الدين أحمد ابني موسى بن طاووس الحسينيان قدس الله روحيهما وروياه وقرأه وأجيز لهما روايته عني عنهما، وهذان السيدان زاهدان عابدان ورعان وكان رضي الدين علي رحمه الله صاحب كرامات حكى لي بعضها وروى لي والذي رحمه الله عنه بعضها الآخر).

يُعدُّ العلامة الحلبي صاحب مدرسة علمية وفكرية عاشت طويلاً ولا تزال معالمها بارزة وأنوارها ساطعةً وأثرها واضحاً على تفكير الكثير من العلماء إلى اليوم، وبخاصة في الأصول والفقه والكلام والرجال. وإن شطراً من آثاره ولا سيما في الفقه والفلسفة الإسلامية لا يزال مرجعاً كبيراً في الجامعات الإسلامية ولا تزال حتى يومنا هذا مصدراً للثقافة الإسلامية وفي أكثر فروع المعرفة في جامعات الشيعة، وفي الحوزات العلمية أينما انعقدت.

وقد اشتهر بالحكمة والكلام والفقه والرجال، لكثرة إنتاجه وغزارة مؤلفاته في هذه العلوم تلك المؤلفات المهمة التي ما تزال تعتمد في الحوزات وهي من أمهات المراجع من أمثال شرح التجريد والتبصرة والتذكرة والرجال وغيرها.

اشتهر العلامة الحلبي بذكائه المفرط وفطنته وحسه المرهف، وحضور جوابه، وقوة حجته، وسعة أفقه ووعيه، كما اشتهر بزهده وعبادته وإخلاصه، ويروى عنه في ذلك ما يشبه الأساطير!

وكان أعجوبة في القدرة على التأليف واستحضار المحفوظ من العلوم، أعجوبة في كثرة التأليف، وصفه مترجموه فقالوا: كان يؤلف في أسفاره وهو راكب!

قال عنه معاصره تقي الدين الحسن بن داود الحلبي (توفي بعد ٧٠٧هـ): شيخ الطائفة، وعلامة وقته، وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول.

وقال عنه صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ): الحسن بن يوسف ابن المطهر الإمام العلامة ذو الفنون، المعتزلي (كذا) عالم الشيعة وفقههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته. تقدم في دولة خدابندا تقدماً زائداً، وكانت له ممالك وإدارات كثيرة وأملاك جيدة، وكان يصنف وهو راكب!! شرح مختصر ابن الحاجب، وهو مشهور في حياته... وكان عالي الأخلاق مشتهر الذكر... وكان إماماً في الكلام والمعقولات.

وقال عنه ابن حجر: عالم الشيعة وإمامهم ومصنّفهم، وكان آية في الذكاء... وكان مشتهر الذكر، حسن الأخلاق.

فهو إذاً آية الله والعلامة وصاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته. فاستحقّ بجدارة لقب العلامة بعد أن بلغ القمة في العلوم وفاق علماء عصره على الإطلاق ولم يسبق لغيره أن لقب بهذا اللقب.

كان إماماً في علم الكلام والمعقولات، كما اشتهر بحسن الخلق والذكاء المفرط، وبعلمه الموسوعي وغزارة تأليفه وتنوعه وسرعته وتصنيفه المنهجي لسائر المراحل الدراسية في شتى أبواب المعرفة والعلوم الإسلامية.

كان مشاركاً في علوم الحديث والتفسير والرجال والمنطق، وكان محققاً، مدققاً، متكلماً، أديباً شاعراً، مؤلفاً، ولعظمة شأنه ورفعة منزلته وجلالة قدره انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره.

عاش العلامة الحلي أواسط القرن السابع الهجري وعقدين ونصف من القرن الثامن، وفي عهده اجتاح الجيش المغولي البلدان الإسلامية.

وشهد وهو ابن السابعة أهل مدينة الحلة يبعدون عوائلهم من المدينة خوفاً عليهم من الغزو التتري الظالم بعد أن ذاعت أخبار ما ارتكبه من فظائع في بغداد، وقد ثبت في المدينة مع والده سديد الدين، الذي حرّض أبناء الحلة على الثبات بوجه الطاغوت والتصدي له والدفاع عن مدينتهم، وأعراضهم ولما جاء رسل هولاء لتأخذه إليه حيث طلب حضوره مضى مع الرسل وقابله بكل شجاعة، وحاوره، ثم عاد بعد أيام يحمل كتاب الأمان لأهل الحلة والمرقد المقدسة في النجف وكربلاء، فحال بذلك دون امتداد الكارثة التي حلت بالعالم الإسلامي إلى تلك الأماكن، فاحتفى به الناس احتفاءهم بالقائد المنتصر.

وكأنني به يتمثل بقول أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ):

ما كان لي فيها جناحٌ بعوضةٍ اللهُ ألبسهم جناحَ تفضلِ
وما هي إلا سنوات حتى أتبع الابنُ طريق والده، فبقدرته الفائقة وعلمه الجم، وبما وهبه الله من طاقة فكرية عملاقة ومن قوة علمية قادرة على تبديد الظلام ودحر جيوشه بنور علمه الوهاج، فقد صد الموجة التترية الطاغوتية الظالمة واستطاع التأثير على قادة المغول الذين أعجبوا بقدرته

وبعلمه فاعتنقوا الدين الإسلامي واتبعوا مدرسة أهل البيت عليه السلام وأعلنوا التشيع، ومن ثم رغبوا في العلم وقربوا العلماء.

ظهرت علامات النبوغ على العلامة الحلبي، وبرزت فيه سيماء الإمامة والزعامة الدينية منذ بدء حياته، فتفوق في صباه على كبار العلماء والفقهاء وكان آيةً في الذكاء وأحد النوابغ الأفاضل وأبرز شخصية علمية، نبغ في الأصول والحكمة والكلام والمنطق والطبيعات وعلوم الشريعة والعربية، بل كان أكبر عالم شيعي ظهر حتى عصره، فقد أخذ بأسباب المعرفة الإسلامية في نضج واستيعاب، وانتهت إليه زعامة الشيعة الإمامية في عصره في المعقول والمنقول والفروع والأصول، بعد وفاة خاله المحقق الحلبي عام ٦٧٦هـ.

وشاعت مؤلفاته التي سعى فيها إلى التقريب بين المذاهب ورفض التعصب الطائفي وساهم فيها في إعطاء مذهب آل البيت عليهم السلام دفعةً ليتسع انتشاره حيث تمكن من نشر المذهب، والتأثير على قطاعات واسعة من العلماء والمفكرين والقادة لكسبهم إلى مذهب أهل البيت، فكثر المستبصرون، والتحق المؤمنون بمن سبقوهم بركوبهم سفينة أهل البيت.

بل أسلم على يده بعضُ الملوك من غير المسلمين، فقد أسلم على يده السلطان المغولي محمد (خدا بنده) (ت ٧١٦هـ) ثم تشيع واعتنق مذهب أهل البيت وصار إلى الطائفة الإمامية الاثني عشرية ودعا للمذهب الشيعي.

ففي مجلس علمي عقد بحضرته بين العلامة الحلبي وعلماء المذاهب الأخرى أعجب السلطان بما سمع من العلامة فأعلن تشيعه في ذلك المجلس واعتنق هو وجميع أمرائه ورجاله مذهب الإمامية، وأقام مذهب أهل البيت في البلاد وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر في جميع أنحاء مملكته التي تمتد في إيران والعراق وأمر بضرب السكة بأسماء الأئمة وتزيين جدران المساجد والمشاهد بأسمائهم.

قال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ): (كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهر، فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله في غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس وأذربيجان وأصفهان وكرمان وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد).

وقال صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ): (كان خدابنده مسلماً فما زال به الإمامية إلى أن رُقِضُوهُ، وغيّر شعار الخطبة وأسقط ذكر الخلفاء من الخطبة سوى علي رضي الله عنه).

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (وفيها أظهر ملك التتر خدابندا الرفض في بلاده وأمر الخطباء أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب وأهل بيته).

وقال ابن كثير عن ملك التتر خدابندا: (ثم تحول إلى الرفض وأقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلبي تلميذ نصير الدين الطوسي وأقطعه عدة بلاد. ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات).

وإنَّ أول من تشيع من المغول السلطان غازان (ت ٧٠٣هـ) وذلك قبل أخيه خدابندا.

وكلام من أراد أن يغمز العلامة الحلبي بأن الملك أقطعه بلاداً مردود، فإن تلك البلاد التي أعطاها الملك خدابندا للعلامة هي أرض موات عراقية إسلامية، والعلامة الحلبي الذي كان مرجع المسلمين هو أولى بها من هذا الملك الأجنبي فلا يتفضل عليه أحدٌ بها ثم هو أحيائها بنفسه واستغلها ووجه ما درت به من أموال لإدارة شؤون الحوزة العلمية، وتصرف منها رواتب أساتذة الحوزة والطلبة ليتمكنوا من التفريغ للتحصيل العلمي.

آثاره:

برع العلامة الحلبي في مختلف العلوم وتقدم في شبابه على علماء عصره؛ وقد فرغ من تصنيفاته الحكمية والكلامية، وأخذ في تحرير الفقه قبل أن يبلغ ٢٦ سنة، وألف في الفقه المؤلفات المتنوعة من مطولات ومتوسطات ومختصرات، فكانت مؤلفاته محط أنظار العلماء في عصره وإلى يومنا هذا تدريساً وشرحاً وتعليقاً، وفاق أقرانه في علم أصول الفقه وألف فيه المؤلفات المتنوعة.

كما برع في الفلسفة فناقش الفلاسفة السابقين في مؤلفاته وفاقته كتبه ما كتبوه وأورد عليهم، أكثر من إشكال علمي مهم وكما ناقش نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) في حياته وبعد وفاته فقد ناقش الرئيس أبا علي بن سينا (ت ٥٢٨هـ) في كتبه وأخذ عليه أموراً، وحاكم مؤلفاته.

وألف كتباً كثيرة في الفلسفة، وفي الجدل وفن المناظرة وعلم الكلام وعلم الأصول، والمنطق وألف في الرد على الخصوم والاحتجاج.

إنَّ سرَّ نجاح العلامة الحلبي وبقاء آثاره حتى الآن مرجعاً مهماً في الجامعات الدينية ومصدراً من مصادر الثقافة الإسلامية يكمن في أنَّه صاحب مدرسة فكرية تركز على الاستقلال في الرأي وإعمال العقل والنظر.

كان العلامة الحلبي أعجوبة زمانه، وقد ألف أكثر من مئة وعشرين كتاباً من الكتب المهمة الغزيرة في مادتها.

وحيث لا يتسع المجال لذكر جميع آثاره نذكر في ما يلي بعضاً منها صارفين النظر عن مؤلفاته في المنطق وعلم الأخلاق والأدعية المأثورة.

أ - في الفقه: له في الفقه أكثر من عشرين كتاباً مما لم يسبق إلى مثله ومن ذلك:

١ - مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: اشتمل على اختلاف علماء الشيعة وحججهم.

- ٢ - تذكرة الفقهاء فيها خلاف علماء غير الشيعة واحتجاجهم.
- ٣ - وتبصرة المتعلمين في أحكام الدين.
- ٤ - منتهى المطلب في تحقيق المذهب. وهو أوسع موسوعة إسلامية في الفقه المقارن حيث ذكر فيه آراء جميع المذاهب الإسلامية، ورجح ما يعتقده واهتم بالفقه الاستدلالي مع إيراده أقوال مشاهير الفقهاء من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب في كل مسألة من المسائل.
- ٥ - تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية وفيه أربعون ألف مسألة مختلفة.
- ٦ - قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام. هو كتاب شغل العلماء شرحاً وتدریساً منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا.
- ٧ - نهاية الإحكام في معرفة الأحكام.
- ب - في الأصول: ألف ثمانية كتب، ونذكر منها:
- ٨ - نهج الوصول إلى علم الأصول.
- ٩ - نهاية الوصول إلى علم الأصول.
- ١٠ - تهذيب الوصول إلى علم الأصول وكان يُدرّس في مادة أصول الفقه قبل المعالم.
- ١١ - شرح مختصر ابن الحاجب وقد شرحه شرحاً جيداً سهل المأخذ غايةً في الوضوح أُعْجِبَ به العلماء، فقال عنه ابن حجر العسقلاني: إنه في غاية الحسن في حل ألفاظه وتقريب معانيه.
- ١٢ - مبادئ الأصول في علم الأصول.
- ١٣ - منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول.
- ج - في التفسير: من مؤلفاته في التفسير:
- ١٤ - نهج الإيمان في تفسير القرآن.

- ١٥ - القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
- د - في الحديث: كان العلامة الحلبي إماماً في علم الحديث بلا منازع ألف فيه خمسة كتب لم يسبقه إلى مثلها أحد ولا نظير لها، هي:
 - ١٦ - استقصاء الاعتبار في تحرير معاني الأخبار. ذكر في كل حديث صحة السند أو بطلانه وما اشتمل، عليه من المباحث الأصولية والأدبية وما يستنبط منه من الأحكام الشرعية وغيرها.
 - ١٧ - مصابيح الأنوار قسم فيه الأحاديث على الأبواب.
 - ١٨ - الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان.
 - ١٩ - النهج الوضاح.
 - ٢٠ - جامع الأخبار.
- هـ - في علم الرجال: له أربعة كتب ومنها:
 - ٢١ - خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.
 - و - وله في علم النحو أربعة كتب منها:
 - ٢٢ - المطالب العلية في معرفة العربية.
 - ز - وله في الفلسفة أربعة وعشرون كتاباً.
 - ح - وله في علم الكلام والاجتماع ثمانية وعشرون كتاباً، ومنها:
 - ٢٣ - نهاية المرام في علم الكلام.
 - ط - وله كتب أخرى عديدة متنوعة ومنها:
 - ٢٤ - الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة.
 - ٢٥ - إجازة بني زهرة.
 - ٢٦ - إيضاح التلبيس من كلام الرئيس ناقش فيه ابن سينا (ت ٥٢٨هـ).
 - ٢٧ - المباحثات السنية في المعارضات النصيرية ناقش فيه بعض آراء أستاذه نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ).

- ٢٨ - أجوبة المسائل المهنية.
- ٢٩ - إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان.
- ٣٠ - استقصاء النظر في القضاء والقدر.
- ٣١ - كتاب الألفين الفارق بين الصدق واليمين.
- ٣٢ - أنوار الملكوت في شرح الياقوت.
- ٣٣ - إيضاح مخالفة السنة لنص الكتاب والسنة.
- ٣٤ - إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد.
- ٣٥ - الباب الحادي عشر.
- ٣٦ - تسليك النفس إلى حظيرة القدس.
- ٣٧ - تلخيص المرام في معرفة الأحكام.
- ٣٨ - الجوهر النضيد في شرح كتاب التجريد.
- ٣٩ - الخلاصة في أصول الدين.
- ٤٠ - الرسالة السعدية وهي رسالة بين الإيجاز والإطناب، ألفها العلامة الحلّي لسعد الدين المعروف بـ(المستوفي الساجي) (ت ٧١١هـ)، والرسالة تحتوي على مقدمة وفصول، وقد استوفى فيها مسائل ثلاث هي:
- أ - استحالة رؤية الله سبحانه.
- ب - كلامه سبحانه حادث.
- ج - صفاته عين ذاته.
- ٤١ - غاية الوصول وإيضاح السُّبُل في شرح مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل.
- ٤٢ - القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية.
- ٤٣ - كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد.

- ٤٤ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد.
 - ٤٥ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين.
 - ٤٦ - مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق.
 - ٤٧ - مسائل السيد ابن زهرة.
 - ٤٨ - معارج الفهم في شرح النظم.
 - ٤٩ - منهاج اليقين في أصول الدين.
 - ٥٠ - منهاج الصلاح في اختصار المصباح.
 - ٥١ - منهاج الكرامة في إثبات الإمامة.
 - ٥٢ - منهاج الهداية ومعراج الدراية.
 - ٥٣ - نهج الحق وكشف الصدق.
 - ٥٤ - نهج المسترشدين في أصول الدين.
 - ٥٥ - واجب الاعتقاد على جميع العباد.
 - ٥٦ - الأسرار الخفية في العلوم العقلية من الحكمية والكلامية والمنطقية، ألفه باسم هارون ابن الوزير شمس الدين الجويني (ت ٦٨٥هـ). توجد منه نسخة بخط المؤلف في الخزانة الغروية، في النجف الأشرف.
- وقد نافت آثار العلامة الحلبي على مئة وعشرين كتاباً. وكثير من كتبه مفقود ولا أثر لها لاستهدافه، ونشاط خصوم أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام في طمس الحقائق.
- وقد ظلّ كتابه الذائع الصيت: الأسرار الخفية في العلوم العقلية موضع جدل ونقاش عميقين. وكان أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) من أشد المتحاملين عليه، وصنّف كتابه (منهاج السنّة) للرد على كتاب العلامة الحلبي (منهاج الكرامة) فينعتة بالرافضي ويصفه بالجهل ويعزوه إلى النجاسة بدلاً من الطهارة؛ ويسمي منهاج الكرامة بمنهاج الندامة وقد

أنكر المسلّمات من فضائل أهل البيت عليه السلام، وردّ الأحاديث الصحيحة الواردة في حقّهم، ولجأ إلى السّبَابِ لأتباعِ أهلِ البيتِ عليه السلام ونسب لهم ما لم يقولوا به.

وذكر السيد محسن الأمين العاملي أنّ أوّل من قسم الحديث أقسامه المشهورة من علماء الإمامية هو العلامة الحلّي. ولكن سبقه إلى هذا التقسيم أستاذه السيد أحمد بن موسى بن طاووس (ت ٦٧٣هـ) وعنه أخذ العلامة هذا المنهج، فتوسّع فيه.

شعره:

ينصرف العلماء عادةً عن كتابة الشعر لانشغالهم بالبحث العلمي ومع كل المسؤوليات العلمية التي تحملها العلامة الحلّي لإعلاء كلمة الحق، ورغم أنّه خصّص جُلّ وقته للتأليف فقد وجد الفرصة لكتابة شعر قليل، يدل على جودة النظم، ولكنه يبقى شعر العلماء.

كان ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) في كتابه منهاج السنة يعتدي على العلامة الحلّي بجراح القول، فاكتفى العلامة الحلّي بقوله:

لو كان يفهم ما أقول أجبته

ولم يردّ عليه بأكثر من هذا.

وعلى قول أنّه كتب إليه يقول:

لو كنت تعلم كلما علم الوري طرّاً لصرت صديق كلّ العالم
لكنّ جهلت فقلت إنّ جميع من يهوى خلاف هواك ليس بعالم

وقال:

ليس في كل ساعة أنا محتا جّ ولا أنت قادر أن تُنيلا
فاغنم عُسرتي ويُسرك فاحرز فرصة تسترقّ فيها الخليلا

وكتب إلى نصير الدين الطوسي يقول:

محبتتي تقتضي مقامي وحالتي تقتضي الرحيلاً
هذان خصمان لست أقضي بينهما خوف أن أُميلاً
ولا يزالان في اختصامٍ حتى نرى رأيك الجميلاً

وفاته:

توفي العلامة الحلي في مسقط رأسه الحلة ليلة السبت ٢١ من المحرم سنة ٧٢٦هـ عن عمر ناهز ٧٧ عاماً، فقد بارك الله في عمره كما بارك في عطائه العلمي، فقد مدّ الساحة العلمية بنتاجٍ علمي قلّ نظيره ونُقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف فدفن في حجرة عن يمين الداخل إلى الحضرة العلوية المطهرة من جهة الشمال، وقبره ظاهر معروف يُزار حتى اليوم بجوار ضريح الإمام علي عليه السلام وموضعه تحت المئذنة اليمنى.



الفصل الخامس

آل طاووس

السيد علي بن طاووس / السيد أحمد بن طاووس
السيد عبد الكريم بن طاووس / السيد محمد بن طاووس

آل طاووس:

السادة آل طاووس أسرة علمية عريقة كان لها دور كبير في تنشيط الحركة العلمية في الحلة، بل ولهم أثرهم في الفقه الشيعي بعامة، فهم أسرة معروفة برز منها أكثر من سري، وتألق فيها أكثر من نجم من أمثال رضي الدين السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) صاحب كتب الطرائف، واليقين، والإقبال، وابنه السيد محمد ابن السيد علي بن طاووس، وأخيه أبي الفضائل السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٧٣هـ) وأبيهما موسى بن جعفر بن طاووس، وكان الجد السابع للسيد علي بن طاووس وهو محمد بن إسحاق من سادات الحلة الكبار، وقد لقب بطاووس لجماله، والسيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٩٣هـ) صاحب كتاب فرحة الغري، وقد كان لهم دور فكري واجتماعي وسياسي وروحي واسع في العراق وغيره وكانوا من الشخصيات المعروفة في بغداد والحلة منذ زمن الخليفة العباسي المستنصر، فقد عرضت عليهم الوزارة فرفضوها وتقلد منصب نقيب الطالبين منهم رضي الدين السيد علي بن طاووس وأخوه السيد أحمد وابنه السيد عبد

الكريم ابن السيد أحمد بن طاووس، وكانوا من شيوخ العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ).

السيد علي بن طاووس:

هو رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد - هو الطاووس - ابن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد في الحلة في الخامس عشر من المحرم عام ٥٨٩هـ وكان عجيب الذكاء وهو من كبار العلماء وله دور علمي كبير وآخر اجتماعي وثالث سياسي.

فهو ذو علم جم، وعمل صالح، وصاحب دعوة صادقة إلى الحق لا يشوبها كدر ولا يعتريها تعقيد تميز بالزهد والورع وحسبك بهما زينة للمرء، وله فوق ذلك عقيدة متينة وإيمان راسخ، وتقوى وصلاح، واستقامة في الحياة.

تلك هي سيرة الإمام رضي الدين علي بن موسى بن طاووس صاحب الشخصية الفذة، الداعي إلى الله بسيرته وأفعاله كما كان داعياً إليه بقلمه وأقواله، وهو النموذج الصالح والمثل الكامل للعلماء العاملين بما للكمال والصلاح من مفهوم، كما أنه سيّد بكل ما للسيادة من معنى، كان سيّداً في نسبه، وسيّداً في حسبه، وسيّداً في علمه، وسيّداً في عمله.

أسرته:

أما أسرته فهي أسرة آل طاووس العلمية ذات الدور الفعال في الحركة العلمية في الحلة وفي عموم الفقه الشيعي.

من الأسر العلوية الشامخة بعزها، السامية بمجدها، والذين امتازوا في هديهم وسيرتهم وأخلاقهم السادة الحسنيون الذين انحدروا من ذرية

الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام وارتقوا في نسبهم إلى جدّهم أبي عبد الله محمد الطاووس، وقد ذكروا في سبب لقبه أنّه كان حسن الوجه مليح الصورة إلّا في قدميه، كما ذكروا أنّه أوّل من تولّى النقابة بسورا، يوم كانت المركز لمنطقة الفرات.

أما أبوه موسى بن جعفر فكان من كبار الرواة، وقد كتب الروايات في أوراق متفرقة فنهض ابنه السيد علي بالمهمة بعد وفاته وقام بجمعها في كتاب أسماه: فرقة الناظر وبهجة الخاطر مما رواه والدي موسى بن جعفر. وقد اختار له أبوه الحجر الطيب عندما اقترن بكريمة العالم الشيخ ورام بن أبي فراس المالكي (ت ٦٥٠هـ) وهو من أكابر علماء الإمامية. أمّا جدته لأبيه فهي من أحفاد الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ولهذا كان يقول أحياناً: جدّي ورام بن أبي فراس وأحياناً أخرى يقول: قال جدّي الشيخ الطوسي. وكان أبناؤه وإخوته وأبناؤهم من كبار علماء الشيعة.

نشأته العلمية:

درس في أول نشأته في مدينة الحلة، على أبيه وجده الشيخ ورام بن أبي فراس (ت ٦٥٠هـ) المقدمات. كان جدّه الشيخ ورام عالماً زاهداً، يشهد له كتابه الأخلاقي التربوي (تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر) ويعرف أيضاً بنزّه الناظر المعروف باسم (مجموعة ورام) ومن خلال إشارات سبطه رضيّ الدين علي بن طاووس المتناثرة في ثنایا كتبه، يبدو أنّ جدّه وراماً كان معلّماً له ومرشداً شفيقاً عليه، ويذكر أنّ جدّه وراماً قد أحضر له كتاب الحمصي (المرشد إلى التوحيد والمنقذ من التقليد)، عندما كان عمره ثلاث عشرة سنةً، ونصح به بحفظه عن ظهر قلب. هو يذكر جدّه وجدته بكل احترام، وكان ابن طاووس يتمتع بذكاء وقاد، فاستطاع التفوق على أقرانه في وقت قصير، فكان يتعلم في سنة ما يتعلمه الآخرون في سنين.

بعد سنة من دراسته الفقه مع أستاذ استقل بدراسته واستغنى عن

أستاذه واعتمد على نفسه في الدرس، وحظي باحترام الأوساط العلمية والاجتماعية، فهو موضع احترام الناس عامة حيث كان فقيهاً مشهوراً وأديباً بارعاً وشاعراً مقتدرًا، وغلب عليه زهده وتقواه وعرفانه، وكانت أكثر مؤلفاته في الأدعية والزيارات.

وكانت لديه مكتبة كبيرة قل نظيرها ورثها عن جده. قرأ جميع ما فيها وانتفع بها.

بعد أن درس على علماء الحلة سافر إلى مختلف البلدان في طلب العلم، وفي عام ٦٢٥هـ استقر في الكاظمية وتزوج هناك.

ورجع إلى مسقط رأسه الحلة وبقي فيه فانتفع العلماء من علمه ثم سافر إلى مشهد في إيران وبقي فيها ثلاث سنوات ينفق من علمه ويتحلق من حوله طلبة العلم ثم عاد إلى الحلة، ثم سافر إلى كربلاء وأقام فيها ثلاث سنوات ألف فيها كتابه (كشف المحجة لثمره المهجة) وسافر إلى النجف وأقام فيها ثلاث سنوات يفيض علماً على من فيها من الطلبة، وقد عرض عليه الخليفة العباسي المستنصر (ت ٦٤٠هـ) الوزارة فرفضها ولكنه سافر إلى بغداد عام ٦٥٢هـ وفي عام ٦٦١هـ تولى منصب نقابة الطالبين، ونقيب الطالبين يمثل أكبر شخصية علمية ودينية من السادة الأشراف وترجع إليه جميع شؤونهم كالقضاء في المنازعات وإعانة المساكين والعاجزين ورعاية الأيتام، فهو المسؤول عنهم.

فلما تولى النقابة وجلس في مرتبة خضراء قال الشاعر علي بن حمزة:

فهذا عليّ نجلُ موسى بن جعفر شبيهُ عليّ نجلِ موسى بن جعفر
فذاك بدستٍ للإمامة أخضر وهذا بدستٍ للنقابة أخضر

وتولى هذا المنصب عدد من السادة آل طاووس منهم السيد علي بن طاووس وأخوه السيد أحمد بن طاووس والسيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن طاووس، وهو منصب تولاه من قبل الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) وأخوه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ).

ولما اتجهت جيوش المغول لتقتحم بغداد عام ٦٥٦هـ تهيأ السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) للتوجه إلى قيادة جيش المغول بعمته وعباءته للتفاوض مع القيادة ودفع الخطر القادم على المسلمين، ولكن الخليفة العباسي المستعصم منعه وعدّ ذلك ضعفاً، وكرر السيد محاولته لحقن دماء المسلمين ولكن الخليفة أصرّ على منعه فضاعت الفرصة وحلّ ببغداد الدمار.

وكانت الحلة في تلك الفترة حاضرة العلم فتشكل وفد من العلماء كان فيه السيد علي بن طاووس والشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت ٦٦٥هـ) والد العلامة الحلي وذهبوا لمقابلة هولاكو ولم يعودوا إلّا وكان معهم كتاب بالأمان للحلة والنجف وكربلاء وما جاورها، وبذلك حفظوا المدن المقدسة وحاضرة العلم من الدمار وحققوا ما تمكنوا عليه من دماء الناس بالحوار الهادئ والتعقل.

شيوخه:

درس السيد علي بن طاووس على عدد من العلماء في الحلة وغيرها، ومنهم:

- ١ - أبوه موسى بن جعفر بن طاووس.
- ٢ - جده لأمه الشيخ ورّام بن أبي فراس (ت ٦٥٠هـ).
- ٣ - الشيخ حسين بن أحمد السوراوي.
- ٤ - الشيخ محمد بن نما الحلي.
- ٥ - الشيخ محب الدين محمّد بن محمود المعروف بابن النّجار البغدادي (ت ٦٤٣هـ) صاحب كتاب (ذيل تاريخ بغداد)
- ٦ - السيد فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠هـ).
- ٧ - السيّد أبو جعفر صفّي الدين محمّد بن معد الموسوي.

- ٨ - الشيخ نجيب الدين محمد السوراي.
- ٩ - أبو حامد محيي الدين محمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني.

تلامذته:

تخرج عليه عدد من العلماء ومنهم:

- ١ - الشيخ سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن المطهر الحلبي (ت ٦٦٥هـ) والد العلامة الحلبي
- ٢ - العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (ت ٧٢٦هـ).
- ٣ - الشيخ تقي الدين الحسن بن داود الحلبي (توفي بعد ٧٠٧هـ) صاحب الرجال.
- ٤ - ابن أخيه السيد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس الحلبي (ت ٦٩٣هـ).
- ٥ - ابنه السيد محمد بن علي بن طاووس الحلبي.
- ٦ - ابنه رضي الدين السيد علي ابن السيد علي بن طاووس الحلبي.
- ٧ - جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي.
- ٨ - الشيخ محمد بن أحمد بن صالح القسيني.
- ٩ - الشيخ إبراهيم بن محمد القسيني.
- ١٠ - علي بن محمد القسيني المذكور آنفاً.
- ١١ - الشيخ جعفر بن محمد القسيني.
- ١٢ - الشيخ يوسف بن حاتم الشامي.
- ١٣ - الشيخ جعفر بن نما الحلبي.
- ١٤ - الشيخ علي بن عيسى الإربلي.
- ١٥ - الشريف أحمد بن محمد العلوي.
- ١٦ - السيد نجم الدين محمد الموسوي.

١٧ - الشيخ صفى الدين محمد بن بشير.

١٨ - ابنته العلوية شرف الأشراف.

١٩ - ابنته العلوية فاطمة، وهي أم السيّد عليّ بن عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن طاووس تزوجها ابن عمّها السيّد عبد الكريم.

قال عنه تلميذه العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): (السيد السند رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، كان من أعبد من رأيناه من أهل زمانه)، وقال في إجازته لبني زهرة: ومن ذلك جميع ما صنّفه السيدان الكبيران السعيدان رضي الدين علي وجمال الدين أحمد ابنا موسى بن طاووس الحسنيان قدس الله روحيهما وروياه وأجيز لهما روايته عني، عنهما، وهذان السيدان زاهدان عابدان ورعان، وكان رضي الدين علي صاحب كرامات حكى لي بعضها وروى لي والذي بعضها الآخر.

وكان من خُلُقِهِ وأسلوبِهِ التّربوي أنّه كان يجلسُ مع أسرته وهم ولداه محمد وعلي وبناته الأربع وأمهم وابنة خاله، ويقرأ عليهم بعض مؤلفاته ويعلمهم القراءة الجماعية ويعدّهم من تلامذته، كما كان يعلمهم الأعمال العبادية ويذكّرهم بمناسبات الأحداث التاريخية المهمة، ويوصي بناته عندما يصلن سن التكليف بوصاياهم التربوية فكان أثره التربوي في أسرته ملحوظاً فقد حفظت ابنته فاطمة القرآن وقبل أن تبلغ تسع سنين وحفظته ابنته شرف الأشراف قبل أن تبلغ اثنتي عشرة سنةً إذ كان يوثق علاقة أبنائه بالقرآن ويقدم لهم نسخاً خطية جميلة منه عندما يقوم بعمل طيب.

مع ما كان يحمل من علم غزير فقد كان شاعراً، ومما ينسب إليه

قوله:

خبت نارُ العلى بعد اشتعالِ ونادى الخير حي على الزوالِ
عُدِمنا الجود إلا في الأمانِي وإلا في الدفاترِ والأُمالي

فيا ليت الدفاتر كُنَّ قوماً فأروي الناس من كرم الخصال
ولو أنني جُعِلْتُ أمير جيش لما حاربتُ إلا بالسؤال
لأنَّ الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
والبيتان الأخيران تضمين من قول بعض الشعراء وقد ذكرها ابن
خلكان (ت ٦٨١هـ) في وفيات الأعيان في ترجمة الحسن بن سهل قال:
ولبعضهم وأوردها، وهي:

وأحسنُ ما قرأتُ على كتابٍ بخطِّ العسكريِّ أبي هلالٍ
فلو أنني جُعِلْتُ أمير جيشٍ لما حاربتُ إلا بالسؤال
لأنَّ الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي

آثاره:

ترك السيد علي بن طاووس إرثاً علمياً يناهز الخمسين مصنفاً ولأنه
كان عرفانياً فأكثر مصنفاته في موضوع الدعاء.

انتفع في تأليفه من مكتبته التي كانت تشتمل على ما يزيد على ١٥٠٠
كتاب، التي تضم كتبه والكتب الأخرى التي بذل الأموال في شرائها حتى
أنه دفع مئة دينارٍ لورثة علي بن الحسن بن محمد المرتضى لشراء كتاب
ديوان النسب وهذا المبلغ كثير جداً آنذاك، إذا عرفنا أن السعر المتوسط
للكتاب في ذلك الوقت كان ديناراً واحداً، ومما يؤسف عليه أن الكثير من
المصادر التي يشير إليها في مصنفاته مفقودة بسبب الغزو المغولي وعاديات
الزمن الأخرى، ومن مؤلفاته: عشر مجلدات هي (المهمات والتمتات) طبع
كل واحد منها في كتاب مستقل منها:

- ١ - فلاح السائل ونجاح المسائل.
- ٢ - الدروع الواقية من الأخطار.
- ٣ - جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع.
- ٤ - الإقبال بالأعمال الحسنة.

- ٥ - زهرة الربيع في أدعية الأسابيع.
- ٦ - مهمّات في صلاح المتعبّد وتتمّات لمصباح المتهجّد.
- وقد كتبها السيد علي بن طاووس تنمة لمصباح المتهجّد للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
- ٧ - كشف المحجة لثمرة المهجة. وهو كتاب أخلاقي يشتمل على وصايا لابنه محمد الذي كان عمره سبع سنوات يوم ألف له ذلك الكتاب وذكر فيه أيضاً مراحل حياته.
- ٨ - الأمان من أخطار الأسفار والأزمان.
- ٩ - أسرار الصلوات وأنوار الدعوات.
- ١٠ - مصباح الزائر وجناح المسافر.
- ١١ - فتح الأبواب بين ذوي الألباب.
- ١٢ - سعد السعد.
- ١٣ - التراجم فيما نذكره عن الحاكم.
- ١٤ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.
- ١٥ - رسالة في عدم مضايقة الفوائد.
- ١٦ - الملهوف على قتلى الطفوف.
- ١٧ - مهج الدعوات ومنهج العناية.
- ١٨ - فرج المهموم في معرفة الحلال والحرام من علم النجوم.
- ١٩ - فرحة الناظر وبهجة الخواطر.
- ٢٠ - اليقين باختصاص مولانا أمير المؤمنين علي بإمرة المؤمنين.
- ٢١ - الإبانة في معرفة أسماء كُتُب الخزانة، فهرس مكتبته.

توفي السيد علي بن طاووس في بغداد بكرة الإثنين الخامس من ذي القعدة عام ٦٦٤هـ وترك ولدين هما محمد وعلي، وأربع بنات منهن شرف

الأشرف وفاطمة. وفي موضع قبره خلاف، إذ يوجد في أطراف محلة الجامعين في الحلة قبر له عليه قبة ومن حوله مسجد يقع على الشارع العام المؤدي بين باب المشهد وغرفة التجارة مقابل سجن الحلة تسالم عليه أهل الحلة منذ القديم وحتى الآن أنه قبر السيد علي بن طاووس ويزورونه ويتجمعون حوله في الأعياد، ويؤيد ذلك قول الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) إن قبره في الحلة في خارج المدينة والمنطقة المدفون فيها والتي شيد عليها السجن فيما بعد كانت فعلاً بساتين خارج المدينة. يروى أنه حمل بعد وفاته إلى النجف الأشرف ودفن بجوار جده أمير المؤمنين عليه السلام مما يلي قدمي والديه المدفونين هناك، فإذا صحت الروايات أنه دفن في النجف فيكون القبر الموجود في الحلة هو قبر ابنه أبي القاسم رضي الدين علي بن علي بن طاووس الذي حمل اسم أبيه وكنيته.



السيد أحمد بن طاووس:

هو السيد جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن سعد الدين موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلي (ت ٦٧٣هـ) فقيه أهل البيت صاحب كتاب (الملاذ) في الفقه المشتمل على أربع مجلدات وكتاب (بشرى المحققين) في الفقه أيضاً المشتمل على ست مجلدات، والكتب الأخرى الكثيرة المذكورة في كتب التراجم.

هو من العلماء البارزين، كان فقيهاً مجتهداً، وهو من شيوخ العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) وابن داود تقي الدين الحسن بن داود (توفي بعد ٧٠٧هـ)، صاحب كتاب الرجال، وكان محققاً عارفاً بالرواية والتفسير وهو أول من نظر في علم الرجال.

كان مصنفاً ومن مؤلفاته:

١ - بشرى المحققين، في الفقه.

- ٢ - الفوائد.
- ٣ - الروح.
- ٤ - ملاذ علماء الإمامية، في الفقه.
- ٥ - شواهد القرآن.
- ٦ - الأزهار في شرح لامية مهيار.
- ٧ - حل الإشكال.
- ٨ - بناء المقالة العلوية.
- ٩ - زهرة الرياض.
- ١٠ - إيمان أبي طالب عليه السلام.
- ١١ - رسالة عين العبرة في غبن العترة.
- ١٢ - الأنوار الساطعة في المئة السابعة، في التراجم.
- ١٣ - ديوان شعر.

وكان أديباً بليغاً، منشئاً، شاعراً، ومن شعره ما وجد على نسخة
نقض الرسالة العثمانية يرد فيها على أبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ):

ومن عجب أن يهزأ بالليل بالضحي	ويهزأ بالأسد الغباب الفراعلي
ويسطو على البيض الرقاق ثمامة	ويعلو على الرأس الرفيع الأسافل
ويسمو على حال من المجد عاطل	ويبغي المدى الأسمى المعلى الأراذل
وينوي نضال الأضبط النجد سافر	ويزري بسحبان البلاغة باقل
غرائب لا تنفك للدهر شيمه	فسيان فيها آخر وأوائل
وللشهب الشم الزواهر مجدها	وإن جهلت تبغي مداها الجنادل
عدتك أمير المؤمنين نقائص	وجزت المدى تنحط عنك الكواويل
غلا فيك غال وانزوى عنك ساقط	فسمتُهما عن منهج الحق مائل
عجبت لغال سار في تيه غيه	وقال رمته في الضلال المجاهل
ويُغنيك مدح الآي عن كل مدحة	مناقب يتلوها خير وجاهل

توفي أبو الفضائل السيد أحمد بن طاووس عام ٦٧٣هـ، وقد أرخ وفاته السيد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) بقوله:

فقيدُ أهل البيتِ ذو الشمائلِ هو ابنُ طاووسٍ أبو الفضائلِ
هو ابنُ موسى شيخُ ابن داود في (باخع) مضى إلى الخلود
وكلمة (باخع) تساوي في حساب الجمل: ٦٧٣.

السيد عبد الكريم بن طاووس:

هو كوكب آخر من آل طاووس هو ابن ذلك العلم السيد أحمد بن طاووس. كان أبوه أحمد شيخ شيوخ الحلة.

أما هو فالعلمُ السيدُ غياث الدين أبو المظفر عبد الكريم بن جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن سعد الدين موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن طاووس الحسني الحلبي (ت ٦٩٣هـ)؛ صاحب كتاب (فرحة الغري) وتلميذ نصير الدين الطوسي. ولد في كربلاء في شعبان سنة ٦٤٧ هـ، ونشأ في الحلة، كان موهوباً منذ الصغر فقد تعلم القراءة والكتابة وهو ابن الرابعة ثم واصل دراسته في الحوزة العلمية في الحلة التي كانت تعج بخمسمائة مجتهد وتتلמד على أيدي كبار العلماء حتى صار فقيهاً جليل القدر؛ نساباً، محدثاً، محققاً، صالحاً، من مشاهير فقهاء العراق مشاركاً في علوم السير والأخبار والأحاديث والآثار والأشعار والحكايات، ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها بين الدراسة والتدريس حتى آخر عمره.

تمتع بخلق رفيع وأدب جمّ وعُرف بالفطنة والذكاء، كما كان يتمتع بذاكرة قوية، فاستطاع حفظ القرآن الكريم خلال مدة وجيزة.

شيوخه:

درس السيد عبد الكريم بن طاووس على عدد من العلماء ومنهم:

١ - والده السيد أحمد بن موسى بن بن جعفر بن طاووس (ت ٦٧٣هـ).

- ٢ - عمه رضي الدين السيد علي موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ).
- ٣ - المحقق الحلّي، أبو القاسم جعفر بن الحسن الهذلي (ت ٦٧٦هـ).
- ٤ - الخواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢هـ).
- ٥ - يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلّي، شيخ الإمامية في وقته، مصنّف الجامع للشرائع وعرف بيحيى بن سعيد الحلّي (٦٠١ - ٦٩٠هـ).
- ٦ - السيّد عبد الحميد بن فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠هـ).
- ٧ - الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) شارح نهج البلاغة.

تلامذته:

درس عليه عدد من العلماء ومنهم:

- ١ - العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ).
- ٢ - ابن داود، الشيخ تقي الدين الحسن بن داود الحلّي (ت ٧٠٧هـ بعد هـ).
- ٣ - الشيخ علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي الحلّي.
- ٤ - الشيخ عبد الصمد بن أحمد الحنبلي.

أقوال العلماء فيه:

- ١ - قال عنه تلميذه الشيخ تقي الدين الحسن بن داود الحلّي (توفي بعد ٧٠٧هـ): (سيدنا الإمام المعظم غياث الدين الفقيه النسابة النحوي العروضي، الزاهد العابد أبو المظفر قدس سره، انتهت رئاسة السادات وذوي النواميس إليه، وكان أوحّد زمانه، حائري المولد، حلّي المنشأ، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة).
- ٢ - وقال السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ): (الفقيه العلامة، كان جليل

القدر، نبيل الذكر، حافظاً لكتاب الله المجيد، وكانت دارُهُ مجمع الأئمة والأشراف، وكان الأكابر والولاة والكتّاب يستضيئون بأنواره وآرائه).

وكان يستقبل الناس في منزله فيجتمع عنده كبار العلماء والشخصيات، وكانت تقام عنده الندوات العلمية، وما كان السيد ابن طاووس فقيهاً بارزاً فحسب، بل كان خبيراً بالأنساب ومنشئاً وشاعراً أديباً ومؤلفاً. ولمنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية فقد تولى نقابة السادة الأشراف الطالبين.

من مؤلفاته:

- ١ - فرحة الغري.
 - ٢ - وكتاب الرجال.
 - ٣ - والشمّل المنظوم في مصنفي العلوم.
 - ٤ - وجامع الأخبار في إيضاح الاستبصار.
- وغيرها.

في السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٦٩٣هـ، في مدينة الكاظمية انتقل السيد عبد الكريم بن طاووس إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي وحمل نعشه إلى النجف الأشرف حيث وُوري الثرى هناك، وفي محلة الشاوي في الحلة وخلف قبر عمه السيد علي بن طاووس يوجد قبر للسيد عبد الكريم بن طاووس.

السيد محمد بن طاووس:

هو السيد شرف الدين محمد بن علي بن طاووس الحلبي، من أسرة آل طاووس الحلية العلمية ومنها:

والده رضي الدين السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس

(ت ٦٦٣هـ) صاحب كتب: الطرائف، واليقين، والإقبال، وغيرها والذي كان على درجة عالية من العلم، فهو ذو علم جمّ، وعرف بالزهد والورع، مع استقامة وتقوى ودعوة إصلاحية صادقة.

ومنهم عمه أبو الفضائل جمال الدين السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٧٣هـ) الذي كان من كبار العلماء وله المؤلفات المهمة الكثيرة. ومنها بشرى المحققين، في الفقه؛ والفوائد والروح؛ وملاذ علماء الإمامية في الفقه، وشواهد القرآن؛ والأزهار في شرح لامية مهيار. وتولى نقابة الطالبين؛ وكان منزله ملتقى العلماء والوجهاء.

وجده موسى بن جعفر بن طاووس.

وجدّه الثامن السيد محمد بن إسحاق من سادات الحلقة الكبار، وقد لقب بطاووس لجماله.

وابن عمه السيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٩٣هـ) تلميذ نصير الدين الطوسي، وصاحب كتاب (فرحة الغري).

وقد كان لهذه الأسرة شأنٌ كبير في الحلقة ولهم دور علمي وفكري واجتماعي وسياسي وروحي واسع في العراق وغيره وكانوا من الشخصيات المعروفة في بغداد والحلة، وعرضت عليهم المناصب السياسية، فعرضت عليهم الوزارة فرفضوها وتقلد والده رضي الدين السيد علي بن طاووس منصب نقيب الطالبين وتقلدها عمه جمال الدين السيد أحمد وابن عمه السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن طاووس.

وكان أبوه وعمه وابن عمه من شيوخ كبار علماء الحلقة من أمثال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) والحسن بن داود (توفي بعد ٧٠٧هـ)، ودرس سديد الدين بن المطهر (ت ٦٦٥هـ) والد العلامة الحلي على أبيه رضي الدين السيد علي بن طاووس.

والمترجم له شرف الدين السيد محمد بن رضي الدين علي بن طاووس عاش في هذه البيئة العلمية ودرس على كبار علماء الحلة حتى صار من علمائها، فقد درس على عدد من العلماء ومنهم:

- ١ - أبوه رضي الدين السيد علي بن طاووس.
 - ٢ - الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي، المعروف بـ (المحقق الحلبي).
 - ٣ - الشيخ يحيى بن أحمد بن سعيد الهذلي ابن عم المحقق الحلبي.
- ومن بين من رافقه في الدراسة على والده، العلامة الحلبي الحسن بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) والشيخ تقي الدين الحسن بن داود (توفي بعد ٧٠٧هـ)، وابن عمه السيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن طاووس، وأخوه رضي الدين السيد علي ابن السيد علي بن طاووس، وأخته العلوية شرف الأشراف بنت السيد علي بن طاووس، وأخته الأخرى العلوية فاطمة بنت السيد علي بن طاووس، وهي أمُّ السيّد عليّ بن عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن طاووس تزوجها ابن عمّها السيّد عبد الكريم بن طاووس.
- في هذا الجو العلمي عاش السيد شرف الدين محمد بن علي بن طاووس الحلبي، فتضلع من العلم وصار من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان.

قتل في بغداد عند دخول التتر بغداد سنة ٦٥٦هـ.



تأثير الصحافة الإلكترونية على مستقبل الصحافة الورقية

م. م. جمال عسكر مضحي

المقدمة:

لقد اعتاد الانسان منذ قرون عدة على الصحافة المكتوبة في كل مراحل تطورها التي مرّت بها في حقب مختلفة، حيث تطورت آلية الصناعة أو الطباعة، وكان للصحافة الورقية تأثير مباشر على الرأي العام وتحديد مساراته، وقد كانت إحدى الأوعية المهمة والرئيسة للمعلومات التي يطلع عليها المواطن لاسيما في الدول التي ترعى الإعلام وتوجهه.

ورغم هذا التطور في الصحافة المطبوعة وسهولة توزيعها، إلا أن ظهور الصحافة الإلكترونية وتطورها بشكل سريع، إذ مكّن القارئ من قراءة الخبر ومشاهدة الصورة دون حبر أو ورق أو جهد أو عناء، ويمكن الاطلاع عليها في أي وقت وأي مكان؛ ورغم أن الصحافة الورقية ما زالت لها مكانتها، إلا أن هناك تساؤلاً مطروحاً هو: هل يمكن للصحافة الورقية الصمود لفترة طويلة أمام الصحافة الإلكترونية؟ وسيحاول الباحث في هذا البحث معرفة المتغيرات التي تعيشها الصحافة الورقية أمام التغير السريع والهائل لوسائل الاتصال والمعلوماتية والتحديات التي تواجهها أمام هذا التقدم.

المبحث الأول

نشأة الصحافة الورقية وتطورها

مرّت الصحافة في العالم بأدوار أثناء العصور المختلفة حتى ظهرت بشكلها الحالي بظهور الطباعة، والصحافة قديمة قدم الإنسان تنطق بلسانه وتعبّر عن آرائه واتجاهاته، فهي مرآة تنعكس عليها مشاعر الجماعة وآراؤها وخواطرها بوسائل تعبيرية تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى زمان.

لقد كان للعراقيين القدماء (كالبابليين) صحف تُسجّل فيها الحوادث يومياً، والتاريخ يحدثنا أن الملك (حمورابي) كان يذيع أوامره على رعيّته للحضور إلى بابل، للاشتراك في الاحتفالات الموسمية المعينة، ودلت التحريات الأثرية في نينوى - قرب الموصل - وما وجد في مكتبة (آشور بانيبال) على سجلات مفصلة ومنظمة بحسب تاريخها وحوادثها، وبالأخص حروب الملوك وفتوحاتهم، كما اكتشفت مديرية الآثار العراقية في أطلال (عقرقوف) - قرب بغداد - لقى - حجراً - مقسماً إلى اثني عشر جدولاً بأسماء الأشهر البابلية مبيناً ما يتحتم على الشعب عمله، وذلك أشبه بما تقوم به صحف اليوم من بلاغات ومراسيم صيانة الأمن وسلامة الدولة، وقد اتخذت الأقوام (الآشورية) صورة أخرى لهذه الصحافة، فقد كانوا يرقيمون حوادث انتصاراتهم على الحجر والطين، وبجانباها يصوّرون بالألوان صوراً للأسرى فيها مشاهد تصوّر التمثيل بهم، وكانوا يعرضونها في شوارعهم العامة وقصورهم الخاصة، لذلك يعد (الآشوريون) أول من أوجد الصحافة المصورة.

ويعود تاريخ الصحافة في العالم، إلى تلك الأخبار المكتوبة باليد، والتي كانت ترسل يومياً إلى الأسواق العامة في روما القديمة لتنشر عن طريق قراءتها على الجمهور.

أما تاريخ الصحف المطبوعة فيعود إلى الصحف المطبوعة الأولى التي ظهرت في الصين أثناء سلالة تانج (إعلان ٦١٨ - ٩٠٧) إذ كانت تلك

الصحف تكتب على الأخشاب المقطوعة، أما في أوروبا فيشير تاريخ ظهور كراريس الأخبار المنسوخة باليد، ثم المطبوعة حين ظهرت المطبعة والتي راجت في مدن إيطاليا لاسيما في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، الصورة البدائية للصحافة الحديثة، وكان لاختراع جوتنبرغ لماكينه الطباعة عام (١٤٥٠) أثر كبير في تطوير الصحافة واتساع حجمها وازدياد أعدادها وبالتالي ازدياد معدل توزيعها، أما الصحف الحديثة المعروفة بالشكل التي تصدر بها الصحف اليوم فقد ظهرت أوائلها في بريطانيا أثناء منتصف القرن الثامن عشر، وإذا كانت كراريس الأخبار المنسوخة باليد في إيطاليا هي الصورة البدائية للصحافة، فليس معنى ذلك أن التفكير في مضمون الصحافة بدأ في القرن الخامس عشر، فالصحافة تعني نشر أنباء ومعلومات للناس، إذ كان يوليوس قيصر يكتب أخباراً مختارة في نشرات وترجمة لها، تعلق في الساحة الشعبية، وترجمة أخرى للتداول فيما بين أعضاء الهيئة الحاكمة.

وبرغم اختراع ماكينه الطباعة في القرن الخامس عشر، فإن الصحافة كانت بدائية وغير منظمة حتى حلول القرن السابع عشر، حين عرف العالم أول صحيفة منتظمة، وذلك في بريطانيا عام (١٦٢٢) باسم «الأخبار الأسبوعية» ولم تكن هذه الصحيفة أداة فعالة لنقل الأخبار أو للتأثير على الرأي العام، بل كانت الأخبار الواردة فيها تقتصر على الأخبار الداخلية فقط، دون الأخبار الخارجية، لاعتقاد السلطات الحاكمة أن أخبار البلاد البعيدة ليست بأهمية مما يعني الرأي العام.

وأول صحيفة فرنسية تأسست في عام (١٦٣١) هي «الغازيت»، وكانت هذه الصحيفة كمثيلتها في بريطانيا «الأخبار الأسبوعية» ليست على شيء من الخطورة أو الأهمية بالنسبة للرأي العام، لتدخل السلطة الحاكمة في تحديد محتويات الصحيفة وتحديد ما ينشر وما لا ينشر في الجريدة، وقد تحررت الصحافة الفرنسية من الرقابة والقيود الحكومية في خضم الثورة الفرنسية، كما تحررت الصحافة الإنكليزية بعد صدور وثيقة الإصلاح عام (١٨٣١).

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تأسست أول صحيفة (مقابل بنس واحد) عام (١٨٣٣م) وهي صحيفة «نيويورك صن» (وكانت هذه الصحيفة ذات تداول شعبي كبير ولكن كان يخصص معظمها للأخبار دون الاهتمام بالرأي).

وقد تطورت الصحافة بشكل بطيء، وبعد مائة عام من أول صحيفة دورية منتظمة أصبحت للصحافة أهميتها، لكن التطور الحقيقي للصحافة الورقية بدأ في منتصف القرن التاسع عشر، ولأسباب عديدة أبرزها تطور تقنيات الطباعة الدورانية وآلة صف الحروف.

وفي مصر صدرت أول صحيفة إبان الحملة الفرنسية، وأصدرها نابليون بونابرت وكانت تسمى صحيفة «كورييه دي ايجبت» سنة (١٧٩٨)، ثم مجلة «لاديكا اجبسيين»، أما أول صحيفة عربية صدرت في مصر فكانت في زمن الوالي محمد علي باشا وكانت تعرف باسم «وقائع مصرية» وقد صدرت عام (١٨٢٨)، وأول صحيفة يصدرها فرد في مصر كانت فرنسية اسمها (لومونيتور اجبسيان) أنشأها صاحبها الفرنسي بتشجيع من الوالي الذي جعلها لسان حاله، وجهازاً من أجهزة الدعاية لحكمه في أوروبا.

وبصفة عامة فقد كانت الصحافة - خلال الثورات الفرنسية والأمريكية والحركات القومية في أوروبا والشرق - التربة الخصبة التي بذرت بذور الديمقراطية الحديثة، وأثرت بذلك الشعوب، حتى وصفها البريطاني فيولاري: (إن الصحافة هي السلطة الرابعة) سنة (١٨٢٨).

وبعد التطور الهائل في تكنولوجيا وسائل الإعلام الحديثة وعصر الاختراعات الكبرى أصبحت الصحف وسيلة جماهيرية واسعة الانتشار، وجزءاً أساسياً من معرفة واطلاع الناس على شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإذا كانت الصحافة تشترك مع بقية وسائل الاتصال الجماهيري في العديد من الوظائف والأهداف، فإنها تظل مميزة بقدرتها على التوثيق واختزان جزء مهم من التجربة الإنسانية في القرون

الأخيرة، حتى أصبحت مرجعاً تاريخياً أساسياً إلى جانب خصائص أخرى جعلت منها وسيلة متميزة ولها عنصر الديمومة.

لقد أصبحت الصحافة سلاحاً حقيقياً للرأي العام، (وهي أيضاً سلاح وأداة في أيدي أولئك الذين يعرفون كيف يستخدمونها، ويعرفون كيف يجعلونها تخدمهم).

وسنحاول فيما يلي ذكر بعض العوامل التي ساعدت على نمو الصحافة والاهتمام بها :

١ - الثورة الصناعية، وما ترتب عليها من قيام مدن صناعية كبرى وخلق طبقات اجتماعية جديدة، وهي طبقات العمال، وما صاحب ذلك من مطالب ومشاكل واستغلال الصحافة في عرض مشاكل العمال ورغباتهم.

٢ - التقدم الفني والعلمي الهائل في وسائل الطباعة وصناعة الصحافة مما ساعد على إمكانية وجود صحافة حديثة، وبأعداد هائلة وبمعدل توزيع مرتفع.

٣ - ازدياد حركة الثقافة والتعليم لدى الشعوب والرغبة في المعرفة، ألقى بالاهتمام على الصحافة، وأصبحت الصحافة أداة لتعليم الشعوب ووضع الحقائق أمامها ومساعدتها على تكوين رأي عام قوي تجاه المشاكل والمطالب العامة.

٤ - تنوع الموضوعات التي تتناولها الصحافة، من آراء وأخبار ومواد ترفيهية ومختلف المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودخول الصور والرسوم الكاريكاتورية مجال الصحافة، كل ذلك ساعد على ازدياد أهمية الصحافة لدى جماهير الرأي العام، بالإضافة لوجود الإعلان الذي يجذب الجماهير.

٥ - انتشار المبادئ الديمقراطية وإعلان حقوق الإنسان على مستوى الأمم

المتحدة والعالم أجمع، وما تضمنه من حريات الفكر والرأي والقول وغيرها.

٦ - اهتمام رجال الصحافة بتقديم الجديد دائماً، وخلق الوسائل التي تعزز الصحافة وتجذب القراء، وذلك لمواجهة وسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة والتلفزيون، لاسيما في مجال تقديم الرأي والخبر لجماهير الرأي العام.

٧ - عرفت الحكومات (على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها) أهمية الصحافة في تكوين وتوجيه الرأي العام، فعملت على تقويتها ومحاولة جذبها واستمالتها، وخلق صحافة تعبر عن رأي الحكومة، وهو ما يعرف أحياناً باسم (الجريدة الرسمية) وهذه الظاهرة - ظاهرة السيطرة على الصحافة - تظهر واضحة وجليّة في المجتمعات الشيوعية والاشتراكية، إذ تسيطر الحكومات على أجهزة الإعلام المتنوعة، ومنها الصحافة، لضمان تكوين وتوجيه الرأي العام، حسبما يتفق ومبادئ النظام القائم.

المبحث الثاني

مزايا وخصائص الصحافة الإلكترونية

بعد أن كان العالم يواظب على اقتناء الصحف والمجلات، ويطالع الأنباء عن طريق الصحافة المكتوبة، أو ما يطلق عليها التقليدية، بدأ يتحول إلى وسيلة جديدة جاءت نتيجة التطورات الهائلة في عالم المعلومات والانترنت الذي أدخل مفهوماً جديداً للصحافة، وأضاف جانباً جديداً ومثيراً في الوقت ذاته في مفهوم الإعلام، إن المتغيرات التي أحدثتها ثورة الانترنت تعدُّ بلا شك تحولاً كبيراً في الإعلام الذي كان مقتصرًا على المشاهدة عبر الأقنية الفضائية، والصحف المقروءة، والإذاعات، ولكن الشبكة العالمية التي جمعت الصفات السابقة مضيئة إليها سمات العصر

المعلوماتي، المتمثلة فيما يمثله الانترنت من معلومات دائمة ومتجددة في القوت نفسه، فضلاً عن ثرائها، كل ذلك أضحى سمة تنبئ بانقلاب في المفاهيم السائدة للإعلام.

ويبدو أن العالم الإلكتروني هذا ألهم شركات إعلامية بفكرة مواكبة العصر المعلوماتي الذي قلب مفاهيم النشر، إذ يعكف الخبراء على وضع أسس جديدة للخروج بالصحافة الورقية إلى ما يليق بعصر التكنولوجيا لاسيما في الغرب؛ إذ ولدت تجربة النشر الإلكتروني التي تشهد طفرة فريدة في الوقت الحاضر، أن عدداً من كبار الناشرين يستفيد من التطور التكنولوجي، وتعدّ صحيفة (الواشنطن بوست) مثلاً لذلك، حيث قدّمت صحيفة (البوست) الإلكترونية ما هو أكثر بكثير مما تقدمه المنشورات الصحفية المعتمدة على الورق، حيث وفّرت الأخبار باستخدام الوسائط المتعددة وليس بمجرد استخدام صور وكلمات تقليدية؛ أي أنها ستتجاوز ما تعرضه الصحف عادة لتقدم النصوص الكاملة، والمزيد من الأخبار المحلية، وقدمت صفحة كاملة للبرامج الترفيهية، أما عن الإعلان فتجاوز مجرد القصصات الصغيرة المألوفة التي يلقي بها إلى الصفحات الأخيرة للصحيفة، إذ إن الصحيفة (البوست) تضمنت المزيد من المعلومات عن منشوراتها.

مع ظهور الانترنت وانتشار المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، أحدثت هذه ثورة هائلة في نقل الصورة والخبر والمعلومة بسرعة كبيرة وكذلك في وقت قياسي، مما جعلها تتفوق على الصحافة الورقية، التي كان المثقف يحصل على مادته الخبرية منها، وأخذ العاملون في تلك الصحف يخوفون من سحب البساط من تحت أقدامهم؛ مما دفعهم إلى خوض غمار المنافسة مع الوافد الجديد بإنشاء مواقع لصحفهم على الشبكة، هي نسخة طبق الأصل من الورقية، في حين قام آخرون بإقامة مواقع عبارة عن صحف متكاملة أطلقوا عليها (صحفاً إلكترونية) بدون نسخة

ورقية، وبهذا ظهرت حاجة إلى تعريف الصحافة الإلكترونية وتمييزها عن الصحافة التقليدية (الورقية).

وعلى مدار العقود الثلاثة الماضية لاحت في الأفق صحف المستقبل، وهي عبارة عن شاشات رقمية رخيصة الثمن يمكن طيها ووضعها في جيب خلفي، وربما يأتي المستقبل في هذا العام (٢٠٠٧م)، حيث يعتزم كبار ناشري الصحف في العالم تقديم شكل جديد من الصحف يتيح للمستخدم تحميل طبعات كاملة من الصحف من على شبكة الانترنت، على شاشات رقمية عاكسة أكثر راحة للعين من شاشات أجهزة الكمبيوتر المحمول أو الهواتف النقلة التي تشع ضوءاً، وقد تتوفر نسخ مرنة من هذه الشاشات أثناء تطور التكنولوجيا الرقمية.

وبهذا يُعدُّ التحوّل الإلكتروني في الإنتاج الصحفي ثورة بالمعنى المتكامل، فالثورة في المصطلحات اللغوية تعني التحوّل من حالة إلى أخرى، وإن ما نشهده في الصحافة ثورة حقيقية، من التقليدي الورقي إلى الإلكتروني الليزري، وإذا كانت وسائل الإعلام في السابق تُقسّم إلى وسائل إلكترونية وهي الإذاعة والتلفزيون، ووسائل مطبوعة هي الصحف والمجلات، فإن الصورة الحاضرة في مجال تكنولوجيا الاتصال تضع الوسائل الاتصالية كافة في إطار تكنولوجيا واحد حيث تصبح جميعها وسائل إلكترونية.

ويعلّل كثير من الباحثين، أن ظهور الصحافة الإلكترونية سيساهم في الخروج من المأزق الذي تتعرض له الصحافة التقليدية في عدم الاكتراث وقلة القراء وعزوفهم عنها، ويقول (سيرج غيران) في دراسته عن الصحافة الإلكترونية: هل ستكون خدمات أون لاين هي المخرج الحقيقي للصحافة المكتوبة من محنتها؟، ويبدو أنه نظر من ناحية إمكانية تحول الصحافة التقليدية (الورقية) إلى نسخة إلكترونية، أو تسمح بإقامة صحف إلكترونية قائمة بذاتها وإن تغذت على المصادر الصحفية الإعلامية المتنوعة التقليدية.

وعلى المؤسسات الصحفية أن تجاري القارئ في رغبته وأن تستمر في سيطرتها عليه وإلا فقدت مكانتها نهائياً، وتشير الدراسات أن الصحافة الورقية أخذت بالتضاؤل مقابل الصحافة الإلكترونية، إذ سرّحت في عام (٢٠٠٦م) ضعفي العاملين لديها في عام (٢٠٠٥م)، وجاء في دراسة لمكتب تشالنجر وغراي وكريستمان ومقره في نيويورك أن الصحافة ألغت (١٧,٨٠٩) وظيفة في عام (٢٠٠٦م) أي بارتفاع (٨٨٪) نسبة إلى عام (٢٠٠٥م)، إذ تم إلغاء (٩٤٥٣) وظيفة؛ ويؤكد مدير مكتب الدراسات أن وسائل الإعلام المكتوبة ستستمر في تقليص وظائفها، وكذلك ستعتمد على تغيير استراتيجيتها والتركيز على الصحافة الإلكترونية.

وأظهرت دراسات نشرها مركز (سيو للدراسات) أن (٤٣٪) من الأمريكيين يتجولون يومياً على شبكة الانترنت لقراءة الأخبار، في حين يقرأ (١٧٪) صحفاً وطنية ورقية وهذه النسب تؤكد الاتجاه نحو الصحافة الإلكترونية.

ولا يعني التحول إلى الصحافة الإلكترونية مجرد استبدال المادة المطبوعة المقروءة على صفحات الجرائد والمجلات إلى اعمدة إلكترونية يتم التعامل في إطارها مع شاشة، سواء أخذ هذا التعامل شكل القراءة أو الاستماع، بل إن المسألة تتجاوز ذلك بكثير، إذ ستمس التحولات كافة أطراف العملية الاتصالية الصحفية لتشمل الوسيلة والرسالة والمرسل والمستقبل، بل أيضاً نمط التسويق، ولغرض التأكيد على موضوعية الصحيفة الإلكترونية لا يعني مجرد النظر إلى التحول في الوسيلة الناقلة للمادة الاتصالية، وإنما من أجل التواصل مع هذه التقنية الحديثة التي أنشأت هذه الصحافة، والتي يعرفها الدكتور محمود علم الدين: بأنها الصحف التي يتم إصدارها ونشرها عبر شبكة الانترنت وقواعد البيانات التي تقدم خدماتها للجماهير نظير اشتراك، كما في (أمريكا أون لاين، وكمبيوسيرف، وديلفي، وديالوج، وانفورمات وبرودجي) وغيرها، وتكون على شكل جرائد منسوخة

على شاشات الحاسبات تنتقل إلى مختلف بقاع الأرض عن طريق الشبكة العنكبوتية.

وهي لا تختلف عن الصحافة المطبوعة من حيث المتن والصور والرسوم الكاريكاتيرية، سوى أن بعضاً من صورها ورسومها تتحرك وتعطي روح التفاعل مع المادة المقروءة، كما أنها تضم أصواتاً لقراءة الصحيفة.

والبعض الآخر يعرفها بأنها كل موقع يحمل معلومات في الشبكة الدولية والبعض يجعله قاصراً على الصحف التي تصدر وليس لها نموذج مطبوع، أما الرأي الغالب هو أن الصحافة الإلكترونية تشمل الصحف سواء كان لها مثل مطبوع أو لم يكن، والصحيفة الإلكترونية لا مقر لها تدار من أي مكان في العالم ما دامت على شبكة الانترنت.

وعن طريق تتبع الباحث لعدد كبير من الصحف التي تنتقل عبر الشبكة العنكبوتية، لاحظ أنها تأخذ شكلاً أو أكثر من شكل كما أنه يتفق مع ما يذهب إليه محمود علم الدين ويلي عبد المجيد في الأشكال الآتية:

١. نسخة الجريدة المطبوعة الورقية نفسها: وهي الصحف التي لديها أصلاً صحف ورقية وقد واكبت عملية التطور عند ظهور الانترنت، وجعلت لها مواقع إلكترونية في الشبكة العنكبوتية، مثل الأهرام القاهرية.
٢. موجز بأهم ما احتوته الصحف المطبوعة والأخبار المنشورة في التلفزيون والإذاعة وبقية الصحف الإلكترونية، مثال ذلك موقع المختصر.
٣. طبعات سابقة من الصحيفة: وهي قليلة ونادرة لضعف الفائدة الخبرية والصحفية منها بسبب تقادم الوقت عليها.
٤. أرشيف لقصص إخبارية.
٥. منابر ومساحات للرأي: ويمكن أن نقول أبرزها في تلك المدونات الإلكترونية أو ما تسمى بـ (البلوجرز).
٦. خدمات مرجعية واتصالات مجتمعية.

أطراف العملية الاتصالية:

يمكننا أن نلخص بعجالة أطراف العملية الاتصالية بما يأتي:

(١) المرسل (القائم بالاتصال):

بدايةً يمكن أن نعرّف المرسل أو القائم بالاتصال بأنه: هو الشخص الذي يقوم بالاتصال أي إرسال المعاني والأفكار إلى الآخرين سواء بشكل مباشر أو عن طريق وسيلة معينة تعينه في مهمته، ومن ذلك يمكن أن نقول هو الخطيب في الجامع والمدرّس في المدرسة والمذيع في الإذاعة والكاّتب في الصحيفة سواء كانت إلكترونية أو ورقية وكتاب المؤلفات ... إلخ.

والقائم بالاتصال (المرسل) يلتزم بالضوابط والقيود التي تفرضها البيروقراطية العاملة في جمع وإعداد الأخبار والمادة الإعلامية عموماً، ولا يتوجه في المقام الأول إلى إشباع احتياجات جمهوره بتدقيق وعناية، وإنما يلتزم في المقام الأول بالضوابط التنظيمية المرتبطة بالمؤسسة التي يعمل فيها، أي يخضع للبناء الداخلي للوسيلة الإعلامية.

وعن طريق التحوّل إلى النشر الإلكتروني (الإصدار الإلكتروني) سوف تختلف طبيعة الرسالة الاتصالية، كما أنه ستختلف طبيعة الوظائف التي تقوم بها الصحيفة في حياة الجمهور المتلقي، ويشير الدكتور محمود خليل إلى أن هذه التحولات ستشمل عمل القائم بالاتصال من جانبين هما:

- الجانب المتعلق بعمل المندوب: إذ إنه سيتم في ظل التطورات في تكنولوجيا إنتاج النظم، إذ يتم إنتاج برنامج يعمل على الحاسبات الشخصية داخل الصحف، يقوم بعملية جمع المعلومات من مصادرها الأصلية، وبذلك يقوم مقام المندوب الصحفي، والذي يقضي جلّ وقته في التنقل ما بين الوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية لغرض جمع الأخبار والنشاطات التي تقوم بها المؤسسات، وتصل إلى الصحيفة عن طريق ربط حاسبات الوزارات والمؤسسات عن طريق الشبكة العنكبوتية

- بحاسبات الصحيفة المعنية، أو البحث عن طريق أحد محرّكات البحث.
- الجانب الآخر وهو المتعلق بعمل المحرر الصحفي: فعن طريق تدشين الدراسات الحديثة عن الأنظمة في الحاسبات، تسعى هذه الدراسات إلى الوصول لحدّ انتاج نظام تحليل النص الصحفي بأشكاله المختلفة، وتصبح هذه الأنظمة الموجودة داخل أي حاسوب هي تعمل عوضاً عن المحرر الصحفي، ومن المتوقع أن يصبح لدينا داخل المؤسسة الصحفية نوعان من العمالة: عمالة ستتحول إلى مجموعة من المشغلين وهي التي تضم الأغلبية من العمال (Users) والأقلية والتي تمثل مجموعة الخبراء (Experts) الذين سيتولّون تحليل وتطوير البرامج التي ستعمل عليها المؤسسة الإعلامية.

٢) مستقبل الرسالة الاتصالية (الجمهور):

وهم متلقو ومستقبلو الرسالة الاتصالية سواء أكانوا جماعات أو أفراداً منفصلين عن بعضهم أو متصلين مع بعضهم بأي طريقة كانت، سواء عبر الانترنت أو عبر أجهزة الهاتف أو عن طريق الإذاعة والتلفزيون.

وعادة ما يكون مستقبلو الرسالة الاتصالية عبر الانترنت هم من الجماعات المتشابهة والمتقاربة في مهارة استخدام الأجهزة التكنولوجية المتقدمة، وقد تكون لهم رؤيا ثقافية واسعة باستخدامات الحاسوب ومن ذوي الدخل المتوسط والعالي، وتمثّل هذه المهارة التي يتعامل عن طريقها المتلقي مع النصوص الصحفية في مهارة القراءة، وعندما تتحقق هذه المهارة وتتكامل مع صياغة نصية مفهومة ومقروءة، فإن عملية الاتصال في شكلها المطبوع تتم على الأكمل، على خلاف الحال عند فقدان أو ضعف هذه المهارة من جانب المتلقي.

وقد مثّلت أُميّة القراءة والكتابة أحد الجدران الأساسية أمام تعامل فئات كبيرة من أفراد الجمهور المستقبل مع الوسيلة المطبوعة، وعزّزت في

الوقت ذاته تعامل المستقبل مع الوسائل الإلكترونية مثل الإذاعة والتلفزيون، ومن الجدير بالذكر أن معطيات التكنولوجيا المتطورة والمتاحة في إطار الصحافة الرقمية المعتمدة على تقنية الحاسبات، ستعمل على تجاوز هذه المعوقات بصورة كبيرة، إذ من الممكن أن يقوم المستخدم بطلب برنامج باستخدام لوحة المفاتيح (Keyboard) أو الجوال (Mouse) وإعطائه أمراً بقراءة المادة الصحفية المطلوبة.

ولكن ما سيواجه مستقبل الرسالة الاتصالية عبر الانترنت هي أمة استخدام الحاسوب، والتي ستواجه مستقبلي الرسالة الاتصالية ممن يعانون أمة استخدام واستعمال الحاسبات الإلكترونية، وأيضاً أمة القراءة والكتابة (الأمة التقليدية) وبذلك تسعى الأمم للقضاء على أمة التعاطي في استخدام الحاسبات، من خلال تطبيق برامج مدروسة لتطبيقها على جيل الأطفال لغرض إخراج جيل المستقبل قادر على التعامل مع الأجهزة التكنولوجية المتطورة في مجال الاتصال والمعلوماتية.

٣) الشكل العام للوسيلة الاتصالية:

تلعب تكنولوجيا إنتاج الصحيفة دوراً مهماً في عملية الإصدار وتؤثر على عملية نجاحها، ويلعب التطور التكنولوجي الدور البارز في الشكل العام للصحيفة، وإذا كانت التطورات التكنولوجية تحمل فرصاً كبيرة إلا أن هذه الفرص ليست متكافئة وليست متاحة لكل الدول على السواء، أو حتى داخل الدولة الواحدة بالقدر نفسه، لأسباب اقتصادية أو سياسية.

وبالتأكيد يختلف شكل الصحيفة المطبوعة التقليدية عن الشكل المتوقع للصحيفة الرقمية، التي سيتم استقبالها عبر الانترنت على شاشة الحاسب الآلي الشخصي أو عبر الأثير من على شاشة التلفاز، حيث إن الشكل العام للصحيفة المطبوعة من ناحية الإخراج يعتمد على وحدة الصفحة، وهذا الوضع يختلف في حالة استلام المادة الصحفية على الشاشة، إذ يصبح

الموضوع هو الوحدة الأساسية التي يعتمد عليها الإخراج الصحفي للصفحة، ذلك أن تصورنا كون الموضوع سيملاً شاشة واحدة، كما أنه بظهور أنظمة الوسائط المتعددة يمكن استقبال مادة الموضوع الصحفي على عدّة مستويات نصيّة، وصور ثابتة وصور متحركة، إذ سيتمكن القارئ من استدعاء صور عن الموضوع الذي يقرؤه عن طريق روابط موجودة على الوحدة الإخراجية للصحيفة، كما أنه قادر على استدعاء الصوت في حالة الحاجة إليه، كما أن القارئ يستطيع الاطلاع على الجوانب المرتبطة بالموضوع الذي استقبله عن طريق فتح ملفات جانبية مرتبطة بالموضوع.

ومنذ ثمانينيات القرن الماضي شهد مجال الاتصال الإعلامي تحولات كبرى ناجمة بالخصوص عن تطور غير مسبوق في تكنولوجيا وتقنيات العصر؛ التي فرضت الخبر المباشر وسرعة البث والتلقي، وبذلك اضطرت كل الوسائل الإعلامية والاتصالية إلى إعادة النظر في أساليبها، ففي نهاية القرن التاسع عشر، قبل ظهور التلفزيون، كانت الجريدة تلعب دوراً مهماً في تربّعها على الوقت الاجتماعي، لاسيما بفضل شبكة التلغراف التي ساهمت في التوحيد الزمني للعالم، ثم ظهرت الإذاعة لندخل معها عصر الحدث المباشر أو آنية الحدث، ثم أكمل التلفزيون المسيرة في بداية القرن العشرين، والذي مكّن من نقل الخبر في وقته الحقيقي، وفي منتصف ثمانينيات القرن الماضي تكاثرت الأقمار الصناعية وظهرت أشكال جديدة للإعلام المتواصل وتنازلت المحطات، وهذا التطور مكّن من (متابعة التاريخ مباشرة) حسب عبارة «دايان وكاتز» مؤلفا كتاب (أتروبولوجيا وتاريخ التلفزيون).

وقد كانت لهذه التطورات السريعة جملة من السلبيات، نذكر منها، أن ديكتاتورية الخبر السريع أجبرت بعض الصحفيين على نقل الخبر دون التحقق من صحته، وأجبرت المعلق الصحفي على الاكتفاء بتعليق فوري ووصف دون تحليل معمّق للمادة الخبرية، كما أن البث المباشر أعطى

أهمية متزايدة للصورة التي أعطت إجابات عن أغلب الأسئلة الستة الأساسية.

وقد امتدت آثار الخبر المباشر في بداية القرن الحالي إلى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وفرض عليها إيقاعاً زمنياً متسارعاً، وصار التلفاز مرجعاً للصحافيين، ومن أهم تأثيرات تطوّر تقنيات التلفاز على الصحافة المكتوبة والرقمية؛ يمكن أن نقوم بإعطاء أهمية أكثر وأكبر للعناصر المرئية في إخراج الجريدة والاعتماد على الإيجاز، إذ أصبحت قراءة الصحيفة قراءة سريعة، ومع تكامل مجالات الاتصال المؤسساتي والإعلام، تعقّدت أكثر مهمة الصحفي الذي وجد نفسه أمام الاتصال الشامل يمتطر عليه البلاغات والملفات الإعلامية، والمؤثرات الصحافية ولقاءات العمل والبعثات الصحافية ... الشيء الذي خلق جوّاً يتميز بتضاعف ومضاعفة الأخبار، إلى أن وجد الصحفي نفسه يواجه أشكالاً متعددة.

وفي هذا الإطار العام انقلب نظام عمل الصحافة المكتوبة رأساً على عقب، ومن أهم التحولات في هذا الصدد هناك استعمال المعلوماتية وشبكة الانترنت لإصدار نشرات إلكترونية تمكّن القارئ من اختيار ما يهمه والتواصل مع القراء، بل والاتصال بكاتب المقال، هذه التطورات لن تعدم الوسيلة المكتوبة، لكن تسمح لها بمواكبة تطور الوسائل السمعية - البصرية وتمنحها إمكانية التفاعلية والدقة في اختيار المنتج الصحفي.

ويرى بعض الاختصاصيين في مجال الإعلام، أن تكنولوجيا المعلومات الجديدة من شأنها أن تساهم في فضح حقيقة دور الصحفي، الذي يدّعي أنه مجرد وسيط، بينما هو في الواقع غالباً ما لا يقدّم الحدث كما هو بل يعيد تشكيله، كما يرى هؤلاء أن الخطاب الإعلامي نفسه معرض لأن يتغير بسبب كثرة الوسائط التي تجعله مجرد مكوّن من مكونات ما يسمى حالياً (الاقتصاد العام للاتصال)، بعدما كان هذا الخطاب يشكل عنصراً أساسياً للاتصال الاجتماعي، وبشكل عام يعتبر التكامل التقني

للكرائز الاتصالية من العناصر التي أدت إلى دمجها في شبكة ضخمة عالمية، وفي ظل سيادة قوانين السوق قد نتجّه نحو قيام امبراطوريات إعلامية.

وتعدّ الصحافة الإلكترونية شكلاً إعلامياً جديداً من إمبراطوريات إعلامية وفق صيغة جديدة وفّرت شبكة الانترنت، بما تسمح به من مرونة عالية في تبادل المحتوى، التجربة ليست بالجديدة جداً، فمنذ بداية تسعينيات القرن المنصرم بدأت بعض المطبوعات الصحفية العالمية في الاهتمام بالنشر الإلكتروني.

ويمكن أن نؤرخ نشأة الصحافة الإلكترونية مع بداية قيام الصحيفة الأمريكية وفقاً لـ (Uting ٢٠٠٠)، فإن المؤسسات الصحفية بدأت العمل في مجال الإعلام الجديد (New Media) في بداية الثمانينيات، إذ كانت تقنيات الربط المباشر لا زالت في بدايتها؛ إذ لم تكن سرعة الربط تزيد عن (٣٠٠) نبضة في الثانية، مقارنة بسرعات المودم الحالية البالغة (٥٦، ٠٠٠) نبضة، وتوفر تقنيات أخرى ذات سرعات أكبر بكثير مثل تلك التي توفرها اليوم خدمات (ISDN) والـ (DSL) وغيرها.

وأثناء تلك الفترة من الثمانينيات كان عدد محدود من الصحف يستخدم نظام لوحة النشرات Bulletin Board Systems (BBS) والتي كان المستخدم يدخل عليها عن طريق جهاز كمبيوتر موصول بمودم، وذلك بغرض تبادل الرسائل الإلكترونية مع المستخدمين الآخرين، فضلاً عن قراءة نصوص الأخبار على شاشة الكمبيوتر، ويعتبر نظام (BBS) الخاص بصحيفة Fort Worth Star - Telegraph الأمريكية من أوائل الأنظمة التي تم استخدامها، إذ بدأ عام (١٩٨٢م) واستمر في العمل فيه حتى منتصف التسعينيات، إذ قامت الصحيفة بإغلاقه واستبدل بموقع على الانترنت.

وأثناء المدة الزمنية ذاتها من الثمانينيات كانت صحف أخرى قد بدأت في استخدام تكنولوجيا أخرى جديدة هي الفيديو تكتست (Videotext)،

وقد أنفقت شركة (Knight Ridder) الأمريكية التي تملك سلسلة من الصحف - ملايين الدولارات لتطوير نظام يجعل بإمكان المستخدم تحميل نصوص الأخبار وقراءتها على شاشة التلفزيون، ويرى (Uting) أن هذه الفكرة كانت سابقة لزمانها إلا أنه لم يحالفها النجاح وخسرت الشركة مبالغ كبيرة في محاولات تطويرها وتسويقها.

بالنسبة لنظام لوحة النشرات (BBS) فقد استمر طوال الثمانينيات وشهد نمواً ملحوظاً مع مطلع التسعينيات إلا أنه مع ذلك لم يكتب له النجاح.

ومع بداية العام (١٩٩٣) ظهرت شركات تقدم خدمات ربط مباشر بالمعلومات استحوذت على اهتمام عدد كبير من الصحف، ومن تلك الشركات (Compu Serve) و (Prodogy) و (America On Line) وغيرها.

وبدأ أول ظهور للصحف على الانترنت في مايو/ أيار (١٩٩٢م) حيث صدرت (شيكاغو أون لاين) كأول صحيفة الكترونية على شبكة أمريكا أون لاين (٢)، هذه الشركات توفر لمستخدميها قدرًا كبيراً من المحتوى الإخباري والترفيهي (إضافة لخدمة الربط بالانترنت) مقابل دفع اشتراك شهري محدد، وقد وجدت العديد من الصحف في مواقع تلك الشركات مكاناً ملائماً لوضع محتوهم التحريري بحيث أصبح بإمكان القارئ الدخول على موقع الصحيفة الموجود داخل مواقع تلك الشركات ومن ثم الاطلاع على ما يوجد عليه من أخبار ومعلومات.

وقبل حلول العام (١٩٩٦م) بدا واضحاً أن الشبكة النسيجية العالمية (World Wide Web) قد أصبحت وسيلة مدهلة للدخول للمعلومات، كما أنها تتمتع بمزايا لم يكن بإمكان الصحف غض النظر عنها، وفعلاً وقبل أن تنتهي حقبة التسعينيات كانت معظم الصحف قد أعلنت عن انتهاء مواقعها داخل شركات أمريكا أون لاين وبرودجي ومثيلاتها وستستبدلها بمواقع خاصة بهم على الانترنت، بينما يعيد سايمون باينز (Bains، ١٩٩٦) تاريخ

ولادة الصحيفة الإلكترونية إلى بداية السبعينيات وظهور خدمة تلتكست عام (١٩٧٦م) كثمرة تعاون بين مؤسستي بي بي سي (BBC) وإندبندنت برودكاستنغ أوثورتي (IBA)، النظام الخاص بالمؤسسة الأولى ظهر تحت اسم سيفاكس (Ceefax)، وعرف نظام المؤسسة الثانية باسم أوراكل (Oracle).

ولدت خدمة ثانية أكثر تفاعلية عام (١٩٧٩م) وعرفت باسم فيديوتكست، كما هو الحال مع الخدمة الأولى، أبصرت خدمة فيديوتكست النور في بريطانيا مع نظام بريستل (Prestel) على يد مؤسسة بريتيش تلفون أوثورتي (BTA)، بناءً على النجاح الذي أحرزته المؤسسات المذكورة في توفير خدمة النصوص التفاعلية للمستفيدين، دخل عدد من المؤسسات الصحافية الأمريكية في منتصف العام (١٩٨٠م) على هذا الخط، وبدؤوا العمل على توفير النصوص الصحافية التي تنتجها بشكل إلكتروني إلى المستفيدين عبر الاتصال الفوري المباشر، من هذه الشركات نذكر نايت ريدرز فيوترون (Knight - Ridders Viewtron)، خدمة تايمز وميرور (Times Mirror) وشركة ترينتكس (Trintex) التي تعتبر ثمرة المشاركة بين (أي بي أم) و(سي بي أس)، ولكن محاولات هذه المؤسسات لم تلق النجاح المطلوب وتكبّدت خسائر مالية قدّرت حينها بحوالي (٢٠٠) مليون دولار أمريكي، نتيجة لذلك توقفت المشاريع الخاصة بهذه المؤسسات الصحافية بعد عام واحد.

سمات الصحافة الإلكترونية:

ورغم توجه العديد من القراء العرب نحو قراءة الطبعات الإلكترونية من الصحف العربية، فإن الطبعات الورقية ما زالت تحوز على قدر كبير من الانتشار لأسباب كثيرة منها: قلّة انتشار الكمبيوتر في المنازل والمؤسسات التعليمية العربية من جانب؛ وارتفاع تكلفة استخدام الانترنت في معظم

الدول العربية من جانب آخر، فما زال الكثير من القراء العرب يقبلون على قراءة الصحف المطبوعة، رغم اتجاه شريحة لا بأس بها من الأجيال الجديدة نحو قراءة الصحف الإلكترونية.

رغم الصعوبات التي تعترض تطوّر وتقدم عالم الانترنت إلا أن له الكثير من المميزات التي تجعل منه وسيلة إعلامية ذات أهمية كبيرة ومستقبل واعد، ومن هذه الميزات:

- ١ - امتلاكها لعوامل جذب وانبهار متعددة، فهي تتيح للمتصفح ممارسة أكثر من حاسة في الوقت نفسه، إذ بإمكانه عبر ضغطه زر (القراءة والمشاهدة والاستماع).
- ٢ - السرعة في تلقي الخبر العاجل، فضلاً عن الصورة المصاحبة له وفيلم الفيديو الذي يعزز في الكثير من الأحيان هذا الخبر (هذه الخدمات استطعنا تقديمها لمتصفحنا هداية نت).
- ٣ - غياب مقص الرقيب عن الصحافة الإلكترونية (استطعنا عبر هداية نت أن نؤكد على الفرق بين مفهوم الحرية والتحرّر، وأثبتنا بشكل عملي أن ضميرنا وأخلاقياتنا المهنية هي الرقيب على أدائنا).
- ٤ - صحافة تتميز بالسرعة ولا يستلزم خروجها إلى العالم كل الضجيج الصادر من ماكينات الطباعة ولا الحاجة إلى أطنان من الورق.
- ٥ - صحافة حية تتفاعل مع الأحداث في التو واللحظة أينما كان الحدث.
- ٦ - البريد الإلكتروني ضيق المسافات الزمنية في معرفة حجم التفاعل ورد الفعل السريع والمباشر بين الكلمة ومعناها، وتأثيرها على المتلقي في أية بقعة على وجه الكرة الأرضية.

مزايا الصحافة الإلكترونية:

- ١ - امتلاك الكاتب والصحفي مساحة كبيرة لحرية التعبير عن أفكاره وآرائه.

- ٢ - تحرّر الكاتب والصحفي من الشبكة الإدارية والأمنية المتحكمة بتفاصيل العمل الصحفي.
- ٣ - إمكانية التواصل المباشر بين الكاتب والقارئ عن طريق ما وفرتها الصحافة الإلكترونية من خدمات، كتقييم المادة والكتابة مباشرة إلى الكاتب أو كتابة تعليق عن الموضوع أو المقال المنشور في الصحيفة.
- ٤ - التكلفة المنخفضة لإنشاء الصحافة الإلكترونية لاسيما في ظل الارتفاع الكبير والمستمر لأسعار الورق على الصعيد العالمي، وما يترتب عنها من جماهيرية الثقافة وانتشارها.
- ٥ - وجود سلسلة معقدة من الإجراءات الإدارية والأمنية بغرض الحصول على الإجازة من أجل إنشاء الصحافة الورقية.
- ٦ - السرعة الكبيرة في نشر الخبر والمعلومة، ومن ثم القدرة على متابعة الخبر وتعديله بوقت لا يتجاوز الزمن الفاصل بين الإصبع والزر الإلكتروني.
- ٧ - المساحة الكبيرة في الانتشار، إذ تتمكن الصحافة الإلكترونية من أن تتجاوز الحدود السياسية والقومية؛ وذلك لقدرتها على الانتشار الكوني عن طريق الفضاء الإلكتروني.
- ٨ - توفر الصحافة الإلكترونية الارشيف الإلكتروني والقدرة الكبيرة في البحث عن المفردة أثناء ثوانٍ معدودة.
- ٩ - امتلاك الصحافة الإلكترونية لعوامل جذب متعددة عن طريق توفيرها أشكالاً متعددة للمتعة وإشباع عدة حواس في آنٍ واحد (القراءة والمشاهدة والاستماع).
- ١٠ - دعمها للصحافة الورقية عن طريق توفير فرص انتشار غير محدودة للصحافة الورقية.
- ١١ - توفيرها فرصاً ومجالات كبيرة للكتاب والصحفيين الشباب لتنمية قدراتهم الفنية والمهنية بما توفرها من إمكانيات كبيرة للنشر.

كما اعتبر قدرة الصحافة الإلكترونية على التحكم في الأبواب بالتقدم والتأخير أو الإبقاء والإلغاء طبقاً لأعداد الزوار والقراء لها ميزة أخرى تضاف للصحافة الإلكترونية، فضلاً عن إمكانية التفاعل الحي بين المحرر والقارئ بنشر الردود والتعليقات على الأخبار أولاً بأول، مما يتيح التغذية المرتدة والتفاعل الحي بين القارئ والصحيفة الإلكترونية.

تتسم (وسائل إعلام النحن) بسمّة مميزة هي العلاقة المتغيرة بين المؤسسات الإعلامية التقليدية، فوسائل اعلام النحن عملية ناشئة منطلقة من القاعدة إلى القمة، يملأ فيها قدر ضئيل جداً من الإشراف التحريري أو انسياب العمل الصحفي الرسمي قرارات على هيئة موظفين، أو تكون متحررة تماماً من مثل هذا الإملاء، وهي، بدلاً من ذلك، نتيجة أحاديث عديدة متزامنة منشورة إما أن تزدهر أو تتلاشى بسرعة في شبكة الانترنت الاجتماعية.

المبحث الثالث

تطور الصحافة الإلكترونية وتأثيره على مستقبل الصحافة الورقية

تطوّرت الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، وقد غيّر العديد من القراء اهتماماتهم من الصحافة الورقية إلى الصحافة الإلكترونية، وتعتمد الصحف الإلكترونية في بثّها المادة الصحفية على ثلاث تقنيات، وهي:

١. تقنية العرض كصورة.

٢. تقنية بي دي أف (PDF).

٣. تقنية النصوص.

وتشير أحدث إصدارات المكتبة العربية إلى أن أول صحيفة إلكترونية عربية صدرت عام (١٩٩٥م) هي صحيفة الحياة، إذ إن أول ظهور لها كان

بتاريخ (١٧/ تشرين الأول) من العام (١٩٩٥م)، وتلتها صحيفة القبس الكويتية في بداية العام (١٩٩٦م) ثم صحيفتي السفير والنهار اللبنانيتين في (١١/ تموز/ ١٩٩٧م) وتلتها صحف عربية أخرى كالأهرام المصرية.

وقد ساعد استخدام الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) العديد من الصحف على إنشاء إدارات تحرير خاصة لمواقعها الإلكترونية، تتولى تحرير صحيفة (مختلفة) بنسبة تتجاوز (٦٠٪) عن النسخة الورقية، مستعدة في ذلك من المزايا الكبيرة التي توفرها تقنية الانترنت، سيما في كمية المعلومات الممكن تقديمها والمساحة غير المحدودة للموقع الإلكتروني، وهي ميزة أنهت مشكلة المساحة التي تُعدُّ واحدة من أهم المشاكل الفنية التي واجهتها الصحافة المطبوعة منذ نشوئها وحتى الوقت الحاضر.

وتقوم الصحف الإلكترونية الحالية بتقديم الأخبار على مدار الساعة ونشر مقالات متعددة ومتنوعة، وهذه الصحف تكون مقالاتها متكررة لعدة أيام، في حين تتغير الأخبار على مدار اليوم، وقد تمكنت الصحف الإلكترونية من التنقل عبر الحدود والقارات والدول دون رقابة أو موانع أو رسوم وبشكل سهل وقليل التكاليف، وهي لا تتطلب إمكانيات مادية كبيرة أو مستلزمات طباعية كبيرة، وكوادر بشرية بأعداد كبيرة وإنما بإمكانات محدودة.

أما الصعوبات التي تواجهها الصحافة الإلكترونية فيمكن إجمالها بما يأتي:

١. تعاني من نقص في التمويل.
 ٢. غياب التخطيط وعدم وضوح الرؤية.
 ٣. ندرة الكادر البشري الذي يعمل في الصحافة الإلكترونية.
 ٤. غياب الأنظمة واللوائح والقوانين التي تنظم الصحافة الإلكترونية.
- وتبقى العلاقة بين الصحافة الإلكترونية والورقية تحكمها اعتبارات

متعددة تتعلق بالسياق الاجتماعي والتكنولوجي والنفسي والسياسي والاقتصادي للمجتمع، وهناك ثلاثة سيناريوهات محتملة:

- (١) تسير فيه الصناعة الورقية مع الصحافة الإلكترونية بشكل متوازٍ.
- (٢) تسير الصحافة الورقية مع الإلكترونية وتتفوق عليها لوجود نسبة أمية كبيرة في المجتمعات العربية لاسيما في مجال الكمبيوتر والحاسوب.
- (٣) قلّة الخدمات الورقية تدريجياً والاعتماد على الكمبيوترات، وهذا ممكن في المجتمعات المتقدمة، ولا يخفي البعض مخاوفه من الصحافة الإلكترونية بالرغم من كون الصحافة الورقية ما زالت سيّدة الموقف، إلّا أنّ جيل الشباب مفتون بالمواقع الإلكترونية ويتابعها بمهنية عالية رغم حدائتها.

ويرى البعض أن قراءة صحيفة كاملة على الانترنت أمر مجهد للغاية، وبالتالي سيصرف القراء للصحافة الورقية، لكن تبقى الصحيفة الإلكترونية سريعة في نقل الخبر فور حدوثه، ولا تأخذ زمناً كبيراً في نشر الخبر أو التعليق عليه؛ لذا فإن الصحافة الإلكترونية بدأت بسحب البساط من تحت أقدام الصحافة الورقية ويبقى المتخصّصون ينظرون بجديّة إلى عدد من المحاذير، منها ما يأتي:

- ١ - المحاذير المهنية: إذ إن فيها الكثير من الغموض حول حق انتمائهم إلى مهنة الصحافة.
- ٢ - المحاذير السياسية: هناك محاولة لفك الخناق عن الصحف الورقية عبر الصحف الإلكترونية.
- ٣ - محاذير بمتغيرات الواقع: إذ لا يمكن تجاهل الواقع المفروض على الجميع، ويجب التعامل معه سواء من قبل النقابة أن تقول أن تكون أو لا تكون.

خاتمة واستنتاجات:

حاول الباحث عن طريق هذا البحث وعبر التكامل في أطره النظرية، ومناهجه، وأدواته، تحديد العلاقة بين الصحافة الورقية والصحافة الإلكترونية، وتأثير الصحافة الإلكترونية على مستقبل الصحافة الورقية، وقد خلص الباحث إلى النتائج الآتية:

- (١) لقد تحولت الصحافة الإلكترونية إلى ظاهرة واسعة الانتشار.
- (٢) انتشار الحاسوب جعل من الصحافة الإلكترونية أقرب إلى الناس وأسهل في الوصول إلى المعلومة.
- (٣) تبقى الصحافة الإلكترونية تعاني من عدم وجود دخل منتظم يدعم استمراريتها.
- (٤) الصحافة الورقية تبقى الخيار المفضل عند الكثير من القراء لوجود تآلف معها.
- (٥) لن تكون الصحافة الإلكترونية بديلاً عن الصحافة الورقية بل وسيلة جديدة تضاف لها.
- (٦) ستكون الصحافة الإلكترونية حافزاً لتطوير الصحافة الورقية والتنافس معها في هذا المجال.
- (٧) إن تطوّر الصحافة الإلكترونية قد جعل العديد من قراء الصحف الورقية يتحولون إلى الصحافة الإلكترونية.

مصادر البحث

- ١ - فرانسوا تيرو وبيار البير: تاريخ الصحافة، ترجمة عبد الله نعمان، بيروت، المنشورات العربية، (د.ت).
- ٢ - عبد الرحيم غالب: مائة عام من تاريخ الصحافة، بيروت، جروس برس، ١٩٨٨.
- ٣ - لقاء مكّي العزاوي: الصحافة الإلكترونية دراسة في الأسس وآفاق المستقبل، بحث منشور على شبكة الانترنت موقع مجالس العجمان الرسمي.
- ٤ - محمود علم الدين: تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
- ٥ - محمود خليل: الصحافة الإلكترونية - أسس بناء الأنظمة التطبيقية في التحرير الصحفي، القاهرة، الناشر العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.
- ٦ - جان جبران كرم: الإعلام العربي إلى القرن الواحد والعشرين، عمان، دار الجليل للطباعة، ١٩٩٩.
- ٧ - مقالة في صحيفة الجمهورية نت اليمنية، بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٥.
- ٨ - ليلي عبد المجيد ود. محمود علم الدين: فن التحرير الصحفي للجرائد والمجلات، القاهرة، السحاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- ٩ - حسن عماد مكاي: تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر

- المعلومات، دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.
- ١٠ - إدريس ولد القابلة: الصحافة وتطورها - لمحة خاطفة، محاضرة بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٣،
okdriss@hotmail.com, http://www.rezgar.com
- ١١ - سعود صالح كاتب: موقع اكتاب نت، الموقع العربي الأول للإعلام الجديد.
- ١٢ - عماد بشير: موقع الصحف الإلكترونية، موقع كوكل.
- ١٣ - هداية درويش: ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الصحافة الإلكترونية، موقع هداية نت.
- ١٤ - ماجدة ريا: الصحافة الإلكترونية، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات على الموقع الآتي: موقع منابر ثقافية
www.manaabr.com
- ١٥ - رضا عبد الواحد أمين: الصحافة الإلكترونية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- ١٦ - محمد عارف: تأثير تكنولوجيا الفضاء والكمبيوتر على أجهزة الإعلام العربية، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٧.
- ١٧ - عادل الأنصاري: الصحافة الإلكترونية - المعايير والضوابط، بحث منشور على موقع: www.islamonline.net
- ١٨ - خالد عبد الملك: الصحافة الإلكترونية، بحث منشور على موقع: www.dr - world.id
- ١٩ - محمود سلطان: الصحف الورقية والإلكترونية، بحث منشور على موقع اليمامة: www.google.com.

المصادر الأجنبية:

- 1 - Encarta Reference Library, CD2003. Press.
- 2 - The New Encyclopaedia Britannia, CD2003. Press.
- 3 - [http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid 47107 =](http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid 47107)
- 4 - [http:// husseinrashed.jeeran.com/archive/2006/6/60528.html](http://husseinrashed.jeeran.com/archive/2006/6/60528.html)
- 5 - <http://usinfo.state.gov/journals/itgic/0306/ijga/peskin.htm>
- 6 - <http://www.anazeera.net/NR/exeres/859487FC-AFA4-44E6-8721-9579EC55B545.htm>
- 7 - <http://www.farajat.com/minbarhur/minbar2006/Omer-Abdu-28-5-06.htm>



عبد الرزاق الهلالي (سيرته ومؤلفاته) (١٩١٦ - ١٩٨٥)

المشرف أ.د. محمد عصفور سلمان

إعداد سجي خضير عباس

المقدمة:

زخر العراق بعدد كبير من المؤرخين، والعلماء، والأدباء، والمفكرين، والسياسيين الذين كان لهم دور فاعل في التكوين الحضاري للبلاد. وقد نال عدد منهم العناية أو التوثيق لسيرته، والتعريف بإنجازاته، لكن القسم الآخر لم ينل ما يستحقه من الدراسة. ومن هنا جاءت أهمية البحث. وبما أن السياسيين أخذوا النصيب الأوفر في الدراسات السابقة، في حين لم تنل الشخصيات الفكرية والثقافية حقها من الدراسة، لذا فإن عبد الرزاق الهلالي واحدٌ من الروّاد الذين يستحقون الدراسة بوصفه مربياً عمل لمدة طويلة في تربية أجيال عديدة، فضلاً عن كونه مؤلفاً وأديباً وموظفاً مخلصاً في أداء واجباته.

تكون البحث في البداية إلى مراحل النشأة الأولى لعبد الرزاق الهلالي وبناء التنشئة الاجتماعية من ولادته وتربيته وتدرجه في العمل الوظيفي ووفاته ومن ثم أهم المؤلفات التي أصدرها خلال مشواره الثقافي والفكري. اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها المخطوطات والتي

تمثلت بالمذكرات الشخصية لعبد الرزاق الهلالي والتي ساعدت الباحثة في تفسير مواقف عدة مرت عليها خلال دراسة هذه الشخصية، أما مخطوط ابنته عالية عبد الرزاق التي دونت فيه حياة والدها ومسيرته الفكرية والثقافية، فقد كانت من المصادر المهمة التي أغنت الباحثة في الكثير من المعلومات. وبالنسبة للكتب العربية فقد كان هناك بعض من الكتب التي تناولت مسيرة الهلالي بشكل ملخص ذاكرة حياته وجزءاً من مسيرته الوظيفية، ومؤلفاته وأهمها حميد المطبوعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق، ج١، وحسان بدر الدين الكاتب، الموسوعة الموجزة، ج١٧، وكانت ذات قيمة كبيرة لما احتوته من معلومات، أما المقابلات الشخصية فعلى الرغم من قلة المعلومات التي حصلت عليها الباحثة من هذه المقابلات، إلا أنها كانت مهمة جداً ونادرة، لا يمكن للباحثة أن تحصل عليها من خلال المصادر والمراجع، لذا فإنها جاءت لتعطي الرسالة سنداً قوياً، إذ يعدّ هؤلاء المعاصرون للهلالي بمثابة شهود عيان على الأحداث التي مرت بحياته، لذلك لا يمكن إغفال دور هذه المقابلات.

الملخص:

يبدو واضحاً أن اهتمام الباحثين بتاريخ الشخصيات ونشاطهم أمر في غاية الأهمية، إذ يمكن من خلال هؤلاء تسليط الضوء على العديد من الجوانب الغامضة في تاريخ البلدان التي ينتمون إليها ويمارسون أدوارهم التاريخية فيها.

ومن خلال دراستنا لموضوع الرسالة، توصلت الباحثة إلى عدد من الاستنتاجات فيما يتعلق بحياة ودور عبد الرزاق الهلالي الثقافي والوظيفي، وهي كالآتي:

إن الهلالي ينتمي إلى أسرة بصرية، ونشأ في أسرة تشجع العلم والمعرفة، فضلاً عن أن لولعه وشغفه في القراءة أثراً كبيراً في تكوين شخصيته إلا أن المؤثر الأكبر في اتجاهاته الفكرية، تمثل بالمتغيرات

والظروف التي شهدها العراق ولاسيما الاحتلال البريطاني للعراق وإفرازاته التي كان لها أثرها البارز، ثم انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، وانتفاضة نيسان - مايس عام ١٩٤١، وعمله الوظيفي في البلاط الملكي وما لمسه من أحداث خلال ذلك العمل، كان لها أثرها في تكوين شخصية الهلالي وبروز منابع الأساسية لتفكيره وتوجهاته المستقبلية.

لقد أسهمت قراءات الهلالي، ومطالعاته باختصاصات مختلفة، التي سعى من خلال ما كتبه إلى تعميق إحساس أبناء وطنه بتاريخهم العريق، ومما زاد من أهمية كتبه أنها كشفت النقاب عن كثير من الحقائق. وقد جاء هذا الإنجاز عبر الأسلوب العلمي المستند إلى البحث والتقصي والتحليل والاستقراء الموضوعي.

أسهم الهلالي في رفد الحياة الثقافية والفكرية في العراق، من خلال مشاركته في النوادي والجمعيات الثقافية ومنها: جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين، وإسهامه في المهرجانات والندوات وإلقائه المحاضرات، كما كانت له علاقات ثقافية واجتماعية مع العديد من الشخصيات العراقية والعربية، ومما يسجل عليه أنه كان يميل إلى الابتعاد عن دائرة الضوء والشهرة شأنه في ذلك شأن الكثير من معاصريه من الرواد، فمن وجهة نظره أن ما قدمه لبلده واجب وطني لا يستحق عليه الشاء أو المديح.

دفعه حبه لمدينته ووطنه وأمته، إلى التفاني في عمله فكان معلماً ومربياً وموظفاً مخلصاً وحريصاً على أداء واجباته بكل صدق، فشغل عدة مناصب إدارية تدرج فيها بناءً على ما أبداه من الخبرة والكفاءة في العمل فضلاً عن سمعته الحسنة، حتى كوّن له رصيداً حافلاً بالأعمال الخالدة، والتي تركت الأثر الطيب في نفوس المثقفين، ومرؤوسيه في العمل، وكان لهذا الرصيد الأثر الكبير في اختياره مديراً عاماً للمصرف الزراعي في بغداد.

ومن النتائج الأخرى التي توصلت إليها الباحثة، أن أهم المجالات التي عرف واشتهر بها الهلالي هو نشاطه الثقافي، فكان للهلالي دور مهم

من خلال تأليفه كتباً غدت مراجع ومصادر مهمة لا يستغني عنها الباحث في دراسة تاريخ العراق المعاصر الثقافي والاقتصادي، وقد تنوعت تلك الكتب في مواضيع شتى فقد كتب في التاريخ، والأدب واللغة، والاهتمام بالشؤون القروية والريفية ومن كتبه المهمة: تاريخ التعليم في العراق الذي ابتدأه من العهد العثماني ولغاية الانتداب البريطاني، ومعجم العراق بجزأيه: الأول والثاني، فضلاً عن عشرات المقالات الصحفية التي تناولت مواضيع شتى منها: السياسية والتاريخية والأدبية والاجتماعية، التي أسهمت في بلورة أفكاره فيما بعد.

ولغاية أيامه الأخيرة بقي الهلالي يتمتع بنشاط وحيوية فاعلين، واستطاع أن يستمر في حياته الأدبية والفكرية من خلال تواصله مع حركة التأليف والنشر في الصحف والمجلات.

وفي الختام لا بدّ من القول إن عبد الرزاق الهلالي، كان كريم النفس يتصف بالرزانة والحكمة في العمل، ويبدو أن الهلالي كان ذا ثقة ووفاء لأصدقائه حريصاً عليهم، ولكن يظهر أنه لم تكن علاقته بأقاربه شديدة التماسك، حيث اقتصر على عدد محدود منهم، ويعود سبب ذلك إلى انتقاله إلى بغداد.

ولادته وتعليمه:

ولد عبد الرزاق مجيد الهلالي، في الأول من تموز عام ١٩١٦^(١)، في محلة يقال لها آنذاك (أم الدجاج)، في البصرة، والتي أبدلتها البلدية فيما بعد باسم (التميمية)، وتسمى (الخندق)^(٢)، ونشأ الهلالي الذي كان تسلسله الثاني بين إخوته وترعرع في بيت والده في البصرة الذي غلب عليه طابع التنظيم وحب العلم وامتهان التجارة، وقد حظي الهلالي برعاية وتشجيع من والده الذي شجعه على اكتساب المعرفة لما لمسه فيه من ذكاء وشغف بالقراءة والمطالعة^(٣).

يمكن القول بأن لأسرة الهلالي دوراً كبيراً في تشجيعه على اكتساب العلم والمعرفة، وزرع البذور الأولى لشخصيته، إلا أنّ اللبنة الأساسية في تكوينه الفكري تعود لمدة دراسته في بغداد، والأحداث التي رافقتها.

التحق بالدراسة الابتدائية أوائل العام ١٩٢٤ - ١٩٢٥، في مدرسة الدبة^(٤)، والتي سميت فيما بعد باسم (مدرسة العشار الابتدائية)^(٥)، وأكمل دراسته الابتدائية فيها^(٦).

باشـر الهـلالي في العام الدراسي ١٩٣٠ - ١٩٣١، طالباً في الصف الأول المتوسط، في المدرسة الثانوية الواقعة بمحلة الكزارة بالعشار. وبرزت مواهبه خلال مرحلة شبابه، فأخذ ينمي شخصيته بقراءة الكتب الثقافية فأحبّ الأدب وتأثر بأساتذته أمثال محمد مهدي الجواهري^(٧)، وحافظ جميل^(٨)، وآخرين^(٩).

بدأت المحاولات الأولى لنظمه الشعر في المرحلة الثانوية، فأخذ يكتب بعض الأبيات الشعرية، ومن تلك التي كتبها:

كم أناجي بوحشتي وافتراقي وأنيني ولوعتي واشتياقي
أنتِ عني رهينة البيت دوماً فكلانا لا يستطيع التلاقي^(١٠)

وكانت له رغبة في المطالعة وتثقيف نفسه، فضلاً عن محاولته الكتابة في بعض الصحف^(١١).

رغب الهلالي بدخول مدرسة الشرطة والحصول على رتبة مفوض لكنه لم يوفق في ذلك، فاضطر إلى إكمال دراسته الثانوية حتى تخرج منها عام ١٩٣٤، ثم التحق للدراسة في دار المعلمين الابتدائية بعد تشجيع أحد أساتذته، فبرزت مواهبه في دار المعلمين في مجال الأدب والتمثيل^(١٢).

التدرج في العمل الوظيفي:

أكمل الهلالي دراسته فخرج في دار المعلمين عام ١٩٣٦، وعين معلماً في مدرسة التهذيب الابتدائية في البصرة، فباشـر الوظيفة في الأول

من تشرين الأول عام ١٩٣٦^(١٣). لم يتوقف طموح الهلالي عند ذلك المستوى من التعليم، وإنما قرر إكمال دراسته في دار المعلمين العالية، فقابل عميد الدار الأستاذ (متي عقراوي)^(١٤)، للسماح له بإكمال دراسته في فرع الآداب واللغة العربية، ولكن عميد الدار أخبره بأن العدد المطلوب للقبول في الفرع قد اكتمل، وليست هنالك فرصة لذلك سوى فرع التربية البدنية، فدخل الهلالي في الفرع الأخير مجبراً^(١٥)، وتابع دراسته في الدار، وكان متفوقاً في دراسته على الرغم من عدم الرغبة الكاملة في ذلك الفرع، حتى أنه كان الأول على زملائه في السنة الأولى، وكان من بين أبرز أساتذته آنذاك: سايد بوتم، وزكي مبارك، وساطع الحصري، ومحمد فاضل الجمالي، وآخرون^(١٦). هذا ويمكن القول بأنه كان لأولئك الأساتذة دور كبير في ترسيخ المبادئ التربوية التي ساهمت في إبداعات الهلالي ونضج تفكيره وشخصيته في السنوات اللاحقة.

سهل طموحه وذكاؤه من مواصلة نشاطه حتى أنه سافر إلى خارج العراق، بعد أن تم اختياره عضواً في الوفد الكشفى الذي أوفدته وزارة المعارف إلى مخيم بلودان الكشفى الذي أقيم في صيف عام ١٩٣٨ في سوريا^(١٧).

سافر الوفد إلى سوريا، وشارك في المخيم الكشفى، وقد لمس الهلالي ما لتلك المشاركة من فائدة الاتصال وتعميق الوعي الوطني والقومي بين الشباب العربي، وأهمية تلك التجمعات الشبابية في تدعيم أواصر المحبة بينهم، وبعد انتهاء المدة المحددة للمخيم الكشفى، عاد الوفد إلى أرض الوطن، فعلم الهلالي بأنه قد رشح من قبل وزارة المعارف ليكون أحد أعضاء وفد الفتوة العراقي، للاشتراك في مهرجان الشبيبة الهتلرية، الذي أقيم في مدينة نورنبرغ الألمانية أواخر عام ١٩٣٨، تلبية لدعوة تلقتهَا وزارة المعارف من الحكومة الألمانية^(١٨).

سافر الوفد إلى ألمانيا، وشارك في المهرجان الذي أقيم هناك، والتقى

الوفد بالزعيم الألماني أدولف هتلر Adolf Hitler^(١٩) وبعض الأعضاء البارزين من الحزب النازي الذين لم يذكر أسماءهم الهلالي في مذكراته، وخلال وجود الوفد هناك قام بزيارة إلى بعض المدن الألمانية، واطلعوا على ما فيها من معالم النهضة الألمانية في مجالات الصناعة والتقدم والعمران^(٢٠).

كاد الوفد أن يستمر في رحلته تلك شهراً إضافياً إلا أن أزمة السودان^(٢١)، التي أشعلت نار الحرب بين ألمانيا وجيكوسلوفاكيا واستجابة إلى أمر الحكومة العراقية بضرورة العودة إلى الوطن، عاد الوفد بعد سفره دامت ثلاثة أسابيع، باشر الهلالي دراسته في دار المعلمين العالية ثانية، إلا أن تلك المباشرة لم تكن إلا أياماً معدودات، إذ وافقت وزارة المعارف على طلب وزارة الدفاع بقبول طلاب فرع التربية البدنية في الدورة الأولى للضباط الإحتياط لكي يتخرجوا ضباطاً لتدريب الشباب، وهكذا التحق الهلالي بتلك الدورة عام ١٩٣٩^(٢٢)، كان ذلك القرار بسبب حاجة الجيش العراقي إلى عدد من الضباط، لاسيما وأن الحرب العالمية الثانية التي امتدت للمدة (١٩٣٩ - ١٩٤٥) قد اشتعلت نيرانها. دامت الدورة ستة أشهر، تخرج الهلالي حاملاً رتبة ملازم ثان احتياط، ونسب للعمل في معسكر المنصور في لواء ديالى، الواقع شمال شرق بغداد، بعد انتهاء مدة خدمة الإحتياط عاد الهلالي إلى الدراسة في دار المعلمين حتى حلت العطلة الربيعية، فرجع الهلالي إلى البصرة بين أهله وأصدقائه وهناك تعرض لالتواء في ساقه، وبعد الفحص تبين بأن ساقه اليسرى أصابها تمزق^(٢٣).

بعد انتهاء العطلة الربيعية، عاد الهلالي إلى بغداد رغبة في تغيير فرعه، لاسيما أن تقرير اللجنة الطبية أوصى بعدم القيام بأي جهد بدني واستناداً إلى ذلك التقرير تم تحقيق رغبة الهلالي فتقرر نقله إلى فرع الآداب واللغة العربية^(٢٤).

باشر الهلالي الدراسة في الاختصاص الجديد، وبسبب نشاطه ورغبته في تلك الدراسة، تلقى توجيهات من بعض أساتذته ومنهم: طه

الراوي^(٢٥)، محمد مهدي البصير^(٢٦)، ونتيجة لاجتهاده في المذاكرة تفوق الهلالي على أقرانه في الفرع، وحصل على معدل (٨٥) في المائة في امتحانات نصف السنة^(٢٧).

وما كاد النصف الثاني ينتهي بسلام إلا أن تأزم الوضع السياسي في البلاد نتيجة لقيام حركة رشيد عالي الكيلاني في مايس ١٩٤١^(٢٨)، فقررت وزارة المعارف تعليق الدراسة حتى إشعار آخر^(٢٩). ونتيجة لتلك الأحداث، قررت وزارة الدفاع دعوة دورة الضباط الاحتياط الأولى للالتحاق بالخدمة العسكرية، وكان الهلالي أحدهم، وبعد فشل حركة مايس ١٩٤١ في تحقيق أهدافها بتشكيل حكومة وطنية في العراق، وسيطرة القوات البريطانية على مقاليد السلطة ثانية، تقرر تسريح الضباط الاحتياط من الخدمة، وكان الهلالي من بين أولئك الضباط^(٣٠).

إزاء تلك الظروف، ومع استمرار الحرب العالمية الثانية قررت وزارة المعارف بالاتفاق مع عمادات الكليات ودور المعلمين بعدم إجراء امتحانات نهائية للطلبة واعتبار نتائج نصف السنة الأساس الذي يعد الطالب فيه ناجحاً أو راسباً^(٣١). وبما أن الهلالي قد حصل على معدل جيد جداً، فقد منح شهادة البكالوريوس الآداب تخصص لغة عربية، من دار المعلمين العالية مع مرتبة الشرف، وأصبح مهياً للتدريس في المدارس الثانوية ودور المعلمين^(٣٢).

باشـر الهلالي في الحادي عشر من تشرين الأول ١٩٤١ في دار المعلمين الريفية في الرستمية، وفي آب ١٩٤٢^(٣٣)، صدر أمر إداري بنقله معاوناً لمدير دار المعلمين الريفية في (أبو غريب)، وعندما ألغيت الدار عُيِّن في الثالث من أيار ١٩٤٣ معاوناً لمدير معهد التربية البدنية^(٣٤)، لم يلبث الهلالي في وظيفته هذه طويلاً، إذ تقرر نقله إلى وزارة الأوقاف لإشغال وظيفة ملاحظ التربية البدنية في ديوان الوزارة بدءاً من السابع من أيلول ١٩٤٤^(٣٥).

استطاع الهلالي بحكم وظيفته الجديدة من إقناع بعض المسؤولين في وزارة المعارف، بضرورة إرسال وفد رياضي من طلاب المدارس الثانوية إلى بعض الأقطار العربية، لتعزيز التعاون الرياضي والثقافي بين الشباب العربي، وبالفعل تم الاتفاق مع بعض الأقطار العربية كسوريا ولبنان والأردن، بينما رفض المسؤولون في مصر استقبال الوفد العراقي، ويرجع ذلك إلى سوء العلاقة بين رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس^(٣٦)، ونوري السعيد^(٣٧) رئيس وزراء العراق آنذاك.

سافر الوفد إلى بيروت برئاسة الهلالي، وأجريت لقاءات رياضية وثقافية بين الشباب العربي، ثم أكمل الوفد زيارته قاصداً دمشق فحل بها في التاسع من آذار ١٩٤٤، وقام الوفد بزيارة إلى القصر الجمهوري والمجلس النيابي وديوان مجلس الوزراء السوري، وألقى الهلالي خلالها كلمة أمام الجموع الحاضرة وعلى رأسهم رئيس الوزراء السوري سعد الله الجابري^(٣٨) مستهلاً خطابه عن أهمية تلك الزيارة في تقوية الروابط بين الدولتين، وما للشباب من دور في ذلك، فشكر رئيس الوزراء السوري رئيس وأعضاء الوفد العراقي، وأكد ما لتلك الزيارة من أثر في تعميق روح التعاون بين الشباب العربي ودورهم في تطور البلاد العربية^(٣٩).

وفي العاشر من أيلول للعام ١٩٤٦، أوفد الهلالي ثانية من قبل وزارة المعارف إلى بريطانيا، للاطلاع على معالم تطور الحركة الكشفية والشبابية في بريطانيا، فزار الوفد بعض المؤسسات الشبابية والمخيمات الكشفية وبعض كليات التربية البدنية، كما حضر الوفد مؤتمر الشباب العالمي الذي انعقد هناك^(٤٠).

وفي الخامس والعشرين من شهر أيلول ١٩٤٦، عاد الوفد إلى بغداد، وعلى الرغم من العمل والجهد الذي أداه الهلالي في ديوان الوزارة، فقد تقرر نقله إلى وزارة الشؤون الاجتماعية بحجة عدم الاختصاص، فعين ملاحظاً في مديرية العمل والشؤون الثقافية أواخر عام ١٩٤٦^(٤١)، ولم

يتوقف طموح الهلالي في الحصول على شهادة البكالوريوس في الآداب (اللغة العربية)، إنما كان له طموح في دراسة القانون وتحقيق له ذلك فعلاً عندما قررت وزارة المعارف في العام ١٩٤٦، فتح دراسة مسائية في كلية الحقوق، فانتهاز الهلالي هذه الفرصة لتحقيق طموحه، وبأشر الدراسة فيها بانتظام^(٤٢) إذ كان يتردد على المقهى البرازيلية^(٤٣)، مكاناً للقراءة والالتقاء ببعض المثقفين^(٤٤).

وخلال دراسته تزوج الهلالي عام ١٩٤٦ من باكزة النواب (١٩٢٢ - ٢٠١٢م) من عائلة النواب في الكرخ والتي يرجع نسبها إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(٤٥).

رزق الهلالي منها خمس بنات وولداً واحداً وهم: (نضال وانتصار وسلامة وعالية وإيمان وعلي)^(٤٦)، واهتم الهلالي، على الرغم من مشاغله الكثيرة بوظيفته ودراسته وكتابة المقالات بمتابعة كل تفاصيل حياة أبنائه، وكان يشجعهم ويحثهم على الدراسة وإتقان واجباتهم، ولم يفرض آراءه ووجهات نظره على توجهاتهم، بل كان يترك لهم حرية الاختيار^(٤٧).

إن السنوات التي أمضاها الهلالي في مجال عمله وكثرة تنقلاته التي تركت أثراً عليه، لم تقلل من حرصه وتفانيه والتزامه في أداء واجباته سواء في الإدارة أو في التدريس، وبسبب التزامه وتميزه وجهده في الأداء من خلال عمله الوظيفي، صدر أمر بنقله في عام ١٩٤٧ إلى دائرة البلاط الملكي، بعد تزكيته من رئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان^(٤٨)، بصفة مساعد لرئيس التشريفات الملكية^(٤٩).

باشير الهلالي عمله في البلاط الملكي، وكان الوصي عبد الإله^(٥٠)، على عرش العراق آنذاك. ويقوم الهلالي كغيره من العاملين في البلاط الملكي بالعديد من الواجبات، إذ تم تكليفه بإنجاز بعض المهام الاجتماعية

المتمثلة بحضور مجالس الفاتحة المقامة على أرواح بعض الشخصيات المهمة في بغداد، وزيارة المرضى، وكذلك الترحيب بالقادمين إلى البلاط^(٥١).

وقد حدث مع بداية عمل الهلالي في البلاط، أن قام كل من رئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري^(٥٢)، ورئيس وزرائه رياض الصلح^(٥٣)، بزيارة إلى العراق، فكانت تلك أول زيارة رسمية جمع بها الهلالي معلوماته عن طبيعة العمل والمراسم المتبعة في دائرة التشرifiات لاسيما من حيث تنظيم جلوس المدعوين على المائدة كل حسب قدمه^(٥٤).

كان الهلالي يتسم بالذكاء وحسن التنظيم^(٥٥)، إذ يظهر دائماً بمظهر لائق ببذلة وربطة عنق، كما إنه هادئ الطبع، صدره رحب، كما اتصف بالصدق والإخلاص، فضلاً عن تفانيه في أداء عمله^(٥٦)، مما أكسبه تقدير واحترام الجميع، ونتيجة لذلك حصل على (وسام الأرز الوطني) من الرئيس اللبناني^(٥٧).

كان الهلالي يتسم بالتواضع والإخلاص في عمله^(٥٨)، وحب الآخرين وتسامحه معهم^(٥٩)، وذا رأي صائب^(٦٠)، وبسبب تلك السمات الجيدة وتقديراً لجهوده ومثابرته حصل الهلالي أيضاً على وسام الرافيدين من الدرجة الخامسة من النوع المدني الذي يمنح إلى الموظفين المتميزين في البلاط الملكي^(٦١).

وفي عام ١٩٥١ تخرج الهلالي من كلية الحقوق، حاصلاً على شهادة البكالوريوس في القانون^(٦٢)، وبعد ثلاث سنوات من حصوله على شهادة الحقوق نقل الهلالي إلى دار الإذاعة، ونسب مديراً لها بتاريخ الأول من تموز عام ١٩٥٤، وبقي في عمله هذا أربعة وأربعين يوماً فقط، ومن البرامج التي قدمها في دار الإذاعة: برنامج (في مجرى الأحداث) الذي كان يتناول الأحداث السياسية التي تمر بها البلاد العربية، وبرنامج (إياك

أعني واسمعي يا جارة) الذي كان يروي بعض القصص الشعبية الهادفة^(٦٣). كان للهاللي طموح للمشاركة في الحياة السياسية من خلال المشاركة في الانتخابات لأعضاء مجلس النواب العراقي، ولذلك حصل على إجازة أمدها مئة وعشرون يوماً لتهيئة نفسه، فسافر إلى البصرة لغرض الترشيح للانتخابات^(٦٤)، والتي تحدد موعدها في التاسع من حزيران ١٩٥٤^(٦٥)، لكن متصرف البصرة طلب منه الانسحاب وقال له بالنص: «إننا نريد أن نخرج النواب بالتزكية فلا تزعجنا يا أستاذ»، فاضطر الهاللي على أثر ذلك إلى الانسحاب^(٦٦).

في الرابع من كانون الثاني ١٩٥٥، صدر أمر بنقل الهاللي لإشغال منصب معاون مدير المصرف الزراعي^(٦٧)، وأثناء عمله في المصرف تم إيفاده إلى لندن وأكسفورد عام ١٩٥٦، لمدة عشرة أيام للمشاركة في دورة مشكلات التنمية الاقتصادية، وفي عام ١٩٥٧، تم إيفاده إلى السودان والأردن للاطلاع على تجربة البلدين في المشروع العربي الزراعي للاستفادة من تلك الخبرات، فسافر الوفد وعلى رأسه الهاللي وشارك في المؤتمرات التي أقيمت هناك وقدم تقريره للجهات المسؤولة بشأن ذلك المؤتمر، وبعد عودة الوفد إلى بغداد في الحادي عشر من أيلول ١٩٥٧، تلقى الهاللي دعوتين: إحداها من رئيس الهيئة الدولية للتعليم الريفي في البلاد العربية، والأخرى من دائرة التدريب في الجامعة الأمريكية للمشاركة في الحلقة الاجتماعية التي أقيمت في لبنان لمناقشة شؤون الريف في البلاد العربية^(٦٨)، لكن تلك الدعوة بقيت حبراً على ورق.

وبعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨^(٦٩)، صدرت أوامر من مجلس الوزراء بفصل أعداد من كبار الموظفين لأسباب سياسية، وكان الهاللي أحدهم ومدة الفصل كانت سنتين بموجب قرار مجلس الوزراء الصادرة في الثالث والعشرين من آب ١٩٥٨، قدم الهاللي طلباً إلى لجنة الاعتراضات العليا الخاصة بالمفصولين في ديوان مجالس الوزراء،

فأصدرت اللجنة على أثره قراراً يقضي بأن ذلك الفصل غير منصف^(٧٠)، فصدر أمر بتعيين الهلالي رئيس المفتشين في المصرف الزراعي في الحادي والثلاثين من آب ١٩٦٠^(٧١).

وفي عام ١٩٦٥، أصدرت وزارة الإصلاح الزراعي أمراً بتعيين الهلالي مديراً عاماً للمصرف الزراعي بالوكالة، وبقي شاغلاً هذا المنصب عدة أشهر، وفي أواخر عام ١٩٦٦م صدر أمر بتعيين الهلالي مديراً عاماً للمصرف^(٧٢).

بتاريخ الرابع من تشرين الثاني ١٩٦٩، صدر أمر بإحالة الهلالي على التقاعد^(٧٣)، بعد أن خدم في العديد من الدوائر الحكومية ما يقارب الثلاثين عاماً.

وفاته وراثؤه:

في منتصف تموز من العام ١٩٨٥، أصيب الهلالي بكسر في ساقه ومكث شهرين في المستشفى، وبعد التئام الكسر أصيب بجلطة، فضلاً عن معاناته من عجز الكليتين، وعلى أثرها توفي في صبيحة يوم السابع والعشرين من أيلول ١٩٨٥، في مستشفى مدينة الطب، وشيّع إلى مثواه في النجف الأشرف مودعاً أحباءه وأصدقاءه بعد أن أفنى عمره في خدمة بلاده^(٧٤).

نعتة عدد من الصحف والمجلات العربية والعراقية، وفضلاً عن ذلك نعاه أصدقاؤه ومحبه، فقد جاء في مراثية قدمها زميله علي عبد الأمير الحيدري قال في مطلعها:

غربت ولم يغرب نضالك والفكر ولا العزمات الغرّ والقلم الحر
كذا الشمس أن تأفل ينر بعدها الدجى هلال... فبدر... ثم يعقبه الفجر
كتبت فوفيت المعارف حقها وصنت حقوق العلم يا أيها البر^(٧٥)

فكان ما تركه من إرث فكري وثقافي يدل على الدور المتميز والواضح لهذه الشخصية.

مؤلفاته المنشورة وغير المنشورة من الكتب:

- (١) صور وأحاديث اجتماعية.
- (٢) أربعون يوماً في لندن.
- (٣) ولادة وابن زيدون.
- (٤) الزهاوي بين الثورة والسكوت.
- (٥) الشاعر الثائر محمد باقر الشيبلي.
- (٦) أدباء المؤتمر.
- (٧) زكي مبارك في العراق.
- (٨) مختارات الزهاوي من عيون الشعر.
- (٩) الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر.
- (١٠) الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية.
- (١١) نظرات في إصلاح الريف.
- (١٢) مشاكل الائتمان الزراعي في العراق.
- (١٣) الهجرة من الريف إلى المدن في العراق.
- (١٤) الريف والإصلاح الاجتماعي في العراق.
- (١٥) قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي.
- (١٦) المجتمع الريفي العربي والإصلاح الزراعي.
- (١٧) معجم العراق جزأين الأول والثاني.
- (١٨) AMODERN GUIDE TO IRAQ (دليل العراق الحديث باللغة الانكليزية).
- (١٩) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨ - ١٩١٧).
- (٢٠) تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤ - ١٩٢١).

(٢١) تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني (١٩٢١ - ١٩٣٢).

(٢٢) من حديث الذكريات (سبع سنوات في التشرifications الملكية).

(٢٣) دراسات وتراجم عراقية.

(٢٤) قال لي هؤلاء.

الخاتمة:

يبدو واضحاً أن اهتمام الباحثين بتاريخ الشخصيات ونشاطهم أمر في غاية الأهمية، إذ يمكن من خلال أولئك تسليط الضوء على العديد من الجوانب في تاريخ البلدان التي ينتمون إليها ويمارسون أدوارهم التاريخية فيها.

ومن خلال دراستنا لعنوان البحث، توصلت الباحثة إلى عدد من الاستنتاجات فيما يتعلق بحياة عبد الرزاق الهلالي ومؤلفاته، وهي كالآتي:

إن الهلالي ينتمي إلى أسرة بصرية، تشجع العلم والمعرفة، فضلاً عن أن لولعه وشغفه في القراءة أثراً كبيراً في تكوين شخصيته، إلا أن المؤثر الأكبر في اتجاهاته الفكرية، تمثل بالمتغيرات والظروف التي شهدتها العراق ولاسيما الاحتلال البريطاني له وإفرازاته التي كان لها أثرها البارز، ثم انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، وحركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وعمله الوظيفي في البلاط الملكي وما لمسه من أحداث خلال ذلك العمل، كان لها أثرها في تكوين شخصية الهلالي وبرزو المنابع الأساسية لتفكيره وتوجهاته المستقبلية.

لقد أسهمت قراءات الهلالي، ومطالعته باختصاصات مختلفة. التي سعى من خلال ما كتبه إلى تعميق إحساس أبناء وطنه بتاريخهم العريق. ومما زاد من أهمية كتبه أنها كشفت النقاب عن كثير من الحقائق. وقد جاء هذا الإنجاز عبر الأسلوب العلمي المستند إلى البحث والتقصي والتحليل والاستقراء الموضوعي.

لقد أسهم الهلالي في رفد الحياة الثقافية والفكرية في العراق، من خلال مشاركته في النوادي والجمعيات الثقافية ومنها: جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين، وإسهامه في المهرجانات والندوات وإلقاءه المحاضرات، كما كانت له علاقات ثقافية واجتماعية مع العديد من الشخصيات العراقية والعربية، ومما يسجل عليه أنه كان يميل إلى الابتعاد عن دائرة الضوء والشهرة شأنه في ذلك شأن الكثير من معاصريه من الرواد، فمن وجهة نظره أن ما قدمه لبلده واجب وطني لا يستحق عليه الثناء أو المديح.

Abstract:

Iraq has abounded in a large number of historians, scientists, writers, thinkers and politicians who have had a vital role in the cultural formation of the country. Many of them have acquired the interest, documentation of their biography and prominence has been given to their accomplishments. But others have not gained the study they deserve. Therefore University of Diyala has taken it upon itself to introduce the Iraqi figures with the intention to introduce them and their activity to the new generation. Since the politicians have taken the largest share in the previous studies while the intellectual and cultural figures have not, thus Abdul Razzaq Al-Hilali is one of the pioneers who deserves the study as an educator who worked for a duration of time in preparing the future generation, and an author, writer and employee who is sincere in performing his duty.

His biography and writings have been discussed in the research which have been considered as important references in various topics that the researcher may need in his historical, social, economic and literary writings.



قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم خليل العلاف، الأستاذ عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥) باحثاً ومؤرخاً وأديباً وشاعراً، مقال منشور على شبكة الانترنت: w.w.w.allaftospot.com
- إبراهيم القيسي، الهلالي ذخيرة تراثية غنية، مقال منشور على شبكة الانترنت: almada.com
- حسان بدر الدين الكاتب، الموسوعة الموجزة، ج١٧، دمشق ١٩٨٢.
- حميد المطيعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق، ج١، مؤسسة الزمان للنشر، بغداد، د.ت.
- خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين)، ج٣، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت - ٢٠٠٢.
- راضي حكيم، حوار مع الأديب العراقي عبد الرزاق الهلالي، البيان (مجلة)، العدد ١٤٥، الكويت، نيسان - ١٩٨٠.
- رحيم كاظم أحمد، محمد فاضل الجمالي ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى عام ١٩٨٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة البصرة - ١٩٩٨.
- رشيد الرماحي، عبد الرزاق الهلالي الذكريات والمذكرات، مجلة ألف باء، العدد ٦١٧، بغداد، ٢٣/٧/١٩٨٠.

- رفعت السعيد، مصطفى النحاس السياسي والزعيم والمناضل، دار القضايا للنشر، بيروت، د.ت.
- دفتر الخدمة لعبد الرزاق الهلالي، للعام ١٩٦٢.
- سعد محسن العبيدي، رياض الصلح ودوره السياسي حتى عام ١٩٥١، رسالة ماجستير، معهد التأريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد ٢٠٠١.
- سلمان هادي آل طعمة، ذكرياتي مع أدباء بغداد، مجلة أوراق فراتية، العدد الرابع، السنة الرابعة، ٢٠١٣.
- شامل عناد حسن، العلاقات الألمانية الفرنسية ما بين الحربين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - ٢٠٠١.
- شيرين رحيم كريم، متي عقراوي ودوره الفكري والسياسي في العراق (١٩٠١ - ١٩٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - ٢٠١٢.
- صحيفة الجمهورية، العدد ١٤٨٣، بغداد، ٦ نيسان ١٩٨٥.
- صحيفة الجمهورية، العدد ٣، بغداد، ١٥ كانون الأول ١٩٨٣.
- صحيفة المؤتمر، العدد ٢٨٨٩، بغداد، ٩ كانون الثاني ٢٠١٣.
- عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٠)، مخطوط غير منشور، بغداد - ٢٠١٢.
- عباس غلام حسين، محمد مهدي الجواهري ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٧٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية - ٢٠٠٦.
- عبد الحسين الغراوي، نهر الخندق في البصرة تميز بكثرة جسوره وتحديث عنه الرحالة المستشرقون، مقال منشور على شبكة الانترنت: alamedapaper.net

- عبد الرزاق أحمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، بغداد ١٩٨٧.
- عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، مخطوط غير منشور ١٩٥٨.
- عبد الهادي كريم الخماسي، عبد الإله (١٩٣٩ - ١٩٥٨) دراسة تاريخية سياسية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت - ٢٠٠١.
- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج٣، د.م، بيروت.
- عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١، المكتبة المصرية، القاهرة، د.ت.
- علي عبد الأمير الحيدري، فيا لك من سيف (مرثية في الصديق الكاتب عبد الرزاق الهلالي)، مخطوط غير منشور، بغداد - ١٩٩٣.
- علي كاظم حمزة، محمد مهدي البصير ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية تربية، جامعة بابل - ٢٠٠٦.
- مجدي سيد عبد العزيز، موسوعة المشاهير، الكتاب الثاني، ط١، الأمين للطباعة، القاهرة ١٩٩٦.
- قحطان حميد كاظم، وزارة الداخلية العراقية (١٩٣٩ - ١٩٥٨)، المطبعة المركزية، جامعة ديالى - ٢٠١٢.
- محمد صالح الزيايدي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البصرة من خلال كتاب الرحالة الهندي كي أم. كرسنجي (١٩١٦ - ١٩١٧م)، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٣، المجلد الثاني، البصرة - ٢٠١٢.
- محمد عصفور سلمان، المختصر في سيرة وتاريخ أهل البيت (عليه السلام)، المطبعة المركزية، جامعة ديالى، ٢٠١٢.
- مأمون شاکر إسماعيل، أحمد مختار بابان ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - ١٩٩٩.

- مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج١، ط١، دار الحكمة، بغداد - ١٩٩٤.
- محمد حمدي الجعفري، نهاية قصر الرحاب (تفاصيل ما حدث ليلة ١٤ تموز)، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد - ١٩٨٩.
- مقابلة شخصية مع عالية عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائنة في بغداد، بتاريخ ٢٠١٤/٤/١.
- مقابلة شخصية مع علي عبد الرزاق الهلالي في داره الكائنة في بغداد، بتاريخ ٢٠١٤/٤/١.
- مقابلة شخصية مع د. سلمان هادي آل طعمة في داره الكائنة في كربلاء، بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٣.
- مقابلة شخصية مع د. محسن الشيخ راضي في داره الكائنة في بغداد، بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٧.
- مقابلة شخصية مع نضال عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائنة في بغداد، بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٣.
- كتاب قبول عبد الرزاق الهلالي في كلية الحقوق.
- هوية الأحوال المدنية لعبد الرزاق الهلالي.



المصدر: مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٧١)، ٢٠١٦، ص ٥٢٨ - ٥٤٩.

هوامش البحث

- (١) هوية الأحوال المدنية لعبد الرزاق الهلالي.
- (٢) عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها الأنهار من كل جانب، فمن الشرق شط العرب ومن الشمال نهر الرباط ومن الجنوب نهر الخندق ومن الغرب الشاخات والجداول المتفرعة من نهر الرباط الكبير ومن نهر الخندق. ينظر: عبد الحسين الغراوي، نهر الخندق في البصرة تميز بكثرة جسوره وتحدث عنه الرحالة المستشرقون، مقال منشور على شبكة الانترنت: alameda paper.net.
- (٣) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، مخطوط غير منشور، بغداد - ٢٠١٢، الورقة ١.
- (٤) لكونها قد أشغلت البناية التي كانت مخزناً للبارود في العهد العثماني لذلك سماها الانكليز (depot)، أي مخزن ولهذا أطلق عليها اسم الدبة. عالية عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص ٢.
- (٥) محمد صالح الزياي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البصرة من خلال كتاب الرحالة الهندي كي آم كرستجي (١٩١٦ - ١٩١٧م)، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٣، المجلد الثاني، البصرة - ٢٠١٢، ص ٨٣.
- (٦) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ٥.
- (٧) محمد مهدي الجواهري: ولد في النجف الأشرف عام ١٨٩٩، ونشأ فيها وأخذ علوم اللغة والأدب من أساتذة كبار، فنبغ في الشعر وبدأ ينشر قصائده عام ١٩١١ في صحف الاستقلال والعراق وغيرها من صحف بغداد، عين معلماً في بعض مدارس الكاظمية، ولم يلبث أن نقل موظفاً بدائرة التشرifications في البلاط الملكي، فاستقال من الوظيفة بعد ثلاث سنوات، لقب بشاعر العرب الأكبر، توفي عام ١٩٩٧م. للتفاصيل يراجع: عباس غلام حسين، محمد مهدي الجواهري ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٧٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية ٢٠٠٦.
- (٨) حافظ جميل: ولد في بغداد عام ١٩٠٨، وأكمل دراسته الابتدائية فيها ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٢٥، فنال شهادة البكالوريوس في العلوم عام ١٩٢٩، عين مدرساً في دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٣٠، استقال من التدريس في شباط ١٩٣٢ عمل في العديد من الوظائف الحكومية حتى اعتزل الخدمة عام ١٩٣٢، توفي في بغداد عام ١٩٨٤. للتفاصيل يراجع: مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج ١، ط ١، دار الحكمة، بغداد ١٩٩٤، ج ٢، ص ٣٩٧.
- (٩) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، مخطوط غير منشور ١٩٥٨، الورقة ٣.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ٤.

- (١١) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ٥.
- (١٢) المصدر نفسه، الورقة ٦.
- (١٣) دفتر الخدمة لعبد الرزاق الهلالي، للعام ١٩٦٢.
- (١٤) متي عقراوي: ولد في الموصل عام ١٩٠١، انتقل إلى بيروت ودخل إعدادية تابعة للجامعة الأميركية سنة ١٩٢٠، وتخرج منها، ثم دخل الجامعة ذاتها حاصلاً على البكالوريوس في التربية سنة ١٩٢٥، ثم رجع إلى بغداد فنال منصب في دار المعلمين ثم سافر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية فنال الماجستير والدكتوراه في الفلسفة، شغل منصب أول رئيس لجامعة بغداد عام ١٩٥٧، توفي في عام ١٩٨٢. للتفاصيل يراجع: شيرين رحيم كريم، متي عقراوي ودوره الفكري والسياسي في العراق (١٩٠١ - ١٩٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - ٢٠١٢.
- (١٥) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ٥.
- (١٦) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ٥.
- (١٧) صحيفة الجمهورية، العدد ١٤٨٣، بغداد، ٦ نيسان ١٩٨٥.
- (١٨) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ٧.
- (١٩) أدولف هتلر (Adolf Hitler): ولد في الثاني من نيسان ١٨٨٩، في مدينة برونو على الحدود النمساوية - الألمانية، عمل مع والده في الكمارك، وبسبب مهنته المتنقلة فقدت عائلته الاستقرار، فشل في دخول أكاديمية الفنون الجميلة، وفشل أيضاً في دخول المدرسة المعمارية ليترك عائلته ويقيم في فيينا، فسح اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) المجال له للتخلص من معاناته وارتضاء لطموحه، فانخرط في العمل العسكري حتى أصبح فيما بعد زعيم ألمانيا، انتحر عام ١٩٤٥. للتفاصيل يراجع: مجدي سيد عبد العزيز، موسوعة المشاهير، الكتاب الثاني، ط١، الأمين للطباعة، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٥٧.
- (٢٠) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ٨.
- (٢١) أزمة السودان: كانت لدى هتلر دوافع عديدة جعلته يفكر في احتلال جيكوسلوفاكيا لاسيما بعد أن أدرك موقعها الجغرافي وأن الجيش الألماني سيتدفق إلى أوروبا الوسطى والشرقية، والالتفات حول بولندا وإزالة أي تهديد للأراضي النمساوية على الرغم من أن ألمان السودان لم يكونوا يشكلون أي تهديد على وحدة جيكوسلوفاكيا في بداية الأمر إلا أن ذلك الاستقرار لم يدم، فقد تفاقمَت المشكلة في الوقت الذي شهدت فيه جيكوسلوفاكيا تنامياً في قواتها العسكرية وتزايداً في عدد سكانها. للتفاصيل يراجع: شامل عناد حسن، العلاقات الألمانية الفرنسية ما بين الحربين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - ٢٠٠١، ص ٥٧.

- (٢٢) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ٩.
- (٢٣) المصدر نفسه، الورقة ١١.
- (٢٤) المصدر نفسه، الورقة ١٢.
- (٢٥) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ٩.
- (٢٦) طه الراوي: ولد عام ١٨٩٠ في بلدة راوة في محافظة الأنبار والتحق بدار المعلمين التي افتتحت عام ١٩١٧، فعين في الدار وأصبح أستاذاً للآداب العربية وتاريخ الإسلام، توفي عام ١٩٤٦ في بغداد. للتفاصيل يراجع: مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج ١، ط ١، دار الحكمة، بغداد ١٩٤٤، ص ٢٨٤.
- (٢٧) محمد مهدي البصير: من أعلام الأدب العربي العراقي الحديث، نشأ في عائلة دينية في النجف الأشرف، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وامتحن الخطابة على المنابر الحسينية ونال العديد من المناصب في التدريس. للتفاصيل يراجع: علي كاظم حمزة، محمد مهدي البصير ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية تربية، جامعة بابل ٢٠٠٦.
- (٢٨) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٠.
- (٢٩) للتفاصيل عن الحركة يراجع: عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١، المكتبة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١٥.
- (٣٠) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٠.
- (٣١) المصدر نفسه، الورقة ١١.
- (٣٢) المصدر نفسه، الورقة ١٢.
- (٣٣) حسان بدر الدين الكاتب، الموسوعة الموجزة، ج ١٧، دمشق - ١٩٨٢، ص ٨٢.
- (٣٤) دفتر الخدمة لعبد الرزاق الهلالي للعام ١٩٦٢.
- (٣٥) راضي حكيم، حوار مع الأديب العراقي عبد الرزاق الهلالي، البيان (مجلة)، العدد ١٤٥، الكويت، نيسان - ١٩٨٠، ص ٦٢.
- (٣٦) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث الأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ١٥.
- (٣٧) مصطفى النحاس: أحد أبرز السياسيين المصريين في القرن العشرين، ولد عام ١٨٧٦ في مصر تعلم ودرس فيها، تولى منصب رئيس وزراء مصر ورئيساً لمجلس الشعب المصري، ساعد في تأسيس حزب الوفد المصري وعمل زعيماً له عام ١٩٢٧، إلى عام ١٩٥٢، أسهم كذلك في تأسيس الجامعة العربية، توفي عام ١٩٦٥. للتفاصيل يراجع: رفعت السعيد، مصطفى النحاس السياسي والزعيم والمناضل، دار القضايا للنشر، بيروت، د.ت، ص ٣٤.
- (٣٨) نوري السعيد: ولد في بغداد عام ١٨٨٨، من عائلة من الطبقة الوسطى كان والده يعمل في أحد الدوائر في العهد العثماني، درس في الأكاديمية العسكرية في

اسطنبول، وتخرج برتبة ملازم في الجيش العثماني، شغل العديد من المناصب في العراق، وشكل أربع عشرة وزارة، تولى منصب وزير الدفاع في أغلب الوزارات، توفي عام ١٩٥٨. للتفاصيل يراجع: عبد الرزاق أحمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، بغداد - ١٩٨٧.

(٣٩) سعد الله الجابري: ولد عام ١٨٩٢ بحلب في سوريا، تلقى علومه الابتدائية فيها، دخل في حركة حقوق الإنسان، ويعد من مؤسسي الحركة الوطنية عام ١٩٢٧، انضم إلى حزب الشعب عام ١٩٤٤، انتخب نائباً في حلب ثم انتخب بعد ذلك لرئاسة مجلس الوزراء. للتفاصيل يراجع: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج ٣، د.م، بيروت، ص ١٦٤.

(٤٠) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٠.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٤٢) كتاب قبول عبد الرزاق الهلالي في كلية الحقوق.

(٤٣) إحدى مقاهي بغداد، يقع وسط شارع الرشيد، كان مجمعاً لطلاب الكليات والأدباء والشعراء ليتبادلوا آخر أخبار الآداب والثقافة.

(٤٤) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٦.

(٤٥) الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): أحد أعلام المسلمين والإمام السابع عند الشيعة الإمامية، والده الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، أحد فقهاء المسلمين، قضى جزءاً من حياته في سجون حكام بني العباس، عاصر مرحلة حاسمة من تاريخ المسلمين، يكنى بأبي إبراهيم وأبي الحسن، ومن ألقابه الكاظم وباب الحوائج وسيد بغداد. للتفاصيل يراجع: محمد عصفور سلمان، المختصر في سيرة وتاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، المطبعة المركزية، جامعة ديالى، ٢٠١٢، ص ٩٠ - ٩٨.

(٤٦) مقابلة شخصية مع علي عبد الرزاق الهلالي في داره الكائن في بغداد، بتاريخ ١/٤/٢٠١٤.

(٤٧) مقابلة شخصية مع نضال عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائن في بغداد، بتاريخ ٢٣/٣/٢٠١٤.

(٤٨) أحمد مختار بابان: سياسي عراقي ولد عام ١٩٠٠، ويرجع نسبه إلى سلالة بابان وهي من الأسر الكردية شمال العراق، تولى مناصب مختلفة فكان نائباً ووزيراً ورئيساً للديوان الملكي اختير رئيساً للوزراء في ظل الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن عام ١٩٥٨، توفي في عام ١٩٧٦. للتفاصيل يراجع: مأمون شاكر إسماعيل، أحمد مختار بابان ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٩٩.

(٤٩) رشيد الرماحي، عبد الرزاق الهلالي الذكريات والمذكرات، مجلة ألف باء، العدد ٦١٧، بغداد، ٢٣/٧/١٩٨٠، ص ٣٩.

(٥٠) عبد الإله: ولد عام ١٩١٣، في مدينة الطائف في الحجاز، وهو ابن الملك

الحجازي علي بن الحسين شقيق الملك فيصل الأول؛ تلقى تعليمه في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر عام ١٩٣٩، اختير وصياً على عرش العراق بعد مقتل الملك غازي. توفي عام ١٩٥٨. للتفاصيل يراجع: عبد الهادي كريم الخماسي، عبد الإله (١٩٣٩ - ١٩٥٨)

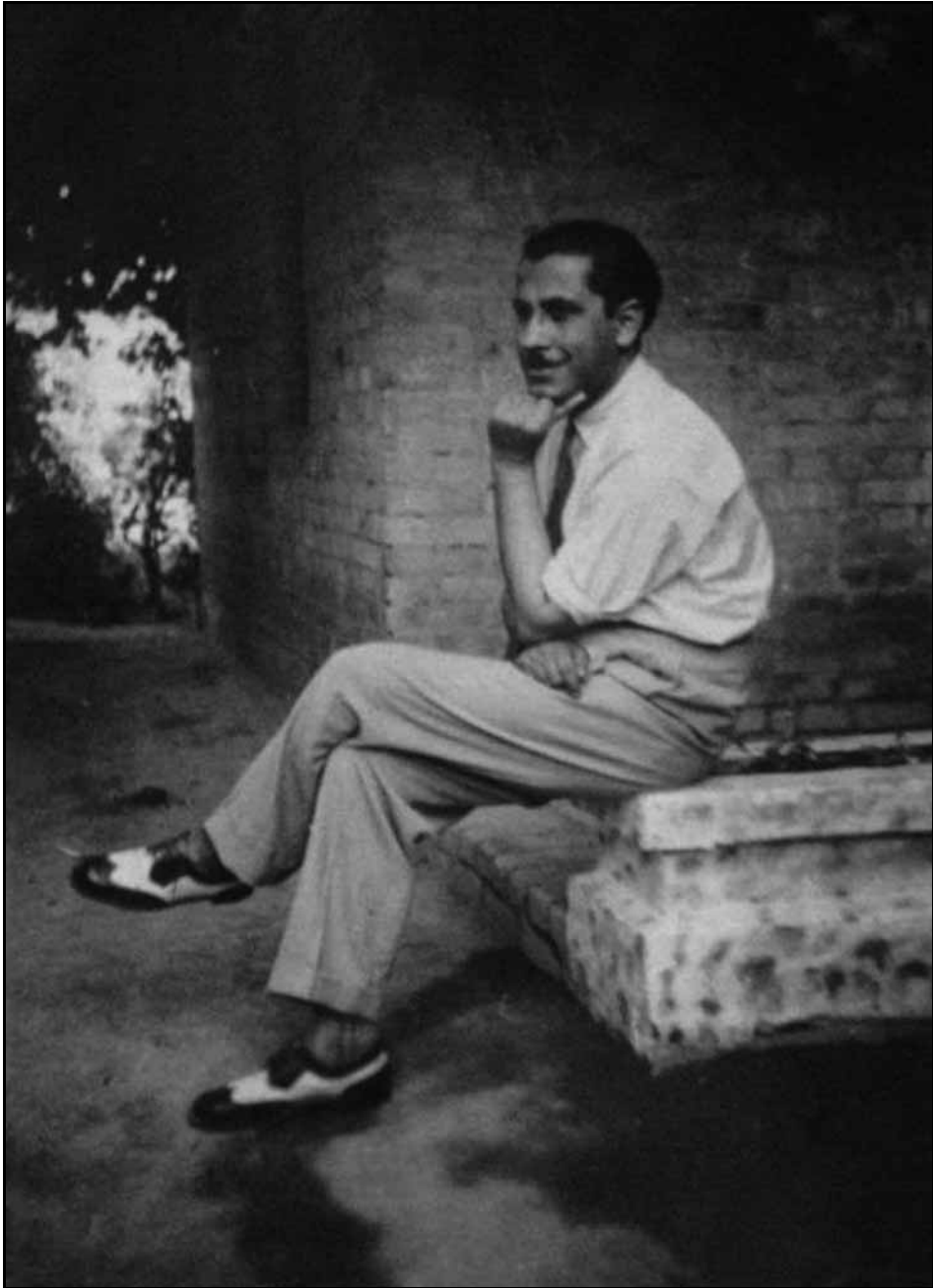
- دراسة تاريخية سياسية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت - ٢٠٠١.
- (٥١) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٨.
- (٥٢) بشارة الخوري: ولد عام ١٨٩٠ في لبنان، وهو أول رئيس للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال، ينعت بأبي الاستقلال، تعلم في باريس وحصل على شهادة البكالوريوس في الحقوق واحترف المحاماة، شارك في تأسيس (حزب التقدم).
- اختير في عهد الانتداب الفرنسي وزيراً للداخلية عام ١٩٢٧، ثم رئيساً للوزراء في الحادي والعشرين من أيلول ١٩٤٣. للتفاصيل يراجع: خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين)، ج ٣، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت - ٢٠٠٢، ص ٥٣.
- (٥٣) رياض الصلح: ولد عام ١٨٩٣ في صور بلبنان، درس الحقوق في الآستانة اتصل بالحركة العربية، انضم إلى المنتدى الأدبي، ثم انضم كذلك إلى العربية الفتاة، تولى رئاسة الوزراء اللبنانية عام ١٩٤٣، عمل مع بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية على تعديل الدستور، اغتيل عام ١٩٥١ في مطار عمان. للتفاصيل يراجع: سعد محسن العبيدي، رياض الصلح ودوره السياسي حتى عام ١٩٥١، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد - ٢٠٠١.
- (٥٤) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث والأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ٢٠.
- (٥٥) مقابلة شخصية مع د. سلمان هادي آل طعمة في داره الكائن في كربلاء، بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٣.
- (٥٦) سلمان هادي آل طعمة، ذكرياتي مع أدباء بغداد، مجلة أوراق فراتية، العدد الرابع، السنة الرابعة، ٢٠١٣، ص ١١٦.
- (٥٧) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٢.
- (٥٨) مقابلة شخصية مع عالية عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائن في بغداد، بتاريخ ٢٠١٤/٤.
- (٥٩) صحيفة المؤتمر، العدد ٢٨٨٩، بغداد، ٩ كانون الثاني ٢٠١٣.
- (٦٠) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث والأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ١٦.
- (٦١) صحيفة الجمهورية، العدد ٣، بغداد، ١٥ كانون الأول ١٩٨٣.
- (٦٢) المصدر نفسه.
- (٦٣) قحطان حميد كاظم، وزارة الداخلية العراقية (١٩٣٩ - ١٩٥٨)، المطبعة المركزية،

- جامعة ديالى - ٢٠١٢، ص ٢٣٢.
- (٦٤) عالية عبد الرزاق الهلالي، الباحث والأديب عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥)، الورقة ١٧.
- (٦٥) المصدر نفسه.
- (٦٦) إبراهيم القيسي، الهلالي ذخيرة تراثية غنية، مقال منشور على شبكة الانترنت: almada.com.
- (٦٧) عبد الرزاق الهلالي، مذكرات غير منشورة، الورقة ١٨.
- (٦٨) المصدر نفسه، الورقة ٢٠.
- (٦٩) للتفاصيل عن ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، يراجع: محمد حمدي الجعفري، نهاية قصر الرحاب (تفاصيل ما حدث ليلة ١٤ تموز)، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩.
- (٧٠) مقابلة شخصية مع عالية عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائن في بغداد، بتاريخ ١/٤/٢٠١٤.
- (٧١) حميد المطيعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق، ج ١، مؤسسة الزمان للنشر، بغداد، د.ت، ص ٤٨٨.
- (٧٢) إبراهيم خليل العلاف، الأستاذ عبد الرزاق الهلالي (١٩١٦ - ١٩٨٥) باحثاً ومؤرخاً وأديباً وشاعراً، مقال منشور على شبكة الانترنت: w.w.allaftospot.com
- (٧٣) مقابلة شخصية مع د. محسن الشيخ راضي في داره الكائن في بغداد بتاريخ ٢٧/٣/٢٠١٤.
- (٧٤) مقابلة شخصية مع عالية عبد الرزاق الهلالي في دارها الكائن في بغداد، بتاريخ ٣١/١/٢٠١٤.
- (٧٥) علي عبد الأمير الحيدري، فيا لك من سيف (مراثية في الصديق الكاتب عبد الرزاق الهلالي)، مخطوط غير منشور، بغداد ١٩٩٣، ص ١.





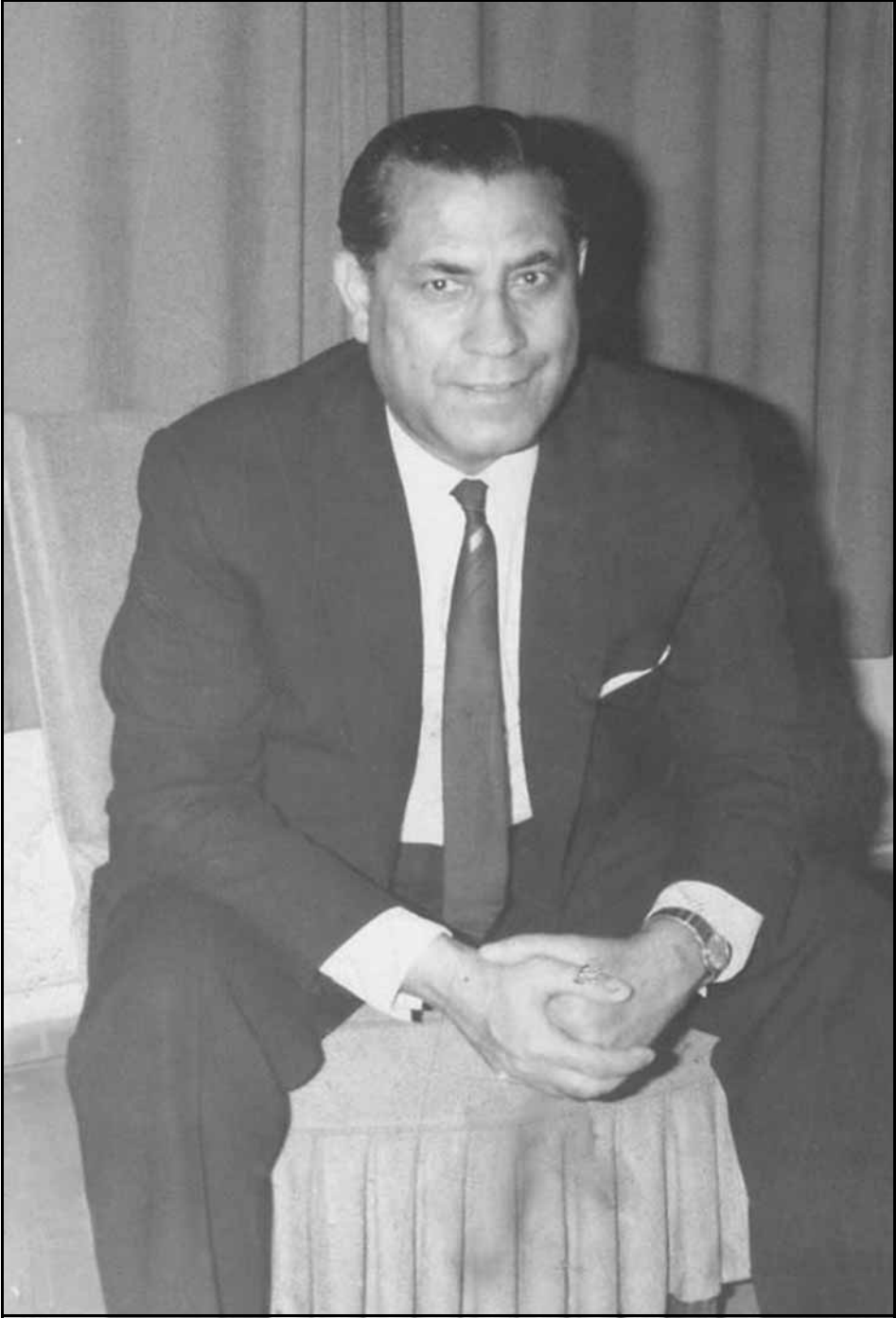
أثناء زيارة رئيس وزراء لبنان المرحوم عبد الله اليافي مع وفد مؤتمر التعليم الريفي العربي



الأديب عبد الرزاق الهلالي.. أخذت صورته في الأعظمية في دار الأستاذ محي الدين عبود



الأديب عبد الرزاق الهلالي أثناء عمله في البلاط الملكي العراقي



الأديب عبد الرزاق الهلالي في صورة تذكارية في السبعينيات



الهلالي بزي الكشافة في سوريا عام ١٩٣٨م



الأديب عبد الرزاق الهاللي والذي يبدو في يسار الصورة بالزي الرسمي أثناء عمله في
البلاط الملكي كمعاون لرئيس التشريفات



الصورة أثناء الحفلة التي أقامها الدكتور عبد المجيد القصاب في داره
على شرف الوزير المغربي الدكتور عبد الهادي التازي عام ١٩٧٦م



الصورة في المائدة التي أقامها الدكتور عبد المجيد القصاب على شرف المحامين العرب في داره عام ١٩٧٤م ويبدو في الصورة الأديب الهلالي والشاعر خالد الشواف رحمهم الله



الهلالي عندما كان مديراً عاماً للمصرف الزراعي أواخر الستينات وقد أرسلت الصورة له من الأستاذ وائل السعيد في قائلًا اليوم سجلت انتصاراً رائعاً فارض الخلود لمثل شخصك فأخلد



الهاللي في عام ١٩٦٥م أثناء المؤتمر الخامس للأدباء والكتاب العرب الذي أقيم في بغداد



صورة أخذت بمناسبة الاحتفاء بعودة الأديب عبد الرزاق الهاللي من رحلة علاجية في لندن - أقام هذه الحفلة في بيته المطل على شارع أبو نؤاس مع لفيف من الأدباء في بغداد



صورة لعدد من أعلام العراق وهم من اليسار الأديب والموسوعي المرحوم (عبد الرزاق الهلالي) ثم (علي أحمد نسيم سوسة) ثم العلامة والمهندس (د. أحمد نسيم سوسة) والرحالة والكاتب (ناجي جواد الساعاتي) والعلامة الدكتور (علي جواد الطاهر) والمربي (عبد الحميد المحاري) والكاتب الصحفي (طارق الخالصي) الصورة في دار المرحوم (ناجي جواد) يوم ١٢ تموز عام ١٩٧٥م



هذه الصورة مع طلاب دورة التنمية الاقتصادية التي عقدت في أكسفورد في إنكلترا سنة ١٩٥٦م أثناء زيارة أحد مصانع العلب في إنكلترا

مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها^(١)

كوركيس عواد

١ - تمهيد:

عرف العراق منذ أبعد عصوره التاريخية، بكونه بلداً توصل أبناؤه إلى معرفة الكتابة والقراءة، ويكون شعوبه القديمة تيسر لها أن تنشئ خزائن للكتب في كثير من المدن المندسة، وقد كانت كتب تلك الخزائن تكتب على ألواح الطين في حال طراوتها، فإذا جفت ثبتت الكتابة عليها. ولعل تلك الخزائن العراقية الدائرة، أقدم ما عرف في تاريخ البشرية من مكتبات، وقد أفضنا في ذكر أخبارها في مؤلف نشرناه منذ سنوات^(٢).

ازدهرت تلك المكتبات قبل الميلاد. أما بعد ذلك، فلم يخل العراق من دور للكتب وجدت في مواطن شتى منه ولا سيما في الديارات.

على أن خزائن الكتب قد اتسع نطاقها وكثر عددها في العراق بعد ظهور الإسلام فإن في المراجع التاريخية المختلفة أخباراً كثيرة تتصل بمكتبات عامة وخاصة علا شأنها في غضون العصور الإسلامية.

ثم أصاب المكتبات في العراق، في عصوره الأخيرة شيء من الضعف والخمود، إلا أنه إلى ذلك لم يخل قط من عدد كبير منها ولا سيما في المدارس والمساجد والبيوتات التي نبغ بعض ذويها في العلم أو اشتغل فيه.

وما أن تشكلت الدولة العراقية بُعيد الحرب العالمية الأولى، حتى نشطت الحكومة إلى تأسيس مكتبات عامة في بغداد وفي غيرها من بلدان العراق. وأخذت هذه المكتبات تتقدم وتتوسع ويتكاثر عددها سنة بعد أخرى، حتى بلغ عددها في سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ عشرين مكتبة عامة رسمية تابعة لوزارة المعارف^(٣). أما المكتبات الأخرى التابعة للكلليات والمعاهد العلمية ومؤسسات الأوقاف، فلا يدخل عددها ضمن هذا الإحصاء، وهي في جملتها لا تقل عدداً عما ذكرنا.

وفي طليعة ما يذكر من هذه المكتبات جميعاً، (مكتبة المتحف العراقي)، وعليها مدار كلامنا في هذا البحث.

٢ - نشوء المكتبة:

حينما أنشئ «المتحف العراقي» سنة ١٩٢٣، لم يكن له مكتبة ما. ولبثت الحال على ما ذكرنا حتى تأسيس «مديرية» للآثار القديمة، وكان ذلك سنة ١٩٢٤. فأخذت الكتب ترد على هذه المديرية بالشراء والإهداء. ولما كثر عدد هذه الكتب بعض الكثرة، رأت المديرية أن تجعل منها «أصلاً» لمكتبة. فجمعتها سنة ١٩٣٣ في قاعة من قاعات المديرية، وصنعت لها خزانات قليلة. وقد نيّطت ملاحظتها وأسند الإشراف عليها حينذاك بموظف يتعهد بها كلما آنس فراغاً في أوقاته التي كانت موقوفة على واجبات أخرى في هذه المديرية.

ولما ضاقت تلك القاعة بما فيها، أقيم للمكتبة بناية جديدة تقوم في لصق «المتحف العراقي» المطل على شارع المأمون، ومدخلها من طريق صغير يجاور هذا المتحف.

وتتألف هذه البناية من جناحين فسيحين، طول ضلع كل منهما نحو ١٥ متراً. وتلتحق بالمكتبة غرفتان، إحداهما في الطابق العلوي من البناية نفسها، والأخرى في المدرسة المستنصرية. وسيضاف إلى المكتبة عما قريب قاعة أخرى تقام في الساحة الخارجية، وستتخذ للمطالعة.

٣ - نمو المكتبة واتساعها:

إذا أمعنا النظر في الأرقام الدالة على نمو المكتبة وازدياد كتبها سنة بعد أخرى، ألفينا «معدل» ما يصيب المكتبة من مجلدات في كل سنة من سني حياتها يبلغ نحواً من ١١٦٤. وفي الجدول الآتي، إيضاح وافٍ بما طرأ على المكتبة من اتساع خلال ثلاث وعشرين سنة، أعني منذ سنة ١٩٣٣ حتى الآن:

السنة	مجموع المجلدات في نهاية هذه السنة	عدد المجلدات التي أضيفت خلال هذه السنة
١٩٣٣	٤٩٠	؟
١٩٣٤	٥٨٣	٩٣
١٩٣٥	٦٨٤	١٠١
١٩٣٦	٨٣٥	١٥١
١٩٣٧	١٩١٤	١٠٧٩
١٩٣٨	٢٦٥٩	٧٤٥
١٩٣٩	٣٤٣٤	٧٧٥
١٩٤٠	٧٣٣٠	٣٨٩٦
١٩٤١	٨٢٤١	٩١١
١٩٤٢	٩٣٠٠	١٠٥٩
١٩٤٣	٩٧٤٥	٤٥٤
١٩٤٤	١٠٥١٢	٧٥٨
١٩٤٥	١٢٢١٣	١٧٠١
١٩٤٦	١٤٠٩٥	١٨٨٢
١٩٤٧	١٥١٤٦	١٠٥١
١٩٤٨	١٥٨٦٦	٧٢٠

السنة	مجموع المجلدات في نهاية هذه السنة	عدد المجلدات التي أضيفت خلال هذه السنة
١٩٤٩	١٧٢٦٥	١٣٩٩
١٩٥٠	١٧٨٦٥	٦٠٠
١٩٥١	١٩٠٣٠	١١٦٥
١٩٥٢	٢٢٢٢٤	٣١٩٤
١٩٥٣	٢٣٨٨٤	١٦٦٠
١٩٥٤	٢٥٥٤٩	١٦٦٥
١٩٥٥	٢٦٧٦٧ ^(٤)	١٢١٨

ولقد كنا ننوه بهذه الزيادة الحاصلة في كتب المكتبة من حين إلى آخر. وأول ما نشرناه في هذا الشأن مما حوى بعض التفصيل، نبذة تاريخية إحصائية، بعنوان «خزانة كتب المتحف العراقي» ظهرت في مجلة «سومر» (١) [١٩٤٥] الجزء ٢ ص ١٣٧ - ١٤٤).

وتلتها نبذة شتى كثيرة ظهرت في المجلة نفسها، في المجلدات الآتية:

١ - [١٩٤٥] الجزء ٢؛ ص ١٦٥ - ١٦٦.

٢ - [١٩٤٦] ص ١٣٤ - ١٣٥؛ ٢٨٤ - ٢٨٦.

٣ - [١٩٤٧] ص ١٥٧.

٤ - [١٩٤٨] ص ٣٠٠.

٥ - [١٩٤٩] ص ١١٩.

٦ - [١٩٥٠] ص ٢٥٩.

٧ - [١٩٥١] ص ١٢٤ ، ٣١٤.

٨ - [١٩٥٢] ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥.

٩ - [١٩٥٣] ص ١٨٩ ، ٣٥٤.

١٠ - [١٩٥٤] ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠.

١١ - [١٩٥٥] ص ١٠٨.

ولم يقتصر التنويه باتساع المكتبة على ما كان ينشر في «سومر»، بل تعداها إلى «التقرير» السنوي عن سير المعارف في العراق. فقد نشرت نبذ إحصائية مختلفة في السنوات الآتية:

- لسنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٤٦؛ ص ٩٤).

- لسنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٤٧؛ ص ١١٣ - ١١٤).

- لسنة ١٩٤٦ - ١٩٤٧ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٤٨؛ ص ١٢١).

- لسنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٥٠؛ ص ١١٩ - ١٢٠).

- لسنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٥١؛ ص ١٣٤ - ١٣٥).

- لسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ (مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥١؛ ص ١٤٠ - ١٤١).

- لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ (مطبعة دار الحديث - بغداد ١٩٥٢؛ ص ١٣١ - ١٣٢).

- لسنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٥٣؛ ص ١١٥ - ١١٦).

- لسنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ (مطبعة السعدي - بغداد ١٩٥٤؛ ص ١٢٦ - ١٢٧).

- لسنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ (مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٥؛ ص ١٣٨ - ١٣٩).

وأما من حيث «الحجم»، فقد نضدت كتب هذه المكتبة في رفوف كثيرة، لو صف الواحد منها إلى جانب الآخر، لبلغ امتدادها خطأ طوله نحو من (٨٠٠) متر.

٤ - مصادر هذه المكتبة:

إذا استثنينا الكتب التي اقتنتها المكتبة منذ تأسيسها حتى اليوم، وما ورد إليها من مطبوعات مختلفة على سبيل التبادل، ألفينا سائر الكتب قد أهدي إلى المكتبة في أوقات متفاوتة. وأجل ما يذكر من هذه الهدايا الكبيرة التي أضيفت إلى المكتبة:

١ - هدية الآباء الكرمليين في بغداد: وهي هدية نفيسة عظيمة الشأن تتألف من المكتبة الحافلة التي جمعها العلامة اللغوي الأب أنستاس ماري الكرمللي، المتوفى في ٧ كانون الثاني ١٩٤٧. وتتألف هذه المكتبة من ألوف المجلدات المطبوعة والمخطوطة. ولم يهد الآباء الكرمليون تلك المكتبة برمتها، بل أهدوا القسم «العربي» منها، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٤٩. أما القسم «الإفرنجي» فقد احتفظوا به في الدير، كما احتفظوا بالمؤلفات الخطية للأب أنستاس^(٥). وما تفضلوا بإهدائه، يتألف من:

٦٠٠٠ مجلد مطبوع.

١٣٣٥ مجلداً مخطوطاً.

ولما كان لقسم كبير من هذه المطبوعات نظائر في مكتبة المتحف العراقي، فقد رأت مديرية الآثار القديمة العامة، أن يستفاد من ذلك المكرر في بلدة أخرى من بلدان العراق. فنقل أكثر من خمسة آلاف وخمسمائة مجلد من هذه المطبوعات المهداة، إلى مدينة الموصل، وجعل منها «مكتبة متحف الموصل».

أما المخطوطات والمتبقي من المطبوعات، فقد اختزنت في مكتبة المتحف العراقي.

إن إهداء هذه المكتبة، لمن المآثر الجليلة التي أسداها الكرمليون. ولعلها أعظم هدية من نوعها في تاريخ العراق الحديث. فإننا لم نجد بين المكتبات المهداة والموقوفة ما يناظرها أو يدانيها كثرة.

- ٢ - هدية الشريف حازم: في سنة ١٩٥٠، تفضل سيادة الشريف حازم، فأهدى شطراً من مكتبته النفيسة إلى مكتبة المتحف العراقي. وقد بلغ ما أهده زهاء ألف مجلد من المطبوعات العربية تتناول موضوعات تاريخية وأدبية ودينية ولغوية وغير ذلك.
- ٣ - هدية المتحف البريطاني: في سنة ١٩٤٦، أهدى المتحف البريطاني إلى مكتبة المتحف العراقي زهاء (٤٠٠) مجلد من مطبوعاته. ويدور معظمها على الآثار والتاريخ وفهارس الكتب المطبوعة والمخطوطة.
- ٤ - هدية وزارة المعارف المصرية: وقد أهدت في سنة ١٩٤٦. وقوامها (٢١٣) مجلداً مطبوعاً، تتناول موضوعاتها علم الآثار، ومعظمها في آثار مصر.
- ٥ - هدية الحكومة الإسبانية: وردت في سنة ١٩٥٢. وقوامها (١٢٢) مجلداً معظمها باللغة الإسبانية، وتدور موضوعاتها على آثار إسبانية وتاريخها.
- ٦ - هدية مصلحة التبادل الثقافي الأميركي ببغداد: وقد أهدت في سنة ١٩٥٤، وهي نحو (٥٠) مجلداً، يبحث معظمها في آثار مصر القديمة.
- ٧ - هدية الحكومة الإيرانية: وقد وردت إلى المكتبة في سنة ١٩٥٤، وقوامها (٤٧) مجلداً معظمها بالفارسية. وتدور موضوعاتها على الأدب والفلسفة، ولا سيما فلسفة ابن سينا.
- ٨ - مكتبة السيد رشيد عالي الكيلاني: ومما يدخل في هذا الباب، مكتبة السيد رشيد عالي الكيلاني، وفيها المطبوع والمخطوط. وقد استولت عليها الحكومة العراقية في سنة ١٩٤١، ويبلغ مجموعها زهاء (١٥٠٠) مجلد بالعربية والتركية، وبعض اللغات الأوروبية. وهي تبحث في شؤون مختلفة، ولا سيما القانون والأدب والتاريخ والاجتماع.

٥ - موضوعات كتب المكتبة:

تدور موضوعات الكتب في هذه المكتبة، على شؤون بلاد الشرق في الغالب. فهي في جملتها «مكتبة شرقية». والمراد بالشرق بوجه خاص «الشرق الأدنى والأوسط».

وفي طليعة المواضيع التي تهتم بها هذه المكتبة، علم الآثار، ولا سيما آثار العراق. ومجموعة الكتب التي تحرزها في هذا الباب، من أوسع المجاميع لا في مكتبات الشرق الأدنى وحدها، بل في سائر مكتبات العالم. فالكتب المؤلفة في «تاريخ العراق القديم» و«آثاره» تعد في هذه المكتبة مرجعاً عظيماً للمتبعين والباحثين فمن ذلك المصنفات المتعلقة بلغات العراق القديمة، وتواريخ شعوبه وحضاراتهم في العصر السومري والبابلي والآشوري والساساني والفرثي واليوناني والإسلامي وغير ذلك.

وللأقطار العربية في هذه المكتبة، نصيب حافل بأهميات التصانيف. فبلدان الجزيرة العربية كلها، وسورية، ولبنان، وفلسطين، وشرق الأردن، ومصر، وشمالي أفريقية، والأندلس؛ كل ذلك تصيب له المراجع الوافية المفيدة في بابها.

والباحث الذي يبتغي الوقوف على أحوال البلدان الشرقية الأخرى في العصور القديمة خاصة، يجد في هذه المكتبة مختلف التصانيف التي تفيده معرفة تاريخها وسائر أحوالها، ولا سيما بلاد ترقية وإيران.

وفي المكتبة مجموعة كبيرة من المؤلفات الباحثة في تاريخ «اليونان» و«الرومان» وحضاراتهم وآثارهم. أما المصادر القديمة (الكلاسيك) المنحدرة إلينا من مؤلفي هاتين الأمتين، فإن منها شيئاً كثيراً في المكتبة. بعضه ما كان منشوراً بلغته الأصلية (اليونانية واللاتينية)، وبعضه ما كان منقولاً إلى أهميات اللغات الأخرى ولا سيما الإنكليزية والفرنسية.

ومن المجاميع الجلييلة الشأن في هذه المكتبة، مجموعة كتب «الرحلات والسياحات» التي دوّنها الرحالة الغربيون في مختلف العصور. ونجد بين هؤلاء الرحالين: الإنكليزي، والفرنسي، والأميركي، والألماني، والإيطالي، والإسباني، وغيرهم.

أما فروع «المخطوطات» و«المجلات» و«الجرائد» و«الموسوعات»، فقد أفردنا لكل منها نبذة خاصة بها سترد في تضاعيف هذا البحث. ويحسن بنا، أن نضع بين يدي القارئ، كشفاً أولياً بأهم الموضوعات التي تدور عليها كتب المكتبة:

اللغات: ويدخل في ذلك:

المعاجم: وفيها أمهات المعاجم الموضوعية باللغة العربية وحدها، أو بما كان مشتركاً بين العربية وغيرها من لغات الشرق والغرب: كالتركية والفارسية والكردية والسريانية والعبرية والإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية واللاتينية واليونانية.

كتب فقه اللغة، والمفردات. ولا سيما اللغة العربية.

كتب الصرف والنحو: للعربية والسومرية والأكدية والسريانية والمصرية القديمة والقبطية والفارسية والتركية والكردية.

كتب في فلسفة اللغات ومقارناتها.

الأديان: ويدخل في ذلك:

كتب الأديان بوجه عام.

الدين الإسلامي: (القرآن، الحديث، التفسير، العقائد، الفقه)، الفرق الإسلامية (ويدخل في ذلك الشبك والكاكائية).

الكتاب المقدس والأبحاث والدراسات الصادرة عنه.

الأديان الأخرى: (الدين السومري والبابلي والآشوري. المصري القديم. النصرانية. اليهودية. المجوسية. الصابئية. اليزيدية. البهائية. وغيرها).

الآثار: ويدخل في ذلك:

آثار العراق: الكتابات السومرية والبابلية والآشورية. علم الآشوريات. الأختام. الفخار. تقارير ونشرات عن الحفريات في مختلف المواقع الأثرية في العراق (ولا سيما في: آشور. بابل. نينوى. أور. العبيد. الوركاء. تل أسمر. خفاجي. خرساباد. تپه گورا. بافيان. بلاوات. نوزي. طيسفون. سلوقية. عقرقوف. كيش. تلو. فارا. نفر. العقير. حسونة. سامراء. واسط. الأخيضر. دريهم).

آثار البلاد العربية (سورية. لبنان. الأردن. فلسطين. الحجاز. اليمن. حضرموت. مصر. طرابلس. تونس. الجزائر. مراكش).

آثار تركية، (إيران، أفغانستان، باكستان، الهند).

آثار اليونان والرومان ويدخل في ذلك: (قبرس، كريت).

المسكوكات (الإسلامية، اليونانية، الرومانية، الساسانية، إلخ).

الآثار المختلفة المصنوعة من الفخار والنجاس والخشب والعاج والزجاج والرخام والذهب وسائر المعادن.

التاريخ: ويدخل في ذلك:

ما قبل التاريخ. الأثروبولوجيا.

تواريخ الأمم الشرقية القديمة التي سبقت العصر الميلادي.

تاريخ العرب والإسلام. (الجاهلية. صدر الإسلام. الأمويون.

العباسيون. سائر الدول والدويلات الإسلامية في آسيا وإفريقية).

تاريخ الشرق الحديث، ولا سيما العراق.

تاريخ اليونان والرومان.

التراجم والسير وكتب الطبقات. تاريخ الأدب.

البلدان:

ومما تمتاز به هذه المكتبة احتواؤها على معظم ما طبع من مؤلفات الرحالين والبلدانيين العرب والمسلمين. ومعظمها مما عُني المستشرقون بتحقيقه ونشره في ديار أوروبا. مجموعة الأطلال والخوارط والمصورات.

الفنون:

ويدخل في ذلك ما اتصل بفنون الشرق القديمة، ولا سيما الفن الإسلامي في العراق ومصر وإيران وشمال إفريقيا والأندلس. ومن هذه الفروع الفنية: الرياضة والبناء، التصوير والنقش والتزويق والزخرفة، الخط، التجليد، النسيج (والسجاد)، الموسيقى والغناء، الحفر والتخريم والتكفيت، الصناعات الدقيقة الأخرى التي تتطلب مهارة فنية.

العلوم:

ويدخل فيها العلوم عند الأمم الشرقية القديمة وتطورها وتاريخها، ولا سيما ما كان منها عند العرب. ومن هذه العلوم: الطب، الكيمياء، الطبيعيات (الميكانيك، أنبساط المياه، علم المناظر)، الرياضيات (الحساب، الهندسة، الجبر)، الفلك، الزراعة والنبات، الحيوان (والخيل)، الملاحة.

الأدب:

وغالب ما في هذا الفرع كتب الأدب العربي القديم، ومجموعتها واسعة نفيسة. ويدخل في ذلك دواوين الأشعار، والحكايات والقصص، والأمثال.

الاجتماع: ويدخل في ذلك:

كتب القانون: وهي في جملتها تتناول ما صدر من القوانين والأنظمة في العراق. وما نشر من دراسات عنها. ويدخل في ذلك الشرائع القديمة عند السومريين والبابليين.

المرأة: تاريخها وأحوالها عند الشعوب القديمة، ولا سيما في العصور الإسلامية.

الإدارة والسياسة والحرب عند الشعوب الشرقية، ولا سيما في العصور الإسلامية.

الأزياء، التقاليد، العادات، الأساطير، الأثنوغرافية.

التربية والتعليم في الشرق.

الحياة الاقتصادية عند الأمم الشرقية.

الفهارس:

وهي تشتمل على فهارس المخطوطات والمطبوعات، وإثبات الكتب، ومسارد المواضيع. وأكثرها يدور على فهارس المخطوطات العربية في مكاتب الشرق والغرب.

٦ - لغات الكتب:

لما كانت هذه المكتبة قد اشتملت على فروع عديدة من المواضيع الشرقية، من البديهي أن تكون المؤلفات التي فيها مصنفة بلغات مختلفة، ولا سيما لغات العلم الشائعة في بلاد الغرب، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها. ويجد المطالع، إلى جانب الكتب العربية التي لها النصيب الأوفر في المكتبة، كتباً بلغات شرقية وغربية، في وسعنا حصرها في الجدولين الآتيين:

الأول: الكتب المؤلفة بلغات شرقية، وعددها (١٣٢٣٩) مجلداً موزعاً بين إحدى عشرة لغة، وهي:

اللغة	عدد المجلدات
العربية	١١٦٨٢
التركية	١٠٣٣
الفارسية	٣٢٦
الكردية	٢٥
الأردية	٥
السريانية	٥٦
العبرية	٦٩
الصائبية (المندائية)	١٢
الهندية	١
الصينية	٣
اليابانية	٢٧
المجموع	١٣٢٣٩

الثاني: الكتب المؤلفة بلغات غربية، وعددها (١٣٥٢٨) مجلدة موزعة بين تسع عشرة لغة، وهي:

اللغة	عدد المجلدات
الإنكليزية	٧٨٤٥
الفرنسية	٢٤٧٣
الألمانية	٢٢٢٤
الإسبانية	٢٣٠
الإيطالية	١١٩
اللاتينية	١٥٩
اليونانية	٢٢
الروسية	٢٠١
الدانمركية	١٠

عدد المجلدات	اللغة
٧	السويدية
١٦	النرويجية
٢٢	الهولندية
٤	البولونية
٥	المجرية
٨	التشيكوسلافية
٣٣	اليوغسلافية
١	الصربية
١١	البلغارية
١	الرومانية
١٣٧	كتب في لغات شتى
١٣٥٢٨	المجموع

ويبدو من النظر في هذا الجدول، أن أكثر اللغات كتباً في هذه المكتبة، هي على التوالي: العربية، الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية، التركية، الفارسية. أما سائر اللغات، فكتبها ما زالت قليلة محدودة. وفي ما يأتي، ثبت بما يصيب بعض هذه اللغات من نسبة مئوية في كتب المكتبة:

النسبة المئوية	اللغة
٤٣,٦٤	العربية
٢٩,٣٠	الإنكليزية
٩,٢٤	الفرنسية
٨,٣٠	الألمانية
٣,٨٦	التركية
١,٢٠	الفارسية
٤,٤٦	سائر اللغات
١٠٠	المجموع

ويدخل في هذه الأرقام، المطبوع والمخطوط من الكتب. وسنورد في كلامنا على «المخطوطات» إحصائية بلغات تلك المخطوطات.

٧ - المخطوطات:

تأتي مكتبة المتحف العراقي، باستثناء مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، في طليعة المكتبات العراقية العامة التي تحرز أكبر مجموعة من المخطوطات. فإن عدد مخطوطاتها قد بلغ حتى نهاية أيلول ١٩٥٥، (٢٢٥٥) مجلداً، مكتوبة في لغات مختلفة على النحو المبين في الجدول الآتي:

اللغة	عدد المخطوطات
العربية	٢٠١٢
الفارسية	١٠٩
التركية	٨٩
العبرية	٢١
الصابئية	٩
السريانية (والكرشونية) ^(٦)	٧
الفرنسية	٤
الألمانية	١
الإيطالية	١
الأردية	١
المتفرقة	١
المجموع	٢٢٥٥

أما كيف اجتمعت هذه المخطوطات في المكتبة، فمرده أمور مختلفة. ولنا أن نقول إن المخطوطات «المهداة» إلى مكتبة المتحف العراقي قد وردت إليها من جهات مختلفة، وهذا ثبت بأسماء الذين تكرموا بالإهداء، مع ذكر عدد المخطوطات وزمن الإهداء (وقد ذكرت الأسماء بحسب السياق الزمني للإهداء):

تاريخ الإهداء	عدد المخطوطات المهداة	مصدر الهدية
١٩٤٠	٥	محمد أحمد (المحامي في البصرة)
١٩٤٠	١	الخوري يوسف خياط (الموصل)
١٩٤٠	١	(مفتي العمادية)
١٩٤١	١	يعقوب سركيس (بغداد)
١٩٤٢	١	نعمان الأعظمي (الكتبي في بغداد)
١٩٤٥	٢	الحاخام ساسون خضوري (بغداد)
١٩٤٦، ١٩٤٧	٩٣	المكتبة العامة في بغداد (بموافقة وزارة المعارف)
١٩٤٧	٢	الحاج عبد الله الخليل (البصرة)
١٩٤٩	٢	حسن السلطان (بغداد)
١٩٤٩	١	محمد طاهر الكردي (القاهرة)
١٩٤٩	١٣٣٥	الأب أنستاس ماري الكرمللي (وقد أهدى هذه المخطوطات إلى مكتبة دير الآباء الكرمليين ببغداد)
١٩٤٩	١	أحمد حامد الصراف (بغداد)
١٩٥٠	١	الدكتور شوكت الزهاوي (بغداد)
١٩٥٢	١	الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (القاهرة)
١٩٥٢	١	الشيخ داود موسى الإبراهيم (البصرة)
١٩٥٣	٢	لجنة مهرجان ابن سينا العراقية
١٩٥٤	١	مكرمين خليل وحلمي ضياء (تركية)
	١٤٥١	المجموع

وأما المخطوطات (المصادرة)، فقد أتت من جهتين اثنتين:

الأولى: ما استولت عليه الحكومة العراقية سنة ١٩٤١، من خزانة كتب السيد رشيد عالي الكيلاني، ويبلغ مجموعها زهاء (١٥٠٠) مجلد، فيها المطبوع والمخطوط على ما مرت الإشارة إليه في آخر كلامنا على (مصادر المكتبة). وعدد مخطوطاتها (١١٧) مجلداً.

الثانية: ما تسلمته المكتبة في ٧ - ١٠ - ١٩٥٤ من الأمانة العامة لإدارة ومراقبة أموال اليهود المسقطه عنهم الجنسية العراقية. وعدد هذه المخطوطات (١٧) مجلداً، وكلها باللغة العبرية.

وهذه المخطوطات التي تحرزها مكتبة المتحف العراقي، قد فهرست على جزازات فهرست واضحة، وجعلت على صنفين:

الفهرس الأول: الأسماء المؤلفين.

الفهرس الثاني: لعناوين الكتب.

وقد هيأت المكتبة العدة لوضع فهرس ثالث بأسماء «المواضيع».

والمواضيع التي تدور عليها هذه المخطوطات كثيرة متنوعة، يدخل فيها: القرآن، الحديث، التفسير، الفقه، العقائد، اللغة، الأدب، دواوين الشعر، التاريخ، التراجم والسير، البلدان، الرياضيات، الفلك، الموسيقى، الكيمياء، الطبيعيات، الطب، الحيوان، النبات، الفلسفة، المنطق، التصوف، القصص، وغير ذلك.

ومن هذه المخطوطات، وهو شيء يسير، ما كان مكتوباً على الرق بالخط الكوفي، ومعظم ذلك قطع من مصاحف قديمة يرقى بعضها إلى أواخر القرن الأول للهجرة (الثامن للميلاد). وهناك طائفة من المخطوطات العبرية مكتوبة على الجلود في عصور متأخرة بالقياس إلى ما ذكرنا.

أما سائر المخطوطات، فقد كتب على الورق (الكاغد) في عصور

متفاوتة. ولعل أقدم مخطوط في المكتبة مكتوب على الورق، «المجمل في اللغة» لابن فارس. فقد كتب في سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤م).

ويليق بنا، ونحن في صدد الكلام على هذه المخطوطات، أن ننوه بشيء منها فيما يأتي، ليلم القارئ بتنوع موضوعاتها وتفاوت أزمنة كتابتها:

رقم المخطوط	عنوان المخطوط ومؤلفه	تاريخ نسخه بالسنة الهجرية
١٣٠	(منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان في المواد الطبية): لابن جزلة	٨٧٨
١٩١	ديوان الحطيئة (من أقدم النسخ المعروفة)	قبل ٥٤٨
١٩٢	شجرة النسب الشريف النبوي: لإبراهيم بن يحيى بن محمد الحسيني	٧٤١
٢٢١	سنن الدارقطني	قبل ٥٠٦
٢٣٦	ديوان الدمستاني	١١٩٠
٢٥٠	تاج المداخل في النجوم: لغيث الدين عبد الله بن فتح الله الكاتب البغدادي (نسخة فريدة)	٨٧٩
٢٧٤	السحر الحلال من إبداع الجلال: للناصر محمد بن قانصوه	٩١٥
٣١٧	ديوان العشاري ^(٧) : لحسين بن علي العشاري	

١٣٢٧	ديوان البحراني: لجعفر بن محمد البحراني	٣١٨
٥٦٥	نهج البلاغة	٣٥٦
١٣٥٥	العين في اللغة: للخليل بن أحمد (مجلدان بخط محمد السماوي)	٥٠٩، ٧٧٣
	ديوان السيد علي المشعشي	٥٢٢
٦٨١	شرح فصول أبقرط: لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق	٥٢٤
١٣٦٠	المنخل من منطق ابن السكيت: للوزير المغربي	٥٢٧ ^(٨)
١٣٥٤	المحيط: للصاحب بن عباد (مجلدان بخط محمد السماوي)	٥٢٨ - ٥٢٩
٤٤٦	المجمل في اللغة ^(٩) : لابن فارس (بخط أبي مضر العقيلي)	٥٤٢
٦٣٩	مجموعة فيها: الفراسة: لفخر الدين الرازي. مختصر من تاريخ الشيخ الرئيس ابن سينا: لأبي عبيد الجرجاني. صفة البرق والرعد: لابن العميد تقاسيم الحكمة: لابن سينا	٥٩٤
٦٣٥	رسائل الشيخ محيي الدين ابن عربي (بخطه)	٥٩٧
	ديوان ابن خميس ملك البحرين	٧٧٩
١٣٠٣	رجال الشيخ الطوسي	٨١٢

٨٢٠	الدر المنظوم في أخبار ملوك الروم: لمكاريوس ابن زعيم الحلبى	١٦٩٣م
٩٥٧	رسائل للدروز	١٩٢٧م
٩٥٩	تراجم أئمة الدروز	
١٠١١	ديوان السيد حاتم الأهدل	
١٠٤٨ ، ١٠٧٦	روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح	
	(في تاريخ اليمن): لعيسى بن لطف الله ابن رسول (نسختان)	
١٠٩٥	مختصر في علم الموسيقى: للجويني	١٣٤٢
١١١٧	مسائل في الفتوة: لابن تيمية	
١١٢٥	الفتحية في الموسيقى ^(١٠) : لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي	
١١٦٤	فهارس وفيات الأعيان: وضعها عبد اللطيف ثنيان (بخطه)	١٩٢٧م
١٢٣٤	نوادير المنح في الملاحة والملح: لمحمد أمين بن خير الله العمري	
١٢٤٨	رسالة في الأسطرلاب: لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت	
١٢٤٩	كتاب في الأسطرلاب: لجمال الدين ابن محفوظ	

١٢٦٠	نكت الهميان: للصفيدي	٧٧٤
١٢٧٧	أساس البلاغة: للزمخشري (الثاني)	٦٦٣
١٣٠٨	المستقصى في أمثال العرب ^(١١) : للزمخشري	٦٠٧
١٣١٦	سر الصناعة: لابن جني	١٣٥٢
١٣٤٥	كتاب الزهرة ^(١٢) : لأبي داود الأصفهاني (النصف الثاني)	٧٢٩
١٣٧٤	ديوان الحماسة: لأبي تمام	٥٠٤
١٣٨٢	تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار: للسيد ضامن بن شدم	١٣٤٦
١٣٩٤	ديوان يزيد المزدرد ^(١٣)	٦٤٩
١٤٦٥	المثالب: لابن الكلبي	
١٤٩٩ ، ٢٠٤٨	المصباح المضيء في خلافة المستضيء ^(١٤) : لابن الجوزي (نسختان حديثان)	
١٥٤٩	شمامة العنبر (في أدباء الموصل في القرن الثالث عشر: للغلامي)	
١٦٥٨	تاريخ الإسلام للذهبي (من سنة ٣٠١ إلى ٤٩٩هـ)	١٣٣١
١٦٧٨	الفتوة العراقية لأهل الطريقة وجميع أهل الخرقة في المائة الحادية عشرة للهجرة	

١٧٣٨	التاريخ الغياثي ^(١٥) : لغياث الدين عبد الله بن فتح الله الكاتب البغدادي (نسخة فريدة)	
١٧٩٨	أمثال العوام في مدينة دار السلام: لمحمود شكري الآلوسي	
١٨١١	غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ^(١٦) : لياسين العمرى	١٣٣٥
١٨٢٥	مجموعة كتب للدروز، أولها كتاب السجل	
١٨٤٢	مرآة الزمان: لسبط ابن الجوزي (المجلد الثاني. نسخة قديمة)	
١٩٩١	رسائل للدروز (عددتها ٢٤ رسالة. أولها: الرسالة الدامغة)	١٢٣٣
٢٠٧٦	فردوس الأخبار (في الحديث): لأبي شجاع شيرويه بن شهريار بن فناخسرو الديلمي (نسخة قديمة جداً)	
٢١٠٠	مجموعة كتب الدروز، أولها (نسخة السجل)	
٢١٣٢	ديوان العرجي ^(١٧)	
٢١٨٩	ديوان عثمان بكتاش الموصلي	

ولم ينشر فهرس وصفي لمخطوطات هذه المكتبة. غير أن كاتب هذه السطور يُعنى هو والدكتور مصطفى جواد بوضع هذا الفهرس المفصل، ولم يكمل^(١٨).

ولقد نشرت بعض المقالات في صفة شيء من هذه المخطوطات، ومن تلك المقالات:

كتاب التاريخ الغياثي: لعبد الحميد الدجيلي (سومر ٦ [١٩٥٠] ص ٢٢٠ - ٢٢٣).

مخطوطات الكرملين في خزانة المتحف العراقي: لكوركيس عواد (سومر ٧ [١٩٥١] ص ٢٧٨ - ٢٨٣).

مخطوطات ثمينة في خزانة المتحف العراقي: لعبد الحميد الدجيلي (سومر ٧ [١٩٥١] ص ٢٨٤ - ٢٩٣).

ديوان أبي الأسود الدؤلي - نسخة مكتبة المتحف العراقي: وصفها عبد الكريم الدجيلي، في مقدمته التي صدر بها طبعة هذا الديوان سنة ١٩٥٤، الصفحة (ف - ر) من المقدمة.

رسائل إسماعيلية قديمة نادرة [في مكتبة المتحف العراقي]: لعبد الحميد الدجيلي مجلة المجمع العلمي العراقي ٣ [١٩٥٥] ص ٤٠٥ - ٤٢١.

مخطوطات مكتبة المتحف العراقي^(١٩): لكوركيس عواد (مجلة معهد المخطوطات العربية: يصدرها معهد المخطوطات العربية في الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية. المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥٥؛ ص ٣٧ - ٤٨).

٨ - المجالات:

تشكل مجاميع المجالات العربية والأجنبية في المكتبة قسماً واسعاً. لأن هذه المكتبة تحرز من ذلك شيئاً كثيراً. وبين ذلك «مجاميع كاملة» لأمّهات تلك المجالات. ويتعذر علينا في هذا المقام الإحاطة بتلك

المجاميع إحاطة تامة، ولذلك نجتزئ بذكر ما لا بدّ من ذكره.
 فمن المجاميع «الكاملة» للمجلات العربية التي تحفل بها المكتبة:
 المقتطف. الهلال. المشرق. العرفان. الضياء. المقتبس. مجلة المجمع
 العلمي العربي بدمشق. مجلة غرفة تجارة بغداد. مجلة الزراعة العراقية.
 المعلم الجديد. ثقافة الهند. أهل النفط.
 ومن المجلات الغربية ذات المجاميع الكاملة في المكتبة، وكلها
 تتناول شؤون الشرق الأدنى، من آثار وفنون وتاريخ وحضارة ولغة، نذكر:

Acta Orientalia:

Analecta Orientalia.

Ancient Egypt.

Al - Andalus.

Annales du Service des Antiquits de l'Egypte.

The Annual of the American Schools of Oriental Research.

Ars Islamica.

Beitrage zur Assyriologie.

Belleten.

The Biblical Archaeologist.

Bulletin of the American Schoold of Oriental Research.

Bulletin du Mus de Beyrouth.

Bulletin of the School of Oriental and African Studies.

Bulletin de la Socit d'Archologie Copte.

Iraq.

Iraq Petroleum.

Der Islam.

Islamic Culture Journal of Cuneiform Studies.

Journal of the Manchester Egyptian and Oriental Society.

Journal of Near Eastern Studies.

Journal of the Royal Central Asian Society.

Manchester Cuneiform Studies.
 Mlanges de l'Universit Saint - Joseph, Beyrouth.
 Mitteilungen der Deutschen Orient - Gesellschaft.
 Oriens.
 Orientalia.
 Proceedings of the Society of Biblical Archaeology.
 Quarterly of the Depoartment of Antiquities in Palestine.
 Revue des Etudes Islamiques.
 Revue des Etudes Smitique et Babyloniaca.
 Studia Orientalia.
 Syria.

ومن المجلات المهمة التي تحرز المكتبة كثيراً من مجلداتها، دون أن تكون مجاميعها كاملة فيها، نذكر:

American Journal of Semitic Languages and Literatures.
 Archiv Orientalni.
 Archiv fur Orientforschung.
 Bulletin d'Etudes Orientales.
 Journal of the American Oriental Society.
 Journal Asiatique.
 Journal of the Royal Asiatic Society.
 Le Mouson.
 Orientalistische Literaturzeitung.
 Revue d'Assyriologie.
 Rivista degli Studi Orientali.
 Zeitschrift fr Assyriologie.
 Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

ولنا أن نقول: إنه بعد أن أصدرت مديرية الآثار القديمة العامة مجلة «سومر»، وهي في طليعة المجلات العربية الباحثة في آثار العراق القديمة وثقافته التاريخية، أخذ باب «المبادلة» يتسع بين هذه المديرية وبين كثير من المتاحف والجامعات والمؤسسات العلمية في داخل العراق وخارجه.

ولقد أضحى عدد المجلات التي تتوارد إلى مكتبة المتحف العراقي، سواء أكان ذلك على سبيل المبادلة أم المشاركة أم الإهداء، نحواً من (٢٠٠) مجلة، تطبع في لغات شرقية وغربية مختلفة، وتصدر في كثير من أقطار العالم.

فمن الأقطار الشرقية التي تصل مجلاتها إلى المكتبة: العراق. سورية. لبنان. شرق الأردن. مصر. السودان. تونس. تركيا. إيران. الهند. باكستان. أندونيسيا. اليابان.

وأما الأقطار العربية التي تبعث بمجلاتها، فهي: انكلترا. فرنسا، ألمانية إيطالية. الفاتيكان. اسبانية. سويسرة. هولندية. بلجيكة. السويد. النرويج. فنلندة. الدانمرك. روسية تشيكوسلوفاكية. المجر. يوغوسلافية. الولايات المتحدة. كندا.

وتختلف مواعيد صدور هذه المجلات اختلافاً بيناً. فمنها ما كان أسبوعياً، وشهرياً، ونصف شهري. وما كان يصدر مرة في كل شهرين، أو في كل ثلاثة أشهر أو أربعة أو ستة أشهر. ومنها ما كان سنوياً. ومنها ما لا مواعيد ثابتة لصدورها.

٩ - الجرائد:

يكاد الموجود من مجاميع الجرائد في المكتبة أن يكون عراقياً. وأكثره صدر من بعد الحرب العالمية الأولى. أما ما ظهر منها قبل تلك الحرب فقليل، ويمكن حصره في الجرائد الآتية:

الزوراء (الموجود منها ٣ سنوات).

صدى بابل (مجموعة كاملة).

صدى الإسلام.

أما سائر الجرائد، فتختلف أعمارها باختلاف الظروف والأحوال التي مرت بها. فمنها ما امتد بها العمر سنوات عديدة، ومنها ما عاش أشهراً معدودات أو أسابيع قلائل.

ومن أوسع المجاميع الكاملة لهذه الجرائد العراقية (وقد رتبت أسماؤها على السياق الهجائي): الأخبار. الاستقلال. البلاد. حزبوز. الزمان. صدى العهد. صوت الأهالي. الطريق. العالم العربي. العراق. العرب. المفيد. الموصل. الناقد. الوقائع العراقية. اليقظة. ويتوارد إلى المكتبة في الوقت الحاضر، زهاء عشر جرائد.

١٠ - الموسوعات:

وفي هذه المكتبة، مجموعة حسنة من الموسوعات العربية والإفرنجية وغيرها.

منها ما كان عاماً في بحوثه وموضوعاته، ومنها ما اختص بعلم من العلوم أو بفن من الفنون. وبينها ما تألف من مجلد واحد، كما أن بينها ما اكتمل في مجلدات عديدة. وسننوه في الجدول الآتي بأهم هذه الموسوعات التي تحرزها المكتبة:

أولاً - الموسوعات العربية:

دائرة معارف البستاني (١١ مجلداً).

دائرة معارف القرن العشرين: لمحمد فريد وجدي (١٠ مجلدات).

دائرة المعارف الإسلامية (ما ظهر من الترجمة العربية).

ثانياً - الموسوعات التركية:

قاموس الأعلام: لشمس الدين سامي (٦ مجلدات).

ثالثاً - الموسوعات الإنكليزية:

Encyclopaedia Britannica. (24 vols.).

Encyclopaedia of Religion and Ethics. (12 vols.).

Encyclopaedia of Social Sciences. (15 vols.).

Encyclopaedia Biblica, by Cheyne and Black. (4 vols.).

Jewish Encyclopaedia. (12 vols.).

Encyclopaedia of Art. (1. vol.).

The Oxford English Dictionary. (13 vols.).

رابعاً - الموسوعات الفرنسية:

Encyclopdie de l'Islam. (5 vols.).

Larousse du XXe sicle. (6 vols.).

D'Herbelot, Bibliothque Orientale. (3 vols.).

Encyclopdie Photographique. (3 vols.).

خامساً - الموسوعات الألمانية:

Pauly - Wissowa Realencyclopä + die der Klassischen Altertums-wissenschaft. (67 vols.).

Reallexikon der Assyriologie. (2 vols.).

١١ - مواطن طباعة الكتب العربية:

وما يرى اليوم من كتب عربية في المكتبة، قد طبع في مختلف الأقطار والمدن. فبعضه منشور في ديار الغرب. ويقف المطالع على أسماء مدن كثيرة نشرت فيها هذه الكتب، وهي تقع في: انكلترا، فرنسا، ألمانية، هولندا، إيطالية، روسية، الدانمرك، السويد، اسبانية، النمسا، الولايات المتحدة، المكسيك، الأرجنتين.

أما أقطار الشرق، فما في المكتبة من مؤلفات عربية، مطبوعة في جملة منها. وهذه الأقطار هي: العراق، سورية، لبنان، شرق الأردن، فلسطين، مصر، تونس، الجزائر، طرابلس، مراكش، مالطة، الحجاز، السودان، تركيا، إيران، الهند، باكستان.

ولنا أن نقول: إن الكتب العربية المطبوعة في العراق، جرى طبعها في مطابع كثيرة أنشئت في جملة مدن عراقية، ولا سيما في: بغداد، الموصل، البصرة، النجف، كربلاء، الكاظمية، كركوك، العمارة، الحلة.

١٢ - المؤلفات العربية التي طبعت قبل مئة سنة فأكثر (٢٠):

ويزخر القسم العربي في هذه المكتبة بجمهرة كبيرة من المطبوعات العربية القديمة، وكثير منها قد عني جماعة من علماء الاستشراق بتحقيقه

ونشره في ديارهم. وبين ذلك ما يعدُّ في زمننا من نوادر المطبوعات. وسنذكر في الثبت الآتي أسماء ما في المكتبة من كتب طبعت سنة ١٨٥٥ فما قبلها، مبتدئين في ذكرها بالأقدم فالقديم فالحديث. وأحدثها، على ما يرى القارئ، طبع قبل مئة سنة:

القانون في الطب: لابن سينا. (مجلدان مطبوعان في رومة بمطبعة مديشي، سنة ١٥٩٢م).

مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الإدريسي. (رومة ١٥٩٢).

تاريخ المسلمين: للشيخ المكين جرجس بن العميد. (ليدن ١٦٢٥).
عجائب المقدور في أخبار تيمور: لابن عربشاه. (ليدن ١٦٣٦).
أنساب العرب من كتاب المعارف: لابن قتيبة (غوطا ١٧٧٥).
تاريخ أبي الفداء. (٤ مجلدات. كوبنهاغن ١٧٨٩ - ١٨٢٥).
الزيج الكبير الحاكمي: لابن يونس. (باريس ١٨٠٤).
نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: للشرواني. (كلكتة ١٨١١).
تحفة إخوان الصفا (كلكتة ١٨٢١).
المناقب الحيدرية: للشرواني. (لكناو ١٨١٩).
منتخبات تاريخية من شرح ابن نباتة القصيدة ابن زيدون، ومن النويري، ومن ابن قتيبة (طبعة راسموسن في كوبنهاغن ١٨٢١).
مقامات الحريري. (طبعة دي ساسي. باريس ١٨٢٢).
الكتاب المقدس (طبعة رجار واطسن. لندن ١٨٢٢).
صورة بلاد عراق العجم من كتاب المسالك والممالك: لابن حوقل. (ليدن ١٨٢٢).

فتوح مصر والإسكندرية: للواقدي. (ليدن ١٨٢٥).
مختصرات من كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات: للشعالبي. (فينة ١٨٢٩).

- الدر المنظوم في علم الأفلاك والنجوم. (مالطة ١٨٣٣).
- النخبة البيطرية في أوصاف خيل الجهادية. (بولاق ١٨٣٣).
- تخليص الإبريز من تلخيص باريز: وهي رحلة رفاة الطهطاوي إلى باريس. (بولاق ١٨٣٤).
- كليلة ودمنة. (بولاق ١٨٣٥).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة (٧ مجلدات. ليسك ولندن ١٨٣٥ - ١٨٥٨).
- شرح ألفية ابن مالك: لابن عقيل. (بولاق ١٨٣٦).
- الروض الحسن في أخبار ... الباشا حسن في أيام ولايته بإقليم اليمن: للرعامي. (لیدن ١٨٣٨).
- التعريبات الشافية لمريد الجغرافية. (بولاق ١٨٣٨).
- ألف ليلة وليلة. (جزآن من طبعة Maenaghten كلكتة ١٨٣٩).
- تقويم البلدان: لأبي الفداء. (باريس ١٨٤٠).
- لب اللباب في تحرير الأنساب: للسيوطي. (مجلدان. لیدن ١٨٤٠).
- شرح طبائع الحيوان: نقله إلى العربية أحمد فارس الشدياق. (مالطة ١٨٤١).
- الملل والنحل: للشهرستاني. (مجلدان. لندن ١٨٤٢ - ١٨٤٦).
- سلسلة تواريخ. (مجلدان. باريس ١٨٤٥).
- سياحة أمريقة: نقله من الفرنسية إلى العربية سعد نعام. (بولاق ١٨٤٥).
- شرح قصيدة ابن عبدون: لابن بدرون. (طبعة دوزي. لیدن ١٨٤٦).
- الملل والنحل: للشهرستاني. (طبع حجر بالهند ١٨٤٦).
- المشترك وضعاً والمفترق صقلاً: لياقوت الحموي. (غوتنجن ١٨٤٦).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي. (لیدن ١٨٤٧).
- آثار البلاد وأخبار العباد: للقزويني. (غوتنجن ١٨٤٨).

- عجائب المخلوقات: للقزويني. (غوتنجن ١٨٤٩).
- أحكام باب الإعراب عن لغة الإعراب: لجرمانوس فرحات. نشره
رشيد الدحداح. (مرسيلية ١٨٤٩).
- المعارف: لابن قتيبة. (غوتنجن ١٨٥٠).
- مقدمة الأدب: للزمخشري. (لييسك ١٨٥٠).
- المرآة الوضية في الكرة الأرضية: لكرنيليوس فنديك. (بيروت ١٨٥٢).
- شرح أشعار الهذليين: للسكري. (المجلد الأول. طبعة كوسكارتن.
لندن ١٨٥٤).
- الساق على الساق فيما هو الفارياق: أحمد فارس الشدياق. (باريس
١٨٥٥).
- رد المحتار على الدر المختار: لابن عابدين. (٥ مجلدات. بولاق
١٨٥٥).
- مقامات الألوسي: لأبي الثناء الألوسي. (طبع حجر. كربلاء ١٨٥٥).

١٣ - المؤلفات الإفرنجية التي طبعت قبل سنة ١٧٠٠ للميلاد:

أما المطبوعات الإفرنجية القديمة التي تحرّزها المكتبة، مما مضى
على طبعه مئة سنة فأكثر، فإنها عديدة يتعذر علينا الإحاطة بها في هذا
المقام. ولذلك سنقتصر على ذكر ما طبع منها في سنة ١٧٠٠ للميلاد وما
قبلها. وقد جرينا في ترتيبها على التسلسل الزمني لنشرها، مبتدئين بالأقدم:
Biblia Sacra (1470)^(٢١).

Pizaro (Petro), Persicarum Rerum Historia. (Antwerp, 1583).

Febure (M.), Teatro della Turchia. (Bologna, 1584).

Brissoni (B.), De Regio Persarum. 1595.

Buxtorf (I.), Rabbinic Bible (in Hebrew). (3 vols., Basel, 1618).

_____, Lexicon Chaldaicum, Talmudicum et Rabbinicum. (Basel,
1640).

Golius (I.), Lexicon Arabico - Latinum. (Leiden, 1653).

- Du Verdier, Abreg de l'Histoire d'Espagne. (Paris, 1659).
- Ignatio Jesu, Grammatica Linguae Persicae. (Rome, 1661).
- Herbert (Thomas), Relation du Voyage de Perse. (Paris, 1663).
- Della Valle (Pietro), The Travels into East - India and Arabia Deserta. (London, 1666).
- L'Ambassade de D. Garcias de Silva Figuerora en Perse. (Paris, 1667).
- Mandelslo (J.A. de), The Voyages and Travels into the East Indies. (London, 1669).
- Della Valle (P.), Reise - Beschreibung. (Geneve), 1674).
- Tavernier (J. - B.), The Voyage Through Turkey, into Persia, and the East Indies. (London, 1678).
- Dapper (O.), Reischreibung von Asia. (Nurnberg, 1681).
- Chardin (R.), Persian und Ost Indische Reise - Beschreibung. (Leipzig, 1687).
- Usserio (I.), Britannicarum Ecclesiarum Antiquitates Historia. (London, 1687).
- Buxtorf (I.), Lexicon Herbaicum et Chaldaicum. (Basel, 1689).
- Thevenot, Voyages (2 vols., Paris, 1689). Mischna sive Totius Hebraeorum Juris... 6 vols., Amsterdam, 1698-1703.

١٤ - كتب نشرت عن مخطوطات في مكتبة المتحف العراقي:

أقبل غير واحد من الباحثين المعنيين بنشر الكتب العربية القديمة، على تتبع ما في مكتبة المتحف العراقي من مخطوطات، ونقل ما يروق لهم منها، وتحقيقه، ونشره. ومن هؤلاء:

الشيخ محمد حسن آل ياسين: فقد نشر رسائل وكتباً كثيرة في مجموعته الموسومة «نفائس المخطوطات» (بغداد ١٩٥٣ - ١٩٥٥)، وقد صدر منها حتى الآن خمسة أجزاء اشتملت على ١٨ رسالة وكتاب، منها أربعة استند فيها إلى النسخ الخطية التي تحرزها مكتبة المتحف العراقي، وهي:

ديوان أبي الأسود الدؤلي. (انظر: المجموعة الثانية. ص ٨).

ديوان السموّل: صنعة أبي عبد الله نفطويه. (المجموعة الثالثة. ص: ج). رسالة آداب البحث وشرحها: لطاش كبرى زاده. (المجموعة الرابعة. ص ٢٦).

منازل الحروف: لعلي بن عيسى الرمانى. (المجموعة الخامسة. ص ٧). عبد الكريم الدجيلي: نشر «ديوان أبي الأسود الدؤلي» (بغداد ١٩٥٤). وقد استند إلى نسخة المتحف العراقي فيما استند إليه من نسخ في تحقيق هذا الديوان. [انظر الصفحة (ج، د، ف، ص، ق، ر، من مقدمة الديوان)]. خضر الطائي: حقق «ديوان العرجي» عن بعض نسخة المحفوظة في المكتبة. وقد أعده للطبع.

الدكتور مصطفى جواد: حقق المجلد الرابع من «تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب» لابن الفوطي^(٢٢)، عن نسخة المكتبة المصورة عن نسخة الظاهرية في دمشق. ولم يطبع.

سعيد الديوه جي: حقق كتاب «مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل»^(٢٣)، لنقولا سيوفي، عن نسخة المكتبة المصورة عن نسخة المؤلف المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس. وهو مهياً للنشر.

١٥ - المخصصات السنوية للمكتبة في ميزانية الآثار:

ليس في وسع مكتبة أن تنمو وتتكامل دون المال. فإذا أرصد لها في كل سنة مبلغ تستعين به على اقتناء الكتب الضرورية التي تفي ببعض مطالب القراء والمتتبعين، أتيح لها بعد مضي سنوات، أن تحرز مجموعة حسنة من أمهات المراجع. وهذه الحال تنطبق على مكتبة المتحف العراقي. فإن الحكومة العراقية، كانت وما زالت ترصد لها في كل سنة مبلغاً من المال. وإذا تتبنا أمر هذه المبالغ السنوية، ألفيناها في تزايد سنة بعد أخرى، تمشياً مع توسع المكتبة وتشعب الفروع العلمية التي تنطوي عليها كتبها. وفي الجدول الآتي، بيان ما خصص للمكتبة^(٢٤) في كل سنة من سني حياتها:

السنة المالية	المبلغ بالدنانير
١٩٣٣	٧٥
١٩٣٤	٩٠
١٩٣٥	١٧٥
١٩٣٦	١٧٥
١٩٣٧	٤٠٠
١٩٣٨	٣٨٥
١٩٣٩	٣٥٠
١٩٤٠	٤١٠
١٩٤١	٤١٠
١٩٤٢	٤١٠
١٩٤٣	٥٠٠
١٩٤٤	٦٠٠
١٩٤٥	٧٥٠
١٩٤٦	٧٥٠
١٩٤٧	٨٠٠
١٩٤٨	٨٠٠
١٩٤٩	٨٠٠
١٩٥٠	٢٠٠
١٩٥١	٥٠٠
١٩٥٢	٤٠٠
١٩٥٣	٧٥٠
١٩٥٤	١٠٠٠
١٩٥٥	١٥٠٠

وإننا لندرجو أن يزداد هذا المبلغ ازدياداً محسوساً في السنوات المقبلة، ليتيسر للمكتبة أن تقتني ما لا تزال تفتقر إليه من الكتب والمجلات العربية والشرقية والغربية. فإن هذه المكتبة وإن كانت اليوم أوسع مكتبات العراق وأغناها على الإطلاق، فإن أمامها أشواطاً بعيدة عليها أن تقطعها لتصبح في عداد أمهات دور الكتب الكبرى في الشرق الأوسط. ولن يتحقق ذلك إلا بالمال الوافر الذي يوصلها إلى هذه الغاية.

١٦ - نشاط المكتبة في هذه السنة:

بلغ عدد المطالعين في المكتبة خلال سنة كاملة (من ١ تشرين الأول ١٩٥٤ إلى ٣٠ أيلول ١٩٥٥، (٤٢٨٢) مطالعاً. فيكون معدل عدد المطالعين في كل يوم من أيام السنة نحواً من (١٢) مطالعاً.

أما الكتب المعارة للمطالعة (داخل المكتبة وخارجها)، فقد بلغ مجموعها خلال السنة المذكورة (١١١٣٥) مجلداً. فالمعدل اليومي لها زهاء (٥،٣٠) كتاباً.

وأما ما دخل المكتبة خلال تلك السنة عينها من كتب، سواء أ جاءت على سبيل الشراء أم المبادلة أم الإهداء، فقد بلغ مجموعها (١٤٨٧) مجلداً، فالمعدل اليومي لما أضيف إلى المكتبة نيف وأربع مجلدات. وفي الجدول الآتي تفصيل ما أجملناه:

الشهر	عدد المطالعين	الكتب المعارة			الكتب الواردة	
		في الداخل	في الخارج	بالشراء	بالمبادلة	بالإهداء
تشرين أول	٢٥٩	٨١٦	١٠٧	٤٤	١٨	٢٨
١٩٥٤	٣٢٢	٩١٦	١٠١	١٢	٣٠	٤٢
تشرين ثاني	٣٨٩	١٠٧٥	٧٨	٣٤	٥٦	٨١
كانون أول						
كانون						
ثاني ١٩٥٥	٣٦٥	٨٩٦٦	١٠٨	٥	٢٠	١٢
شباط آذار	٣٢٣	٩٢٢	٦٤	٢	٣٣	٢٥
نيسان أيار	٤٩٨	١١٩٢	١٠٤	-	٣٣	٤٦
حزيران	٤٠٥	٨٩٩	١٢٩	٣	٢٣	٢٧
تموز آب	٣٥٣	٦٤٣	٧٥	٢٦	١٨	٤١
أيلول	٣٣٥	٦٧٦	٧٥	٥٣	٢٩	٨١
	٣٢٩	٦٦١	٧٩	١٥٩	٢٩	٢٠
	٣٤٣	٧٨٨	٤٨	٢١٩	٣٦	٤٦
	٣٦١	٦٠٤	٧٩	١٣٥	٣٢	٢٩
المجموع	٤٢٨٢	١٠٠٨٨	١٠٤٧	٦٥٢	٣٥٧	٤٧٨

١٧ - معارض الكتب:

نظراً إلى ما تعانيه المكتبة من ضيق في البناية التي هي فيها الآن، لم يكن في وسعها إقامة معارض للكتب فيها. ومع ذلك، فقد أقامت في سنة ١٩٥٢ معرضاً حافلاً بمؤلفات ابن سينا، عرضت فيه مجموعة واسعة من تلك الكتب المطبوعة والمخطوطة والمصورة بالفوتستات. وقد ملأ هذا المعرض قاعتين من قاعات معهد الفنون الجميلة، وكان ذلك بمناسبة المهرجان الألفي لابن سينا المقام في بغداد من ٢٠ إلى ٢٨ آذار ١٩٥٢.

وقد صدر في هذا الشأن «دليل معرض كتاب ابن سينا» (مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٥٢؛ ١٦ ص).

ثم إن المكتبة اختارت طائفة صالحة من مخطوطاتها العربية، فعرضتها في بعض قاعات دار الآثار العربية في خان مرجان منذ سنة ١٩٤٦. وهي ما زالت على ذلك حتى اليوم. وعدد هذه المخطوطات (٥٢) مخطوطة، اجتمعت فيها جملة مزايا أثرية وفنية استوجبت عرضها على الناس.

ولقد ساهمت المكتبة في بعض معارض الكتب الأخرى التي عنيت بعض المؤسسات العلمية والمعاهد الثقافية في بغداد بإقامتها. وهذه المعارض، هي:

معرض الكتب الإنكليزية الذي أقامه المعهد الثقافي البريطاني في بغداد من ٢٦ شباط إلى ٥ آذار ١٩٥٤. ومعظم ما اشتمل عليه هذا المعرض من كتب، جيء به من مكتبة المتحف العراقي. وقد أشير إلى ذلك في النشرة التي طبعت عن هذا المعرض بعنوان:

The British Council Institute, Baghdad, Exhibition A selection of British Maps and Books on Iraq before 1920.

وساهمت المكتبة بعرض طائفة من المخطوطات الثمينة، في المعرض الشامل لوجوه النشاط الثقافي الذي أقامته «دار المعلمين العالية» ببغداد، في اليوم الثاني من أيار ١٩٥٥، فعرف بـ «يوم الدار».

كما ساهمت المكتبة بعرض بعض المطبوعات العراقية، من كتب وجرائد، في معرض الكتاب العراقي الذي عنيت بإقامته «مكتبة الخلائي العامة» في بغداد، خلال ١٤ - ٢١ نيسان ١٩٥٥.

١٨ - الختام:

ها قد مضى على إنشاء المكتبة نحو من ربع قرن، وهي سائرة خلال هذه المدة بخطى ثابتة. فاتسع نطاقها وكثرت كتبها حتى أضحت أكبر مكتبة

عراقية في عصرنا. فليس بين المكتبات العامة والخاصة ما يدانيها في عدد كتبها، وهذه الكثرة قد اقترنت بالنفاسة. ولعل رواد المكتبة من العلماء الباحثين والمطالعين المتبعين يؤيدون هذا.

وإننا لنرجو، أن تزداد هذه المكتبة اتساعاً سنة بعد أخرى، ليتسنى لها أداء رسالتها الثقافية على خير ما يرجى.



هوامش البحث

- (١) راجع في شأن هذا المقال: المعرفة [١ بغداد ١٩٦١] ٤ ص ٢١. وانظر ملاحظتنا في ختام مقال المؤلف (مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد).
- (٢) خزائن الكتب القديمة في العراق: لكوركيس عواد. (بغداد ١٩٤٨؛ ص ٤٢ - ٧٦).
- (٣) التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق لسنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ (بغداد ١٩٥٥؛ ص ١٢٦).
- (٤) هذا الرقم يشير إلى مجموع ما احتوت عليه المكتبة من مطبوع ومخطوط لغاية يوم ١٩٥٥/٩/٣٠.
- (٥) نوهنا بأسماء هذه المؤلفات، في مقالة ترجمنا فيها الأب أنستاس. (انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣ [١٩٤٨] ص ٦٠٨ - ٦١٦).
- (٦) الكرشونية، بالكاف الفارسية: لفظة سريانية. والمراد بها هنا، المخطوطات العربية المكتوبة بحروف سريانية.
- (٧) ديوان العشاري: نشره عماد عبد السلام رؤوف ووليد الأعظمي - مرت ملاحظة بشأنه في المقال السابق.
- (٨) مجمل اللغة لابن فارس نشره هادي حسن حمودي في خمسة أجزاء: معهد المخطوطات العربية - الكويت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٩) الجزء الأول ٤٩٢ ص - الجزء الثاني ٤٨٦ ص - الجزء الثالث ٥١٢ ص - الجزء الرابع ٥٧٤ ص - الجزء الخامس (الفهارس) ٢٤٠ صفحة.
- (١٠) الفتحة في الموسيقى نشرها هاشم محمد الرجب - لاحظ الهامش الخاص بها في المقال السابق.
- (١١) المستقصى في أمثال العرب: نشرته دائرة المعارف العثمانية - الجزء الأول ٤٥٢ ص - الجزء الثاني ٤١٧ ص - حيدر أباد الدكن - ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.
- (١٢) الزهرة: مرت ملاحظة بشأنه في المقال السابق.
- (١٣) ديوان المزدرد (يزيد بن ضرار الغطفاني) نشره خليل إبراهيم العطية. مرت ملاحظة بشأنه في المقال السابق.
- (١٤) المصباح المضيء نشرته ناجية عبد الله إبراهيم في جزأين:
ج ١ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ٦٠٣ صفحات.
ج ٢ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ٤٩٦ صفحة.
مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد.
- التاريخ الغياثي: نشر طارق نافع الحمداني الفصل الخامس منه. لاحظ الهامش الخاص به في المقال السابق.
- (١٥) غاية المرام للعمري نشرها علي البصري (بغداد ١٩٦٨ م).

- (١٦) ديوان العرجي نشره رشيد العبيدي وخضر الطائي (بغداد ١٩٥٦م). (مرت ملاحظة بشأنه).
- (١٧) لم ينشر الفهرس الوصفي هذا.
- (١٨) تجد مقالي المؤلف في موضعهما من هذا الكتاب.
- (١٩) تجد مقالي المؤلف في موضعهما من هذا الكتاب.
- (٢٠) المؤلفات العربية المطبوعة قديماً: للمؤلف (أقدم المطبوعات العربية في الخافقين منذ فجر الطباعة العربية حتى سنة ١٨٠٠م) تجده في موضعه في هذا الكتاب.
- (٢١) هذا أقدم كتاب مطبوع في المكتبة. وهو من المطبوعات القديمة المصطلح عليها عند الغربيين بلفظة Incunabula.
- (٢٢) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي صدر في أربعة أجزاء: وزارة الثقافة والإرشاد - دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧م.
- (٢٣) مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل صدر في (الموصل ١٩٥٦م).
- (٢٤) هذه المبالغ هي لشراء الكتب، والمشاركة في الجرائد والمجلات، ودفع أجور التجليد. أما رواتب الموظفين والمستخدمين في المكتبة، وكذلك شراء الأثاث واللوازم، فلا تدخل ضمن هذه المبالغ.



ميخائيل عواد ومنهجه في تحقيق المخطوطات مخطوط رسوم دار الخلافة أنموذجاً

م. شيماء ماجد الحبوبي

وُلد ميخائيل حنا عواد في مدينة الموصل عام (١٩١٢م)، وقد تلقى دراسته الأولية فيها ثم تخرج من دار المعلمين الابتدائية سنة (١٩٣١م) واشتغل في سلك التعليم ثم انتقل في عام (١٩٤٤م) من مهنة التعليم ليصبح سكرتير وزير المعارف^(١)، مدة ست وعشرين سنة^(٢)، وقد درس على يد الأب أنستاس الكرملي^(٣) فحبّب إليه تحقيق وفهرست التراث، ونهل من مكتبة دير الآباء الكرمليين، وقد بدأ بكتابة أول مقال وهو في العشرين من عمره وقد نشره في مجلة النجم التي كانت تصدر في الموصل بإشراف القس سليمان الصائغ سنة (١٩٣٣م) وكانت بعنوان مآثر القرن التاسع عشر^(٤).

اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي عام (١٩٧٩م)^(٥)، وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني عام (١٩٨٠م)، تتناول أعماله العلمية الحضارة العربية والتراث ويتقن اللغة العربية وله إلمام بالسريانية والانكليزية^(٦).

تقلد عدة لجان في المجمع العلمي منها لجنة التاريخ عضواً منتجباً ولجنتين للسريانية الأولى هي لجنة معجم الأدب السرياني، والثانية لجنة

اللغة والتراث فضلاً عن أبحاثه التي تتصدر في المجمع^(٧).

لقد امتلك هذا البحاث طريقة في الكتابة امتازت بالرقى، فالمتصفح لأي من كتاباته يجد أنه قد رحل به إلى العالم الذي يكتب فيه فيشده إليه رغماً عنه ودون أن يشعر وبعد أن يقرر الاطلاع على صفحة أو صفحتين يجد نفسه ودونما شعور يستمر لإكمال ما بدأه، وبغض النظر إن كان القارئ في مجال الاختصاص أم لا. لذا نجد أن معظم أبحاثه قد ترجمت إلى لغات عدة منها الانكليزية والألمانية والروسية ولغات شرقية أخرى، لقد كانت لميخائيل عواد مؤلفات تنوعت بين كتب موضوعية بلغت أربعة عشر كتاباً، وكتب محققة بلغت تسعة كتب، مائة وسبعون مقالاً منشوراً في الدوريات العربية والعالمية، فضلاً عن مائة وستين حديثاً أذيع في إذاعات محلية وعالمية^(٨) ومنها:

- ١ - دير فنى موطن الوزراء والكتاب وتم إصداره عام ١٩٣٩م.
- ٢ - المآصر في بلاد الروم والإسلام وأصدر عام ١٩٤٨م.
- ٣ - صور من حضارة العراق في العصور السالفة - صناعة البلور والزجاج وقد تم إصداره عام ١٩٦٢م.
- ٤ - ألف ليلة وليلة مرآة الحضارة في العصر الإسلامي وقد تم إصداره عام ١٩٦٢م.
- ٥ - أبو تمام الطائي، حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية، وقد أصدر عام ١٩٧١م، وهو كتاب مشترك مع أخيه كوركيس عواد.
- ٦ - الخليل بن أحمد الفراهيدي حياته وآثاره في المراجع العربية والأجنبية وقد تم إصداره عام ١٩٧٢م، مع أخيه كوركيس عواد.
- ٧ - رائد الدراسة عن المتنبي تم إصداره عام ١٩٦٤م واشترك فيه مع أخيه كوركيس.
- ٨ - رسوم دار الخلافة تأليف أبي الحسن هلال بن المحسن الصابي، حققه عام ١٩٦٤م.

- ٩ - أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء تأليف هلال بن المحسن الصابي، وهو كتاب حققه عام ١٩٤٨م.
 - ١٠ - رسائل أحمد تيمور إلى الأب أنستاس الكرملي، حققه مع أخيه كوركيس عواد عام ١٩٤٧م.
 - ١١ - مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية تأليف ظهير الدين الكازوني وحققه مع أخيه كوركيس عام ١٩٦٢م.
 - ١٢ - مخطوطات المجمع العلمي العراقي، دراسة وفهرسة، أصدره عام ١٩٧٩م.
 - ١٣ - صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي أصدره عام ١٩٨١م وأعيد طبعه عام ١٩٨٦م^(٩).
- أما من أبحاثه التي نشرت في مجلة المجمع بحث بعنوان أعضاء الإنسان المصطنعة عند العرب، ولمحات من أثر الشرق في الغرب، ومصطلحات حضارية في التراث العربي^(١٠).
- لقد كان تأثير كوركيس عواد في أخيه ميخائيل أشد من تأثير أبيه فيه، فهو الذي علمه كيف يكتب ويحقق في المخطوطات، ومتى ينبغي أن يكتب المقالة التي تثير الجدل في القراءة وجعله ملماً بأصول البحث وبأصول تفكيك المخطوطة التراثية، وقد بلغت درجة التأثير التشابه في كل شيء في الصوت والمشى والخط والهيئة والشكل، بل ومن الطريف أن ميخائيل وأخاه قد بلغا الخمسين فتزوجا في اليوم نفسه والمدينة والبيت وتشابهت أسماء زوجاتهما^(١١).
- فضلاً عن تأثر ميخائيل عواد بالأب أنستاس الكرملي الذي أمدّه بالكثير من المعلومات والكتب، إذ استمر ميخائيل بالتردد إلى مجلس الأب أنستاس الكرملي وكان ذلك في عامي ١٩٤٦م و١٩٦٣م، وكان يطلع في هذا المجلس على بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة التي وردت حديثاً

للأب أنستاس الكرملّي فيكون في وقوعه وزملائه مادة حسنة للحديث في تلك الجلسة^(١٢).

ومن الجدير بالذكر أن لجنة الروائع العالمية قد صنفت كتاب ميخائيل عواد (رسوم دار الخلافة) ضمن الكتب المنتخبة لتكون من روائع الأدب العالمي بحسب ما جاءت به وثائق منظمة اليونسكو^(١٣)، الأمر الذي دفع الباحثة إلى اختياره كنموذج لدراسة منهجية الأستاذ ميخائيل عواد.

كان المحقق قد تمكن من الحصول على نسخة من المخطوط (رسوم دار الخلافة)، بأن أهداها له بواقع نسختين الأب أنستاس الكرملّي الأولى كانت مصورة بيده، والنسخة الثانية كانت مستنسخة عن أصل فريد للمخطوط محفوظ في خزائن الكتب في مكتبة الأزهر^(١٤)، ويبدو أن المحقق قد اكتفى بالحصول على تلك النسخة دونما محاولة البحث عن نسخ أخرى وربما يكون ذلك راجعاً إلى صعوبة الاتصال في المرحلة التي حقق بها المخطوط.

وبعد أن أتم ميخائيل عواد نسخ المخطوط وقراءته نجده يستعين بالمصادر الأصلية الأساس والملائمة لموضوع الكتاب والفترة الزمنية التي عاش فيها المؤلف، وما قبلها فنجد استعان بمصادر ترجع إلى سنة (١٤٢هـ) لينتهي بمصادر تعود لسنة (٩١١هـ)، مع ملاحظة اعتماده على مصادر تتوزع على (٣٠٠هـ) و(٤٠٠هـ) فضلاً عن السنوات الأخرى بما يخدم موضوع الكتاب^(١٥)، فضلاً عن المراجع الحديثة التي لجأ إليها المحقق في أغلب الأحيان وبذلك يمكن القول أنه أحسن في انتقاء المصادر والمراجع والتنويع بينها، إذ استعان بالكتب التاريخية، وكتب الفلسفة والطب وكتب أدب التعامل فضلاً عن كتب اللغة العربية والمعاجم وكتب الفهرسة^(١٦).

استخدم المحقق المصادر التاريخية ذات التخصص في الحوادث التاريخية والوفيات فمثلاً قوله: «....وحدث إسماعيل بن صبيح قال: سألني

الرشيد يوماً عن مبلغ ماله، فقلت: ثمانمائة ألف ألف وثلاثمائة وسبعون ألف ألف درهم. فقال: أحب أن تبلغ بنوراً، والبنور ألف ألف ألف. فقلت: لا أراني الله ذلك، ولا كان. فضحك ثم قال: كأنك تذهب إلى أن الإنسان إذا أعطي أمنيته أتمته منيته، قلت: ما خطر لي هذا ببال، لكني أحب أن يكون أبداً في زيادة في المال والدنيا. قال: فكم كان مال أبي؟ يريد المنصور، فقلت: مالك أكثر منه بعشرة آلاف درهم^(١٧)، ونجد أن المحقق هنا قد علق في الهامش مستعيناً بكتاب يخص بالذكر... فأورد: «روى أحد المؤرخين أن المنصور مات عن تسعمائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم، ومات الرشيد وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف (الطبري ٣: ٧٦٤) (الكامل ٦: ١٤٦) وقيل: مائة ألف ألف دينار (الثعالبي: لطائف المعارف، ص ٧١، نقلاً عن الصولي) ومن الأثاث والعين والورق والجوهر والدواب، سوى الضياع والعقار ما قيمته مائة ألف ألف دينار (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٦ نقلاً عن الصولي)^(١٨).

أما طريقة المحقق في تحقيق الأعلام والأماكن فنجدها مختلفة عن طريقته في ذكر الحوادث التاريخية فنراه يورد أسماء الأشخاص والأماكن ومصطلحات لغوية فيعرفها في هامش الكتاب دونما ذكر للمصدر، أي إنه يتصرف بها على الرغم من أنه يستخدم الكتب الخاصة بالتراجم والمعاجم اللغوية وكتب الأدب، والتي ذكرها في فهرس المصادر والمراجع، فمثلاً يورد تعريف لعبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي، فيقول هو من أشهر أمراء بني حمدان كان قائداً مقدماً في دولة بني العباس أيام المكتفي والمقتدر تولى الموصل وغير ذلك من الأعمال الجليلة قتل سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) وينهي المحقق كلامه دونما الرجوع إلى اسم المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات^(١٩)، وأيضاً في تعريفه لمصطلح الأكرة فيورد: الأكرة بفتحيتين والأكارون: جمع الأكار بالفتح وتشديد الكاف هو الحرث أو الزرع^(٢٠) وأيضاً فيما يخص الأماكن ورد في الكتاب مصطلح (دار

المملكة^(٢١)، فيورد المحقق في هامش الكتاب: أراد بها دار المملكة المعزية البويهية، وهي غير الدار المعزية (دار المملكة السلجوقية) التي سميت أيضاً دار السلطنة كانت دار المملكة المعزية تقع في الجانب الشرقي من بغداد على شاطئ دجلة، موضعها اليوم أرض الصرافية بين الجسر الحديد والعيوانية^(٢٢).

لقد سبقت الإشارة إلى أن المحقق قد استعان بالمصادر الأصلية في الهوامش، لإيضاح تسميات الأعلام أو الحوادث أو الأماكن وما إلى ذلك من المصطلحات التي وردت في متن الكتاب فمثلاً وردت لفظة (آل قرة)، والتي يحيلها المحقق إلى عدد من المصادر في الهامش فيورد في الهامش: «في الفهرست لابن النديم ص ٢٧٢، وأخبار الحكماء للقفطي ص ١١٥، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١: ٢١٥ - ٢١٦)، في ترجمة أبي الحسن ثابت بن قرة الحراني، قولهم: كان ثابت بن قرة صيرفيا بحران، ثم اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلد الروم، لأنه رآه فصيحاً، فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين، وهو أدخل رئاسة الصابئة إلى أرض العراق، فثبتت أحوالهم وعلت مراتبهم وبرعوا...، وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم....»^(٢٣).

يبدو أن المحقق قد استخدم طريقتين في تعريف الشخصيات الواردة في الكتاب، الطريقة الأولى هي التعريف بالشخص المذكور في متن الكتاب في الهامش وإرجاع هذه المعلومات إلى الكتب مثل إيراد المحقق اسم «أبي علي بن نبهان أبو علي بن أبي الغنائم الكاتب سبط هلال بن المحسن الصابي، كان شاعراً أديباً توفي سنة (٥١١هـ) عن مئة سنة كاملة، ودفن في داره في الكرخ. أخبار المنتظم (٩: ١٩٥)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ) نسخة مصورة في خزانتنا عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس برقم ٥٩٢١ عربي: الجزء الأول الورقة ٥١ب، الوافي

بالوفيات (٣: ١٠٤)، البداية والنهاية (١٢: ١٨١)، النجوم الزاهرة (٥: ٢١٤)، شذرات الذهب (٤: ٣١)»^(٢٤).

أما الطريقة الثانية التي استخدمها المحقق فهي إيراد التعاريف للأشخاص والأماكن والوظائف من دون الرجوع إلى مصدر، فمثلاً يورد في المتن أبو سعد بن عبد الرحيم، يوضحه في الهامش بقوله: «وزر دفعات للملك أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة، مات سنة (٤٣٩هـ)^(٢٥) من دون أن يكرر اسم المصدر الذي استقى منه هذه المادة. وبذلك يكون قد اعتمد في الطريقة الأولى على النقل الحرفي، أما الثانية فكان يعتمد فيها على حفظه ومعلوماته بعيداً عن المصادر.

كما نجد أن المحقق أورد في هوامش الكتاب آراءً لكتاب آخرين فمثلاً يذكر في المتن محمد غرس النعمة فيعلق عنه في الهامش ويقول: «إن كرنكو علق في مادة الصابي من دائرة المعارف الإسلامية (زال مجد بيته بموته)، ومن ثم يضع المحقق تعليقه على هذا القول فيقول: ولا نرى الصواب في ذلك، فقد نشأ بعد غرس النعمة من اشتهر أيضاً من أبناء هذه الأسرة، منهم أبو علي الكاتب محمد بن سعيد بن ابراهيم بن نبهان (ت ٥١١هـ) وهو سبط هلال بن المحسن الصابي، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن هلال بن المحسن الصابي (أخباره في الإعلان بالتوبيخ)، وحفيده أبو الحسين محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الصابي، صاحب ديوان الإنشاء في أيام المستضيء بالله، له عدة مصنفات مات سنة ٦١٩هـ (أخباره في الأعلام بتاريخ أهل الإسلام)، وغيرهم»^(٢٦)، ومما يلفت الانتباه أن المحقق لم يثقل المتن بالأحداث ويبدو أن ذلك يرجع إلى رغبته في عدم خلط المعلومات بالأحداث التاريخية فتلتبس على القارئ وإنما يوضحها بعرض أحداث تاريخية مع بعض تفاصيلها في الهامش، فمثلاً يورد: «ذكر المؤرخون أحداث عام (٣٧٠هـ)، أن عضد الدولة أوعز لصاحبه المقيم بميفارقين سراً بأن يقبض على برذس السقلاروس المعروف بـ (ورد) فأظهر

عضد الدولة الإنكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله، وكتبه بأن يحمله إلى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقدير ثلاثمائة نفس، ولما وصل (ورد) انزله عضد الدولة داراً خلّيت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعدته بإطلاقه وتجريد عسكر معه وبقي ورد وأصحابه في الحبس مدة ثمانية أعوام ثم أفرج عنهم^(٢٧). وأيضاً قوله: «أطلق لهم صمصام الدولة دواباً وسلاحاً مما كان أخذه منهم وأحضر بنو المسيب رؤساء بني عقيل ليسيروا معه وبرز به إلى ظاهر مدينة السلام، فثقل على كثير من المسلمين إطلاقه وأكثروا الكلام في معناه»^(٢٨).

ولم تقتصر هذه الطريقة على الحوادث التاريخية، وإنما شملت أيضاً التعريف بآداب التعامل فيذكر المحقق في الهوامش نصوص تخص أدب التعامل والخدمة: «ذكر صاحب آثار الدول في ترتيب الدول في عرض كلامه عن أدبي الدخول على الملك ومخاطبته ومجالسته، أن منهم من يرى خدمة تقبيل الأرض إذا كان الملك راكباً، والعتبة إذا كان جالساً، ومنهم من يرى تقبيل البساط، ومنهم من يرى الانحناء في الخدمة كالركوع، ومنهم من لا يرى إلا السلام والخطاب بالنعته الأتم الأكمل والجلوس، فأما تقبيل اليد عند القدوم وعند البيعة وعند العفو وعند تجديد الإحسان فعادة سوية لم يمنعها شرع ولا سياسة». كما يورد المحقق في ذات الموضوع: «ذكر الجاحظ في باب الدخول على الملوك إن كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف أي - الداخل - منه بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً، فإن استداناه قرب منه فأكب على أطرافه يقبلها ثم تنحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبته، فإن أوماً إليه بالقعود قعد، فإن كلمه يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثان ولا انتظار أمر»^(٢٩).

كما نجد المحقق قد أوضح في هوامش الكتاب معاني مفردات وردت

في المتن من دون إرجاعها إلى المعاجم اللغوية بل اكتفى بذكر المعنى أو المقصد منها فقط، مثل ذلك كلمة الهوادي^(٣٠)، وكلمة غلس^(٣١) وغيرها من الكلمات المتوفرة في معظم صفحات الكتاب.

ويبدو مما سبق أن المحقق لم ينتهج منهجاً واحداً في صياغة هوامش كتابه رسوم دار الخلافة، ولا يعرف السبب في ذلك، فبالرغم من استخدامه لمصادر هامة إلا أنه مرة يشير إليها ومرات يمتنع عن الإشارة ويكتفى بالاعتماد على حفظه ومعلوماته وربما يكون إغفالاً منه من دون أن يقصد أو يتعمد ذلك.

أما فيما يخص فهرس الكتاب فمما يلفت انتباه القارئ هو الفهارس التي وضعها المحقق في نهاية الكتاب والتي يجد المتصفح لها جهد المحقق واضحاً ورائعاً فقد كانت تلك الفهارس شاملة ومنظمة، ومرتبة بطريقة رائعة، فقد حوى الكتاب على تسعة فهرس ابتدأها المحقق بفهرس الأسماء الأشخاص^(٣٢)، نظم وفق التسلسل الأبجدي وبطريقة مرتبة.

أما الفهرس الثاني فقد تضمن أسماء الأمم والقبائل والجماعات والملل والنحل الواردة في الكتاب^(٣٣)، وكما في فهرس الأشخاص فقد نظم وفق التسلسل الأبجدي، فضلاً عن فهرس خاص للأماكن والبقاع^(٣٤) وهو مماثل لما ورد في تنظيم الفهارس التي سبقته، ومن ثم يورد المحقق فهرساً عمرانياً عاماً ضمنه الألفاظ الدخيلة والمعربة، والمصطلحات ولغة الحضارة، والنبات والحيوان، والأحجار، والطيب، والطعام، واللباس، والآلات، والمسكن، وغيرها من الموضوعات^(٣٥)، أما خامس الفهارس فهو فهرس الكتب والمراجع، وفيه رتب المحقق المصادر والمراجع من خلال ذكر عنوان الكتاب أولاً ثم اسم المؤلف وسنة وفاته ومكان وسنة الطبع^(٣٦).

كما نجد أن المحقق قد خصص فهرساً للآيات القرآنية الواردة في الكتاب ورتبها بذكر اسم السورة أولاً ثم رقم الآية ورقم الصفحة التي

وردت فيها تلك الآية^(٣٧)، ومما يؤخذ على المحقق أنه وضع فهرس الآيات القرآنية بتسلسل سادس الفهارس في حين يتوجب أن يكون أول الفهارس الموضوعية ولا يعرف السبب في ذلك هل هو إغفال للمحقق وسهو منه؟

أما الفهرس الآخر فهو فهرس القوافي^(٣٨) وهو مرتب كسابقه حسب الأبجدية، فضلاً عن فهرس الحوادث التاريخية، وأورد فيه المحقق رقم الصفحة أولاً ثم السنة وفق التقويم الهجري والميلادي ومن ثم شرح الحادثة الحاصلة في تلك السنة^(٣٩).

وأخر تلك الفهارس فهرس ضم محتويات الكتاب:

نلاحظ من خلال الاطلاع على محتويات الكتاب أن المحقق قد ضمن الفهارس التي وضعها جميع الأسماء الخاصة بالأشخاص والأماكن والأقوام والأسماء العمرانية والآيات القرآنية والقوافي الواردة والحوادث التاريخية الواردة في الكتاب من دون إغفال أي منها وقد نظمها على قدر كبير من الدقة والترتيب وحسب الأبجدية وهو مجهود رائع يحسب للمحقق في هذا المجال.

اختلفت الآراء التي أبداهها ذو الاختصاص في كتاب رسوم دار الخلافة فبعضهم كان يرى في الأستاذ ميخائيل عواد إنساناً متمكناً من عمله وعلى دراية كبيرة بفنون الكتابة والتحقيق، والبعض الآخر أبدى بعضاً من الملاحظات حول الكتاب ومنهم الدكتور عبد العزيز الدوري ومن تلك الملاحظات قوله: « كنت أتمنى أن يتوسع الناشر أكثر مما فعل في هلال المؤرخ، ليعرفنا بأسلوبه كمؤرخ من آثاره المتيسرة»، كما أنه كان يود أن يختم الناشر حديثه عن الصلة بين المؤلف وثابت بن سنان، برأيه الأخير في الموضوع وإن كان ذلك مفهوماً مما ورد، كما نجد أنه قد صحح بعض المعلومات التي وردت في متن التعليق وهي معلومات تاريخية مع إirاده المصادر التي رجع إليها مثل ذلك قوله: «إن كلمة الشحنة كانت تعني

الرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله، كما ذكر الجواليقي ولم يطلق على المنصب إلا في العصر السلجوقي، ففي العصر السلجوقي استعملت لتعني الحاكم العسكري في المدة التي تقع تحت الإدارة السلجوقية مباشرة والشحنة آنئذٍ مسؤول عن الإدارة وعن حفظ النظام وقد يكلف بالجباية^(٤٠).

وغير ذلك من المعلومات التاريخية وهذه المسألة لا تضعف أو تقلل من شأن الكتاب أو جهد المحقق بقدر ما يراد منها إخراج عمل متكامل.

الخاتمة:

كانت للأستاذ ميخائيل عواد آثار واضحة وبصمات مؤثرة تركها في التراث العربي سواء كان في مجال اللغة أم في مجال التاريخ ومخطوط رسوم دار الخلافة هو من أروع الأعمال التي خرجت من بين يدي هذا الإنسان، فقد بذل فيه جهداً يحسب له من خلال استخدامه للمصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع، فضلاً عن الدقة والتنظيم ومحاولته إيضاح كل صغيرة وكبيرة وردت في الكتاب، وإن كانت فيه بعض الأمور الصغيرة المنهجية التي سقطت من بين يدي المحقق سهواً ولكن يبقى هذا الإنسان بما حمل من العلم والقدرة على شد الشخص العادي قبل ذا العلم لقراءة نتاجاته العلمية هو شمعة أضاءت ونورت دروب من جاء بعدها من الأجيال نحو طريق العلم، رحمه الله وأثابه.



المصدر: المخطوطات العربية وعلم الحفظ والتوثيق، ندوة قسم الدراسات التاريخية: إشراف أ.د. شمران العجلي، إعداد وتحرير م.م. محمد جبار الجمال، منشورات بيت الحكمة، ط ١، بغداد - ٢٠١٢، ص ٣٣٦.

هوامش البحث

- (١) خالد العزي، في تكريم العوادين المحققين الراحل كوركيس والأستاذ ميخائيل، بحث منشور ضمن كتاب كوركيس عواد ذكرى وعبرة، لا مكان، لا.ت، ص ٥٨.
- (٢) حميد المطيعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ج ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥م، ص ٢٠٦.
- (٣) أنستاس الكرملي: هو بطرس جبرائيل يوسف عواد المعروف بالأب أنستاس الكرملي ولد في بغداد بتاريخ (٥ آب ١٨٦٦م)، وهو رجل دين مسيحي ولغوي، عراقي الأم لبناني الأب، وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية كان يرى في الخروج على العربية خطأ لا يمكن قبوله أو التساهل فيه، ساهم في عملية التعريب وأصدر مجلتيين وجريدة. <http://ar.wikipedia.org/wiki/>، وينظر كوركيس عواد، أنستاس الكرملي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦م.
- (٤) موسوعة الموصل الحضارية.
- (٥) سالم الآلوسي، المجمع العلمي العراقي في خمسين عاماً، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣١٢.
- (٦) صباح ياسين الأعظمي، المجمعيون في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٧، ص ١٥٨. وينظر: صباح ياسين الأعظمي، أعلام المجمع العلمي العراقي (١٩٤٧ - ٢٠٠٤م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٧٠ - ١٧١.
- (٧) حميد المطيعي، الباحثة ميخائيل عواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م، ص ٤١ - ٤٢.
- (٨) توما شماني، ميخائيل عواد المنسي، <http://maakom.com/site/article/1740>.
- (٩) المصدر نفسه.
- (١٠) عبد الله الجبوري، كشف مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٠م، ص ١٠١.
- (١١) حميد المطيعي، الباحثة ميخائيل عواد، ص ٢٧ - ٢٨.
- (١٢) كوركيس عواد، المصدر السابق، ص ٣٢ - ٣٣.
- (١٣) توما شماني، المصدر السابق.
- (١٤) أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨هـ)، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م، ص ٤٠.
- (١٥) جرد أجرته الباحثة على قائمة المصادر والمراجع في الكتاب نفسه.
- (١٦) فهرس مصادر ومراجع الكتاب.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٠.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٣٠.

- (١٩) المصدر نفسه، ص ٧، ص ٩، ص ١٣، ص ٢٢، ص ١٤....
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ١١، ص ١٢،
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٤.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ٥،
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ١١ - ١٢، ص ١٢ - ١٣، ص ١٧، ص ٣١، ص ٩، ص ١٤، ص ١٦، ص ٢٨.....
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢٢، ص ٣، ص ٧، ص ٨، ص ١١، ص ١٢، ص ١٨، ص ٤٧، ص ١٠٨، ص ١٢٨.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٥.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ١٥، ص ٢٧، ص ٦٠، ص ٦٧،
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٣١، ص ٣٢، ص ٣٣،
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٤.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ...، ٢٣، ٣٣، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٩، ٥٧، ٦٦، ٧٢،
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧ - ١٠٧.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ١٥٨ - ١٠٩.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ١٦٠ - ١٦٣.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ١٦٤ - ١٧١.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ١٧٢ - ١٨٨.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٩١.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ١٩٢ - ١٩٣.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ١٩٤ - ١٩٥.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٠١.



التوثيق الإعلامي أصوله التاريخية وجوانبه العملية (القسم الأول)

د. محمود علم الدين

موضوع الدراسة:

تعالج هذه الدراسة موضوع «التوثيق الإعلامي» أو مجموعة العمليات والإجراءات الفنية، التي تجري على المعرفة العلمية المتخصصة في مجال الإعلام أو الاتصال الجماهيري شاملة: الجمع والاقتناء.. التحليل الموضوعي: التصنيف والفهرسة والتكثيف والاستخلاص، التسجيل على وسائط ورقية تقليدية أو مصغرة أو وسائط إلكترونية، والتخزين ثم الاسترجاع اليدوي أو الآلي عند حاجة المستفيدين إليها إلى جانب الإعلام عما سبق، والنشر والبث، وبذلك يتحقق الاستخدام الأمثل لهذا الرصيد الفكري «المتخصص» «الموثق»، ويتسنى تيسير الاستفادة منه للدارسين والباحثين والممارسين ومتخذي القرار في مجالات الإعلام والاتصال الجماهيري والمهتمين بها.

وتمثل هذه الدراسة نقطة التقاء علمية وعملية، وحلقة وصل بين مجالين مهمين هما مجال الاتصال الجماهيري، (أو الإعلام) كما اصطلح على تسميته في كثير من الأدبيات العلمية المتخصصة خلال الفترة الماضية،

ومجال المعلومات، فالصلة وثيقة وشديدة وأساسية بين الاتصال وبين المعلومات على المستوى العملية.

فجوهر عملية الاتصال Communication Process هو المشاركة في الأفكار والمعاني والمعلومات من خلال الكلمات والكتابة وغيرها من الوسائل، وأحياناً بدون تبادل كلمات ورسائل بالإيماء والحركة وغيرها من الوسائل غير اللفظية والتعريفات المختلفة للاتصال - تؤكد طبيعة العلاقة بينه وبين المعلومات - وهذا بعضها:

- الاتصال هو إرسال واستقبال المعلومات بين الناس.
- الاتصال يحدث عندما توجد معلومات في مكان واحد أو لدى أشخاص ما ونريد توصيلها إلى مكان آخر أو شخص آخر.
- الاتصال هو استعمال الكلمات أو الخطابات أو أي وسيلة مشابهة للمشاركة في المعلومات حول موضوع أو حدث.

وكلمة اتصال مشتقة من الأصل اللاتيني Communis ومعناها عام أو شائع أو مألوف، وهكذا فإن الاتصال هو النشاط الذي يستهدف تحقيق العمومية أو الذبوع أو الانتشار أو الشيوع لفكرة أو موضوع أو نشأة أو قضية، عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو الآراء والاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو جماعات، باستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين.

ويمثل الاتصال العملية الأم أو الرئيسية التي يمكن أن تنطوي بداخلها عمليات فرعية أو أوجه نشاط متنوعة قد تختلف من حيث أهدافها، ولكنها تتفق جميعاً فيما بينها في أنها عمليات اتصال بالجمهير ومن هذه الأنشطة، الإعلام بأنواعه ومستوياته، والدعاية بألوانها وأنواعها، والدعوة، والعلاقات العامة، والحرب النفسية، والتي تستهدف كل منها تحقيق غايات وأهداف معينة في مجالات متنوعة قد تختلف عن غايات وأهداف أوجه النشاط الأخرى، إلا أن المتغير الرئيسي الذي يربطها جميعها هو كونها

عمليات اتصالية، تستخدم فنون الاتصال ووسائله وتقنياته في تحقيق أهدافها، من خلال توصيل رسائلها الإيصالية المتضمنة معلومات مقصودة.

أما المعلومات Information فهي المادة الخام لعملية الاتصال الجماهيري بكل أشكالها ومستوياتها.

وأصل كلمة معلومات Information في اللغة اللاتينية هو Informatio وتعني شرح أو توضيح شيء ما، وتستخدم الكلمة كفحوى لعمليات الاتصال بهدف توصيل الرسالة أو الإشارة التي هي (المعلومة) والإعلام عنها، كما تتصل الكلمة بفحوى أي تعامل يسري بين فرد وجماعته، أو بين مجموعة ومجموعة أخرى.

ويرى البعض أن المعلومات هي ذلك الشيء الذي يعدل أو يغير من البناء المعرفي بأي طريقة من الطرق، وبعض المعلومات تأتي إلينا بواسطة الملاحظة المباشرة لما يحيط بنا، والبعض مما يقوله الآخرون، والبعض من القراءة، وهناك مصادر أخرى غير ذلك قد لا نكون على وعي أو معرفة بها، وكل المعلومات التي تعدل أو تغير من البناء المعرفي هي نتيجة عمليات اتصال، فالعالم أو العارف يرى أو يسمع أو يتذوق أو يشم أو يلمس الشيء، وعلى الرغم من أنه يحدث في بعض الأحيان أن تفرض علينا المعلومات، إلا أن أي معلومات نكتسبها إنما هي نتيجة عملية يحدث فيها نوع من التنشيط لنظامنا العصبي بواسطة مصدر ما خارج عقولنا أو واردتنا، والعملية هي عملية الاتصال الشخصي أو الجمعي أو الجماهيري، والمصدر هو وسيلة الاتصال.

والمعلومات Information هي أساساً عبارة عن مجموعة من البيانات Data مقومة مفسرة محللة مرتبة منظمة، وتراكمها معاً عبر فترة طويلة يؤدي إلى تكوين المعرفة، التي هي أساس التقدم والرقي الاجتماعي والعلمي، وتأمل المعادلة التالية يوضح لنا أهمية المعلومات ووظيفتها وعلاقتها الوثيقة بالاتصال:

الملاحظة + التفكير	=	الحقيقة أو البينة
الحقيقة + التفهم	=	المعلومات
المعلومات + المشاركة	=	الاتصال
الاتصال + التفهم العميق	=	التفاعل أي المعرفة
التفاعل + الثقة	=	الأهداف الجماعية
الأهداف الجماعية + العقل أو التصرف	=	التقدم أو الرقي

وعلى المستوى النظري أيضاً نجد صلة أوثق:

فعلم الاتصال الجماهيري Mass Communication Science وعلم المعلومات Information Science من العلوم المتداخلة مع مجالات أخرى وتستفيد من خلاصات مجموعة من العلوم والفنون والمجالات العلمية حتى أن البعض يرى أنهما ما زالا في طور الفن ولم يستكملا بعد مقومات العلم.

وعلم الاتصال الجماهيري يتضمن الدراسة العلمية لوسائل الاتصال الجماهيري. شاملة الرسائل التي تبثها الجماهير التي تهدف إليها، وتأثيراتها على هذه الجماهير، وتقليدياً شمل الإطار الأكاديمي للاتصال الجماهيري، دراسة كل من الصحافة، الاتصالات السلوكية واللاسلكية، الإعلان، العلاقات العامة، وبعض الأقسام الفرعية للاتصال اللفظي، وهذه المجالات عنيت بشكل شائع بالرسائل الموصلة بشكل غير مباشر عبر وسيلة - غالباً هي وسيلة اتصال جماهيرية - مثل: التلفزيون، الراديو، الجرائد، أو المجالات.

والاتصال الجماهيري كعلم هو حديث نسبياً في بنائه النظري بالمقارنة بعلوم اجتماعية وسلوكية مثل علم النفس، علم الاجتماع، علم السياسة، والاقتصاد، وحتى الآن نجد عديداً من الأساتذة والباحثين في المجال ما زالوا يتجادلون حول طبيعة الاتصال ومفهومه وعلميته مع التأكيد المستمر

- على أنه علم، يرون أنه حقق هذه المكانة (كعلم) من خلال:
- الاستعمال المتسع لأدوات البحث العلمي مثل: التجارب المعملية والميدانية، تصميمات السلاسل الزمنية والدراسات التتبعية، تحليل المضمون، الأدوات الإحصائية المتقدمة والنماذج الرياضية.
- القيام بعمل تكامل بين نماذج البحوث في تفسيرات منتظمة وعامة أو نظريات لعمليات الاتصال الجماهيري.

وهناك من يصف علم الاتصال Communi cology بأنه: «الدراسات المتعلقة بطبيعة وعملية ومعاني أنظمة كل أشكال الاتصال، واطعة في الاعتبار الوقت والمساحة والشخصية والظرف».

وعلم الاتصال الجماهيري - كغيره من العلوم الاجتماعية والإنسانية - جاء نتيجة لتفاعل عدد من العلوم كالاقتصاد والسياسة والعلم النفس واللغة، واستفاد من بعض المداخل الرياضية والهندسية، وكذلك علوم الحاسب والمعلومات والبصريات وغيرها.

وتأسيساً على ما سبق يرى البعض أن بحوث الإعلام - بحوث الاتصال الجماهيري - لا تعدو أن تكون مجالاً تتشابك وتتعاون فيه مجموعة من العلوم كعلم الاجتماع وعلم الاتصال وعلم النفس الاجتماعي وعلم الإحصاء والعلوم الاقتصادية والإدارية، وهذا هو الرأي الذي انتهى إليه بعض كبار العاملين في هذا المجال على المستوى الدولي، أما علم المعلومات Information Science فهو من العلوم الذاتية التنظيم والانضباط حيث يقوم بضبط خواص وسلوك المعلومات والقوى التي تتحكم في عمليات تدفق المعلومات وطرق تجهيزها للفحص حتى تكون متاحة ومستحدثة بأقصى درجة من الكفاءة، وهو كعلم ضبطي فإنه يجب أن يعتمد على مهارات ومعرفة علماء المعلومات والسيرناتيقا ومفكري النظم العامة وأمناء المكتبات ومصممي الحاسبات الألكترونية ومهندسين .. إلخ.

وتفصيلاً - ومن أجل إبراز الاهتمامات المشتركة بين علم المعلومات

وعلم الاتصال - يهتم علم المعلومات بالمجالات العلمية والعملية التالية :

(١) خواص وسلوك المعلومات، العوامل والقوى التي تحكم تدفقها وأنشطة تداولها، وكذلك المعايير والنظريات والإجراءات التي تكفل إدراك تلبية احتياجات المجتمع من المعلومات، والتي تكفل أيضاً الأسس اللازمة لتنمية القدرة على تحديد هذه الاحتياجات وتلبيتها.

(٢) أنشطة تجهيز المعلومات وإنتاجها وبثها وتنظيمها واختزانها واسترجاعها وتفسيرها والاستفادة منها والأساليب التكنولوجية اللازمة، ويرتبط بذلك دراسة المسؤوليات والخبرات التي ينطوي عليها التكشيف والاستخلاص والكتابة والتحرير والترجمة وإدارة مراكز المعلومات وتنظيم براءات الاختراع وفرز الإنتاج الفكري وتحليل النظم والبحث عن المعلومات.

(٣) ومن المجالات والخبرات التي يتصل بها أو يعتمد عليها أو يشتق منها علم المعلومات الرياضيات، والمنطق وعلم اللغة وعلم النفس وتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية وبحوث العمليات وفنون الطباعة والاتصالات وعلم المكتبات بالإضافة إلى عدد من المجالات الأخرى كالإدارة والتحرير والترجمة والتصوير الفوتوغرافي والاتصال الجماهيري.

ويشترك كل من علم الاتصال وعلم المعلومات في الاستفادة والاستناد إلى نظرية المعلومات Information Theory، وهي فرع من النظرية الإحصائية لعلوم الاتصال، وضعها كلود شانون Claude Shannon ١٩٤٨م في معامل بل Bell Laboratios بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد أوجدت هذه النظرية وسيلة كمية لقياس المحتوى المعلوماتي للرسائل الاتصالية كما أوجدت أكفاً الوسائل لبثها، وعلم الرغم من كونها جزءاً من علم المواصلات التطبيقية (الاتصالات) إلا أنها فتحت الطريق للأبحاث الرياضية البحتة.

وتطبق النظرية في ميادين كثيرة منها الرياضة البحتة والتطبيقية، ونظرية

المواصلات (الاتصالات السلكية واللاسلكية Tele - communication)، وماكينات الترجمة، وعلم الوراثة، والعلوم النفسية، وفي تشخيص الأمراض كذلك، ولكن الاستخدام الأساسي لها كان في علوم الاتصالات وخصوصاً في تصميم أجهزة الاتصالات ذات الذكاء واختيار الأكواد المناسبة وبث الإشارات بدون حدوث أخطاء بسرعة تصل إلى درجة سعة القناة.

الإستدلال على مشكلة الدراسة:

أولاً: لاحظ الباحث من خلال استعراضه لعدد من الدراسات السابقة في مجال الاتصال الجماهيري:

١ - تكرار موضوعات وأحياناً عناوين بعض البحوث الاتصالية داخل القسم العلمي الواحد بالكلية، أو داخل تخصص الصحافة أو الإذاعة مثلاً بين الأقسام المتناظرة على مستوى مصر، أو العالم العربي، كما لاحظ تكرار بعض الجهود البحثية على مستوى العالم العربي، وزاد هذا الأمر في الموضوعات التي تعالج من أكثر من منظور في كلية الإعلام، وفي كليات أخرى مثل الآداب والاقتصاد والتجارة.

٢ - عدم اهتمام الدارسين بخطوة بحثية مهمة وهي مسح التراث العلمي السابق في موضوع دراستهم، ورصده ونقده، والاستفادة منه في تحديد مفاهيم البحث وتكوين الفروض أو إثارة التساؤلات.

٣ - إن جهداً ضخماً يبذل من جانب الباحثين في تحديد المفاهيم والمصطلحات، والحصول على بيانات وحقائق ومعلومات من مصادر ليست بأولية أو بأصيلة، كالقواميس والموسوعات، وكالأدلة والكتب السنوية.

٤ - إن هناك خلطاً وتداخلاً وعدم استقرار حول العديد من المصطلحات والمفاهيم الاتصالية، وعدم تحديد مما يسبب الكثير من الاضطهاد خاصة في المصطلحات كالخلط بين الكتابة الصحفية والتحرير

الصحفي، وبين الاتصال والإعلام، ونظريات الاتصال ونماذج الاتصال، وجزء كبير من الجهد العلمي للباحث والمشرّف والمناقش للرسالة العلمية قد يضيع في تعريب مصطلح أو ترجمته: هل الـ Communication Satellites مثلاً أقمار صناعية أم توابع اتصالات، وهل الأفضل أن نقول كليشيه أم نمط أم رسوم، وهل نقول على كلمة Technology تكنولوجيا، أم تقنية أو تيكناء!!

٥ - ان اعتماد الدارسين الأساسي على الكتب الدراسية والرسائل الجامعية أحياناً بينما لا يوجد اهتمام بالدوريات العلمية المتخصصة، رغم أنها هي الأساس لأنها تنشر البحوث الأحدث في المجال.

٦ - إن هناك نوعاً من الغربة العلمية مما ينشر حولنا في العالم العربي والخارجي.

وتفسير كل ما سبق يعود إلى عدم وجود وعي معلوماتي أو وعي بأهمية التوثيق الإعلامي للباحث العلمي من ناحية، نقص منتجاته وأدواته الأساسية التي تعد أدوات أساسية للباحث العلمي في أي مجال بعامة، وفي الاتصال هنا بوجه خاص.

فعلى الرغم من مرور حوالي نصف قرن على نشأة الدراسات الإعلامية في مصر، إلا أن التوثيق الإعلامي بأدواته ومنتجاته ما زال في طور النشأة، فباستثناء الجهود التي بذلها د. خليل صابات ود. عاطف العبد ود. عامر إبراهيم قنديلجي وعصام الدين فرج وأبو السعود إبراهيم في إعداد البليوجرافيات، وجهود الدكتور أحمد زكي بدوي والدكتور سامي عزيز والدكتور كرم شلبي والدكتور محمد فريد عزت في إعداد قواميس متخصصة، وجهود الدكتور عاطف العبد في إعداد مستخلصات للبحوث العلمية المتخصصة في مجال الإعلام والاتصال بال جماهير وإتاحتها مرتبة منظمة مقومة وبشكل ييسر الإفادة منها على الرغم من وجود مراكز وخطط وميزانيات مرصودة لذلك.

ثانياً: لاحظ الباحث أيضاً من خلال حصر الدراسات السابقة في مجال الإعلام والاتصال بالجماهير أن الاهتمام ضئيل لهذا المجال وأن التركيز كله على الأرشيف الصحفي ومراكز المعلومات الصحفية، عدا دراسات قليلة للدكتور أحمد حسين الصاوي، والدكتور مصباح الخير، والأستاذ محمد حمدي، والدكتور سمير محمد حسين، على الرغم من الاهتمام الدولي والإقليمي بهذه القضية بعد التوسع الضخم في دراسات الإعلام وثورة المعلومات والانفجار المعلوماتي والاتصالي الذي يشهده العالم الآن.

ثالثاً: لاحظ الباحث أيضاً من خلال حصر التراث العلمي السابق في مجال دراسات المكتبات والمعلومات والتوثيق، أن الاهتمام يركز على التوثيق: كمفهوم وكظاهرة، وكمجموعة خطوات عملية لها فلسفتها وأهدافها ومراحلها وأدوارها الفنية وتقنياتها، وأن الاهتمام لم يوجه حتى الآن لمجال التوثيق الإعلامي.

من خلال ما سبق أحس الباحث بأن هناك مشكلة تستحق الدراسة هي التوثيق الإعلامي، فالمعلومات عنه محدودة، والأدوات قليلة، والوعي به منعدم، على المستوى المحلي والعربي، بينما هناك اهتمام دولي وإقليمي متزايد به، إلى جانب أن عدم الاهتمام به له جوانبه السلبية وانعكاساته على العمل الإعلامي بكل جوانبه الأكاديمية منها والعلمية.

لذلك كان لا بدّ من التصدي للتوثيق الإعلامي بالدراسة لفهم أبعاده وفلسفته وأهميته، وتطوره، وعملياته، ثم رصد دواعي الاهتمام به، وكيفية الاستفادة منه محلياً، والوصول إلى نموذج تصوري نظري وعملي لتلك الاستفادة على المستوى التطبيقي.

أهداف الدراسة:

في إطار الاستدلال على المشكلة بأبعادها المختلفة يمكن تحديد أهداف الدراسة في الجوانب التالية:

أولاً: رصد الجذور التاريخية للتوثيق، منذ أشكاله البدائية الأولى حتى تطوره، واتخذ شكله الحالي كمؤسسات مختلفة للمعلومات، والمقارنة بين ذاكرة الإنسان الطبيعية كأداة توثيقية أساسية، وذاكرته الخارجية التي تمثلت في مؤسسات التوثيق العديدة.

ثانياً: تحديد مفهوم التوثيق، والفروق الرئيسية بينه وبين العمل المكتبي العام، والعمل المكتبي المتخصص، والعمل الببليوجرافي، والفروق بين الموثق والمكتبي والببليوجرافي، وكيف تطور التوثيق مهنيًا وأكاديميًا في إطار دراسات علم المكتبات والمعلومات، ودوافع الاهتمام به ومؤسساته المختلفة، ووظائفه.

ثالثاً: التعرف على الجوانب العملية في التوثيق، والخطوات التي يمر بها توثيق أي معلومة، والعمليات الفنية، والتقنيات التي تستخدم.

رابعاً: تحديد ماهية التوثيق الإعلامي، وخصائصه المختلفة، وأهميته.

خامساً: رصد الاهتمام الدولي بالتوثيق، وتفسيره في إطار ثورة المعلومات، وتطور مؤسسات الإعلام والاتصال الجماهيري.

سادساً: عرض لبعض التجارب العربية في التوثيق الإعلامي.

سابعاً: تقديم نموذج تصوري لمركز توثيق إعلامي إقليمي متضمناً تحديد الأهداف، والتنظيم، والاحتياجات المادية والبشرية.

تساؤلات الدراسة:

قام الباحث بترجمة أهداف الدراسة إلى مجموعة من التساؤلات التي سعى للإجابة عليها وهي:

(١) كيف تطورت أساليب الإنسان في تسجيل معرفته وتخزينها؟ وما هو الدور الذي قامت به الذاكرة الإنسانية الطبيعية في ذلك الصدد؟

(٢) لماذا لجأ الإنسان إلى البحث عن ذاكرة خارجية له؟ وما هي الأشكال المؤسسية التي اتخذتها هذه الذاكرة؟ والعمليات التي تتم خلالها؟

(٣) ما المقصود بالتوثيق Documentation؟ وما الفروق الرئيسية بينه وبين العمل المكتبي العام، والعمل المكتبي المتخصص؟ والعمل البليوجرافي؟

(٤) لماذا ظهر التوثيق؟ وكيف تطور في إطار دراسات المكتبات والمعلومات؟

(٥) ما هي مكونات التوثيق كعملية لها مدخلات ومخرجات؟ وما هي الجوانب والمراحل والتقنيات المستخدمة؟

(٦) ما هي المؤسسات المختلفة للتوثيق؟ وما هي مكوناتها؟ ومهامها؟

(٧) ما هو علم الاتصال الجماهيري؟ ما هي مجالاته المختلفة؟ وما إمكانية الوصول إلى تصنيف عربي لمجالات الاتصال الجماهيري كأداة مفيدة للموثق؟

(٨) ما هو المقصود بالتوثيق الإعلامي؟ وما هي خصائصه؟

(٩) لماذا زاد الاهتمام العالمي والإقليمي بالتوثيق الإعلامي؟ وما هي مظاهر هذا الاهتمام خاصة على المستوى العربي؟

(١٠) في ضوء فهم التوثيق الإعلامي كعملية توثيق للعملية الإعلامية المتخصصة، لها مدخلاتها ومخرجاتها ومتطلباتها المادية والبشرية، ما هي المكونات الأساسية لمركز التوثيق الإعلامي من حيث العناصر المادية والبشرية، وما هي أهدافه ووظائفه وتكوينه الداخلي؟

الجوانب المنهجية(*):

من أجل دراسة ظاهرة التوثيق الإعلامي بكل أبعادها التاريخية،

(*) نظراً للخلاف المنهجي بين أساتذة الإعلام وغيرهم من أساتذة العلوم الاجتماعية حول تصنيف البحوث، ومفهومهم للمنهج والأداة والدراسة وتصحيحات البحوث اعتمد الباحث على المراجع التالية في تحديد مفاهيمه البحثية:

الجغرافية، التكنولوجية والاجتماعية، والتنظيمية استخدم الباحث أسلوب الدراسة الوصفية حيث يتوافر قدر كاف من البيانات والمعلومات عن الظاهرة محل الدراسة، مع غياب نسبي للأوصاف الدقيقة لها والحقائق المتعلقة بطبيعتها، وكيفية حدوثها وأسبابه، والعلاقات بين هذه الظواهر وظواهر اجتماعية وتكنولوجية أخرى، كما استخدم مدخلاً منهجياً متكاملًا وظف فيه منهج الدراسات المسحية Surveys من خلال مسح رسائل وتقنيات التوثيق عامة والإعلامي بخاصة، ومسح أساليب الممارسة، كما وظف منهج الدراسات التطورية Longitudinal أو التتبعية في رصد حدود ظاهرة التوثيق وتطورها، من خلال منهج تاريخي Expost Factor يقوم على جمع البيانات والمعلومات الماضية المتاحة عن الظاهرة موضوع الدراسة، وتنظيمها وإعادة تصنيفها وتفسير بعض جوانب الظاهرة والتظاهرات المرتبطة بها، والوصول إلى خلاصات جديدة تسهم في إلقاء الضوء على الواقع الراهن وتقيد في تحليله وتقويمه.

وهي دراسة مكتبية الاعتماد الأساسي فيها على العديد من المصادر والمراجع المتاحة.. واهتم الباحث في جمع مادته العلمية في هذا الإطار المكتبي على تحليل من المستوى الثاني Secondary Analysis للتراث العلمي السابق في موضوع الدراسة في مجال التوثيق كأحد فروع دراسات المكتبات والمعلومات، وفي مجال الإعلام والاتصال الجماهيري.

Stenpel III, guido. H. & Westly, Brnce H: "Researce Methods in Mess = Communication" (Lendon, Prentice Hall Inc, 1981); pp. 144 - 169 - 240 - 255 - 305 - 320.

Adams, Gerald R., Schvane veldt, Jay D.: "Understanding Research Meth odsA, (Landon, Longmon, 1985), pp. 101 - 118.

سمير محمد حسين (دكتور): (بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ «ش»)، القاهرة، عالم الفكر، ١٩٨٢، ص ١١٩ - ١٢١ - ١٠٤.

نادية حسن سالم (دكتور): (مناهج البحث في علوم الاتصال الجماهيري بين النظرية والتطبيق)، القاهرة، د.ن ١٩٨٢، ص ١٥ - ٢٤.

وفي مجال التوثيق الإعلامي - وهي محدودة نسبياً - وإفادة ذلك في وضع الإطار النظري التصوري للتوثيق وبعده التاريخي، ودراسته التطبيقية. والدراسة في مجملها دراسة كيفية لا تستعين بالأساليب الكمية.

التبويب:

تقع الدراسة في جانبين رئيسيين هما الإطار النظري لظاهرة التوثيق بصفة عامة، والجانب التطبيقي على التوثيق في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري بصفة خاصة، وتأسيساً على ذلك تم تقسيم الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول:

يعالج المدخل: مفهوم التوثيق باعتباره الذاكرة الخارجية للإنسان، مع ربط ذلك بمحاولات الإنسان الأولى لتسجيل معرفته البدائية وحفظها وتخزينها، ودور الذاكرة الإنسانية في ذلك، والعمليات التي تقوم بها، وقصورها عن أداء مهام حفظ المعرفة الإنسانية في ظل ثورة المعلومات، ولجوء الإنسان إلى صنع ذاكرة خارجية متمثلة في المؤسسات المختلفة للتوثيق.

ويناقش الفصل الأول: التوثيق كتخصص مهني وعلمي، في إطار مجالات المكتبات والمعلومات، ويعرض للفروق بين التوثيق وغيره من أشكال العمل المكتبي، ولأهميته ووظائفه ومؤسساته المختلفة.

يخصص الفصل الثاني: للجوانب العملية في التوثيق من خلال ثلاثة مباحث يختص كل منها بجانب من جوانب التوثيق، فيعالج المبحث الأول: جانب الاقتناء أو بناء المجموعات ومصادر المعلومات، وعالج المبحث الثاني: جانب تنظيم وتحليل المجموعات (الفهرسة، التصنيف، التكشيف) وخصص المبحث الثالث: لجانب خدمات المعلومات (استرجاع المعلومات) عارضاً محلاً لخدمات الإحاطة الجارية، البث الانتقائي، الترجمة، الخدمات الببليوجرافية، الاستخلاص، تداول أوعية المعلومات،

الاتصال بمؤسسات أو مرافق المعلومات، التصوير والاستنساخ، التصوير المصغر والاستنساخ)، وتضمن الفصل الثالث الدراسة التطبيقية على التوثيق الإعلامي عارضاً لمهنيته وخصائصه، ولعلم الاتصال الجماهيري: معرّفاً به وبمجالاته، وقدم الباحث تصنيفاً عريضاً مقترحاً لمجالات الإعلام والاتصال الجماهيري، وعرض الفصل لمظاهر الاهتمام العالمي والإقليمي بالتوثيق الإعلامي، وحلل عوامل وحتميات الالتحام بالتوثيق الإعلامي، وصلته بالضبط الببليوجرافي بأدواته وركائزه، ثم عرض لمكونات مركز توثيق إعلامي إقليمي يكون مقره كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

مصادر الدراسة ومراجعتها:

اعتمدت الدراسة على مجموعتين من المصادر والمراجع: الأولى مصادر ومراجع متخصصة في المكتبات والمعلومات والتوثيق وتكنولوجيا المعلومات، والثانية متخصصة في الإعلام والاتصال الجماهيري، وشملت كل مجموعة: القواميس المتخصصة والموسوعات والدوريات والبحوث والكتب العربية والمعرّبة وكتب باللغة الانكليزية.

حدود هذه الدراسة وما تثيره من بحوث مستقبلية:

عالجت هذه الدراسة مفهوم التوثيق الإعلامي، ومكوناته كعملية اتصالية متكاملة تضم المدخلات والمخرجات، والقائمين بالاتصال والجمهور والأهداف، وهي كدراسة وصفية تثير العديد من الدراسات المتعلقة كل منها بجانب من هذه الجوانب مثل:

- (١) سياسات التوثيق الإعلامي على المستوى العالمي: دراسة مقارنة.
- (٢) مصادر المعلومات في مجالات علم الاتصال الجماهيري.
- (٣) مراكز التوثيق الإعلامي على المستوى العربي: دراسة تقييمية.
- (٤) التوثيق الإعلامي والبحث الإعلامي في مصر: دراسة للاحتياجات البحثية الراهنة.

- (٥) الدوريات الإعلامية المتخصصة كأداة من أدوات الضبط الببليوجرافي في مجال الاتصال الجماهيري.
- (٦) الخبرة الأمريكية في مجال التوثيق الإعلامي: دراسة لإمكانات التطبيق على الواقع العربي.
- (٧) العلاقة النظرية بين علمي الاتصال الجماهيري والمعلومات.
- (٨) متطلبات إعداد القائمين بالاتصال في مجال التوثيق الإعلامي في مصر والعالم العربي: دراسة ميدانية.
- (٩) أثر التطور في تكنولوجيا المعلومات على خدمات مراكز التوثيق الإعلامي: دراسة تاريخية وفنية.
- (١٠) الركائز الفنية للضبط الببليوجرافي في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري: دراسة نظرية.
- (١١) أدوات الضبط الببليوجرافي في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري: دراسة تقييمية للإنتاج الفكري العربي.
- (١٢) الكشافات وأهميتها للباحث الإعلامي: دراسة مقارنة بين غرب أوروبا والعالم العربي.

مدخل:

التوثيق: الذاكرة الخارجية للإنسان المعاصر

ترجع جذور التوثيق Documentation بمعناه العام إلى بدايات الإنسان على سطح هذا الكوكب، وتطور التوثيق من حيث المفهوم والطرق والجوانب الفنية بتطور الإنسان واتساع مداركه وبحثه عن آفاق جديدة ووسائل لتحقيق أهدافه، فمنذ وجد الإنسان، وهو يتعرض ولا زال يتعرض إلى سلسلة متصلة من التحديات مثل الجوع والبرد والحيوانات وحتى من الإنسان الذي صنع المواد الكيميائية القاتلة والأسلحة الذرية الفتاكة في وقتنا الحاضر.

ولكن استجابات الإنسان الراقية بالقياس إلى استجابات الحيوان مكنته من إحراز سيطرة شبه تامة على بقية الحيوانات المتواجدة معه على هذا الكوكب.

وكانت كثير من محاولات الإنسان الأول للتصدي للتحديات بسيطة وعفوية وفي أحيان كثيرة استخدم الإنسان السحر والخرافات في تصديه لتلك التحديات، لكنه بمرور الزمن استطاع تطوير وسائله وأدواته بالاستفادة من خبراته بينما ظل الحيوان متخلفاً يكرر الاستجابات الفطرية نفسها، وإذا أمعنا النظر في استجابات الإنسان وتطورها نجد أن هناك قاسماً مشتركاً أعظم يجمع بينها، ففي كل مرة كان يتراكم لدى الإنسان خبرة وثقافة ومعلومات كان يستفيد منها في توفير استجابات أفضل للتحديات نفسها.

وهكذا عمت الفكرة وتحسنت الوسيلة والأداة ويشهد على ذلك ارتباط كل اكتشاف واختراع إنساني بدءاً من الحجر المصقول وانتهاءً بسفن الفضاء والكمبيوتر بتقديم المعلومات والبيانات التي وصل إليها الإنسان فيما يخص المشكلة والتحدي من خلال مصادر المعلومات التي تعرف بأنها كل الحقائق والبيانات والمعارف المسجلة والمحتفظة بأي شكل من الأشكال للرجوع إليها والاستفادة منها في الدراسة والبحث والاطلاع وقت الحاجة.

وهكذا يمكننا القول أن الإنسان حيوان له ذاكرة، وأن الإنسان حيوان له مقدرة على حفظ البيانات ومعالجتها وتحويلها إلى معلومات ومعارف وعلوم، وكانت عمليات حفظ المعلومات في البداية تعتمد على ذاكرة البشر.

وذاكرة البشر هذه، أو الذاكرة الإنسانية تؤدي دوراً هاماً في مختلف مجالات السلوك الإنساني، في الحديث، في الكتابة، في القراءة، في الاستماع، في ممارسة المهارات المختلفة، حتى في السير في الشوارع وبين الطرقات.

بل تمتد أهمية الذاكرة إلى ممارسة بعض أنواع من السلوك التي تعبّر

عن مظاهر حياتنا الخاصة مثل تناول الطعام أو ارتداء الملابس وفي كل هذه المواقف نحتاج إلى الذاكرة في أبعادها المختلفة لكي توجه سلوكنا الوجهة الصحيحة.

ونظام الذاكرة لدى الإنسان يتميز بقدر كبير من تنوع العمليات التي يتضمنها، حيث تتولى بعض هذه العمليات تسجيل التفاصيل الدقيقة للصور الحسية لفترات طويلة تمكن الإنسان من تصنيف وتحديد الأصوات والمرئيات والإحساسات الأخرى المختلفة.. ومن جانب آخر تقوم الذاكرة بتسجيل جميع الخبرات التي نمر بها في مواقف حياتنا اليومية المختلفة لاستخدامها في الوقت المناسب.

وتؤدي الذاكرة دوراً هاماً في نظام تكوين تناول المعلومات (معالجة) اعتماد كثير من العمليات العقلية في هذا النظام على عملية التذكر.

وعملية التذكر ليست عملية بسيطة أو وحيدة في ذاتها، بل إنها تعتبر عملية معقدة حيث إنها تتناول عدة عمليات عقلية كالحفظ Retention والتعرف Recognition والاستدعاء Recall وتساهم مع غيرها في بناء نظام الذاكرة لدى الإنسان، ويمكن تحديد ثلاثة مظاهر أساسية للذاكرة الإنسانية:

المظهر الأول: ما يسمى بنظام تخزين المعلومات الحسي Sensory Information Storage وهو على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لعملية التناول الإدراكي للمعلومات الحسية التي تتكون عبر قنوات الاتصال الحسي، والتي عادة لا تستغرق أكثر من أجزاء معدودة من الثانية.

والمظهر الثاني للذاكرة الإنسانية: هو ما يسمى بنظام الذاكرة القصيرة الأجل Short Term Memory حيث تبقى المعلومات لمدة ثوان، أو ربما لعدة دقائق، ويختلف هذا النظام عن النظام السابق في أن المعلومات تكون قد استقرت بعد تصنيفها عقب عملية تناولها حسيًا، وقد يكون الفرد في حاجة ماسة وسريعة إلى هذه المعلومات مما يستدعي استرجاعها بشكل

فوري، أو أنه يقوم بعادة تناولها وتنظيمها للاحتفاظ بها في الذاكرة مدة أطول، وبذلك تدخل ضمن تناول النظام الثالث.

والمظهر الثالث للذاكرة الإنسانية: هو ما يسمى بنظام الذاكرة الطويلة الأجل Long Term Memory حيث تبقى التسجيلات الدائمة لخبرات الفرد التي يؤديها عبر فترات حياته.

ويتميز هذا المظهر من الذاكرة بأن طاقته ليست محددة كما في المظهرين السابقين، وأهم وظائفه تنظيم المعلومات خلال عملية تخزينها في الذاكرة، والقيام بعملية البحث عن المعلومات المطلوب استرجاعها بعد ذلك حسب ما يقتضيه الموقف الذي يكون فيه الفرد.

وتزداد قيمة الذاكرة هذه بسبب عدم استطاعة البشرية الاستغناء عن معلوماتها السابقة، فالخبرة المعاصرة لا تقوم إلا على خبرة سابقة، والبناء الحالي ينهض على ما يبنى في السابق، وللوقوف على أهمية استرجاع المعلومات، نتصور عالماً لا يملك القدرة على استرجاع معلوماته بشكل أو بآخر.. كيف ستكون صورة هذا العالم؟

لو حدث ذلك لكانت البشرية تعيش مراحلها البدائية والتي تخطتها بآلاف السنوات، ولبقي الإنسان على حالة ذلك المخلوق الذي يقفز ويجري بين أغصان الأشجار بحثاً عن ثمار يقتطفها ويأكلها ويسكن المغارات ويقضي نحيبه لتغلب الظروف الجوية ووقوع كوارث الطبيعة وكل وسائل دفاعه العصا وقطع الأحجار المدببة، والأظافر والأسنان ولبسه لا يزيد عن وريقات من الأشجار، وبمضي السنين وتراكم المعارف وتنوع المعلومات أصبح من المستحيل على البشرية عامة، والإنسان بخاصة الاعتماد على الذاكرة في حفظ رصيدها لتسترجعها وقتما تشاء وأينما شاءت، وبررت ضرورة التوصل إلى طريقة تحفظ بها هذه المعلومات والمعارف والمدارك للاستفادة منها لتحقيق مزيد من التطور والنمو والرقى.

وهكذا بدأت قصة الإنسان مع المعلومات متوغلة ستة آلاف أو سبعة

آلاف سنة، حينما استطاع الإنسان أن يسجل على وسيط مادي مستقل كالحجارة والمواد النباتية والبقايا الحيوانية، ما تعود هو وآباؤه من قبل أن يحتفظوا بها في «الذاكرة الداخلية للفرد» وأن يتناقلوه فيما بينهم مشافهة بواسطة اللغة.

وهكذا أضاف الإنسان إلى قدرته على التخاطب، بالكلمة الملفوظة (اللغة) عبر مسافات بعيدة، والكلمة المكتوبة (الكتابة) والشكل المرسوم، وهي قدرة ينفرد بها الإنسان دون سواه على باقي الكائنات الحية الأخرى، قدرته على إنشاء السجلات المدونة ونشرها وصونها واستخدامها وكلها أنشطة لا يضطلع بها إلا الإنسان، وقد لعبت دوراً حيوياً في تطوير حضارته.

فقد اكتشف الإنسان أن واجبه لا يقف عند حدّ التعلم واكتساب الخبرات لنفسه فقط، بل يتعدى ذلك إلى ضرورة نقل خبراته ومعرفته إلى أبناء وإلى الأجيال من بعده، لذلك كان عليه أن يبتكر ذاكرة بديلة، هي ما يعرف بالذاكرة الخارجية لأن ذاكرة الإنسان تنتهي بانتهائه، فضلاً عن كونها تتأثر بما يعتريه - أي الإنسان - من انفعالات نفسية واضطرابات صحية وبيولوجية.

وتتمثل هذه الذاكرة الخارجية فيما يستخدمه الإنسان من وسائلها يسجل عليها معلوماته وبياناته التي يحملها خلال مشاهداته اليومية والتي يحصل عليها من نتاج تفكيره الخلاق، وتجاربه على مرّ الأيام، ولقد وجد الإنسان نفسه مضطراً لكي يبتكر من وسائل التسجيل وأساليبه ما يكفل استيعاب الاضطراب المستمر في المعلومات والبيانات التي تتراكم مع كل لحظة يمر بها الإنسان أو التي تكفل حماية رصيد المعلومات من الضياع أو القلق، ويكفل أيضاً إمكانية استرجاع أي معلومة منها في الوقت المناسب وبالشكل المناسب وهذا ما يفني بـ «التوثيق».

ومنذ أقدم العصور شكلت مجموعات منظمة من السجلات لتلبي

أغراضاً شتى: كذاكرة خارجية للإنسان، وتقضي القاعدة العامة بأن تضم المكتبات سجلات آتية من مختلف المصادر بقصد استخدامها لأغراض البحث والدراسة بوجه خاص، وبأن تضم دور المحفوظات مجموعات من السجلات المقترنة بمؤسسات بعينها قد تكون مؤسسة تجارية أو هيئة حكومية أو معهداً دراسياً أو مجتمعاً بأسره تجمع لكي يبقى شاهداً على أنشطتها لأسباب إدارية أو قانونية أو تاريخية.

وبوجه عام ينصب الاهتمام في كثير من دور المحفوظات على حفظ المقتنيات وصونها على حين أن المكتبات تعير جلّ اهتمامها عادة لاستخدام المقتنيات والانتفاع بها، وعلى الرغم من أنه يسهل القول عادة بأن هذه المؤسسة أو تلك مكتبة أو دار للمحفوظات.

ولقد كانت المعرفة البشرية مجتمعاً ببطء شديد في المجتمعات البسيطة التي كانت متوفرة في الماضي السحيق، وكان الباحث يستطيع الحصول على المعلومات بشكل أكثر بساطة ولسوء الحظ لم يستمر هذا الوضع طويلاً في مواجهة الفيضان القادم!!

فقد أدى تدفق المعلومات وتضاعف الإنتاج الفكري من البحث والدراسات في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية بشكل سريع ومطرّد إلى ظاهرة تعد بحق من أبرز السمات التي يشهدها العالم المعاصر، والتي يطلق عليها مصطلحات عديدة منها: تفجر (إنفجار) المعلومات Information Explosion أو ثورة المعلومات Information Revolution أو تلوث النشر Publishing Pollution، أو تفجر الإنتاج الفكري Literature Explosion أو تضخم النشر Publishing Explosion.

بحيث أصبح يطلق على هذا العصر عصر المعلومات Information Age وسميت المجتمعات التي تطورت فيها نظم المعلومات وتكنولوجياتها مجتمعات المعلومات Information Societies كاليابان مثلاً.

وساهم في الوصول إلى عصر المعلومات: النمو الهائل في حجم

الإنتاج الفكري، تشتت الإنتاج الفكري، تنوع مصادر المعلومات وتعدد أشكالها، الحواجز اللغوية، وارتفاع أسعار المطبوعات والتأخر في توصيل المعلومات.

وثورة المعلومات هذه تُعدُّ من أخطر التحديات التي يواجهها العالم المعاصر، وهي كما سبق القول تعني التضخم والزيادة المستمرة في كل ما ينشر من أوعية المعلومات، حتى أنه قد أصبح من المستحيل الآن أن نعرف عدد هذه الأوعية على وجه الدقة، بل إن الإضافة العددية خلال سنة واحدة في الوقت الحاضر هي أيضاً فوق طاقة الحصر الدقيق.

والمشكلة ليست فقط في النمو المستمر في أوعية المعلومات، وإنما أيضاً في تنوع هذه الأوعية، فلم يعد الكتاب هو المصدر الوحيد للمعلومات وإنما شاركته الدوريات والمصغرات الفيلمية والمواد السمعية والبصرية والوثائق الأرشفية والأقراص البصرية.

وقد أدى تفجر المعلومات أو ثورة المعلومات أيضاً إلى تحميل خدمات المعلومات التقليدية (المكتبات - الأرشفة) ما لا طاقة لها، وقد وصلت إلى مرحلة عدم القدرة على تناول المعلومات بشكل جيد في مجتمع اليوم، ولما أصبح من الضروري أن تلحق هذه الخدمات التقليدية بهيئات ومؤسسات تكون مصممة لمقابلة احتياجات التوسع والتجديد المستمر.

وفي مواجهة هذه الثورة الراهنة والمستمرة في المعلومات كان لا مفر من قيام مؤسسات وظهور علوم تُعنى بتنظيم هذا الفيض من المعلومات والسيطرة عليها بهدف تيسير إتاحتها للباحثين والمشتغلين في مختلف المجالات وتمكينهم من ملاحقة واستيعاب الجديد في فروع تخصصاتهم، وذلك بنية الارتفاع بمستويات المعرفة والإنتاج، والعمل على تجنب تكرار جهود بحثية سابقة.

وظهر ميدان التوثيق إلى الوجود نتيجة الحاجة الملحة إلى توفر طرق ووسائل جديدة لتنظيم المعلومات التي تزداد وتتضخم بمعدل كبير جداً.

وكرس مجموعة من العلماء أنفسهم على تطوير وتحسين نظم وأساليب جمع وتحليل وتخزين واسترجاع ونشر المعلومات^(١٨).

ولتحقيق مزيد من الخدمات المتخصصة للفئات المتخصصة في مختلف العلوم والفنون، قامت مؤسسات للمعلومات إلى جانب المكتبات أطلق عليها مراكز التوثيق أحياناً ومراكز المعلومات أحياناً أخرى.

والتوثيق عند البعض يركز على المعلومات المتخصصة، ويتجاوز مرحلة الاقتناء والتنظيم والإعارة أو تقديم الخدمة المرجعية، فهو عند مورتيمر تاوبي Mortimer taube كل الأنشطة المعقدة المطلوبة في توصيل المعلومات المتخصصة ويشتمل على إعداد وإنتاج وجمع وتحليل وتنظيم وتوزيع الوثائق.

لذلك أخذت مراكز التوثيق والمعلومات على عاتقها تغطية تخصص أو فرع من فروع المعرفة، فنشأت مراكز للتوثيق البريدي، ومراكز للتوثيق الصناعي، ومراكز للتوثيق الزراعي، ومراكز للتوثيق الإعلامي.

ومراكز التوثيق والمعلومات هذه هي في مجملها النهائي أجهزة تقوم بجمع الوثائق أو المعلومات بأوعيتها المختلفة ومعالجتها وحفظها واسترجاعها وبثها وتيسير سبل الاستفادة منها.

وهذه المراكز هي إحدى أشكال أو وسائط الذاكرة الخارجية التي ابتكرها الإنسان لكي يعوض بها عدم قدرة ذاكرته الداخلية والطبيعية على التذكر والحفظ والاسترجاع بدقة وغزاره وتنوع وشمول.

وهذه الذاكرة تعادل ما يطلق عليه نظام المعلومات Inform system «أو مجموعة الأسس والإجراءات والمؤسسات والقنوات والأنشطة والتدابير التنظيمية والإدارية والفنية التي تكفل تدفق المعلومات في مجتمع معين أو في وسط معين ويقصد بتدفق المعلومات هنا: إنتاج المعلومات وتسجيل المعلومات ونشرها والتعريف بمصادرها وجميع هذه المصادر وتنظيمها وتيسير سبل الاستفادة منها».

ولأن المعلومات هي أساس عملية الاتصال، الذي يقوم على نقل المعلومات والمعاني من مرسل إلى مستقبل، يمكن القول أيضاً إن الذاكرة الخارجية ترادف ما يسمى بنظام الاتصال Communication system الذي يعرف بأنه: «النسق أو النمط العام أو التنظيم الشامل الذي يحكم الأنشطة الخاصة بتداول المعلومات في وسط معين، أو في مجتمع معين. وذلك من حيث إنتاج المعلومات ونشرها وبيعها وتنظيمها وتيسير سبل الإفادة منها، ثم أشكال الإفادة من المعلومات، والآثار المترتبة على هذه الإفادة ومن الطبيعي أن تضطلع بهذه الأنشطة وخاصة على المستوى القومي أنواع مختلفة من الهيئات والمؤسسات يجملها الدكتور حشمت قاسم في الفئات الأربع التالية:

١ - مؤسسات إنتاج المعلومات كالجامعات ومراكز البحوث العلمية ومحطات التجارب.

٢ - مؤسسات النشر التجارية منها والأكاديمية.

٣ - مؤسسات رصد حركة المعلومات وضبط تدفقها، وهي المراكز أو الخدمات الوراقية (البليوجرافية) bibliographic القومية والعالمية.

٤ - مؤسسات تجميع المعلومات وتنظيمها، تهيئة سبل الإفادة منها كالمكتبات، ووحدات المعلومات على اختلاف أشكالها وأنواعها وتباين مجالات نشاطها - ومراكز التوثيق في مقدمتها.

أي أن الإنسان باستخدامه هذه الوسائط المادية للتسجيل، ابتكر لنفسه ذاكرة خارجية ذات طاقة غير متناهية لاختزان المعلومات، ولاسيما بعد أن تحولت هذه الوسائط من الأوعية قبل التقليدية كالحجارة والطين، إلى الأوعية التقليدية وشبه التقليدية، كالأفلام والشرائح والأشرطة والأقراص التي تعتمد على خواص الضوء والصوت والكهرباء والمغناطيسية والألكترونية.

وكانت الذاكرة الخارجية بتطورها وحجمها الذي سبق بيانه في النطاق

الفريد الذي التقت عنده القدرات التي تميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، ومن أجل ذلك فإنها قد استقطبت مجموعة متشابكة من المؤسسات والوظائف التي تطورت هي الأخرى عبر العصور مؤثرة في طبيعة الذاكرة وحجمها وتتأثر بها كذلك، وهي التي يطلق عليها الدكتور سعد الهجرسي مؤسسات الذاكرة الخارجية.

وقبل التعرض لمؤسسات الذاكرة الخارجية من حيث الوظائف والمؤسسات والعمليات الفنية، نتعرف على العمليات الأساسية في الذاكرة الإنسانية، وهي التي أعطت فيما بعد نموذجاً لتنظيم وتنسيق العمل الفني للذاكرة الخارجية التي صنعها الإنسان فيما بعد فيما سمي: «نظام المعلومات» أو «نظام الاتصال» أو «مؤسسات الذاكرة الخارجية» بكل أشكالها.

العمليات الأساسية في الذاكرة الإنسانية:

تتضمن الذاكرة الإنسانية ثلاث عمليات أو تمر بثلاث مراحل أساسية ووظائف هي: عمليات الترميز Encoding والتخزين storage والاسترجاع Retrieval.

١ - عملية التحويل الشفري «وضع الرسالة في كود» (الترميز) Encoding وهي العملية التي تتم بواسطتها تكوين آثار هذه الذاكرة التي تعمل على بقاء المعلومات في الذاكرة. وتعتبر عملية التحويل الشفري أو التشفير أولى العمليات التي يمارسها الفرد بعد عملية إدراك مناصر المعلومات التي تعرض عليه أو يتعرض لها في المواقف المختلفة، حيث يتم في هذه المرحلة تحول وتغير شكل المعلومات من حالتها الطبيعية التي تكون عليها حينما تعرض على الفرد إلى مجموعة صور أو رموز.. أي تتحول إلى شفرة لها مدلول خاص يتصل بهذه المعلومات ويميز الباحثون بين نماذج شفرة الذاكرة memory Code على النحو التالي:

(أ) الشفرة البصرية Visual Code: حيث يمثل عنصر المعلومات في الذاكرة

بواسطة مظهره البصري الدال عليه.

(ب) الشفرة السمعية **accoustic code**: حيث يمثل عنصر المعلومات في الذاكرة بواسطة مظهره السمعي الذي يدل عليه، أو ما يدل سماع.

(ج) الشفرة اللمسية **Hoptic Code**: حيث يمثل عنصر المعلومات في الذاكرة بواسطة الخاصية اللمسية التي تميزه.

(د) شفرة دلالة اللفظ **Semantic code**: حيث يمثل عنصر المعلومات في الذاكرة بواسطة المعنى الذي يدل عليه.

٢ - عملية التخزين **Storage**: وتشير إلى إمكانية استعادة الفرد للمعلومات التي سبق أن اختزن في الذاكرة. ويتوقف استرجاع المعلومات على مدى قوة آثار الذاكرة الموجودة في الذاكرة وعلى مستوى علاقة هذه الآثار بإيماءات أو بدلالات الاسترجاع. ولذلك تعتبر مشكلة استرجاع المعلومات من الذاكرة الطويلة الأجل أهم مشكلة يتناولها هذا النظام، حيث إن كمية ونوعية المعلومات التي تحتويها هذه الذاكرة كبيرة ومختلفة بدرجة تجعل من الصعوبة في كثير من المواقف القيام بعملية الاسترجاع بكفاية ودقة. حتى في بعض المواقف التي لا تمثل تحدياً كبيراً للتذكر مثل عملية القراءة، يجب أن يفسر الفرد بشكل مباشر وفوري معنى الرموز التي تحتويها المادة المقروءة حتى يمكن إدخالها إلى الذاكرة الطويلة الأجل.

مؤسسات الذاكرة الخارجية:

ويضع الدكتور سعد الهجرسي كل المؤسسات والوظائف المرتبطة بالذاكرة الخارجية في مجموعتين من المؤسسات: مجموعة مؤسسات الإنتاج لأوعية المعلومات، ومجموعة مؤسسات الاختزان لأوعية المعلومات.

(١) الإنتاج: المواقف والمؤسسات:

- ويتمثل في ثلاثة مواقف متتابعة لكل منها وظيفة تؤدي إلى:
- أ. موقف البحث والخبرة: حيث يواجه الإنسان موقفاً يبحث فيه عن إحدى القضايا أو المشكلات فيسترجع من ذاكرته الداخلية ومن الذاكرة الخارجية ما يتيسر له من المعلومات وأوعيتها المرتبطة بالقضية والمشكلة.
- ب. موقف التكوين والتأليف: ثم يوازن الإنسان ويحلل وينتهي إلى تكوين فكرة جديدة أو يؤلف بين المعلومات السابقة تصوراً خاصاً.
- والمؤسسات التي تتولى الوظيفتين السابقتين هما: العلماء والمسؤولين في كل قطاعات المعرفة ومجالات الحياة المختلفة، وكذلك المراكز المختلفة المحلية والإقليمية والدولية للدراسة والتي على كل المستويات وفي كل مجالات النشاط الإنساني.
- ج. موقف التحميل والنشر: حيث ينقل الإنسان أفكاره الحديثة أو تصورات الخصة إلى الآخرين بحملها في وسيط خارجي حيث قد تنشر في أحد الأوعية الملائمة: وثيقة إدارية أو تقريراً دورياً أو مقالاً في مجلة أو كتاباً مستقلاً أو غير ذلك من الأوعية التي سبق ذكرها، وهذا هو الموقف الثالث.

(٢) الاختزان: المواقف والمؤسسات:

والاختزان في الذاكرة الخارجية نوعان: النوع الأول اختزان المعلومات نفسها في أحد الأوعية، وهي إحدى وظائف الإنتاج التي سميت من قبل التحميل والنشر، ومن هذه الأوعية «المراجع» كالمقاميس ودوائر المعارف وكتب المراجع والأدلة. أما النوع الثاني، والحقيقي من الاختزان فهو اختزان الأوعية التي أصدرها جناح «الإنتاج» حيث تتولاها مؤسسات الاختزان من المكتبات ومراكز التوثيق ومراكز المعلومات.

أما الوظائف الثلاث الأساسية في أي مؤسسة لاختزان الأوعية فهي:

أ. وظيفة الاختيار والاقتناء: وتتطلب متابعة جناح الإنتاج والتعرف على كل جديد من أوعيته، إلى جانب التعرف على رصيده السابق عند الضرورة، وما أكثره، ومن أجل بناء المجموعات الأساسية في المكتبة أو المركز ابتداءً، ومن أجل تدعيمها وتجديد شبابها بصفة مستمرة بحيث تستجيب للحاجات العقلية والمتوقعة للمتفعين على المستويين القريب والبعيد.

ب. وظيفة التحليل والتنظيم: وتتطلب وضع أداة أو أدوات فنية تكون المفتاح لكل من يريد هذه الأوعية لذاتها أو لمحتوياتها أو لمؤلفيها، أو لغير ذلك من أنماط التساؤل عند الباحثين، وتقوم هذه الأداة أو الأدوات الفنية على ثلاث عمليات متكاملة:

العملية الأولى: الوصف العام للوعاء الذي كثيراً ما يسمى بالفهرسة الوصفية أو الوصف البليوجرافي.

العملية الثانية: التحليل الموضوعي لمحتويات الوعاء وتحديد مداخل تقوم على التعبيرات اللغوية التي يمكن أن ترتب هجائياً، وكثيراً ما تسمى هذه العمليات الفهرسة الموضوعية أو تطبيق الواصفات Descriptors، ومن الممكن الاكتفاء في بعض الأوعية بهاتين العمليتين ولاسيما الأوعية المستقلة كمحتويات الدوريات.

والعملية الثالثة: تحديد الموقع المناسب لكل وعاء بالنسبة لإطار منطقي عام يشمل المعرفة كلها أو أحد قطاعاتها الخاصة، وهي العملية التي تعرف بالتصنيف.

ج. وظيفة الخدمة والاسترجاع: وهي الوظيفة الثالثة لمؤسسات الاختزان وتعتمد اعتماداً كلياً وجزئياً على وظيفة التحليل والتنظيم السابقة، فإن خدمة الباحثين والقراء واسترجاع الوعاء أو الأوعية التي تهمهم داخل

مجموعة معينة، تلجأ في المقام الأول إلى تلك الأداة أو الأدوات الفنية التي تم إعدادها ووصفها فيما سبق، كما أنها شعائر باستراتيجيات تلك الأدوات وتفصيلها الفنية، وهناك أنواع متعددة من الخدمات ذات مسميات أكثر ما تتداخل مثل خدمة الإعارة وخدمة المراجع وخدمة الإرشاد وخدمة البث الانتقائي للمعلومات SDI وخدمة المسح الكامل للإنتاج الفكري في مجالات معينة.

ويرى الدكتور سعد الهجرسي أن الخدمة أيّاً كانت في نوعيتها أو تسميتها فإنها نقطة الالتقاء بين جناح الإنتاج وجناح الاختزان إذ ان الاختيار هو نقطة الالتقاء الأولى بينها وبين النقطة الأولى يكون جناح الإنتاج هو المعطي، وفي الثانية يكون هو الآخذ.

الفصل الأول

مفهوم التوثيق، ومجالاته، ومؤسساته

كلمة توثيق Documentation كلمة فرنسية الأصل، ولعلها قد دخلت اللغة الانجليزية بمعان متعددة على مرّ تاريخ اللغة، والرأي الراجح أن أول من استخدمها هما العالمان أوتليت ولافونتين Otlet and La fontaune عندما وضعوا خططهما في أواخر القرن التاسع عشر لإصدار الهليوجرافيا العالمية، وقد استعان العالمان بفهارس المكتبات التقليدية، واستخدما التصنيف العشري لديوي، كأساس للتصنيف، ولكنهما كانا يطمحان لا إلى مجرد الشمول في عملهما فحسب، ولكنهما كانا يطمحان إلى تحليل موضوعي أكثر عمقاً من المتبع في المكتبات، وحتى يميزا عملهما عما يقوم به أمناء المكتبات، فقد أطلقا على نشاطهما «توثيقاً».

وهكذا بدأ عصر جديد في حياة هذا التخصص (المكتبات والمعلومات) وهو لم ينضج بعده فيمكن تسميته - على حد تعبير الأستاذ الدكتور سعد الهجرسي بالعربية «عصر التوثيق»، فقد ظهر للكلمة مثلاً في العربية ثلاث درجات: سقطت إحداها وهي «الوثاقة» بكسر الواو، رغم التوثيق اللغوي الوثيق لصاحبها الشيخ (عثمان الكفاك) التونسي، وبقيت اثنتان أولاهما: والتوثيق، وهي الأكثر شهرة والأوسع انتشاراً، والثانية «الوثائق» التي تلبس باستخدام آخر لها، يعني الأرشيفات في مفهومها التاريخي والجاري، ولقد بدأ استعمال المصطلح (توثيق) في مجال تنظيم المعلومات في عشرينيات القرن الحالي.

ولقد كثر الجدل وتضاربت الآراء بين المهتمين بمجال الإعلام العلمي Scientific Information حول تعريف التوثيق ومدى ارتباطه بعلم المكتبات، وما إذا كان يعتبر تطوراً لهذا المجال الأصلي أم يعتبر مجالاً مستقلاً له طبيعته الخاص به.

هذا وقد لقي استعمال كلمة توثيق معارضة من فئات عديدة، فقد عارضه بعض المتخصصين في الإنسانيات لأنهم أرادوا قصر استخدام لفظ التوثيق على المعنى التاريخي باعتباره مرتبطاً بالوثائق أساساً متجاهلين التغيير الذي طرأ على معنى الوثيقة نفسها في العصر الحديث إذ أصبحت تدل على كل ما يشمل معلومات تفيد الباحثين، كما أنها لم تعد قاصرة على الوثائق التاريخية وحدها.. وهناك خلاف حاد حول طبيعة التوثيق ومجالاته وأساليب ممارساته العملية:

- فالبعض يصفه بأنه: «علم تجميع واختزان وتنظيم المواد أو الوثائق الإعلامية المدونة وذلك من أجل جعل هذه المعلومات في متناول المتخصصين».

- والبعض الآخر يصفه بأنه فن تسهيل استخدام المعلومات المتخصصة للدولة وذلك عن طريق تقويمها ونسخها ونشرها وجمعها وتخزينها وتحليلها التحليل الموضوعي وتنظيمها واسترجاعها.

- ويعرف قاموس وستبر (الطبعة الحديثة) التوثيق بأنه: «هو تجميع المعرفة المسجلة وترميزها وبثها، على أن تعامل هذه المعرفة بطريقة شاملة وإجراءات متكاملة ومع الاستعانة بعلم المعاني Semantics والوسائل النفسية والآلية وبأساليب التصوير العادي والمصغر، وذلك حتى تنال المعلومات الوثائقية أكبر قدر من الاتاحة والاستخدام».

- ويعرفه الدكتور أحمد بدر (عام ١٩٦٣) بأنه: «مجموعة العمليات والأساليب الفنية اللازمة لتوفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات المنشورة في المطبوعات العلمية والفنية الصوتية والعالمية، حتى لا ينفق الجهد

والوقت والمال، على بحوث سبق القيام بها في مكان ما على وجه الأرض. وهذه العمليات الفنية تشمل: تقويم وجمع ونسخ أو تصوير وتحليل وتنظيم وخزن ونشر واسترجاع المعلومات العلمية والفنية حسب احتياجات العلماء والمتخصصين».

- ويعرفه عامر إبراهيم قنديلجي (عام ١٩٨١) بأنه: «الإجراءات والعمليات الفنية والمتخصصة التي تسهل توفير واستخدام المعلومات عن طريق جمع هذه المعلومات في أوعيتها وأشكالها الثقافية والإعلامية المختلفة، ومن مصادرها المتنوعة، ثم خزن هذه المعلومات بشكل يسهل الحفاظ عليها، وتنظيمها وتحليلها وفهرستها وتصنيفها وترجمتها (إذا تطلب الأمر، لتكون جاهزة للاستخدام في حالة استرجاعها عند الطلب. ويكون التعامل مع المعلومات بالشكل التقليدي اليدوي أو بالشكل الآلي بإدخال المكننة (الكومبيوتر) والمصغرات (المايكرو فيلم). لذلك فإن عمليات واجراءات التوثيق متنوعة ومتعددة، وهي قد تكون بسيطة تحتاج إلى جهد قليل أو معقدة تحتاج إلى جهد وتخصص عال وكبير، ويعتمد ذلك على حجم مركز المعلومات الذي تجري عمليات التوثيق فيه وطبيعة خدماته وعمله سواء كان هذا المركز هو قسم للمعلومات الصحفية أو مركز توثيق متخصص آخر».

- ويعرفه محمد حمدي (عام ١٩٨٠) بأنه: «الأساليب والعمليات الفنية التي تتناول الإنتاج الفكري بالتجميع والتنظيم والتحليل والبحث بهدف تحقيق الاستخدام الأمثل للمعلومات، وإتاحتها للباحثين بأيسر جهد وفي أسرع وقت».

و«التوثيق» بالمعاني السابقة يقصد به توصيل المعلومات لطالبيها وللباحثين، وإذا لم تصل المعلومات للمستفيدين فسيبطل الغرض من التوثيق ولذلك فقد اتجه التفكير إلى إحلال مصطلح علم «المعلومات» محل «علم التوثيق» وذلك باعتبار المعلومات هي المحور الأساسي الذي يدور من حوله جميع أنشطة التوثيق، ولذلك فإن لكلمة المعلومات الدلالة الأشمل.

- وترى إيمان فاضل السامرائي (١٩٨٥) «أن مصطلح التوثيق نعني به كافة الإجراءات الفنية التي تشمل عمليات توفير وتنظيم واستخدام المعلومات بأوعيتها وأشكالها المختلفة. وبعبارة أدق فإن عملية توثيق المعلومات تشمل: البحث عن المعلومات من مختلف المصادر والأصول، ثم اختيار المناسب منها وفهرستها وتصنيفها وتحليلها، واستخلاصها وتكثيفها، وفق أسس ونظم علمية وفنية، لغرض تهيئتها للاسترجاع عند الطلب سواء كان هذا الاسترجاع يدوياً تقليدياً أو آلياً بواسطة الحاسب الآلي».

- والغالبية العظمى من المهتمين بالموضوع يعتبرون أن «التوثيق هو مجرد امتداد طبيعي للعمل المكتبي ويرون أن لكل مظاهر نشاط التوثيق جذورها في علم المكتبات:

- فيرى براد فورد أن التوثيق ما هو إلا جانب من جوانب العمل المكتبي ولكنه جانب له طبيعته الخاصة يحتاج إلى دراسة خاصة، ذلك لأنه بينما يهتم علم المكتبات العريض بكل جوانب تناول الكتب فإن مهمة الموثق إنما تقتصر على تيسير استعمال المعلومات الأصلية التي سجلت في الدوريات والنشرات والتقارير والمواصفات وبراءات الاختراع وما شابهها من أنواع المسجلات.

ويعرف براد فورد التوثيق بأنه: «عملية جمع وتصنيف جميع سجلات المعلومات الحديثة وتيسير استعمالها لمن يحتاجونها من باحثين ومخترعين، ويضيف بأنه بدون التوثيق يمكن للمعلومات المسجلة أن تصبح مجرد مواد مبعثرة لا قيمة لها حيث يمكن أن نضيع في ذلك الفيض الهائل من الإنتاج الفكري كإبرة وسط كومة من الهشيم».

- ويرى شيرا أن التوثيق ببساطة ما هو إلا نوع آخر من العمل المكتبي، ويمتاز عن العمل المكتبي العام في كونه أكثر عمقاً، حيث يهتم بالتحليل الموضوعي، كما يهتم بالتغطية الشاملة في جميع المصادر، وللتوثيق خاصة التخصص التي تميزه عن الخدمة المكتبية العامة وذلك

لارتباطه بالاحتياجات المتخصصة للمستفيدين المتخصصين».

- ويعبر مورتيمر تاوبه عن الفكرة نفسها بالتوثيق في رأيه: «تسمية لمجموعة العمليات التي يشتمل عليها توصيل المعلومات الشخصية، والتي تشتمل على العمليات التي تكون العمل المكتبي المتخصص إلى جانب العمليات الميدانية الخاصة بإعداد ونسخ المواد وما يتبعها من عمليات التوزيع».

- ويعرف كل من جيمس ماك وروبرت تايلور التوثيق بأنه: «مجموعة العمليات اللازمة لتجميع وتنظيم وتوصيل المعرفة المتخصصة وذلك بغرض توفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات التي تشتمل عليها».

- ويقول رانجا ثان: «إن التوثيق مرادف لإعداد البليوجرافيات مع التركيز على الوحدات الدقيقة من الأفكار التي تشتمل عليها مقالات المطبوعات الدورية» ويرى الدكتور أسامة السيد محمود أنه رغم أن هناك تعريفات متعددة للتوثيق فإن أفضلها وأشملها هو تعريف رانجاثان الذي يلقي الضوء على مفهومه وحقيقته وأهدافه ثم علاقته بالمكتبات وهذا التعريف هو:

«التوثيق هو العمل والممارسة من أجل جعل الأفكار الصغيرة والحديثة أكثر استخداماً من قبل المتخصصين (قانون ١) وتقديم الخدمات المتعلقة بهذه الأفكار إليهم (قانون ٢) بشمول (قانون ٣) على الرغم من التدفق المستمر والمتزايد من الأفكار الصغيرة الحديثة في عالم متزايد من الموضوعات المتخصصة والتي تتضمنها عدة آلاف من الدوريات».

ولعل قوة هذا التعريف تنبع من أن رانجاثان قد ربط بينه وبين المكتبات عن طريق تطويع قوانينه الخمسة الأساسية التي تحكم نشاط التخصص من وجهة نظره لتشمل التوثيق، ذلك أنه مجموعة من الممارسات لتقديم الخدمات المتخصصة المتعلقة بالأفكار الحديثة والصغيرة والتي توجد أساساً في الدوريات بسرعة وشمول وقد ميز أيضاً هذه العلاقة بأنها علاقة إحتواء من جانب المكتبات للتوثيق لاهتمام الأخير بالأفكار الصغيرة

والحديثه والمتخصصين على وجه الخصوص بينما تهتم المكتبات بكل الأفكار وكل المستفيدين.

ويعرف الدكتور عبد الله أنيس الطباع التوثيق بأنه: مجموعة العمليات المترابطة والمتناسقة لتوصيل المعلومات والمعرفة إلى هذه الطبقة (التي تحتاج إلى المعرفة المتخصصة)، تسهيلاً للبحث، وإثراء للفكر بالإفادة مما ابتكر من الجديد المستنبط والمبتكر الذي تحمله المجالات، لأن بغير هذه المستحدثات لا يمكن للأفكار الحديثة والمتطورة أن تبني، أو تنمو لاسيما بعد أن أضحي عنصر المدخلات هو الأول في نظام التوثيق أثر التزايد على طلب المعلومات، وإنماء الإفادة منها، الأمر الذي أدى إلى إعادة النظر في كثير من المناهج التي كانت تحكم خدمات المعلومات، لاسيما ما كان يتصل منها بأوعية المعلومات التقليدية.

التوثيق النشأة والتطور:

وكان ظهور التوثيق في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر عندما بدأ بعض علماء العلوم الطبيعية واستشعاراً منهم بعدم ملائمة تقنيات العمل في المكتبات في تلك الفترة، ورغبة منهم في خدمة باقي زملائهم وسرعان ما تجمع عدد من هؤلاء العلماء، وكان أهم ما يجمعهم معاً هو نوع من عدم الرضا عن الخدمات التي كانت تقدم إليهم من المكتبات في ذلك الوقت، وبدؤوا في تجميع الإنتاج الفكري المنشور في بليوجرافيات عالمية.

وقد انقسمت جهود هذه المجموعة إلى اهتمامين الأول: إعداد البليوجرافية نفسها، والثاني لتطوير نظام تصنيف ديوي العشري، ذلك الجهد الذي أدى إلى ظهور التصنيف العشري العالمي والذي يعتبر في نظر الكثيرين أبرز ما أفرزته حركة التوثيق، ولم يكن لبدايات التوثيق أي توفيق يذكر من الناحية العملية فلم تخرج البليوجرافية موضع الاهتمام إلى حيز الوجود على الإطلاق ولكنه أدى إلى ظهور عنصرين أثرا في تخصص المكتبات والمعلومات أبعد تأثيراً بعد ذلك وهما:

١ - ظهور مجمع من العلماء، اهتم بقضية ضبط أوعية المعلومات وإتاحتها ومطالبته بتطوير مؤسسات التخصص وانتقال هؤلاء العلماء بالفعل في المهنة، مما أدى إلى دخول وظهور ونمو تكنولوجيا المصغرات الفيلمية، وتشجيع الاحتكارات الرأسمالية لمؤيدي هذه التكنولوجيات لدوافع تجارية بحتة، وتشكيل عدة جماعات اهتمام (مصالح) Interest Groups من موندي وأنصار المصغرات الفيلمية حتى أن هذه الجماعات هي التي لعبت الدور الرئيسي في تأسيس «معهد التوثيق الأمريكي» A.D.I في عام ١٩٣٧ وقد أدى كل هذا إلى تعاظم نفوذ وانتشار التوثيق في الفترة بين الحربين العالميتين.

وعلى الرغم من كل النشاط المهني والتطبيقي والتجاري والدعائي الذي صعب التوثيق في تلك الفترة، إلا أن النشاط النظري والأكاديمي لم يكن له أي وجود يذكر، فلم تنظم أي مقررات دراسية في التوثيق إلا في العام الدراسي ١٩٤٨ - ١٩٤٩ بجامعة كيس وسترن ريسيرف Case western Reserve في الولايات المتحدة، بل إن أول محاولات لوضع تعريف محدد له لم يجئ إلا مع نهاية الثلاثينيات. وكان للخلفية النظرية الهشة للتوثيق وتحالف بعض الأحداث التاريخية أثره على مجريات التخصص كتولي أمين مكتبة الكونجرس لرئاسة معهد التوثيق الأمريكي، وتخلصه من تأثير شركات المصغرات الفيلمية على المعهد، والتطور العلمي الضخم الذي زاد من مشكلة انفجار المعلومات منذ منتصف القرن العشرين وظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة لم تكن من قبل في هذا التخصص ووفدت إليه مع العنصر البشري الجديد.

٢ - حدوث انقسام في بعض مؤسسات التخصص الإختزانية والمهنية في أوروبا الغربية وبعدها بقليل في الولايات المتحدة، فغيرت بعض المؤسسات الإختزانية اسمها من مكتبة إلى مركز توثيق كما ظهرت مؤسسات مهنية - جمعيات واتحادات - حاولت أن تجد لنفسها مكاناً منفصلاً عن نهر التخصص الرئيسي، فانفصل بعض أعضاء الجمعية

الأمريكية للمكتبات American Library Association وتحالف مع بعض العاملين الذين لم يفلحوا في الانضمام إلى الجمعية وأسسوا جمعية المكتبات المتخصصة Special Library Association في عام ١٩٠٨، والموقف نفسه تقريباً حدث في إنجلترا بظهور جمعية المكتبات المتخصصة ومكاتب المعلومات Association of Special Library and Information bureaux في عام ١٩٢٤.

وللأسف فإن هذه المؤسسات المهنية التي ظهرت مع ظهور التوثيق وبعده عمدت إلى تفتيت التخصص ولم تحاول على الإطلاق إيجاد أي نوع من نقاط التلاقي مع المتخصصين أو المؤسسات الاختزانية أو المهنية الموجودة، وقد زاد من حدة هذه الانقسامات الآن، ثم انتهاء هذا الجيل من المكتبيين الذين وقفوا طويلاً ضد اتباع بعض الأساليب الحديثة في التحليل الموضوعي وتقديم خدمات أكثر سرعة وكفاءة تلائم احتياجات المتخصصين، وأيضاً إنتهاء جيل الموثقين الذين بنوا دعاوى الانفصال على خلافات شخصية، علاوة على الهجوم الشديد الذي كان يلاقيه مصطلح التوثيق من بعض فئات المتخصصين في علوم أخرى لاستخدامه في عدة مجالات وبمعانٍ مختلفة، وكان لذلك كله أكبر الأثر على اختفائه تقريباً بحيث لم يتبق منه إلا بعض المؤسسات والمتخصصين في الدول النامية وفي فرنسا وألمانيا الغربية التي لا تزال تستخدم هذا المصطلح، وهذه المؤسسات والعاملون بها يمارسون الوظائف نفسها والأهداف التي تتم في أي مكتبة متخصصة.

أي «التوثيق» نشاط من الأنشطة المرتبطة بالمكتبات والمعلومات، ويمثل مرحلة تاريخية من مراحل تطور المكتبات والمعلومات على المستوى العملي والأكاديمي، والتطوير المهني المكتبي البطيء قد صاحبه نشاط متميز من جانب عدد من العلماء والمهندسين الذين عملوا بمجال المعلومات. وقد كان هؤلاء المهندسين والعلماء المتخصصين في المجالات الموضوعية المختلفة هم هداية حركة انفصالية في المكتبات سمت نفسها حركة المكتبات المتخصصة أو حركة الموثقين العلميين. وهي نفسها التي استقرت

حول التسمية الجديدة المتمثلة في علم المعلومات وهذه مجرد إشارة للحركات الانفصالية داخل مهنة المكتبات، أو إنشاء حركات مستقلة أخرى تهتم بقضية المعلومات من جوانبها المختلفة.

فماضي علم المعلومات البعيد إذن موجود في علم المكتبات، وماضيه القريب موجود في التوثيق، أولاً ثم في استرجاع المعلومات وما يتصل به ثانياً.

ونظرة إلى التعريفات المختلفة للتوثيق تشير إلى أن مجال العمل والنشاط في هذا المجال لا يختلف كثيراً عن العمل والنشاط في علم المعلومات، أو أنه على الأقل هو أساس النشاط الملاحظ في علم المعلومات الآن. وتكاد تتأرجح التعريفات ما بين الإشارة إلى التوثيق على أنه فن وأنه علم.

إلا أن الأثر الأكبر الذي تركه التوثيق خلفه كحلقة من حلقات تطور تخصص المكتبات والمعلومات هو زيادة الإدراك عند رجال المكتبات والمعلومات منذ الحرب العالمية الثانية لأهداف المهنة الأساسية، وتقديم المؤسسات الاختزانية لبعض الخدمات الحديثة التي طالب بها العلماء وبالسرية التي تتلاءم مع سرعة الطلب على أوعية المعلومات ذاتها، ثم تعديل ظهور قواعد ومعايير متعددة للأعداد الببليوجرافية والتغيير الجذري الذي أحدثه التوثيق منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن في كثير من برامج ومقررات المؤسسات الأكاديمية في التخصص، وزيادة على ذلك وضع بذور الانقسام في التخصص والذي لا يزال مستمراً حتى الآن.

ولقد أصبحت كلمة «توثيق» تمثل مشكلة ولكنها تعتبر الآن مشكلة أكاديمية، كما أن هذه الكلمة أصبحت قديمة مثل كلمة مكتبات نفسها. وقد أوصى المجتمعون في مؤتمر تدريب المتخصصين في علوم المعلومات الذي عقد في معهد جورجيا للتكنولوجيا في ربيع ١٩٦٢، أوصوا بوجوب إلغاء كلمة «توثيق» و«موثق» وذلك للاختلافات المبعثرة في استعمالها وخلال تفسير

معانيها، ودخلت كلمة «معلومات» مكانها، وقد ظهر ذلك عندما أنشأت جمعية المكتبات الأمريكية ALA قسمًا لعلم المعلومات والميكنة Information Science And Automatic Division المعروف بالاسم الاستهلاكي ISAD.

كما أن معهد التوثيق الأمريكي ADI قد غير اسمه منذ عام ١٩٦٨ ليصبح الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات ASIS ولكن الأمر لم يستقر عند هذا الحد، فقد اختلف المشتغلون بمهنة المكتبات والمعلومات حول حدود هذا العلم وتعريفه:

- فمنهم من اعتبر علم المعلومات كجزء من المكتبات.
- ومنهم من اعتبره امتداداً لأنشطة التوثيق وتطوراً لعلم المكتبات.
- ومنهم من رأى هذا العلم كعلم جديد تماماً يستمد جذوره من علوم عديدة من بينها - وعلى قدم المساواة - علم المكتبات.
- ومنهم من يرى أن نشاط المكتبة المتخصصة (ممثلة لعلم المكتبات) هو نفسه نشاط مركز المعلومات (ممثلاً لعلم المعلومات) .. وإذا كان هناك خلافاً بينهما فهو خلاف في الدرجة لا في النوع.

أي أنه يمكن القول أن التوثيق كفن أو كعلم هو مجال جديد - في وقته - من مجالات علم المكتبات، يهتم العاملون فيه بتطوير وسائل التصنيف والتكشيف والعمل على إدخال الوسائل الآلية واستعمال الأجهزة الحاسبة الإلكترونية في خزن المعلومات واسترجاعها.

وقد نشأ التوثيق كمجال جديد في علم المكتبات متضمناً عملياته الفنية ووسائله نتيجة إحساس العلماء والباحثين بالعديد من العقبات والمشاكل الناتجة عن مشكلة تزايد المعلومات وتعقدها التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ١ - نقص الوسائل الشاملة التي يمكن الاعتماد عليها في حفظ واسترجاع المعلومات العلمية.

- ٢ - نقص لترجمات الكثير من المطبوعات التي تظهر بلغات لا يقرأها الكثير من الباحثين كالروسية واليابانية مثلاً.
- ٣ - عدم إمكان الحصول على كثير من المطبوعات والنشرات العلمية.
- ٤ - التأخر في نشر المستخلصات.
- ٥ - عدم التأكد من أن الدوريات الببليوجرافية التي تنشر المستخلصات سوف تغطي المقالات والبحوث والأنباء الهامة التي تنشر في دورات غير مشهورة.
- ٦ - تكرار الجهود وكل الصعوبات المتعددة التي تتصل بالأعمال الببليوجرافية والبحث في المطبوعات العلمية.
- ٧ - قصور الخدمات المكتبية التقليدية عن تلبية الاحتياجات المختلفة للمتخصصين والباحثين العلميين.

مؤسسات التوثيق

مدخل:

يعتبر مصطلح مراكز التوثيق من التسميات الحديثة نسبياً لبعض المؤسسات العاملة على توفير خدمات المعلومات للباحثين والمتخصصين. وقد جاء استعمال هذه التسمية مصاحباً لبعض التطورات الرامية لإضفاء قدر من الديناميكية على خدمات المكتبات المتخصصة في الأساس، بالإضافة إلى تزايد الاهتمام بالأشكال البديلة للكتاب حيث استعملت كلمة وثيقة للدلالة على مختلف أشكال أوعية المعلومات. وعلى ذلك فإن الاختلاف بين المكتبة المتخصصة ومركز التوثيق هو اختلاف في الدرجة وليس في النوع.

فهناك تداخل وتقارب بين التوثيق والعمل المكتبي والببليوجرافيا، والمعاني الثلاثة تتصل اتصالاً وثيقاً بحيث يؤدي أي منها إلى الأعمال التي تشتمل عليها الثلاثة، إلى جانب أن الثلاثة يتعاملون مع مواد خام مشتركة.

فالأعمال المكتبية: كالتزويد والفهرسة والتصنيف والإعارة ضرورية وتحضيرية لأعمال التوثيق.

والعمل الببليوجرافي: أو إعداد قوائم الإنتاج الفكري يعتبر في حد ذاته تحليلاً للمعنويات الفكرية لهذا الإنتاج.

فالمكتبي: يقوم بعمليات التحليل الموضوعي ضمن عمليات الفهرسة والتصنيف، ولكنه عندما يتحرك خطوة أوسع أي عندما يحاول التعمق في تحليل الأفكار التي تحتويها الصفحات المختلفة لكل مصدر فإنه يبدأ في هذه الحالة عمل الموثق.. والتوثيق: هو العمل المكتبي الديناميكي، وهو التطور الطبيعي الذي أوجبه طبيعة البحث العلمي في العصر الحديث، فهو يستعير الفنون والنظم المكتبية ويعمل على تطويرها حتى يمكنها الاستجابة لذلك الفيض الهائل من المعلومات الذي يزداد كماً وتعقيداً كل يوم، وكذلك نجد أن التوثيق يهتم بفلسفة التحليل الموضوعي ومشكلاته أكثر من الاهتمام بإدارة خدمات المعلومات والإعلام نفسها، فجوهر عمل مركز التوثيق يتلخص في القيام بفرز وتقييم المصادر الأولية والثانوية للمعلومات التي تشمل المطبوعات والوثائق المتخصصة وغيرها من المواد غير التقليدية التي قلما يحفل بها المكتبيون. وعادة ما تستغل نتائج الاسترجاع في مراكز التوثيق في الجوانب التالية:

- إما في الرد على الاستفسارات المتخصصة التي يتقدم بها المستفيدون.

- وإما في بث المعلومات المتخصصة بطريقة تلقائية وفي شكل مجهز كإصدار الكشافات ونشرات المستخلصات والمراجعات العلمية إلى آخر ذلك من خدمات.

وفي ممارسة دوره كوسيط عادة ما يوفر مركز التوثيق خدمات البرمجة العلمية والتصوير العلمي وغير ذلك من الخدمات اللازمة لتيسير الاستفادة من مصادر المعلومات.

المكونات الأساسية لمركز اليوشن:

عادة ما يضم مركز التوثيق، فضلاً عن الوحدات الإدارية، وحدة المكتبة، ووحدة التوثيق ووحدة النشر.. وتتكفل وحدة المكتبة: بكل ما يتعلق بالمركز من مصادر المعلومات حيث تضطلع بمهام التجميع والفهرسة والاختزان والصيانة.

أما وحدة التوثيق، فتقوم بتجهيز مصادر المعلومات من حيث الكشف والاستخلاص والبرمجة والتحليل حيث يمكن أن يتم حسب الطلب أو بشكل تلقائي مع مراعاة الاحتياجات العاجلة والآجلة للمستفيدين من الخدمات.

وأما وحدة النشر: تقوم في الوقت ذاته بعمليات التجميع والتحرير والاستنساخ لتوفير النسخ التي تغطي احتياجات المستفيدين أو البث على نطاق أوسع أو التبادل مع مراكز التوثيق الأخرى.

أنواع مراكز التوثيق:

هناك عدة أنواع من مراكز التوثيق، وردت في الكتاب المبسط الذي أصدره الاتحاد الدولي للتوثيق عام ١٩٦١ بعنوان Modern documentation and Information practices وهي:

١ - مراكز التوثيق العامة: Public document ation centres

وتطلق هذه التسمية على المراكز التي أنشئت من الأموال العامة، وتعتمد على هذه المخصصات إلى حد أنها تصبح غير مربحة، وقد يكون في إمكان الجمهور العام، أو لا يكون في إمكانه الاستفادة منها، وعادة ما يكون مجالها قاصراً على مجال معين من المعرفة كالهندسة مثلاً أو العلوم التطبيقية أو الطب أو أي فرع من هذه المجالات. وهناك خاصية أخرى لهذه المراكز وهي أن المواد التي تجمعها غالباً ما تكون قاصرة على المطبوعات، ففي العلوم والتكنولوجيا تتكون المواد أساساً من مقالات الدوريات إلى جانب الكتب أيضاً وبراءات الاختراع Patent specit وغيرها

من المطبوعات وعادة ما تكون مراكز التوثيق العامة هذه ملحقة أو مدمجة في مكتبات متخصصة.

٢ - مراكز التوثيق شبه العامة: Semi - public Doc Centres

وهذه عبارة عن مراكز تابعة لجمعيات علمية أو مهنية أو مؤسسات تجارية توجد أساساً لخدمة أعضاء هذه الهيئات ولكنها في أغلب الأحيان تكون في متناول استعمال غير الأعضاء.

ويقتصر هذا النوع من المراكز - شأنه في ذلك شأن النوع السابق - على مجالات معينة تتعلق بتخصص الهيئات التي تتعلمها كالتعدين أو البناء مثلاً، وتعمل على علاقة وثيقة بالمكتبات المتخصصة.

٣ - مراكز التوثيق الخاصة: Private Doc. Centres

وتشمل هذه المجموعة أساساً مراكز التوثيق الخاصة بالمشروعات المالية كالشركات الصناعية والتجارية والبنوك وشركات التأمين.

وتحرص هذه المراكز على تجميع جميع أنواع المطبوعات الملائمة لإدارة المشروع والعاملين به. أما فيما يتصل بالموضوعات التي يهتم بها فإن مجالها لا يقتصر على تخصص ضيق بعينه وإنما يهتم بكل ما من شأنه أن يؤثر في المشروع ككل.

وهكذا يمكن لمركز التوثيق في الشركة الصناعية أن يهتم لا بمنتجات الشركة فحسب وإنما يهتم أيضاً بالمسائل العامة المتصلة بالتصنيع والتشطيب والمبيعات والتخطيط والاقتصاد والشؤون الاجتماعية. وتتبع هذه المراكز عموماً لمكتبة الهيئة التي لا تغطي التخصص الفني الخاص فحسب وإنما تغطي أيضاً كل ما يتصل بالمشروع.

٤ - مراكز الإعلام (المعلومات) الداخلية: Internal Information Centres

ويتبع هذا النوع من المراكز إدارة المشروع الذي يخدمه، وأهم وظائفه جميع بيانات الهيئة غير المنشورة التي تشتمل عليها تقارير البحوث ومذكرات المعامل وغير ذلك من التقارير التي يقدمها العاملون بالشركة

وتيسير استعمالها. ومن أهم واجبات هذا المركز تزويد إدارة المشروع بكل المعلومات التي يمكن أن تفيد في التخطيط واتخاذ القرارات. كما أن من واجبه أيضاً أن يقدم الوسيلة التي يمكن للإدارة أن تدخل عن طريقها التوجيهات والأوامر العامة والخاصة إلى العاملين بالمشروع والتي تتعلق بالتطوير والصناعة والمبيعات.

ويوجه هذا المركز أساساً لتدعيم المعرفة التجميعية للهيئة التي يخدمها وتيسير استعمال هذه المعلومات لتحقيق أغراض الهيئة. ولكي يحقق ذلك يجب أن يكون في وضع يمكنه من الحصول على الخبرات العامة والفنية للأفراد المستفيدين منها بالمعلومات أو النصائح المتعلقة بتناول هذه المنتجات واستعمالها وتوصيل المطبوعات والتوجيهات العملية اللازمة لهم.

مهام ومسؤوليات مراكز التوثيق:

يحدد الدكتور أحمد بدر ذلك في العمليات التالية:

[١] التزويد: بما في ذلك من اختيار وطلب واستلام الوثائق ورسم سياسة عملية التزويد.

[٢] التعليل: بما في ذلك من عمليات الاستخلاص والفهرسة والتكشيف والتصنيف.

[٣] ضبط المصطلحات: وذلك لإيجاد العلاقة المحددة بين المصطلحات التي تظهر في عمليات التحليل وإيجاد الصلة بين اللغة التي يستخدمها القائم بالتحليل واللغة التي يستخدمها طالب المعلومات بما في ذلك من استخدام المعاجم والمصطلحات والمكانز Thesaurus.

[٤] التسجيل: أي تسجيل تاريخ التحليل على وسيط يمكن الرجوع إليه كالبطاقات أو الشرائط أو الأفلام.. إلخ.

[٥] الإيداع: أي ترتيب الوثائق في موضوع معين سواء كانت وثائق أصلية أو مصورة.

[٦] طلب المعلومات: تحليل السؤال الخاص بالمعلومات توطئة لرسم استراتيجية البحث.

[٧] إعداد المعلومات: إدارة وتشغيل الوحدات الآلية أو غيرها لتحديد المطلوب من التسجيلات الموجودة.

[٨] توصيل المعلومات: توصيل المسجلات المعنية أو نسخة منها لمن يريد، ويرى الأستاذ عامر إبراهيم قنديلجي - المدير الأسبق لمركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي - أن الإجراءات والأعمال المتخصصة المدرجة في أدناه هي ما يحتاجه مركز المعلومات أو التوثيق كلها أو بعضها وهي كالاتي:

(١) التزويد: ويشمل اختيار وطلب المواد الثقافية والإعلامية المختلفة التي تحتوي على المعلومات المطلوبة واستلامها.

(٢) التخزين والتجميع: حيث تجمع هذه المواد بشكل يسهل تخزينها والمحافظة عليها.

(٣) التحليل: وذلك بتحديد البيانات والمعلومات التي تحويها المواد الثقافية والإعلامية.

(٤) التصنيف والفهرسة: ويكون ذلك بتنظيم المواد الثقافية حسب موضوعاتها واستخدام رؤوس موضوعات وأرقام رموز دالة تسهل الوصول إلى المواد هذه وإلى المعلومات الموجودة فيها.

(٥) الترجمة: قد تحتاج بعض الوثائق والمطبوعات والمواد الثقافية والإعلامية المكتوبة بلغات أجنبية، والتي تصل إلى مراكز المعلومات. إلى ترجمة جزء منها أو كلها أو بعض البيانات المطلوبة منها بغية تسهيل استخدامها.

(٦) الاستخلاص: وذلك بإعطاء ملخص ومعلومات موجزة ومختصرة عن الموضوع أو المادة الفنية والإعلامية المطلوبة تسهياً للقارئ والباحث وتوفيراً لوقته.

(٧) **التكشيف (عمل الكشافات):** فقد تحتاج بعض المواد الثقافية والإعلامية إلى وضع كشاف تحليلي لها يبين موضوعاتها ومعلومات عنها. وقد تحتاج الجريدة إلى كشاف الموضوعات وتحتاج المجلة إلى مثل ذلك. وحتى الكتب فإننا نجد العديد منها يحمل كشافاً هجائياً في نهايتها تسهياً للوصول إلى المعلومات الموجودة فيها.

(٨) **التصوير والاستنساخ:** وذلك بتهيئة أجهزة ووسائل الاستنساخ للمعلومات المطلوب تصويرها واستنساخها تسهياً لعمل القارئ والباحث والشخص الذي تخدمه المؤسسة.

(٩) **التصغير (عمل المصغرات الفيلمية):** قد تحتاج المؤسسة تحويل المواد الثقافية والإعلامية والمعلومات الموجودة فيها إلى أشكال مصغرة بأجهزة الميكروفيلم توفيراً للمساحة التخزينية وتسهياً لعمال المراجعين والباحثين وتوفيراً لوقتهم.

(١٠) **الاسترجاع اليدوي (التقليدي) للمعلومات:** إن كافة الإجراءات المذكورة سابقاً هي أصلاً تكون لخدمة القارئ والباحث عن طريق استرجاع المعلومات المطلوبة في أسرع وقت والشكل المناسب وبالرجوع إلى الوثيقة والمادة الثنائية والإعلامية وتقديمها وإتاحة الاطلاع عليها للباحث أو القارئ، أو الشخص الذي يعمل في المؤسسة.

(١١) **الاسترجاع الآلي (بواسطة الحاسب الإلكتروني):** فقد نسترجع المعلومات بالطرق التقليدية واليدوية كما هو مبين أعلاه، أو قد يكون الاسترجاع عن طريق استخدام الحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر) ومحطات الاتصال به، وبذلك يمكننا تخزين مواد ومعلومات هائلة وكبيرة جداً واسترجاعها في وقت قياسي لا تضاهيه الطرق التقليدية. وكما ذكرنا فإن الاسترجاع الآلي يجب أن يسبقه تخزين المعلومات والإجراءات الأخرى التي ذكرناها - آنفاً بالشكل الآلي أيضاً.

وهكذا نرى أن ظهور مراكز الإعلام (المعلومات) والتوثيق كان نتيجة

للتوسع الأفقي والرأسي والنوعي في العمليات المكتبية التقليدية كتطبيق لإنشاء مجال جديد في تخصص المكتبات والمعلومات والتوثيق والإعلام، ويبقى تساؤل أخير: إذا كان التوثيق Documentation يسعى لرصد وخن وتسهيل الحصول على المعرفة المتخصصة وإتاحتها بكل الوسائل للمتخصصين، فما الفرق بين دور مركز التوثيق ودور المكتبة المتخصصة؟

إن المكتبة المتخصصة تخدم جمهوراً خاصاً وتلبي احتياجات هذا الجمهور إلى المعلومات الفنية متبعة في ذلك بعض الوسائل والطرق غير التقليدية والتوثيق خدمات إيجابية تهتم بتوصيل المعلومات المتخصصة إلى من يريدونها فضلاً عن توفير أسباب الاطلاع والاستفادة عن الموضوعات المختلفة بالرسائل المكتبية التقليدية.

والمكتبات المتخصصة لا تتطلب من القائمين بالخدمات فيها تخصصاً موضوعياً دقيقاً كذلك الذي تحتاجه خدمات التوثيق، كما أن المكتبة المتخصصة تميل إلى استخدام مصادر المعرفة المنشورة فقط.

ومن الملاحظ أن كلمة «التوثيق Documentation» قد بدأت تتواری في مسميات الهيئات التي تمارس أنشطة «التوثيق» لتحل محلها كلمة «المعلومات» في بعض الأحيان أو ترد مصاحبة لها أحياناً أخرى.

ومن هنا نجد ما يسمى بوحدة «التوثيق والمعلومات» أو «وحدات المعلومات فقط» و«مراكز المعلومات» إلى آخر هذه المسميات التي تستعمل كلمة معلومات كبديل للتوثيق.

وأحدثها «مركز تحليل المعلومات» وقوامه مجموعة من العلماء ورجال التكنولوجيا يقومون بتجميع كل ما هو متوفر من حقائق ومعلومات حول موضوع معين وتحليل هذه المعلومات وتقييمها ثم تنفيذ هذه المعلومات واختزانها في ملفات خاصة وجداول بيانات ومراجعات علمية، ثم العمل على إيصالها للآخرين عن طريق خدمات الإحاطة الجارية، والبث، والرد على الاستفسارات.

ويمثل العاملون بمثل هذه المراكز أعلى مستويات الخبرة في مجالاتهم حيث ينغمسون في العمل العلمي المتواصل الذي ينطوي على تجميع المعلومات وتجهيزها، ومن الملامح المميزة لنشاط هذه المراكز الاستعانة بالخبرات البشرية المتخصصة في أي مجال لتقديم المشورة كلما دعت الحاجة.

والوظيفة الرئيسية لمركز تحليل المعلومات في الرد على الاستفسارات، والخاصية الأساسية المشتركة لجميع أنواع مراكز تحليل المعلومات هي التحليل المتعدد، ويجدر بالذكر أن استعمال التسمية «مركز المعلومات» قد انتشر بلا ضابط في بعض الأحيان، وربما كان مرد ذلك إلى اتساع مدلولها بحيث يمكن أن تغطي جميع المؤسسات العاملة على جميع مصادر المعلومات وتنظيمها وتيسير سبل الإفادة منها، وعلى الرغم من انتشار مصطلح «التوثيق» خلال العقد الأخير وارتباطه بعلم المعلومات والتقنيات الحديثة، فهو لا يزال يستخدم في الكثير من المكتبات ومراكز المعلومات العربية للدلالة على السيطرة على المعلومات المسجلة والمحفوظة والمنشورة في أوعية ورقية، كالتقارير والمقالات والبحوث والأطروحات والمخطوطات والوثائق والكتيبات والنشرات بأنواعها المختلفة وغيرها من المواد المطبوعة في حين ظهرت أوعية جديدة غير ورقية لا تقل عنها أهمية لحفظ وتداول المعلومات المعروفة. ومن أشهر هذه الأوعية المصغرات الفيلمية والمعروفة بالمايكروفورم Microform والتي بدأت تنتشر بسرعة وتحتل مكانة بارزة بين المواد الثقافية الأخرى في المكتبات ومراكز المعلومات لخصائصها ومميزاتها الكثيرة المعروفة.

التوثيق الإعلامي:

وتأسيساً على تعريف التوثيق، فإن التوثيق الإعلامي - والكلام هنا لخبير التوثيق والمعلومات الأستاذ محمد حمدي يعرف بأنه: توثيق الإنتاج الفكري المتعلق بمجال الاتصال الجماهيري أو الإعلام، ويعني ذلك تناول البحوث والدراسات الأكاديمية والتطبيقية والعملية، إلى غير ذلك من الإنتاج

الفكري والمعلومات المتخصصة في فروع الإعلام المختلفة يتناولها بالعمليات التالية:

- (١) التجميع والحصر.
- (٢) وضع النظم والأساليب الفنية الكفيلة باسترجاع مضمون هذا الإنتاج وتحليله (عمليات الفهرسة والتصنيف والتكشيف والاستخلاص).
- (٣) الإعلام عنه وبذلك يتحقق الاستخدام الأمثل لهذا الرصيد الفكري، ويتسنى تيسير الاستفادة منه للدارسين والباحثين والمشتغلين والمهتمين بهذا المجال.

التوثيق الصحفي:

يستعمل مصطلح «التوثيق الصحفي» - هنا - للدلالة على التعامل مع السيل الهائل من المعلومات التي تدر إلى أقسام المعلومات الصحفية (أو مراكز المعلومات الصحفية) عبر القنوات والمواد الثقافية والإعلامية المختلفة. ويقوم قسم المعلومات المعنية (مركز) «الأرشيف الصحفي فيما مضى» باختيار وتنظيم هذا السيل الهائل من المعلومات المكتوبة منها والمطبوعة والمنطوقة، التي تنتج وتوزع يومياً وكل ساعة بواسطة وسائل الإعلام، وأجهزة الاتصالات إضافة إلى ذلك فإن القسم يجعل من هذه المواد معلومات سريعة التداول والاسترجاع عند الحاجة إلى ذلك، وتقديمها إلى المحررين والصحفيين والكتاب وكافة العاملين في حقل الصحافة والإعلام.



المصدر: د. محمود علم الدين: التوثيق الإعلامي أصوله التاريخية وجوانبه العملية، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص ٣.

وجوه وأقلام لبنانية

بقلم غسان تويني

جبران تويني في وضح النهار^(١):

أي شيء أصعب من أن يكتب الإنسان عن أبيه؟
لو كان جبران تويني لي أباً فحسب، لما كتب القلم الذي ورثت عنه
سطراً، ولما سالت من القلم إلا الدموع!
ولكني أشعر، وأنا أجلس إلى طاولته، بعد عشر سنين، أن الأب قد
مات، ولكن الصحفي والكاتب الخالد معي.
إذ لحم الصحفي هو هذه الورقات الصفراء، ودمه هذا الحبر الذي لا
ينشف، يسيل أبداً في عروق نابضة، تتحرك على الورق في أشكال الحرف!
ماذا أقول؟

بل هو وجه الرجل في المقال، تنظر إليه العين، عبر السنين، فتجده
عابساً في هذا السطر، ضاحكاً في نهاية الجملة، وراء ثلاث نقاط فيها كل
شيء...

هذان حاجباه تقطبا في حكم، بسطر، أقصى من النسيان!
وهذي عيناه هنا، في كلمتين انفتحتا على الحقيقة التي لا تموت!
وهذا جبينه الواسع، يتعالى وكأنه أرفع من وضح النهار وأرحب!

بل ماذا أقول؟

جبران تويني قد جمّد الحياة في ما تناول: الحياة الحلوة، والحياة البشعة... حياة الكبار وحياة الصغار!

لم يكن، في صحافته، الشاعر الذي يرتفع من الموضوع الحي إلى المطلق الخالد في ذاته. ولا كان الفيلسوف الذي لا يشغف عقله بغير المثل ولا تلمس يده إلهًا.

بل كان صحافي الرأي العام، يكتب للشعب ما يحس به الشعب وما يفهمه الشعب وما يريده الشعب، حتى أن القارئ كان يشعر، وهو يقرأه، أنه يقرأ نفسه... لو أعطي له أن يكتب، بل لو أراد، لما كتب غير ما كتبه عنه وله جبران تويني!

تلك كانت قوته... في أنه كان، وهو يوجّه، يوهّم أنه إنما يتوجّه ممن يوجّه!

وكان لذلك أسلوبه بسيطاً سهلاً، تظن، وأنت تقرؤه، أنه ليس عصارة عقل وقلب، بل قد سال من القلم عفواً، أو هو وجد مع الورق، لم يكلف حتى القلم مجهوداً!

بل تظن أنك لا تقرأ شيئاً مكتوباً... إنما شبّه لك أنك تقرأ، في حين لا يوجد على الورق غير خيال أفكارك وخلجات صدرك.

إذ أعود اليوم، في ذكراك يا أبي، أنشر من جديد هذه الورقات العتاق على قرّائك، يتراءى لي أنني لا أفعل أكثر من الوقوف بالناس أمام مرآة، صافية صفاء نفسك!

مرآة نرى فيها اليوم صورة الأمس، فندرك أنه في الصحافة تخليد، لا لذكرى الصحافي بل لهذا... الصغير: الحدث الذي ما أن يفوت حتى يعود، وكلما عاد استعاد معه الرأي الذي، متى كان حرّاً، لا يتغيّر أبداً!

ميشال شيحا: الصحافي الفيلسوف^(٢):

من النافذة العالية - وبعضهم يقول من نافذة البرج، البرج العاجي - من النافذة العالية يطل ميشال شيحا، كل نهار على الحياة. للطبيعة، حلوة أو قاسية، منه التفاتة..

السياسة المحلية تستوقفه، وهو يبلغ ببصره أبعد آفاق العالم، وينفذ ببصيرته إلى أعماق ما يكمن وراء ما يقال، سواء ما يقال قد قيل من على أرفع منبر أو أصغر منبر.

الذين يقرؤون ميشال شيحا كل نهار قد لا يعرفونه جميعاً... فزجاج النافذة العالية ملوّن لا يرى خلاله من الخارج، والجالس خلفه، الناظر خلاله، من الداخل، إلى الحياة، إلى الطبيعة والإنسان، بل وإلى الله، يرى الحياة ملوّنة بلون الزجاج.

وقد قيل عن هذا الزجاج فوق ما قيل عن ألوانه، إنه مُحجّر، يعكس الأشياء أحياناً، فلا تظهر على حقيقة واقعها بل تُرى منعكسة - ولم أسمع أنه قيل معكوسة - منعكسة تبعاً للزاوية التي ترى منها، ولزاوية النور المسلط عليها.

وقيل أخيراً إن البرج عال، متعال، بحيث لا يبلغه صراخ التعساء وأنين المتألمين، فيظل فيه العقل صافياً والقلب هادئاً، وكأن اليد التي تبقى منه بما تكتب إنما تتحرك في فراغ ما يحيط بها ما يكمن وراءها، ولا ضغط عليها من الحياة ونبضات الحياة.

ولكن هل فات هؤلاء القائلين أن العالم كله لا يُرى - وقد لا يكون له وجود - إلّا من خلال زجاج ملوّن؟ أليس الفيلسوف الألماني (كانت) هو الذي اكتشف كيف أن الوجود الذاتي هو غير الوجود الذي نلمس ونذكر ونعقل، وأن الوجود، كل الوجود، بالنسبة إلى الإنسان الإنسان - ومن ثم، مع الفيلسوف الإنكليزي (هيوم)، إلى الإنسان الفرد - إن هو إلّا الوجود

الذاتي كما نلمسه بحواسنا وندركه بالذهن البشري ونعقله؟
 فهل يُلام ميشال شيحا إذا كان دقيق الحواس، جميل الإدراك،
 صافيه، عميق التعقل؟

وهل يُلام - وليس فيما يكتب ما ينم عن غير إرادة الخير والإيمان
 بالحق - هل يُلام إذا كان يحب الجمال، ولا يريد أن يرى في كل ما يرى،
 غير الجمال؟

«الشتاء الذي انهمر تلك الليلة على الجبل، الشتاء الذي كنا نرجوه
 وننتظره لقد لقينا روائعه عند الصباح. كانت الشمس تطل عندما أطل على
 الطريق صبي ابن خمس عشرة أو ست عشرة سنة، رصين كالعادة، يرافقه
 كلبه الكبير، وكلاهما سكران من تنشق رائحة الصمغ والنعنع والفرفحين،
 المنبثقة من الأرض المبلولة».

ويمضي ميشال شيحا في وصف الصباح إلى أن يقول:
 «من أجل ذلك، نكتب هذه الأسطر للقارئ السأمان وغير السأمان،
 ونحن في شبه بحران، أمام المناظر المغسولة، حيث تركز الشمس نفسها
 بجلال، بشطحات واسعة من ريشها.

أن نحكي ذلك ليس صحافة من دون شك، ولكنه من النور والحياة،
 وفي زمن يحسب فيه كل ما يرتفع بالإنسان نبلاً، ويحصى إلى هذا الحد،
 يجدر بكل واحد منا أن ينال حصته!»!

«... ترى، ما هو هذا القانون الصارم الذي يفرض علينا ألا نتكلم،
 كل صباح، إلا عن مآسي الأمم وتعاسة العالم؟».
 سيداتي سادتي.

في الصحافة، احتل ميشال شيحا مركزه الفذ لأنه تمرّد، وعرف كيف
 يتمرد، على هذا القانون الصارم! فمن افتتاحياته ما هو شعر، حيناً، ومنها
 ما يعالج أبعد القضايا الفكرية عن حدث اليوم، ومنها ما يتناول بالذات،

الشيء الذي يعلم الكاتب أن القارئ لم يتوقف عنده، ولن يتوقف... غير أن منها، أحياناً، ما يثير أكثر المسائل اتصالاً بالحياة اليوم، بمشاكلها، وبالقضايا التي تتعثر بها، والتي قل أن يعرف سواه من الصحفيين، بهذا الوضوح، كيف تُحلل، وكيف تعالج، وكيف تحل، ولا ننسى أن منها - من هذه الافتتاحيات - كانت المقالات التي ساهمت، بالقسط الكبير، في ذلك العهد الذي ساهم ميشال شيحا، نفسه في بنائه، ساعة بدأ العهد يخرج على ما أراحه له البناء... بوركت اليد، في البناء وفي الهدم!

وبعد، فلئن يكن يُعاب على افتتاحيات ميشال شيحا أنها لا تشكل كمجموعة، تاريخاً للزمن الذي كُتب فيه، بحيث لا يجد فيها القارئ، سجلاً، وإن ملوناً، للأحداث التي عايشها الكاتب، بل لا يجد فيها أثراً لبعض الأحداث التي لا يمكن أن تكون قد مرّت بها البلاد ولا أثر - لئن يكن يُعاب على مجموعة افتتاحيات ميشال شيحا أنها ليست تاريخاً، فإن ما يشفع بها أنها تقدم من دون سواها، فلسفة للتاريخ الذي ضبط وقائعه سواها!

ومن النادر أن نجد صحافياً تستقرئ من مجموعة مقالاته نظرة شاملة إلى الوجود، وفلسفة حياة جلية واضحة في مجرد عرضها دعوة إليها..

من هنا فذوذية المركز الذي يحتله ميشال شيحا في صحافة بلادنا التي عرفت كيف تحافظ على ما في وسعنا اعتباره طابعاً رسولياً - بحيث لم تتحول صحافة خبر، لمجرد قيمة الخبر، ولا كانت صحافة رأي، تكتفي بتسجيل رأيها في الخبر، بل كانت، وظلت، أداة نشر رسالة، والنضال من أجلها، علاقتها بقرائها علاقة المبتسر بأتباعه لا التاجر بزبائنه... فميشال شيحا ليس الصحفي.... فحسب، بل هو في مرتبة أرفع من تلك، الصحفي الفيلسوف، بالمعنى الذي أسس له الإغريق هذه الكلمة: المحب للحكمة، الإنسان الناظر، هادئاً، إلى الكون من علّ بصفاء المترفع، المتجرد حتى التحرر من مشاغل الحياة الدنيا، بل من نوااميسها.

سيداتي، سادتي

أراني قد ارتفع بي منطق البحث إلى البرج العاجي، من جديد، يسألني أن أصف لون النافذة العالية، وإن من الخارج... ذلك أنه لم يتسنَّ لي أن أدخل البرج يوماً، لأتعرّف إلى الرجل الذي كتب ما أقرأ، فلسواي أن يتحدثوا عن الرجل، عن عقله، وقلبه، وعن اليد التي يكتب بها.

أما الفلسفة التي تستقرأ مما يكتب، فتعلق بالحرية لا يحد... حرية الإنسان المتولدة من معرفته للحق، الحق المجسد في من قال إنه الحق والحياة... ومن ثم، حرية الفرد، التي تضمنها الشرائع الديمقراطية، متى أحسن تطبيقها فيتطلّل بها الحكم الصالح الذي يطمح إليه كل شعب.

من أجل ذلك، من أجل هذا المثال، نرى ميشال شيحا، على الصعيد المحلي الضيق، يعنف الحكم الذي «دافع عنه لأسباب تتعداه» فيفصح الديكتاتورية المقنعة «الديكتاتورية الأوليغارشية المستندة إلى الإقطاعية»، متى تسعى إلى تحويل نفسها «ديكتاتورية سافرة» فيدعو إلى إحلال المسؤولية حيث توجد السلطة، وإلى (تبديل ذهنية الحاكم) لأن «الجمهورية تبقى جمهورية أو تنقلب طغياناً تبعاً لنهج رؤسائها الحقيقيين».

من أجل هذا المثال، نراه يتألم لموت جان مازاريك الذي كان (صورة للحرية) فانتحر «لأنه رأى الحرية تموت»، يتألم، فيتساءل: «أين هم ديمقراطيو أوروبا الكبار؟» ثم يقول: «إن العالم لن يستيقظ إلا عندما يترك الروح تحكمه من جديد... عندما تصبح الحرية الحقيقية عنده حرية الفكر، والجوع الأهم، الجوع إلى الحقيقة...».

من أجل هذا المثال يكتب ميشال شيحا عن انقسام أوروبا وكأنه يكتب عن انقسام في قلبه، يحسه في أعماقه، ثم يدعو إلى اتحاد الديمقراطيات، حتى يتأكد انتصارها الذي هو انتصار الحرية والحقيقة، على المادة والكفر بالله وبطبيعة الإنسان الحقّة.

ومن أجل ذلك أخيراً، يدعو لبنان إلى الرجوع إلى أصالة ثقافته

ونفسيته، ويحتم على الدول العربية كلها أن تتصل، عبر البحر المتوسط، برابطة الغرب الديمقراطي، الممثلة فيه قيم التراث الذي كنا من بناته، فإذا بسوانا يدافع عن هذه القيم، وبالتالي عنا، ونحن في صراع الحق هذا متفرجون؟

سيداتي، سادتي

من حقكم عليّ أن تسألوني إلى أي حدٍ - وهذه فلسفة ميشال شيحا وهذه نظريته إلى الحياة، وهذه مثله - إلى أي حدٍ يمكن أن نعتبر أن شيحا قد وفى هذه المبادئ حقها، وهو المكتفي بإلقاء ما يكتب من نافذة البرج؟ أليس شرط الصحافة الرسولية أن ينزل حامل الرسالة إلى المعترك، وأن يناضل من أجل ما يؤمن به، وأن يسعى إلى إحقاق ما يؤمن به حقاً، بشتى وسائل الإحقاق؟

بل، هل من حق القادر على إبداع مثل هذه الرسالة المؤمن بها، القادر على تشخيص أمراض جمهوريتنا بهذه الدقة، وعلى رسم الحلول لمشاكلها، من ضمن حلوله لمشاكل العالم المحيط بها - هل من حق رجل هذا شأنه ألا ينزل إلى المعترك، ليؤكد نفسه نجاح القضية؟ وهل يعتقد الرجل لهذا شأنه، وقدره، أن المسؤولين عما شخص من أمراض في وسعهم بسحر ساحر، أو بوازع من عظة، أن يتحولوا عن الهدم إلى البناء، وعن الظلم إلى العدل، وعن الفساد إلى الخير، وأن ينهجوا، من غير ما إكراه، النهج الذي تمليه الكرامة ومحبة الحرية؟

الجواب عن هذه التساؤلات، أجده في فلسفة ميشال شيحا نفسه، وفي جوهر موقفه من الحياة، فلئن يكن من واجب الرسالة على الرسول أن ينزل إلى المعترك، فشرط الفلسفة من حيث هي محبة الحكمة والنظر الهادئ الصافي إلى الكون، من أن يكون الفيلسوف مترفعاً متجرداً حتى التحرر من مشاغل الحياة الدنيا، وبالتالي من نواميس معترك الحياة..

وحسب ميشال شيحا، أنه كان في الساعات المظلمة، وأنه لا يزال،

ديدباناً على الحق، من برجه العالي يمثل ما هو أكثر من استمرار النور في برج المنارة: يمثل استمرار الوجود الذاتي، في الإيمان به، وسط تقلبات الصيرورة والتطور، بحيث تستمد من الإيمان المستمر بالوجود الدائم تلك القيم التي تضمن وحدها ألا يشط التطور، وألا تسير الصيرورة نحو العدم. إذ متى أفسدت الصيرورة الإيمان، فماذا يخلصها من العدم؟

رامز سركيس: سقانا زوم القلوب^(٣):

هذا الذي يعصر زوم قلبه، من يسقي بهذا الزوم؟
النائب الذي يندبه الشعب لتمثيله فإذا به يستحيل بفعل نظام أعوج أو هو أعوج، سمساراً مسخراً، وحكواتياً يُفرضُ عليه أن يقول ما يريده المستمعون، ومختاراً في قرية حدودها ناخبوه يقطع مشاكلهم ويسوي خلافاتهم ويفرض عليه أن يقوم بإصلاح طريق أكثر مما ينتظر منه أن يصلح الحكم... هذا النائب، أي جميل يكفي ثمناً لزوم قلبه؟

والوزير الذي يجيء إلى الحكم بكر العقل والقلب إلا من إرادة الخير، أقصى ما يطمح إليه أن يخلف عملاً يذكر به، فيصارعه الفساد محتماً عليه أن يختار بين أن يفسد ويُفسد، أو يخرج صريعاً... أي جميل يكفي تعويضاً لليأس يدب في نفسه أو الاستهزاء يستعد عقله؟

سيداتي، سادتي

عفواً أنا استسمحت ذكرى رامز سركيس والنائب والوزير الذي أحببنا،
لأتحدث عن المأساة التي عاناها رامز سركيس وكل رامز سركيس يدخل السياسة اللبنانية.

أحوج ما نحتاج إليه، في هذا البلد، أن يصارح سياسيون أنفسهم والشعب الذي يحكمون باسمه، فيقولون لأنفسهم وللشعب ما عانوا ويعانون... علّ في الكلمة التي تقال، مقدسة بماء الصدق، ما يكفر عن النظام الذي نعيش، وما يضيء أماننا وأمام هذا النظام سبيل خلاص.

ولئن يكن المجال هنا ليس مجال محاضرة في هذا الإكسير العجيب الذي يسمونه إصلاحاً، فإن ذكرى رامز سركيس بالذات قد تكون مجال تسجيل بعض الحقائق التي قالها رامز سركيس في حياته إن لم يقلها بقلمه النقي.

وأول ما لا بدّ من قوله هو أن سياستنا تقوم على ما سميته مرة في صميم مجلس النواب: التعاقد الجهنمي... تعاقد ليس ضحيته الشعب نفسه بمقدار ما هو السياسي المتعاقد ضحية، ضحية تعاقد... تعاقد حل محل الدستور أو هو الدستور الفعلي غير المكتوب... وكالدستور، الذي هو تعاقد بين المشرع وهو الشعب ومن يتسلمون السلطة عنه - كذلك تعاقدنا الجهنمي تعاقد بين الشعب لا كمشرع بل كناخب، ومتسلمي السلطة... يمثل الشعب الناخب في هذا التعاقد نوابه أيّاً كانوا ويمثل السلطة ماسك زمامها أيّاً كان، والتعاقد بسيط، مؤلف من مادتين: المادة الأولى يضع النواب بموجبها أنفسهم في تصرف السلطة، يسايرونها ويسيروا أعمالها ويسترون عليها ويسترون! والمادة الثانية تضع بموجبها السلطة في تصرف النواب أجهزة الدولة التي تحكم، من البوليس حتى القاضي، بحيث يضمن النواب إعادة انتخابهم عن طريق ما يؤدون عبر السلطة من خدمات.

بموجب هذا التعاقد الجهنمي استحوّلت الدولة معين مغانم وأسلاك بدلاً من أن تكون هيئة اجتماعية منظمة للخير والحق.

بموجب هذا التعاقد يُفرض على النائب أن يكون كما قلنا سمساراً وحكواتياً ومختار ضيعة، بدلاً من أن يكون وكيلاً وقائداً: يدبر الوظائف ويرتب الصفقات وهو يطالب بالتطهير... يُخرج فلاناً من السجن ويدخل فلاناً إليه وهو يتغنى بالعدالة... يجعل الأسود أبيض إكراماً لمتزعم أو حتى لناخب..

وبموجب هذا التعاقد يُفرض على الوزير وعلى الرئيس أن يقول ما لا يعتقد وأن يفعل ما لا يقول... فإن أعلن في بيان وزاري أنه جاء للإصلاح

عنى بقوله أنه جاء ليرضي محاسبيه ومحاسيب أنصاره من النواب، وإن قال إنه سيجعل من الإدارة أداة مستقيمة، حوّل الإدارة أو ساهم في تحويلها أداة انتقام من أخصامه، وإثراء له ولمن معه.

سيداتي، سادتي.

قلتُ إن هذا العقد الجهنمي - دستورنا الفعلي، غير المكتوب - مؤامرة، على لبنان وعلى الحكم الديمقراطي وعلى شعب لبنان، وكلنا في المؤامرة شركاء... شركاء إن فسدنا وشركاء إن قابلنا المؤامرة بالصمت، سواء استسلمنا لها أو يؤسنا من التغلب عليها.

وإذا كان الحكم في مفهومه العام السليم فعل خلق وإبداع، وكان شرط الطموح إليه توقفاً في نفس الطامح إلى تحقيق مُثلٍ يؤمن بها وينذر نفسه لتحقيقها... إذا كان الحكم كذلك فأحرى بنا في لبنان، والحكم عندنا ما هو، أن نستلهم ذكرى من تغلب عليهم هذا الحكم لننذر أنفسنا لكسر التعاقد الجهنمي، حتى نفتح للحكم السليم طريقاً.

حسبنا تمجيذاً لذكرى رامز سركيس النائب والوزير، والله قد خلق الإنسان عاقلاً أن نسأل الإنسان في بلادنا أن يكفر عن خلق الله فيسقي تربة من سقانا زوم قلبه، ولم نرتو... وإذا كان يكفي رامز سركيس عند الله تكفيراً عن مساهمته في السياسة أنه كسر العقد الجهنمي وخرج منه، فمن حقنا في ذكراه أن نسأل الإنسان في بلادنا أن يُدرك قيمة البذل الصامت الذي كان، عله يستمد من إدراكه قوة تنصره على الشيطان الذي كدنا أن نصبح!

فؤاد سليمان: تعالي فوق الحياة^(٤):

سألني عنك القمر، يا فؤاد، أمس عندما كنت أسير على الدرب الذي أحبيت، من فرط ما أحبيته أنت..

سألني القمر: أين تموز؟

خلته يجهل أنك ذهبت إلى عالم أدنى لعالم القمر من عالمنا نحن؟

تري، ألم يعرف؟ قلتُ..

ولكن القمر أجنبي: تموز في نفس الشباب، معك، وتموز في الوريقات الصفراء التي تقرأ، وفي وريقات الخريف التي تتساقط من حولك، بل وفي حجار الطريق المتلائة لأنه سكب فيها نفساً، في حفنات التراب، هو التراب الذي أعطاه من نفسه المحبة حياة، وفي لون السماء، تموز..

ما استفقدتُ لك يوماً كما استفقدتُك ذاك المساء، يا تموز.

وكيف لا تفتقد حيث يجتمع اثنان من محبيك، «رفاق العمر الأحباء على قلبك، الذين عرفت في أيام العز، وعرفوك في مثل تلك الأيام»؟

على دروب الجمال، دروب البطولات العذبة الحلوة، يخيم خيال وطيء كالحقيقة، وإن خفيفاً خفة الروح من دون جسد... خيال وكأنه اقتلع من أساطير المردة، طويل، زنوده كجذوع السديانة، طويلة أنامله، سحرية، تبعث بالرياح، وتشد أسباب القلوب ووشائج العقول..

شعره خِصَلٌ من أشجار الصفصاف، وجبهته المتناهية كأنها من بلور البحيرة التي يتدلى عليها لصفصاف..

وعيناه... عيناه نار، تخرق الحجب التي سد لها الموت بينها وبين الحياة... شهب من نار ونور، عيناه، ليس من ليل، مهما تكاثفت ظلماته، حتى ليل القلوب المظلمة، إلا وتدخل أعماق حناياه، تنيره وتنير ما فيه، فتبعث أضواؤها كل ما تلمس جمالاً..

الحياة حفرت وجهه تجاعيد عميقة، كأثلام الحقل قرب البحيرة..

أترأه أساء إلى الحياة، حتى انتقمته منه؟

سألني عنك القمر، ذاك المساء، يا تموز!... فقلت للقمر: لماذا راح

تموز؟

قال: أتعرف حكاية البطولة الكبرى، بطولة المتمرّد على الحياة، ونظم الحياة، وسنن الحياة، المتحدّي حتى نواميس الطبيعة، وحتى القدر؟

لقد ثارت عليه الحياة، فصرعته، كما صرع الوحش أدونيس! وكأدونيس،
كان يعرف فؤاد أن الحياة لا بد أن تصرعه، ولكنه تحداها، وتمرد عليها..
أوتخال أدونيس كان يجهل الأجل المحتوم؟ بطولته في أنه كان يعرف
النهاية، ولكنه لم يرتد بل صارع حتى النهاية!
وكمثل أدونيس، لمن يكن فؤاد إنساناً..

ففي تمرده على الحياة، تعالى فوق الحياة، إلى مرتبة التي لا تزول...
حسبه خلوداً، حبات الدم التي تزخر بها القلوب المتمردة، كدماء أدونيس
في الماء المقدس.

قل لي، تموز، هل في صديقنا الذي كان معي، ساعة سألني عنك
القمر، حبة من دم أدونيس؟

قال صديقي للقمر إنه كان أفضل لك لو لم تتمرد... وقال إن جمال
الحياة في انتظامها، وإن البطولات في الصفوف المرصوفة، المردة
أصداء الإيمان بالأمجاد، كما تردد صخور الوادي أصداء نداء الآلهة، في
الليلة العاصفة!

لا أظنك نسيت ذلك الصديق..

كان يستشهد بقولك: «إننا مع التاريخ في معركة، سنقبض فيها على
عنق التاريخ»، نحول مجراه «فيرضخ لبطولة الشباب الصامت، الذي يربي
نفسه على الصرامة وكبت النفس، وضبط الأعصاب، والتنظيم الملي
الساکت» قبل أن ينفجر «انفجاره الهائل»...

وصديقي يقول - لأنه يحبك يقول: حبذا لو ربيت نفسك على الصرامة
والكبت، حبذا لو ضبطت أعصابك، حبذا لو كنت عملياً، قبل أن تنفجر،
إذاً، لما قويت عليك العاصفة، ولما لفتك لفاً سريعاً صاعقاً..

قال ذلك صديقي، «الحبيب على قلب تموز»... فسمعت صوتاً، في
الليل، أظنه صوت الخيال الذي أبصرناه، على درب القمر، يقول لصديقي

إن أجمل من الإيمان خلق الإيمان!... وإن الإيمان الإيمان، الإيمان الحق، إن هو إلا إيمان القادر على إبداع نظام لنفسه من نفسه، فعله في التاريخ أبلغ بكثير من فعل التقيد بالفرض الواجب فعله.. ثم أي نظام، وأي واجب يفرض على فعل الخلق - وكلك خلق - يا تموز؟

لا أزال أسمعك تقول، وخيالك يردد من بعدك: «لقد عمّدتني آلام شعبي العميقة، وقوتني محبة هذا الشعب التي لا توصف...». «فالمحبة وحدها نور... المحبة وحدها قوة... المحبة وحدها عظمة وقوية... ومن يعمل بالمحبة يستتر قلبه بالطمأنينة والخير والحق...». «بالمحبة انتصرت، يا تموز، ومن المحبة أقمت لنفسك نظاماً، واستمددت قوة..»

ضميرك لم «يظلم بالحق»، وقلبك لم تأكله «الأفاعي السود»، وحروفك أنت، لم تكتبها وفيها «نشيش الحقد المسموم».. خلت القمر يبكي، ذلك المساء، يا تموز!

سألني، وأنا أهم بدخول الصباح، أية قضية نروي لأبنائنا مثلاً؟... حكاية الإنسان المتأله، الذي تمرد على الحياة الدنيا، وتحدى القدر، أم حكاية الإنسان الإنسان، مأساة تعذب نفسه. كل ما في حياته من جمال، وكل ما فيها من قوة، إنها حبة انتظمت في العقد، أسمى ما تسمو إليه طموحها أن يصبح العقد يوماً سبعة، في يد متعبد للإله!

إذ ذاك أيقنت، يا تموز لماذا كنت تقهقه في العاصفة، ولماذا لم تتوجع، ساعة غمست ريشتك في قلبك تكتب لنا تاريخاً من دم!

سعيد تقي الدين: ركوة قهوة مع الأمة^(٩):

«ركوة قهوة، وصندوق سكاير...»

لا تقدر أن تكتب عن سعيد تقي الدين بدوننا، لأن عليك أن تجالسه ولو مات من سنوات!... وتسمعه يقول لك: «لقد انطفأت سيكارتك من

جديد. اشعلها، علبة الكبريت إلى يمينك». تماماً كما في (مذكرات صحفي)!

آه، نسيت أرض الغرفة: يجب أن تكون بدون سجادة، حتى تلقي بأعقاب السكاير على الأرض، قريباً ثم أبعد، فأبعد، فمن حولك. كلها أعقاب لم تنطفئ، بل تبقى تدخن عنك، والسيكارة لا تزال في نصفها، وإذا احتدم النقاش ففي أولها، ونادراً ما يستمع إليك سعيد طويلاً فتدوم السيكارة، (يمجّها) بشدة، يشدها إلى شفتيه، كأنه يُدخل الكلام إلى صدره، عميقاً، مع الدخان، وعينه تحقدان إليك بنار.

ولا مرة رأيت سعيداً يتطلع إلى الأرض بينما أحدنا يخاطبه... ربما حتى لا يرى أعقاب السكاير، يفضل عليها الوجوه وإن قاتمة.

يهرب من أعقاب السكاير كما (يهرب من مشاكله)، حسب اعترافه، وإذا أنت حاولت أن تعرف ما به وما عنده، تتذكر هذا القول الغريب العجيب: «وأنصت هو إلى صمتي فراعته رعود تفكييري وبروقه».

وبعد، ما أصعب أن تكتب عن انسان كسعيد، ولو فاتك أن ترثيه، وقد قال عن نفسه كل شيء وهو بعد حيّ.

«على ذكر الموت، فكثيراً ما أموت في هذه الجلسات الصباحية ولكنني أبداً أحضر المأتم وأقبل التعازي، إذ ما الفائدة من الموت إن لم تستمع إلى المراثي وتقرأ تعليقات الصحف عن الحدث؟».

«مجنون؟ أقول لك لولا حياتي الثانية في شطحات الصباح لكنت أجن في النهار ألف مرة».

الحقيقة أنه كتب عن شخصياته المتعددة، المتتالية، من بعقلين إلى الفيليبين، إلى بيروت، إلى الجبل كله لا يسعه، إلى «الشام»، ثم إلى «الفيليبين» مجدداً، أو المكسيك، لا أذكر فإلى دنيا ثانية... «لا، لا، يا صديقي نحن هنا ولن نبرح هذا المكان».

لعله عاد ولم نعرفه، من يدري؟ عاد يسألك: «تلك المنازل التي

تطريشت بالقرميد الأحمر، ألا تزال هناك؟ أما تزال جالسة بين جنائن ساحل لبنان. كأنها قصدت إلى تلك المغاني لأجل النزهة، فأغوتها الخمائل، فضربت بينها سيراناً؟ ألا تزال منتشرة بين تلك البساتين؟ ألا تزال طفلة صغيرة متعلقة بأذيال أمها بيروت؟».

من أكثر منه يستحق أن يكون «العائد» الحقيقي، كما في الرواية لمن سواه كأنها منه؟

كان - ما أحلاه وما أفضعه! - كان كل شيء وعكسه: مليونير وطفرة... مفكر مخطط وهازئ ساخر... شاعر وروائي ومحدث ومعلق وخطيب ورئيس ومرؤوس وناقم ونظامي ومتذمر وفرحان أبداً... يتنقل بجسمه الضخم وروحه الخفيفة، مثل «رقة جناح» بين رومانسية تستهويك سذاجتها وواقعية تخيفك قساوتها، وكأنه يدعوك إلى الخروج معه من الغرفة إلى الشرفة، أو الانتقال إلى الصالون حيث.... ينتظر أن تستسقيه أنامل ابنته كلاماً من لغة السحر..

ما أحب أحداً أكثر من ديانا، ابنته، حتى ولا نفسه التي كان أبداً يعظم، ولو بتهكم... كأنما الأمور التي في قلبه هي دائماً غير التي لا تخبأ. «إلى أين؟ إلى أين؟ ليس عندي جواب، غدي حائر كغيمة. مبهم كضباب، أخرس كسمكة، أسأل نفسي في هذا التأمل ما هي، ما كانت، ما تكون مهمتي في الحياة، ليس لأحد منا مهمة واحدة، فالحياة إذ تخططها وتخطط هي لك طريقك، تجدها متشابكة متفاعلة، فأنت تسير في دروب متضاربة، والمحظوظ من انتهى به الأمر إلى ممارسة ما به يتفوق».

لو كتبت عنه يوم وفاته لاستعرت عبارته الكبرى: «تبلغوا وبلغوا!»
ماذا كانوا يبلغون؟

إنها الأمة قد مات بعضها، تلك الليلة التي «شلفت» فيها الأرض بعيداً عن الأرض.

هي أمة سعيد تقي الدين، رسمها وكتبها (نعم، تكتب الأمة التي

تحب كأنها رسالة غرام ساعة لا يكون لك من هو أحب إليك منها!) ثم ظن أنه يخلقها على صورته ومثاله، كأنها بطل يستله من تاريخ، أو أسطورة يسرقها من المستقبل إلى الماضي، أو كلمة مركبة من تلك التي كان يبيع في اختراعها، مجموعة أحرف تختصر بغرابة صاعقة كلمات يناقض بعضها البعض الآخر فيعطيك لفظها، مجرد لفظها، صورة: «زحفظان» مثلاً... أو لعلها حكاية رمزية يحلم بها الطفل الذي في نفسه، «قرميدة مكسورة» بنظرة عداء، على سطح دير، ثم تعود تلتحم «بنظرة حب وحنان».

«تبلغوا وبلغوا»: المسرحية لم تنته بعد، لأن الأبطال يعودون قبل الفصل الأخير، وهم وحدهم يقدرّون على سدّل الستار.

وحين تنتهي علبة السكاير الأولى، وتفرغ الركوة من الرحيق الأسود، يكون الفجر قد ابتسم، وابتسم في نفسي شيء بدأ يتنمل...
أين «ركوة القهوة» يا سعيد؟

كامل مروّة: ماذا يبقى من الصحافي^(٦)؟

كامل مروّة كما عرفته..

أو كما أحبته.

ذلك أن لا معرفة من دون محبة.

ولا تعلم من دون محبة - وكانت معرفتي الأولى بكامل معرفة تعلم، لم أكن تلميذاً له - وإن تكن صورته الأولى التي أتذكر لقاء شبه يومي في الترامواي إلى الجامعة: وسط الهرج والمرج، شاب جالس والكتاب على ركبتيه، كأنه وحده في العالم، يقرأ، يقرأ، يقرأ.

في ذاكرة الصبي، انطبعت هذه الصورة، وكانت دائماً ماثلة أمام عيني، طوال ربع قرن ويزيد..

ربع قرن كنت أشاهد خلاله كامل مروّة بما يشبه الاستمرار: كمحرر في «النهار» أتردد عليه لأتفرج، وكرئيس تحرير «الحياة» أزوره لأتعلّم،

وكصديق جهاد وشريك ورفيق وأخ، عشت معه وعاش معي أيام فرح وحزن، وأمل ويأس، ومرح وأسى، ولهو وطموح.

من قال إن الموت يزيد الراحل موتاً كل يوم؟
ترى، هل أخذ كامل معه تلك الذكريات؟

أحس، وأنا أكتب عنه اليوم أن بعض ما كنت أريد قوله يعصوني، وكأن ملك له يأبى إباحته، أو كأن الحياة، حياة الذكريات قد ذهبت معه، فلم تبق طوع القلم سوى الصور الباهتة، الميتة، لا لحم فيها ولا دم.

ترى، هل تشيخ الذكريات، فتفسو، تعجز، تتمرد؟
لا... الذكريات ملك القلب، تخفها الأيام بمقدار ما تعمقها.
وللأفلام، تبقى أصداء المعرفة والعقل.

من كامل مروءة كما عرفته، تبقى للقلم صورة الصحفي الذي خلق للصحافة اللبنانية ثورة التجدد التي لا نزال نعيش، ونجني ثمارها.

جاء الصحافة من باب الرأي، ساعة كانت لا تزال رسولية أولاً وآخرًا، فتكوّن له اختباران: إن صحافة الرأي تضيق على الصحف أفقها، أفقياً وعمودياً في آنٍ: أفقياً، لأن توسعها لا يمكن أن يتعدى إطار المشاركين الصحيفة في رأيها، وعمودياً لأن عمرها لا يمكن أن يتخطى صاحب الرسالة والرأي، أي صاحب الصحيفة.

هذا اختبار، والآخر إن الكثرة في الناس أكثر شوقاً إلى المعرفة منها إلى المواقف.

والمعرفة معناها الخبر.

والأخبار معناها الصورة.

والخبر والصورة معناهما الوقت.

والوقت معناه السبق.

والسبق معناه الكلفة.

والكلفة معناها التوسع.

والتوسع معناه الكثرة، فتقفل هكذا الحلقة.

الحلقة المفرغة؟

لا، الحلقة المتقدمة، الحلقة الدائرة صعوداً أبداً.

الحلقة التي لا تتوقف، التي لا نهاية لها.

حلقة الصحافي، حلقة الحياة.

بالتعابير الصحافية، ما معنى ذلك؟

معناه أشياء كثيرة آن أوان الشهادة لكامل مروة، والمفارقة فيها أنها قد أصبحت مدرسة لمخوّنيه ومصدر فائدة، بمقدار ما هي مصدر إلهام لمشهديه.

بالتعابير الصحفية، معنى ذلك مثلاً، «المانشيت»: أي العنوان الكبير للخبر الكبير، ومن ثم البحث الدائم عن خبر كبير، البحث فلاستنباط حتى الخلق، لأن الخبر خبر لمن يراه هكذا، فكأنه يكبر ببراعة الصحافي وفنه أكثر ما يكبر بمضمونه.

بالتعابير الصحافية، معنى ذلك مثلاً، أن الصورة ترافق الخبر وتسابقه: لا خبر بلا صورة، ولا صورة تتأخر عن خبر، إلى أن تصبح الصورة نفسها خبراً، ثم حدثاً بما ومن فيها..

بالتعابير الصحافية، معنى ذلك مثلاً، التجميل في الإخراج، فيتفنن الصحافي في جعل الصفحة مشوقة بل ملونة، الصفحة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الثماني الصفحات، فتستهوي الجريدة القارئ ثماني مرات، ثم تستهوي ثمانية قراء، لا تُفرض على واحد، ولا يفرضها هاوٍ واحد على سبعة آخرين.

بالتعابير الصحافية، معنى ذلك مثلاً، اكتشاف القراء الثمانية

للفصحات الثماني: من قارئ السياسة إلى قارئ الرياضة، مروراً بالألعاب والتسلية، بالطرائف، والعلم، والاقتصاد، والمجتمع، وبالقارئة كذلك..

بالتعابير الصحافية، معنى ذلك مثلاً، الهرولة وراء القارئ المجهول حتى التعرف إليه: من القارئ الواحد الذي كان يكتب له صحافي الافتتاحية، ومن مجموعة القراء التي تتحلق حول صاحب الجريدة للتغني بها أو التندر بما فيها، ومن مدينة الجريدة، من «الثغر» الذي تكتب الجريدة أخباره، من العشيرة، من الحزب، من الطائفة، من «البلد» الذي تنتسب إليه، إلى المجموعات الشعبية، إلى المدن المتعددة والقرى، إلى ما وراء الحدود، إلى هذه الدولة، ثم تلك، وتلك، وإلى تلك القارة السوداء، وإلى المهجر الذي فيه قراء عربية، وإلى كل عاصمة نائية فيها مسافر يمكن أن يقرأ..

بالتعابير الصحافية، معنى ذلك كذلك، الكمية، والسرعة: أي التصنيع، الآلة المنضدة تعرب لتحلّ محل «صيف الأحرف»، والمطبعة الدوارة تحل محل أربع طابعات على اليد، ثم الانفتاح على كل اختراع جديد، حتى الساعة الأخيرة..

ويموت الصحافي.

وتبقى الذكريات؟

لا، تبقى الصحيفة:

صحيفة الصحافة التي أراد كامل مروءة أن تكون أكبر من صاحبها وأن تعمر أطول منه، ما عمرت الآلة وعمر الخبر ويستمر فوق الكثرة إلى معرفة الكثير الكثير من الأخبار والصور وأحداث الأخبار والصور والآراء خلف الأحداث.

الصحيفة تظل تمشي، تحمل الكلمة، ليس هو الصحافي الذي يقول كلمته ويمشي.

وتبقى من الصحفي أشياء وأشياء لا تذكر له، تظنها متى تذكرتها أنها مأخوذة من كتاب تاريخ أو قواعد، وهي في الحقيقة سرُّ المهنة: سرُّها في أنها، متى شاعت نسي الناس أنها دخلت الحياة في يوم معين، ما كنت قبله، وأنها من صنع رجل ما كانت قبله كذلك، لكنها تظل بعده، بحيث ينطلق منها كل ما هو بعدها.

الى أن يتطلع رجل يوماً إلى الخلف، يستفقد صديقاً أو معلماً، غالباً ما يسأل عنه ليسأله شيئاً، فيجد أن الحياة ظالمة، وأن لا صاحب لها، لأنها كالصحافة تقدر أن تترك الصحفي يموت - وقتلاً - وتعيش من بعده، وتحتمل العيش.

لأن الصحافة أقوى من الأصحاب، ولا تعرف، ولا تحب.

عفيف الطيبي: سُلطة الحبر والورق^(٧):

أيها الزملاء،

نحن في مهنة بعضنا يموت فيها مرة، وبعضنا يموت مرتين... بعضنا يموت فيها قبل أن يعيشها، وبعضنا الآخر لا يموت وإن مات..

عفيف الطيبي من الذين نظنهم باستمرار بيننا، ونهمُّ، المرة بعد المرة لنناديه، نطلبه... إلى أن نتذكر فجأة أنه ليس هنا.

ولكنه هنا في هذه الدار بالذات، نكاد لا نأتي عملاً إلاّ قياساً بما كان هو سيفعل في مثل الحال التي نحن فيها.

ماذا تراها تكون الأنظمة النقابية إن لم تستهد المقالات التي تُحتذى؟ ومن أكثر من عفيف الطيبي عرف كيف يربط بين الماضي والحاضر، وكان كأنه يقول للمقبلين بعده إن حصانة الصحافة ليست في انتسابه إلى نقابة الحاضر فحسب، بل إلى هذه النقابة العظمى، الممتدة عبر السنين، من يوم طبع أول «جرنال» إلى يوم يزول كل شيء آخر وتبقى الكلمة المكتوبة بحرية.

من هنا هذه العائلية في الصحافة وتراثها.

إن واحدنا، متى دخل قدس أقداس المهنة، يلدُ فيها ولها، وكأنما في عروقه حبر محل الدم، أو كأنما الخبز الذي يطعم أولاده هو هذا الورق الذي نُدسّمه كل يوم بعصارة قلوبنا وقولنا وعرق الجبين.

ما أطيبه خبزاً، وإن عتق.

الذين يأكلون منه يشعرون وإن جاعوا، أنهم أعضاء سلالة نبيلة، أين منها سلطنات بني عثمان، زالت ممالكهم ودالت دولهم، والإخاء الصحفي باق لا يزول.

أيها السادة،

حسب الوزير عذراً إن هو، في هذه المناسبة، خلع قشرة الحكم ليتحدث بلسان الصحفي - حسب عذراً أن ليس أقوى من طموح الصحفي إلى السياسة غير حينه، وهو فيها، وإن في أوجها، إلى سلطة الحبر والورق والكلمة التي لا قيد لها.

ترى، هل كتب لنا، لجميعنا، لكل كبرائنا، أن يعيشوا هذا الصراع النفسي بين الطموحين، والخبيتين: طموح الدخول والطموح إلى الخروج، ثم الخيبة إذا الصحفي لم يمارس السلطة والخيبة الأكبر التي تجتاح نفسه عندما يمارسها فيكتشفها، ويكشفها، ويكتشف أن بين طبائع الأحرار وطبائع الحكام من المفارقات ما يكاد يبرر اعتبار السلطة، كل سلطة، وكأنها مرتكزة أبداً على شيء من طبائع الاستبداد؟

أيها الزملاء،

فليُسمح للوزير أن يعود، وإن لحظة، وزيراً ليكرر، في ذكرى عفيف الطيبي، عهداً له عليه: أن يتحقق هذه المرة عبر الحكم، أقصى ما يمكن تحقيقه من تلك المطالب النقابية التي يذيب العمل من أجلها أقوى الرجال.

سبقنا عفيف الطيبي إلى الموت حيث يعيش الصحفي، في مكتبه، في الجريدة، في أحد أقدس هياكل الحرية.

أوكثير على الصحافة أن يصبح لبنان كله، وحكمه، هيكلًا لحرياتها؟
ليس كثيرًا علينا أن نستمر نعمل معاً، يا عفيف، كما عملنا معاً مئة
سنة ويزيد، عمر تضامن متوارث جعل الحرية، كالله، سبحانه حية باقية.

جورج نقاش: هندسَ دنيا جديدة^(٨):

كنا ثلاثة نساfer دائماً معاً.
ثلاثة، من ثلاثة أجيال.

واحد، كامل مروة، كان يغب الحياة غباً، يغمرها، يضمها إلى
صدره، يدخلها أحشاءه، يبتلعها مقهقها، يسابقها إلى الحياة، تظنه كان
يستعجلها.

وجورج نقاش، تتفرج عليه، فتظنه يتفرج على الحياة، غير أن قوة
خارقة كانت كأنها في متناوله، تجعله يحرك الأشياء والأحداث، يجيء بها
صوبه، ثم يحذفها عنه، يبعدها، ويرد يقربها. لا تعود تعرف لماذا، لكنك
تدرك أن الأشياء والأحداث فقدت منطقها - وقل عقلها - لتتحرك بمنطق
جورج نقاش، وعقله، تدرك أن الأشياء والأحداث أسلست له إرادتها.
يجب أن تسافر مع الإنسان حتى تعرفه وتتعرف عليه، هناك تعيش معه
كما هو في الأصل، وكما يخلد حياً.

في بيئته، يكون قد أصبح شخصاً آخر.
نفسه والبيئة. هذه القشرة التي تظل تنمو سماكتها، تغلف الجوهر،
فتخفيه، تكاد تخنقه.

تصير البيئة هي جوهرًا، الجوهر الآخر، ملتصقًا بالإنسان، ملازمًا له
كطبيعته ونفسه.

جورج نقاش وراء المكتب، سلطة.

وجورج نقاش بين الناس، كائن عجيب تشع منه هيبة باسمه تخيفك
بمقدار ما تجذبك.

وجورج نقاش في المقالة، أحرف مصفوفة في أغرب أشكال، لتقول غير ما تقوله الكلمات ذاتها عندما يكتبها سواء، أخ كم هي توجع، وتصيب، وتنفذ، تفتح أمامك نوافذ على عالم آخر، عجيب غريب، كأنه مسحور.

وتنبهر، ثم تبتسم، ثم تضحك، ثم تذهب تقهقه وحدك. وحدك؟ لا، تشعر أن معك جورج نقاش، بل حولك، يلفك بابتسامته الساخرة والبريئة في آن.

تنتظره حتى يقهقه، حتى يضحك معك. ثم تدرك أن وراء ابتسامته فلسفة من حزن. وتدرك إذ ذاك أنه ليس في الحقيقة ساخرًا، ولا مستخفًا، بل هو حزين حزين.

حزين على من يكتب. ويبتسم للذين يفهمون. ثم يحصن نفسه ويحصنك بقشرة الاستهزاء، فقط من أجل الدنيا والناس وقواعد المجتمع.

ليس مصادفة أن يكون قد عمّر، من فرط ما حصن نفسه، وضع بينه وبين الحياة أبعاداً وحجباً، وكان يمد يده إلى الحياة بتأنٍ، من بعيد، كدت أقول من فوق، يختار منها ما يستحلي ويستطيب، ثم يصنع هذا الذي يختار من جديد، ينحته، يقولبه صوراً وأفكاراً وكلمات.

ليس مصادفة أن يكون قد عمّر، كما ليس مصادفة أن يكون رفيقي الذي استعجل الحياة قد استعجل كذلك رفيقها الموت.

ما أحلاها الآن معاً، في آخر سفرة.

كنا ثلاثة نساfer دائماً معاً.

حتى الرفقة الأخيرة هذه، بالكاد لا أشتيها.

ترى، هل في الآخرة جرائد؟

ومن هم القراء؟

أصحيح أن قراءنا أسبابنا إلى الحياة، يشدوننا إلى الدنيا، فنبقى؟

كان جورج نقاش يهندس للقراء كل يوم دنيا جديدة في زي جريدة ومقال.

يريدها خالدة كل يوم، فيمزقها له القراء الذين أعطيت لهم، كل يوم، كل يوم، إلى نهاية الأيام..

جمالي في نظرتي إلى الدنيا، كان يريد القراء أن يكونوا مثله، جماليين، يتمتعون بما يرى لهم وبما يصنع، يتمتعون حتى بالناس، بالصورة التي يرسم عن الناس، يتمتعون باليوم، كأن ليست لليوم نهاية.

وكلما بت الصورة بشع، كانت أجمل ما همه ألا تكون واقعية، المهم أن تؤيد الصورة رؤياك للناس والأحداث والأشياء، تلك هي الواقعية الأخرى، واقعية الهندسة، واقعية الفن، واقعية الخلق.

الخلق، الخلق..

لا بد أن تكون عند الخالق جريدة.

إذ ماذا أحسن منها وأحلى، يقولون لنا فيها من الآخرة كم هو الخلود مكتوب للذين يعرفون كيف تؤخذ الحياة، هؤلاء الذين يفكون أسرارها حروفاً حروفاً، ثم يصنعون من الحروف كلمات، وينفخون في الكلمات روحاً، ثم يتفرجون على الكلمات تعيش الحياة من ذاتها جديدة. ويتسمون.

تظنهم يسخرون.

وفي الحقيقة لا يستهزئون.

خلف عيونهم وعلى شفاههم، طبعت الحياة لونا من حزنها هو هو قيس خلود.

لأن الحزن سيد المرح، أقوى من الفرح، إن هو إلا الفرح الأصلي،
فرح الإدراك، فرح الكلمة.

هناك، هناك، أرى رفيقي فرحين، كما كنت وحدي، معهما، أفهم
فرحهما والحزن.

صلاح لبكي: وإن ماتت الأوراق^(٩):

في النهاية، ماذا يبقى من الصحفيين؟

الناجح منهم، إذا حفرت قلبه، تجد فيه بقية من شاعر، فكيف إذا
كان هذا الناجح شاعراً في الأصل، وصلاح لبكي؟

يجب أن يكون الصحفي شاعراً، بشكلٍ ما، حتى يقدر، بل حتى
يقبل أن يعصر قلمه، والقلب والعقل، كل صباح، على الورق الذي يبدأ
يصفر حتى قبل أن ترميه.

هذا الشعور بالزوال، بأنك تكتب لليوم الذي يمر، بالكاد ستقرأ غداً،
هذا إذا قرئت اليوم، شعور لا تتغلب عليه سوى شاعرية، ومن طراز
خاص، تبلغ حدود الهوس بالكلمة، تجعلها هي البداية والنهاية، فناً للفن،
لمجرد الفن، كلمة للكلمة.

ويحمل الصحفي الكلمة كل ما في ذاته، ويجعلها إنساناً، ورسالة.
ثم يستخلص منها قوى أقوى من القوة، تكاد تلمسها بيدك، تمسكها
كالحجارة تبني بها مداميك وصروحاً، تبني بها دولاً وأوطاناً.

ومع ذلك، عندما يموت الصحفي، وتعود تتصفح أوراقه الصفراء،
تظن أنك تمسك مياهاً تنساب بين الأصابع، أو أن الذي تريد أن تمسكه قد
ترك الأوراق وذهب، تركها ميتة مع صاحبها، فلا عادت فيها الروح التي
من روحه، ولا عاد لها حتى الحجم الجسمي، الجسدي، الجامد الثقيل
ثقل الحجر... لأن جسم الكلمة روحها، يتلاشى مع الروح ولا تراب ينحل
إليه.

وتستغرب لماذا كان الصحفي صحافياً!
لماذا لم يكن معماراً، أو فلاحاً يزرع شجرة، أو أي شيء آخر يترك
وراءه جماداً ما...

وتتذكر أن الصحفي كان شاعراً:

شاعراً كصلاح لبكي!

إذ من غير الشاعر، كان يضع كل هذا الإيمان الذي وضعه صلاح في
مثالياته وهو يكتب كل يوم بيومه؟

في أوراقه الصفراء أطياف فكر ثلاث كانت دائماً تجالسه وهو
يخاطب القارئ. واحدة، ما أحلاها، اسمها الحرية.

تكاد تجدها خلف كل كلمة، في كل سطر، موضوع كل مقال.

والحرية عنده ليست تجريداً. هي الأحرار. هي ممارسة الأحرار
لحريتهم في صراعهم من أجلها مع كل من يحاول طغياناً.

أتظنون - يقول صلاح - أتظنون أن في مقدوركم منع هذه الأمة الأبية
أن تتنفس الصعداء بتعطيلكم الحريات؟

أفيخيل إليكم أنكم عندما تخرسون الأداة التي تعبّر عن رأي الأحرار
يتيسر لكم السلام وترفرف على مخادعكم الطمأنينة.

كانت تلك الأيام الجميلة. أيام كان يضحك الأحرار من فرط ما كان
يخاف منهم الحكم الذي يحاول إرهابهم.

لا أزال أرى صلاح أمام القوس، يصرخ في وجه العدالة أفيقي.

في ذاكرتي، تختلط اليوم صورتان.

صورة الصحفي وصورة محامي الحريات.

«نحن في لبنان شعب نأبى أن نكون عبيداً وأن نذل من الرقاب، بل
نريد أن نظل أحراراً. نعتبر الدولة وسيلة لتفتح الكيان اللبناني، ونأبى عليها

أن تصير إلهاً معبوداً. نأبى على الدولة التي هي ملك الشعب، نأبى على هذا الملك أن يصبح ملكاً، ويصبح الشعب ملكاً له».

هذه الصرخة، لا أزال أسمعها، تزيدني اليوم تساؤلاً: من كان قبل من؟

صلاح لبكي الصحفي أم صلاح لبكي المحامي؟

عندما أقفل مكتب المحاماة، في الأربعينيات، لينصرف إلى الصحافة، كان كمن وجد نفسه. أدرك أن العدالة أوصدت أبوابها دون الأحرار، فمضى يحاصرها. يكتب هنا، وهناك وهناك، حيثما تطبع الكلمة الحرة، في «البشير»، في «الحديث»، في «العمل»، في «الشراع»، في «البيرق»، في «نداء الوطن»، في «النهار»، ثم حتى في «الهدى» المغتربة.

يكتب، ويذهب يدافع عمن يحمل كلمته، رسول حريتين: حرية الكلمة، وحرية العدالة.

إذ الحرية أن تكون للجميع.

تلك هي الديمقراطية.

فكرته اللازمة الثانية.

الحرية، فالديموقراطية.

الديموقراطية الحية، كالحرية، في الديموقراطيين، في الأحرار، في الشعب الحر.

يقول: «هل تكفي أن تكون لنا أنظمة وقوانين ديموقراطية؟ كلا. إنها إنما تبقى حبراً على ورق وسواداً على بياض. الديموقراطية عقلية تتوافر لدى الناس ويجب أن تتوافر عند الحاكمين، وإلا أصبح الحكم بين أيديهم أداة استبداد وتعسف. وإن لم توفر عند الشعب أصبح الشعب مجموعة عبيد».

في وجه المستبدين، يفقد صلاح لبكي نعومة شعره ورقة أدبه. تتحول

كلماته سيطاً. أسلوبه، على البساطة التي تلازمه، يكاد يصبح قذف حجار.
«اذهبوا، اذهبوا، اذهبوا»... قال مرة في عنوان مقال ومضى: «إنكم
كلما عطلتم صحيفة حرة لتزيدون نقمة الناقمين ضراماً، ويتضاعف القرف
الذي يعتور النفوس.

اذهبوا فإنه ليس في الأمة شخص واحد بين أضلعه للوطنية معنى إلا
وهو يجاهر بوجود تشييعكم.

ولماذا أنتم باقون؟

إن البقرة الحلوب جفّ ضرعها...

أيها الذاهبون.

إن الشباب قد استيقظ. وهبّ على لبنان نسيم الحرية وهو نسيم لا
يلائم صدوركم ولا يناسب أمزجتكم فاذهبوا قبل أن تختنقوا في جوه».

قال صلاح:

وبالطبع، تعرفون إنهم ذهبوا.

لكن المهم لم يكن أن يذهبوا.

كانت فكرة صلاح الثالثة أن الحكم أخلاق يتجوهر بها الاستقلال.

ما كتب عن شيء مثلما كتب عن تفاهة التغني باستقلال يتحول
استغلاً. لأنه مثلما بين الحرية والديموقراطية والاستقلال وحدة عضوية
تاريخية، كذلك بين الاستبداد والاستغلال وحدة حال.

كتب مرة عن فضيحة تتعلق بنائب في أميركا، قال:

«ومع أن «هذا» الذي قبله النائب الأميركي طفيف جداً، فقد دانت

لجنة المحلفين...

وهكذا فإن حكومة تحترم نفسها تعاقب من يدفع «هذا» كمن يقبض

«هذا».

فليت حكومتنا ترحل إلى أميركا كل الذين أفسدوا الأخلاق بـ «هذا»
وأساءوا إلى سمعة الأمة بـ «هذا» وكل الذين أحبوا «هذا»... وناموا آمنين
على «هذا».

هل ناموا آمنين طويلاً؟

هكذا ظنوا

وبدا لبنان لنا، مع صلاح، سجنًا كبيراً للذين لا يؤمنون بـ «هذا».
سجن كان اسمه... الاستقلال!

«ربحنا هذا الاستقلال - يقول صلاح - فربحنا سجنًا، وفقدنا الحرمة
الواجبة لإنسانيتنا... نعيش ضمن استقلالنا كمن يعيش في محبس.
أردنا الاستقلال للإنسان اللبناني، وأرادوه ولكن اللبناني لا إنسانية
له، أو للبناني سلب الإنسانية جريحها...»

كأن الحرية ليست وحدها سياج الاستقلال بحق...».

أيتهما الحرية، ما أحلاك يكتب عنك إنسان كصلاح لبكي، وإن
اصفرت الأوراق وماتت، هي الأخرى، ولم تبق منها سوى الذكريات
الملاح.

أكاد أقول مع الشاعر الذي في الصحافي:

«ما همني، والطيب لا يخمد...».

فيا صلاح، ما همنا أن مرّ من دوننا الموعد.

ما همنا وإن ماتت الأوراق. حسبنا بقية من العهد، تعبد!

مارك رياشي: تناقض يتجاوزه الموت^(١٠):

«مت وفي قلبك غصة، وأنت الذي سعيت كل حياتك الإنسانية إلى

دفع كل غصة عن كل قلب!»

«مت وفي قلبك حرقه، وأنت من أطفأ كل حريق!»

مارك رياشي

هل كان يجب أن يموت مارك رياشي حتى يزداد حبنا له؟

الصديق، بعد ذهابه، أن نفتقده... وعندما لا تجده، تحس بفراغ يزيدك وجع، فتبكي... تتذكر كل الأشياء التي كان يمكن أن يقولها أو يفعلها، تتذكر كل حاجتك إليه، وتحس إذ ذاك كم كانت صداقته غالية، وكم كان يعطيك. وتبكي.

وحده من بين الصحفيين الكتاب، كان مارك صديقاً.

ذلك أن بين الصديق والصحافي شيئاً من التناقض... تناقض لا تتجاوزه حتى بالموت.

جنس غريب، هؤلاء الصحفيون. بالكاد تقدر أن تصنفهم بين البشر. يعرفون بعضهم البعض، وحدهم... أو هكذا يظنون!

ولكنك أنت أيها القارئ، وأنت أيها السياسي، وأنت أيها الأديب، وأنت أيها المؤرخ، لا تعرفهم ولا تعرف منهم شيئاً.

نعم، تقرأهم. تفهمهم. أو هكذا تظن. تستطيع ما يكتبون، أو تغضب، وتضحك كما مع مارك. يقيمون معك من فرط تعودك قراءتهم. تفرد لهم في حجرتك مركزاً خاصاً، يخاطبونك منه كل يوم وتخاطبهم. تطلب إليهم فيستجيبون، إلى حد أنك عندما تقرأهم في الصباح، تظنك تقرأ نفسك أو ما كنت ستكتب لو كتبت. كتبوه لك خصيصاً، تظن، لك أنت وحدك. لا لآلاف القراء. فتغار عليهم ولا تغار منهم.

ولكنك هل تعرفهم؟

هل تعرف الحزن في قلب مارك خلف الضحكة الساخرة؟

هل كنت تعرف الألم الكبير؟

وهل كنت تعرف الفرح بالحياة إلى حد ذبح الحياة ذبحاً؟

أكيد لا تعرف، يا قارئنا، الفضائل وراء الهزء والاستهزاء، والمثالية

المخبأة خلف الأحكام القاسية. بقايا آمال نحملها من إنسان إلى إنسان، يوماً بعد يوم، حتى إذا طلع بها نهار بعد نهار، بليت، وضحكنا نحن منها وقلنا مع الناس: كم كانت تافهة آمالنا في الناس، وكم هي تافهة أحلامنا.

متى ينصفنا الناس يا مارك؟

وهل أقسى من الموت علينا، غير الليل الذي كنا نحب معاً. ربما لأنه ينسينا هموم النهار؟

بعد سنة، لا أزال أفتح الصفحة الثالثة لأقرأك فوق، على اليمين، «مارك رياشي».

هل تقرأ معي، حيث أنت؟

أرسم لنفسي - ولك أيضاً، ولبعض أريده قليلاً من أحبائنا... أرسم مربعاً أبيض أملاه كل صباح ببعض ما كنت ستقول عن الناس وأشياءها... وأضحك طويلاً عندما أستذكر أقوالك. ثم ألملم الجريدة بسرعة، متلفت يميناً ويساراً، خشية أن يعرف أحد سواي أنني لا أزال أقدر على قراءتك، وأنت لا تكتب!

بعد سنة، هذه المقالات منك لم تمت أوليس هذا ما يقولون عن الخالدين؟

يعزيك ذلك؟ يعزينا؟

بعض الناس وبعض الأشياء - يقولون لنا - تخلص بما نكتب عنها.

فطوبى للخالدين تخلصنا حياتهم العادية.

أما الصحافي، فلنقلها مرة: إنه أكبر من الحياة وأقوى. ويظل الصديق وحده أصغر من الموت وأضعف.

ولعل أحلى ما في الصداقة أن الموت امتحانها: تكون صداقة ما بقي افتقارك للصديق بعد حياته، وكأنه إذ ذاك يظل يعيش معك في حاجتك إليه وتجاوبك معه، فيصبح واحداً اثنين في واحد.

أيـنـك مارك؟ ألا تـقـرؤـنـي يا صـديـقـي؟.

أليس هذا ما كنت كتبت؟

إدوار صعب: معابر الأخبار والقتل^(١١):

هذا الصحفي كل حياته، الذي جاء من اللاذقية حتى يعود يستوطن لبنان هجره الآباء... ترى، أي قدر جعله يموت قتلاً على خط تماس كان بدأ يقسم الوطن وطنين؟

هذا الصحفي الذي ما عرف للخبر حدوداً، ولا تقبل للحرية قيوداً، كيف لا نجنُّ ساعة يستشهده «لا أحد»، فيذهب، حيث ازدحمت أسباب الحرب وآمال السلام، ضحية رصاصة قناص لن نعرف ربما أبداً لا من كان ولا لحساب من كان يصطاد الحياة، وهل كان يعرف ذلك الصباح من كان يقتل؟

إدوار صعب، رئيس تحرير «الأوريان - لوجور»، هو واحد من هؤلاء الذين رفضوا «معابر» الحقد والذل، وظلوا ينتقلون أبداً هنا وهناك وهناك، حتى يستمروا يبرهنون لأنفسهم وللناس إنهم أحياء، وعلى حق!

وكان إدوار، بين هؤلاء، رمز الصحفي الذي أصبح، منذ تدرجه، مثال الراكض وراء الأحداث. امتاز، على من زامله من المراسلين و«المخبرين» - وقد بدأ هكذا حياته المهنية - امتاز بأنه لا يتوقف مع الحدث عندما ينتهي الحدث إلى سبق صحفي أو رسالة في جريدة.

كان أبداً يظل يركض إلى ما وراء الحدث، بل الخبر ينقب في جذوره، يتطلع إلى تشعباته، يتساءل عن المضاعفات، ويحكم البصيرة في المتربات.

وإذا ما ضاقت بالتحقيق الجريدة، يستحيل الصحفي في ادوار صعب كاتباً، مؤرخاً، ومفكراً.

وتغدو كتاباته والكتاب مرجع ثقة، بل المرجع في موضوع كان -

ولعله لا يزال مجهولاً: العمق العقائدي والنفساني لسوريا الثائرة.
ولكنه يظل صحافياً، أبداً متلهفاً إلى الخبر اليوم، لا يقفل خلفه باب
الحياة الحاضرة يومياً ليكتب عنها ماضية.
بعد ذلك، كيف يفهم واحدنا، أو يتقبل أن تظلم الحياة أليفها وتغلق
هي عليه الباب، وهو بعد ممتلئ بنضارتها، يغيب من معينها ليعود يملأها
كل يوم شغلاً حلالاً؟
ولعل أظلم ما في مقتل إدوار صعب أنه كان قد أصبح رجل الحوار
بين المجموعات التي سقطت حيث كانت هي تتقاتل.
كأنها انتقمت منه.

ترى، هل كان قُتل هناك، حيث ولد، لو ظل لا يستهويه وطن ظنه
وأهله وطن حرية أكبر، فإذا به يصير وطن الحروب التي تفترس الأحرار؟
كمال جنبلاط: سلام في بلد الحرب^(١٢):

نلتقي اليوم لتكريم الأستاذ كمال جنبلاط، لمناسبة نيله جائزة لينين.
وهي جائزة تمنح للذين يساهمون في توطيد السلم والصداقة بين الشعوب.
وقد أولتني اللجنة الوطنية شرف التحدث باسمها، فإذا بي أمثل
مجموعة من اللبنانيين لكمال جنبلاط بينهم من الحلفاء بقدر ما له من
الايخام، إلا أنهم يجتمعون على ما هو أثنى من المحالفة والمخاصمة:
على الصداقة والاحترام، بل والمودة والمحبة.
فيا حليفني حيناً، وخصمي حيناً، وصديقي في كل حين، تجد
اللبنانيين اليوم يفرحون فرحاً حقيقياً بالتكريم الذي تنال.
يفرحون بأن تكون أنت بالذات أول عربي غير ماركسي ولا شيوعي
ينال هذه الجائزة. وفي ذلك ما فيه من دلالات الانفتاح السياسي والعقائدي
والحضاري.

كما يفرحون بأن يحمل الجائزة إليك، في هذا الوقت بالذات، وفد من الاتحاد السوفياتي الذي نرجو أن تكون الأزمة التي تجتازها علاقاته ببعض العالم العربي مجالاً لا لاختبار الصداقة الحقيقية بين الشعوب وحسب، بل لإقامة قواعد جديدة ثابتة لنوعية الصداقة التي يطمح إليها شعبنا العربي.

ويفرح اللبنانيون، يا صديقي، بأن يكون في لبنان رجل يرتفع، مثلك، إلى مصاف التعامل لا مع الأفراد، بل مع الشعوب، فيكرس له مثل الدور الذي يكرس لك اليوم .. إذ أي شيء أغلى من أن يساهم إنسان، وفرد، من البلد الصغير لبنان، في توطيد الصداقة بين الشعوب، وخدمة قضية السلم العالمي؟

وأنت تعرف ولا ريب، يا صديقي، كيف أن البلاد الصغيرة تكبر برجالها الكبار. إذ بماذا تراها تذكر، البلاد الصغيرة، إن لم يكن رجالها الكبار؟... رجال أكاد أقول إنهم قد شعب بكامله وأكبر، يضيق بهم إطار الوطن الضيق، فيمضون يختصرون في ذاتهم مواهب شعبهم التاريخية ورسالته، يمثلون باسم الوطن دوراً كان يعجز عنه لولاهم.

كلام أعرف، يا صديقي، أنه قد لا ينسجم مع الفلسفة التي ينطلق منها بعض الرسل الذين جاؤوا يحملون إليك الجائزة وشهاداتها.

حسب نظرنا حقاً، في هذا المقام، إنها تنطبق، أكثر ما تنطبق، على الرجل الذي تحمل الجائزة اسمه: فلاديمير ايليتش لينين.

إذ أية سيرة أكثر من سيرته، أي تاريخ أكثر من تاريخه يثبت أن حتى ثورات الشعوب الكبيرة، كالشعب الروسي العظيم، تظل تنتظر رجلها حتى تتبلور وتنجح؟

سواي، هذا المساء، سيقول ولا شك عن الرجل التاريخي البطل أشياء أفضل وأعمق من كل ما في وسعي قوله.

غير أنه يطيب لي، أنا بالذات، وفي مناسبة تكريمك يا صديقي ولأنك اخترت كذلك أن تجعل من الصحافة أداة تعبيرك الأولى، والأهم من الشعر الذي اكتشفناه عندك بالأمس، في جملة ما يكتشفه باستمرار الذين يرافقونك - أقول: يطيب لي أن أستشهد هنا بهذا القول للنين: «إن أول خطوة عملية نحو خلق التنظيم المرتجى هي تأسيس جريدة سياسية وطنية. ذلك أن الجريدة هي بمثابة منظم جماعي، في هذا المجال، يمكننا أن نقارنها بالسقالة التي تُشاد حول عمارة هي قيد البناء».

شيء آخر من لنين يحضرني الآن، في هذا الإطار، هو تشديده على دور المفكرين حتى بالنسبة إلى إعطاء الصراع الطبقي معناه التاريخي. يقول: «بقواها الخاصة، الطبقة العمالية لا يمكنها أن تصل إلى أكثر من الوعي النقابي، أي قناعتها بضرورة الانتظام في هيئات مهنية لمحاربة أصحاب العمل ومطالبة الحكومات بهذا أو ذاك من القوانين الضرورية للعمال، إلخ... أما العقيدة الاشتراكية، فإنها تولد من النظريات الفلسفية، والتاريخية، والاقتصادية، التي يصوغها المفكرون، الممثلون للمثقفين في الطبقات المالكة... وهكذا، فإن الوعي السياسي للطبقة لا يمكن أن يأتي العمال إلا من خارج... من الذين تعطيهم شراكتهم في الثقافة، أي في حصيلة الاختبار التاريخي، أدوات التفهم الفكري».

كأننا بليнин، في هذا التحليل الذي يكرره في أكثر مؤلفاته، يتحدث عن نفسه وعن كل الثوريين من بعده كذلك. وقد وصفه ستالين - أيام كانت أقواله لا تزال ثقة - مما يصح عن كثيرين سواه، قال: «ولد لنين للثورة... ولم يكن يحس نفسه مرتاحاً ولا فرحاً مثل ارتياحه وفرحه في أيام الهزات الثورية... عند المنعطفات الثورية، تجده في حال يناع وتفتح حقيقي، طاقته على الرؤيا العبقريّة تكتمل وتكتسب وضوحاً على أكثر من بعد... كان يحزر تحركات الطبقات وتعرجات الثورة كأنه يقرؤها في كف منبسطة أمامه. لهذا قيل عنه في الحزب: ايليتش يعرف كيف يسبح في أمواج الثورة كالسمك في الماء».

صورة، للنين، يا صديقي، حافلة بالأمثولات والمفارقات. أليس كذلك؟ أردت استذكارها، دون سواها، لأنهم أعطوك جائزة سلام يوم يدخل وطنك الحرب. وجاءت الوفود تشهد بمساهمتك في توطيد الصداقة بين الشعوب يوم يتعلم اللبنانيون، ربما للمرة الأولى، معنى العداء.

فليسمح لنا، نحن أصدقاءك، أن نصرخ، ولو مرة، في يوم سلام: مرحى للحرب مرحى... مرحى للحرب الفلسطينية مرحى. وحدها الشعوب التي حاربت من أجل حقوقها وانتصرت تعرف معنى السلام وتقدر على تذوق سعادته. وأما الصداقة بين الشعوب، فلا تقوم إلا في إطار من العدالة والحرية.

أوليس من ماركس وإنغلز هذا القول المأثور: «إن شعباً يضطهده سواه، لا يمكنه أن يكون هو حراً؟».

فيا صديقي، يا كمال جنبلاط، إلى الشعوب التي تصنفك جائزة لنين في منزلة محاوريتها، احمل من لبنان هذه الرسالة.

احمل رسالة العقل الذي تنتسب إليه عبر الإيمان.

رسالة المحبة، المحبة الحقيقية التي نحارب جميعاً في سبيل إحلالها في نفوسنا وفي دنيانا كذلك. المحبة التي كثيراً ما نحارب نفوسنا لنفرض عليها سلطانها بدل سلطان الحق. لأننا نعرف أننا إذ ذاك، وإذ ذاك فقط نتحرر.

أوتراني بحاجة لأن أقول، في يوم تكريمك، كيف أن الحرية تحصن كل شيء، فلا تحتاج بالتالي إلى ما يحصنها؟

لا تحتاج الحرية إلى قوانين لحمايتها، ولا تخاف طوارئ...

الحرية أقوى من القوانين، لأنها أرفع منها. وهي بالتالي أقوى حتى من أعدائها، فلا تخافهم. هذا هو معنى الديمقراطية الحقيقية التي لا حياة للبنان من دونها.

والديموقراطيون الأحرار لا يخافون. أما الحكم الذي يخاف، فليس هو بالحكم الديموقراطي، ليس هو حكم أحرار لأحرار.

ذلك أن الأحرار يعيشون، ويحاورون، ويحكمون، ويحاربون، في حالة حرية، لا في حالة طوارئ.

وإذا كان من رسالة نريد أن نحملها الذين جاؤوا يكرمونك عندنا ومعنا، فهي هذه الرسالة بالذات: إن لبنان سيظل مجال الكلمة المفتوح أمام المظلومين إلى أية عقيدة انتسبوا. وإن المعذنين سيجدون فيه دائماً محبة تعيد إليهم ثقتهم بالإنسان.

ذلك هو، يا صديقي صديقنا جميعاً، يا كمال جنبلاط، صوت العقل الذي نعرف كيف أنك تتسبب إليه، وكم أنت حريص على هذا الانتساب...

سعيد فريحة: صحافة الشخصية^(١٣):

في تاريخ الصحافة الحديثة، عندما يكتب هذا التاريخ، سيكون لسعيد فريحة أكثر من مركز: من سعيد فريحة كاتب المقال، إلى سعيد فريحة باني المؤسسة المصنعة، مروراً برئيس تحرير تمكن من ضبط وتوجيه أكثر من مطبوعة وكلها متنوعة، في آن.

لماذا لا نكتب هذا التاريخ اليوم، الآن؟

ربما بات ذلك واجباً وضرورياً. فالصحافة، كالوطن، تبحث عن ماضيها عندما تفتقده... أي عندما يتسح الحاضر، أو يصاب بضياح، فيمضي الناس، شعباً وأهل مهنة، يبحثون، أبعد من الذكريات، عن الأمثولات يتعلمونها والجذور يطمئنون إليها.

من هذا المنظار بالذات، إذا اختار واحدنا العمالقة المعلمين يكتب عنهم، يجد لسعيد فريحة طابعاً خاصاً بين معاصريه قد لا يكون في الشخصية المتعددة الأدوار - الدور الأهم، ولكنه بالنسبة إلينا اليوم الدور الأشد فعالية وتميزاً.

ففي حين كان جورج نقاش صحافي الرأي الأمضى قلماً، وكامل مروّة صحافي الخبر الإبداع استخراجاً وإخراجاً، نجد لسعيد فريحة مدرسته الخاصة في «شخصنة» الرأي والخبر، على حدّ سواء.

«صحافة الشخصية»، تلك هي المدرسة، بل الخطة والنسق والنهج: أن تبني، ساخراً كنت أم مادحاً، داعياً كنت أم ناهياً، مخبراً كنت أم محللاً - أن تبني حول «الشخص».

والشخص هنا أحد جنسين: فهو الرمز الذي تخترع، وهو الرجل الحقيقي الذي تجعل منه بطلاً ومحور الأحداث، فضلاً بالطبع عن الشخص الذي تجعله محور الأحداث وغير بطل، فيصبح محط السهام وعلامة المسؤولية حتى لا نقول رمز الشر وسوء السياسة.

إذ ماذا، غير ذلك، هي الأسماء التي حولها بنيت عمارات المواقف والمقالات والأخبار والتحقيقات: من (أبي خليل)، الخرافة الرمز، إلى إميل إده، الرمز الواقعي، مروراً برياض الصلح والشيخ بشارة الخوري، وكل حاكم أو معارض كتب عنه سعيد فريحة في ما بعد.

هكذا، نعم، إلى حد أنه حتى عندما كان يكتب عن قضية أو عن دولة أو عن شعب، كان (يشخصن) القضية - فتصبح، مثلاً، عبد الناصر - أو الدولة - فتكون هذا الملك، مثلاً، أو ذاك الحاكم أو الأمير - أو يشخصن الشعب نفسه فيصبح، مثل (أبي خليل) عن لبنان، (أبو صياح) رمزاً للمحاور السوري!

لا أعرف بالطبع، وقليلون سيعرفون فيما بعد معرفة علمية واقعية تاريخية، إذا كان هذا الأسلوب قد جاء وليد قرار مهني، أو نشأ مع أسلوب سعيد فريحة (سليقة قلمية)، أو أنه كان نتاج ثقافته السياسية الخاصة أو مفهومه للحياة والحكم، وغالب الظن أنه كان اختياراً منهجياً يجمع بين نمط المعاملة وقواعد المعالجة.

ذلك أنه يتراءى لقارئ سعيد فريحة، بعد مرور الزمن، أنه كان على

شيء من ضيق الصدر في التعمق بالبحث إذا تحدثت عن قضية، ثم إنه كان كذلك، على (خفة دمه) في الرواية، بما فيها رواية الخبر، وعلى توسعه في الوصف والتفصيل - كان، إلى ذلك، قليل الجلد في (التوثيق) ينصرف عن الشمول بمعناه العلمي الحديث ليستعوض عنه بالتركيز على ملامح رئيسية تتكون منها الصورة التي يريد أن ينقل. وكان سعيد فريحة أخيراً وليس آخراً، يحب أن يكره، يعجب أو يحتقر، يقبل أو يصدف...

أفنستغرب بعد ذلك، أنه لم يزين مقالاته مرة بالصورة بل بالكاريكاتور، وأنه لم يستعمل وثيقة إلا لبرهان حجة، ولا نشر أرقاماً في سبيل إحصاء، بل في معرض اتهام أو دفاع؟ ونعود إلى (الأشخاص) الأعزاء على قلمه، القريبين من قلبه، لساكني عقله الصحافي.

كيف عالج شخصياتهم، وما هي مقومات الإنشاء الشخصاني الذي به جعلهم موضوعات صحافية جلبت القارئ وطبعت الرأي العام وترسخت في التراث؟

ليس هنا مجال دراسة (تقنية) لنصف قرن من الكتابة، يظلمها أي وصف مبتسر. حسبنا، عصارة الانطباع الذي تكون عن زميل لدى زميل، أن نشهد أن سعيد فريحة كان ناحتاً من نحات القلم بنى عمالقة كان يصعب من بعده بل وفي وجهه تحطيمها... في حين أنه لو ناقشنا بالقلم لسهلت المناظرة!

وحسبه، من تاريخ لبنان الحديث، أنه سيصعب، بعد نصف قرن، على المؤرخ وإن ناقداً أن يحطم تمثالاً صنعه سعيد فريحة أو يبدد خرافة كونها. وحسب الصحافة أخيراً، من إرث سعيد فريحة، أنها أثبتت أنها في التاريخ المباشر، غالباً ما كانت أقوى من الأحداث والرجال بل والقضايا، وأنها في التاريخ المقبل، ستكون للباحثين والكاتبين مادة تستهوي لأن طعم الحياة فيها غالباً ما كان أقوى نكهة من ذات الحياة التي كانت لها.

سليم اللوزي: كتب شهادته بدمه^(١٤):

لا يهمننا ماذا كتب سليم اللوزي.

ولا يهمننا أن نعرف من الذي قتله!

يهمننا أنه كان يكتب، مثل أي صحفي كبير عريق...

يهمننا أنهم قتلوه...

ويهمننا أكثر من ذلك، أنه بشجاعة نادرة كان يعرف أنه سيموت يوماً، وظل يكتب ويكتب، ضد كل شيء وكل الناس.

بالطبع، لا يكفي أن يموت صحفي منا حتى يُصبح مثلاً، حتى يصبح مثلاً يفرض قتله تضامن الجميع مع كل ما كتب وقال وفعل.

لكن، يكفي أن يُقتل صحفي حتى نتذكر جميعنا أننا صحفيون، وأن الصحافة، كل صحافة، والصحافيين، كل الصحافيين، هم ضمير هذه الأمة وخميرة الحق الذي فيها، وحصانة حرياتها.

وهي حصانة لا تموت، بل على العكس، كلما مات من حمايتها واحد زادت مناعتها وزاد العناد.

وهي حصانة لا لحريات الصحافيين بالطبع، ليس لحرياتهم وحدهم، بل لحريات الوطن والشعب، وكل مواطن وكل شعب آخر.

هكذا كان في كل صحافات الأمم، حتى قبل اختراع المطبعة...

وهكذا كان في لبنان بالذات والعالم العربي من جيل إلى جيل: منذ ما قبل الإمبراطورية العثمانية، ثم خلالها، وبعد انهيارها وقيام الأباطرة الصغار، هنا وهناك وهنالك، حتى يومنا هذا، يوم سليم اللوزي.

وندر أن تذكر الناس وذكر التاريخ طغياناً أو ثورة من غير أن يقرن ذلك باسم صحفي أصبح موته شهادة أو قضية، أو الاثنين معاً.

وبعد، يبقى من الصحفي الحجم الآخر: حجمه المهني.

مع سليم اللوزي، تذهب مدرسة... مدرسة كانت فيها الصحافة هي البداية والنهاية، ولم تكن السياسة بالنسبة إليها، ولا كان الحكم والحكام، سوى مصادفة بل وسيلة.

كان الحديث مع الحاكم يصبح أهم من الحاكم. وكانت المقالة في تحليل السياسة تصبح هي السياسة. وغالباً ما كانت أقوال الحاكم في الحديث تصبح هي الأقوال التي يقول بعد الحديث...

والسياسة بعد المقال ترتفع إلى مرتبة الخطّة وتكتسب أبعاد الالتزام. ... إلى حد أن مجلة (الحوادث)، قبل الهجرة وبعدها غدت مع سليم اللوزي صناعة سياسة حقيقية، بدل أن تظل ما كانته الصحافة في عهد قديم: منبر الرأي الواحد والداعية إلى سياسة ونهج. ذلك أن عبقرية سليم كانت، منذ تدرجه، في أنه أبرع من صنع شيئاً حتى من اللاشيء: أبرع من أخرج، واخترع للقارئ وللمقروء، في آن، منطلقاً للشغف وقاعدة للاستهواء.

والآن، ذهب سليم اللوزي، فماذا نفعل؟ هل نبكي؟ في قلب كل صحفي حب لسائر الصحفيين أقوى من كل ما يصنع بينهم (حدّاد)، (حدّاد) القول المأثور، وكل (حدّاد) آخر. سيبكي الصحفيون، بعضهم بصمت، وبعضهم بخوف، وبعضهم بإكبار، وبعضهم كذلك نحيباً!

وعندما يولى زمن البكاء، تبدأ الذكرى... فتتذكر! وسنظل نتذكر طويلاً، بعضنا بمحبة، وبعضنا بخوف، وبعضنا بصمت، وبعضنا بإكبار...

ولكن كلنا سنتذكر أناً واحداً آخر من جنود الحبر والورق ذهب يواجه هازئاً مستهزئاً، مطمئناً إلى قدره، لأنه يعرف أن الصحافة هي دائماً أقوى وأبقى من قاتليها.

وسياتي جيل، كالأجيال التي مرت، يقول: ما همنا ماذا كتب سليم اللوزي ولماذا مات...؟

في تاريخنا إن صحافياً آخر كتب بدمه شهادة جديدة في سبيل حرياتنا نحن وحرية الكلمة، وحرية الوطن والمواطنين، كل المواطنين.

رياض طه: الحرية التي لا تموت^(١٥):

يا رفيق العمر، هل تنفع الكلمة بعد الموت؟
والحرية؟ هل تراهم حرروك عندما قتلوك... وكنت قد عصرت، يا رفيقي ويا زميلي بل يا حبيبي، كل نقطة دم في عروقك حبراً نقياً تدافع به عن حرياتنا؟

في مواسم الموت، نكاد نصرخ: قفوا، قفوا، كفانا!..
أم تراها بركة الدماء، دماؤنا، كانت تنتظر بعد دماء النقيب، لأن الأرض لم ترتو بعد، والزهور الحمراء لا تزال عطشى، والأشجار لم تينع ثمارها؟...

لعلها بركة الدماء كانت تنتظر النقطة التي يطفح بها الكيل، فجاءها كيل كامل مليء!

خلال ثلاثين سنة وتزيد، يا رفيق العمر، لم يكن لك إلا القلم والحبر، فرحت تزرع وتسقي حقول الصحافة، تكبر معها وبها... ولم تتركها مرة، لا هي، ولا السياسة، تكبر عليك أو تتكبر!

ولا أنت تكبرت على صحافة أو صحافي. تاريخك، كاتباً وخطيباً، ونقيباً، هو تاريخ جروحنا وجروح شعبنا التي داويت، وبها واسيت، لأنك كنت تحس الجروح من عهد إلى عهد، جروح في جسمك أنت، بل في نفسك وقلبك، بل في عقلك!

ومع ذلك، لم نرك مجنوناً يوماً، حتى عندما كنا نجن جميعنا من الوجد حيناً، ومن الكفر بالحرية والنظام والوطن أحياناً...

وظللت، بصبر غير متناه، ترعى المهنة حتى عندما ظنناها، مرات،
قد زالت..

لأنه كان فيك صبر الفلاح الذي ترقى من الأرض، يتحدى الطبيعة
ونظامها، فكيف بإقطاعية من هنا، وقبلية من هناك، وطغيان من هنالك؟
ما أحلى الأرض اللبنانية البريئة التي تنجب الإنسان والزرع معاً.
لم تخيب الأرض مرة أمل الإنسان فيها، ولا الزرع خيب أملاً. لأن
الإنسان الذي فينا، نحن معشر القلم والحرية، هو أشد عناداً من الصخر.
إذ من غيرنا يزرع الورق كل نهار ويحصده كلمة حية؟
ثم بعد، يا رفيقي، من مثلك كان رؤوفاً بالأرض وبأهلها؟ رؤوفاً
حتى في أشد الكفاح مرارة؟

كنت حبة العقد والعروة الوثقى وآخر الأحلام...
لا، لم تكن تريد أن تصدق أن ثمة في لبنان الأرض جفافاً وفي
نفوس العرب يباساً.

كنت تقول أن لا مستقبل، ولا فلاح ولا نصر لمن يحارب الفكر
ويتبرأ من الجدل ولا يحترم عقل الغير قدر عقله، وقدر طموحات الخلق
والاختراع.

كنت شديد الحذب حتى على الخصم لأنك لم تعترف مرة بعدو
للصحافة ونقيبها. وإذا طالت يد خصم أو تطاولت على الأرض والناس
والحريات، كنت تتعمد التفهم وتحاول الإقناع وتعتصم بالرشد والإرشاد،
إلى أن يرعوي هذا أو يرتد ذاك، أو يلتئم العقد من جديد وحدة متكاملة،
على تنوع حباتها، وتعدد الأشكال والألوان؟

لذلك لا نخالك هناك، يا نقيب الجميع، إلّا نقيباً بعد الحياة، تبسم
وإن موجوعاً، وتكتم الغيظ وتدعونا معك إلى أن نعص نحن على جرحك،
ونكتم الألم عنك ونبتسم أملاً في الحرية التي لا تموت، كرياض لبنان
النيرة.

فريد أبو شهلا: استمرار التراث الحي^(١٦):

مع فريد أبو شهلا، يغادرنا صحافي التقليد.
ذلك أن التراث كان معه وزناً، غنياً. فكم من الذكريات الملاح
العناق كان يحمل الاسم وبها كان يوحى.
فريد ميشال أبو شهلا. والآن: ميشال فريد أبو شهلا. ترى، كم
واحدة منا لا يزال يذكر؟

جيل كبير ذهب مع المدنية، فكأنها الحجار الجميلة التي صقلها الدهر
فككت المعرفة لما تدرجت، وانجرحت ثم تحطمت، ودفنت تحت ركامها
التاريخ الصغير، حكايات الأدب والصدقة، والشعر والسياسة، والظرف في
المعاملة والمعالجة.

كانت الحياة، على أيام ميشال الأب، تسير على مهل.
كانت الكتابة تذوقاً.

وكانت الصحافة مواقف.

حتى عندما انتقلت من «المعرض» إلى «الجمهور»، لم تصبح
جماهيرية بالفعل، بل ظلت تتوجه إلى القلة المتذوقة الفاهمة العارفة
الفاعلة.

وكنا، مع فريد، نحمل في قلوبنا حنين الطفولة والصبا إلى تلك الأيام
الهادئة بينما عواصف الأحداث - كجنون الأخبار - تحطم أحلامنا والآمال،
تفجر قوالب المهنة كقواعد التصرف، تمزق حجب الحياة والكلمة تمزيقاً،
وتدفع بجيلنا إلى عوالم يجب أن تتعامل معها عن غير معرفة وكأنها هي
الصديق وهي النديم.

وصارت «الجمهور»، مع فريد، لجمهور متجدد جديد، بل لجماهير.
غير أن التقليد ظل هو الأقوى، واستمر التراث حياً: أخلاق
ومناقب، وحدود لما يجوز ولا يجوز، ولما يصح تجاوزه وما لا يصح،

وقوانين في الذات أقوى من الشرائع لأنها هي الناموس الحي.
إلى ذلك، جمع فريد أبو شهلا طراوة في الكتابة وطلاقة في التعبير،
فكانت للحرف مناعة من دون تمنع، وكانت للمواقف صلابة بلا تصلف.
وكانت، أبعد من ذلك كله، أمانة نحو الأمر المهم، لا يلغيها
الأهم، أيّاً يكن هذا الأمر... ذلك أن كل شيء في صحافة الجمهور كان
يعامل على أنه مهم.

وهكذا يمر فريد، والتاريخ من حولنا صاحب، وكأنه الهدوء
تشخص:

لا عنف في وجه العنف، ولا مجون يقابل به المجون، ولا قفزات
في المجهول مع الداعين إلى كل قفز!
غداً، عندما تعود المهنة تبحث، ويبعث الأدب ولبنان، عن معالم
للاطمئنان، سيجد الخلف في إرث السلف ما يرتاح إليه الإنسان الطيب
الذي لا يزال يسكننا.

كسروان لبكي: صحافة الهجاء في إيمان^(١٧):

كيف يتقاعد الصحفي ويتعد، عندما يكون قد كان سيد المناظرة في
منبر اسمه «وقائع اليوم»؟

تري، هل تعب كسروان لبكي من اليوميات وهمّ كتابتها، والصراخ،
فأراد الابتعاد، عبر النشر الاقتصادي، إلى مرتبة ينظر فيها إلى الأحداث من
بعيد: سفيراً، ثم أميناً عاماً للخارجية، أي مؤتمناً على دبلوماسية الدولة،
ولو أيام بدء الاهتراء؟

رئيس تحرير «الأوريان» كان، وجورج نقاش، أول من دخل السجن
عندما بدأت معركة الحريات بعد الاستقلال. حسرته، وحسرة أصدقائه، أنه
كان يستحق السجن شهادة من أجل مئة مقال ومقال كتب، فإذا به يسجن،
كرئيس تحرير، بسبب مقال صاحب الجريدة!!!

ومع ذلك، افترق الرجلان إلى حدّ التهاجي، فإذا بهذه الظاهرة الطريفة: جورج نقاش يتقاذف الكلام المرّ، المرّ، مع رئيس تحريره الذي صار رئيس تحرير الصحيفة المنافسة، «له سوار»... التي ما لبث أن دخل صاحبها، دكران توسباط، السجن، هذه المرة بدون رئيس تحريره... ما أحلى تلك الأيام.

يوم تؤرخ المقالة الصحافية، ستذكر افتتاحيات كسروان لبكي كالنموذج الأمثل للعنف... حتى أننا كنا جميعنا نحسد كسروان، كدكران والنقاش، لأنهم يكتبون بالفرنسية المحدودة الانتشار في أطر المهذبين... إذ لو كتبوا بالعربية لحسب الناس كل مقال جنائية، أو صنوها والبديل؟

والغريب أن ابن نعوم لبكي، الأديب المشتزع الذي ترأس «مجلس إدارة لبنان» بعد الحرب الكبرى، لا كان جدلياً بالقانون، ولا طبعاً شاعراً كشقيقه صلاح، ولا ملماً بالعربية ككليها ويصدف عنها. كان، ببساطة، يحب اللغة الفرنسية، وكفى، حتى عندما يغتاظ من الفرنسيين ويهاجمهم، بلغتهم يتقنها أحسن منهم.

ثم إنه كان، من أيام التدرج في جريدة صغيرة تصدر بالفرنسية - طبعاً - في حلب، إلى أيام الأوج في كبريات بيروت الكبيرة، وريث سلالة المناظرين الكبار في صحافة فرنسا ما بين الحربين، أيام كان الصحفيون «يصنعون الصحو والشتاء»، فضلاً عن صناعة الحكام والمعارضين، والمجالس والحكومات.

فكيف لا تضيق الآفاق اللبنانية بكسروان لبكي؟

حمل قلماً في زي مطرقة - وبعضهم قال سكيناً من فرط ما كان يجرح وهو يكتب - ومضى يحطم...

إنما، يحطم لبيني.

مع ميل طبيعي، وكدت أقول سليقياً، للكتابة عن الأخصام بدل

الأصدقاء، لأنهم موضوع المطرقة، والسكين، المفضل... فكسروا ولا يعرف كيف يمدح.

إنما يعرف كيف يؤمن.

من أول مقال إلى آخر مقال، خط واحد لا يلتوي: الإيمان بلبناني معين، بالكاد تتغير قشرته، والجوهر واحد، هو هذا الذي يميزه عن محيطه وعن سائر الدنيا من وجود مسيحي فذ، ليس هو ما في الشرق الآخر، ولا هو مثل ما في الغرب طبعاً.

لذلك تجد كسروا كان يريد التعايش بدون رياء، ولو جرححت الصراحة...

ومع الأسف، كان «الجرح» هو الذي يتذكره المعنيون، متجاوزين أن الصراحة تستغفر الألم، إذا كان مبعث الكتابة إيمان، ولم يكن في الأمر حقد ولا ضغينة. ولم يكن.

لم يكن، لأن كسروا لبكي الإنسان كان صديقاً كبيراً، عميق الولاء والوفاء، مثال الوداعة واللهفة على من وما كان يوصف مذ ذاك بـ «الفريق الآخر»... قاتل الله كل من اخترع لنفسه «آخرًا» يحتاج إليه حتى يعادي أحداً.

وحدهم يعذرون من مثل كسروا يحتاجون أبداً إلى خصم، ولو استجدوا خصومته، حتى تبين في المناظرة الحجة: بديعاً، بالفرنسية - وبياناً.

ذلك أنها الصداقات جنت على كسروا... صداقاته، ولو مختارة، وقد جعلته يسترسل فيها أحياناً إلى أبعد من حدود الموضوعية الصافية... هذا إذا وجدت!

يبقى جنس أخير من «الأصدقاء - المواضيع»...

هؤلاء الذين كان يهجوهم عن صداقة.

لعلهم كانوا أصحاب الامتياز الكبير. لعل لهم مكانة خاصة في قلبه، كما لدى قلمه المر اللاذع المرير.

هو كذلك حافظ على المكانة الخاصة في قلبهم، فجاؤوا يشهدون، ويشتهون لو سبقوه إلى ما بعد دنيا «وقائع الأيام».

شارل مالك: ينام في كهف الأسطورة^(١٨):

بين أربعة أو خمسة رجال صنعوني، أضع شارل مالك في مرتبة أبي لأنه كان معلمي...

ذلك أن بعضنا لا يزال من جيل كان فيه المعلم بمثابة «سقراط»، يمسك بعقلك كما تمسك الأم بيد وليدها ويقودك إلى المعرفة قيادة نيرة بالحب كما بالمنطق... فتتواضع أمام الحقيقة بنسبة ما تشغف بوجهها بينما الحجب تتساقط حجاباً حجاباً إلى أن تكون لك الرؤية العظمى.

ذلك كان حظنا من «الدكتور مالك».

وتكاثر شركاؤنا في الحظ، بل في نعمة المعرفة، فصرنا شعباً بكامله يوم نادى لبنان معلمنا ليمثله في العالم.

وكان لبنان، عام ١٩٤٥، بالكاد بدأ استقلاله، فأراد من شارل مالك أمرين:

أن يرى العالم بأي رجال نتمثل، فيحترم فينا القيم الفكرية، نفاخر بها ثروات الطبيعة التي لم تكن لنا والقوى المهيولة التي تحررنا من غير لجوء إليها!

تلك كانت أيام الزهو والعز..

بل أيام الإيمان العظيم بلبنان يعود لبنان، كما كان في أبهى تاريخه، برجال كالأنبياء يحاكون التاريخ.

وذهب شارل مالك، ابن الفلاح من بطرام الكورة، لا ليكرز في

الأمم المتحدة عن لبنان فحسب، بل ليدخل، عملاقاً أكبر من وطنه، في صراعات الأمم كأنه فريق في قضايا السلام والحرية وصوغ النظام الأفضل للأمم التواقة إلى حقوقها، بينما نصفها لا يزال بعد غارقاً في مستنقعات الدماء والدمار التي خلفتها الحرب العظمى وزلازلها الذرية والعقائدية.

فصار لبنان الصغير كبيراً لأنه حاجم العالم وجعل نفسه شريكاً في مصيره، لا متسكعاً على أبوابه، ينتزع بالكلمة الحق حقه في تقرير مصير الإنسان، فكيف بتقرير مصيره هو ومصير استقلاله.

ولا، بعد سنوات، عام ١٩٥٨، انتخبت الجمعية العمومية للأمم المتحدة الدكتور مالك لرئاستها - وكانت برلمان العالم - فهم العالم، ولكن لبنان لم يفهم، أنها رسالة من الأمم ومن الإنسان إلى البلد الصغير ليظل كبيراً، بحجم شارل مالك، ولا يعود يتصاغر إلى حجم الصراعات التي كانت قد عادت تفتت أوصاله والتاريخ المقبل فيه على التاريخ.

واليوم، إذ يغادرنا شارل مالك بعد صمت طويل لعله كان شكلاً من أشكال الرحمة، تعود الأسئلة التي كان يطرحها علينا، الفينة بعد الفينة، خلال ما يقارب النصف قرن من التعليم...

ماذا حفظتم من الناموس؟

ماذا فعلتم بالحقوق؟

أين هي قدسية الإنسان في وطن لم تعد لنا من الشراكة في حياته ومجده غير المشاركة في اغتصاب حرياته والسباق إلى تسويقها في الأزقة المظلمة؟

أين هو النور في حياتكم؟

أين هي المعرفة وماذا تعرفون؟

أين هو الحب؟ والفرح؟ أين هو خوف الرب؟

أين هي الحقيقة التي عنها تبحثون، وفي ساحات الإجرام وملاعب الجهالة؟

بل أين، أين هي كرامة الإنسان التي بعضها كرامة المواطن في كرامة الوطن؟

تنام يا معلمي في كهف الأسطورة التي كم حدثتنا عنها في قراءة جمهورية أفلاطون.

ذلك أننا لا نزال نعتبرك حقيقة ذاتية من تلك التي عندما تمر في النور، نشاهد نحن خيالاتها فنحسب الخيالات حقيقة.

كم تتكاثر الخيالات اليوم، بينما الحاجة إلى حقيقة هي، في من تسكن، حكمة لا تموت.

أسد الأشقر: صحافة التاريخ وغضب العقل^(١٩):

الذين عرفوا أسد الأشقر أيام عزه، ثم أيام سجنه، والنفي، والعودة، يعرفون أنه كان وظل أسداً.

وقد مات أسداً، وإن كان جريحاً.

جريحاً لأنه، في حنينه إلى الأرض التي يحبها واحدة طيبة، كان يكره أن يمزقها العنف والحق... فإذا بالناس تتساءل أية أرض تستعيد الأسد.

الأرض، والتاريخ... هاجسان في تفكير أسد الأشقر، وكلمتان لازمتان لا يكتب مقالاً بدونهما، ولا يلفظ خطبة إلا وتبدأ بإحداها لتنتهي بالأخرى.

وإذا كانت الأرض لكي تكون واحدة، فالتاريخ هو عنصر الوحدة الحضارية التي تجمع حتى بين الأخصام... فكيف لا يحسب الأسد نفسه جريحاً عندما يصير التاريخ الذي نصنع عنصر فرقة تبعثر حتى الأرض، تحرم بعضنا من بعضها، فضلاً عن بعثرة الإنسان الفرد أشلاء إنسان. و«الإنسان - المجتمع» أشلاء وطن، بل أشلاء أنظمة وعقائد ومؤسسات؟

هل تنن الأسود عندما تسجن أو تُنفى أو تُصاب؟

لم أسمعك يا أسد تئن في سجن ولا في منفى ولا على الطريق الطويل، بينما سواك يتساقط عن جانبيه وأنت تزمجر مقطب الحاجبين. منك كان آنذاك... «سبع بولس حميدان»، اسمك الآخر المحبب. أكاد أقول اسمك الصحفي! وقد كنت صحفي التاريخ. تكتب عن الماضي، بعيدة والقريب، وكأنه الحاضر الذي يزامنك خلف قضبان الحديد.

في «ملحق النهار»، تلك الستينيات، ثم بعدها، والبلد يغلي، كنت تطل علينا وكأنك تمشي على أسوار «القلعة» تكتب، لا بالقلم، بل بالصوت الهادر في الليل. هاجسك «تحرير الأرض والإنسان»، ودعوتك: «المجتمع العقلاني». أما تطلعك، فإلى «الآفاق الكونية الفينيقية، بعيدة بعيدة»، أبعد من المتوسط «بحيرتنا التاريخية التقليدية»... إلى الهلال الخصيب الفي: «الثورة على نفسه، فيجدد نفسه ولا تتجمد الحياة فيه ولا تتصنم»... واقفاً في وجه الموجات البربرية الغازية، فيصدها عن أرضه وحضارته.

أمن أجل ذلك كان أدبك أدب الغضب؟

حتى عندما كنت تتطلع إلى محبيك بحنو، كان حاجباك بالكاد يخفيان، خلف تقطبها، غضب الثورة الدائمة: «أتعس ما يكون،... أن يكون الإنسان الثائر نصف ثوري، والإنسان الجديد نصف جديد... الإنسان العتيق إذا تعلم لا يصبح جديداً»

هل لنا أن نتفلسف مع أسد الأشقر قليلاً؟

في شهيته إلى المعرفة التي لا تحد، كانت أيام السجن، بالنسبة إلى سبع بولس حميدان، مناسبة لتجاوز «الإثم الكنعاني» إلى كل حق يقرأ وكل خير أينما كان وكل جمال يستحق تعبداً... فلا حدود إذاً:

«الثورية الحقيقية متفجرة من جوهر الإنسان، لتحرر الإنسان، تنبع دائماً من جوهر إنساني واحد مهما اختلفت الأشكال والقوالب والصور والمنطلقات».

كيف ننسى أنك، في دعوتك إلى المجتمع الجديد، بل إلى «الإنسان - المجتمع» الجديد، ذهبت، أبعد من أنطون سعادة - أوليس هذا بالذات منهجاً تاريخياً؟ - فأفسحت في فلسفتك العملية مكاناً حتى للاستشهاد بماوتسي تونغ يقول أن «ليست الماركسية عقيدة دوغماتية، بل هي دليل للعمل الثوري».

ولم ترفض لينين، ولا «هوشي مين» ولا حتى تروتسكي، وأنت فيلسوف القومية، فتؤمن بما سميت آنذاك «الثورية العالمية».

وحدهم المتفوقون، الانعزاليو العقل، كان سبع بولس حميدان يصب عليهم جام... غضبه العقلي!

تلك كانت الصحافة في أسد الأشقر...

أكاد اسميها «صحافة الغضب العقلاني».

ذلك أن لا أحد كسبع بولس حميدان استطاع أن يجمع في لغة واحدة، بل نهج واحد، الكلمات السيارة مفلسفة، وحصالة القراءات الأصعب: «القشرة البرانية الغشاشة»،

«تململات نيو - رجعية تتمسحق بالطلاء الغربي الخارجي»،

«الفراغ المجمع»، و«الانفلاشية»،

«الدول العتيقة والنيو - عتيقة»،

«المتعثمين» (من بني عثمان!)،

«الزعامات الوطنية الفائشة» إلخ..... إلخ.

عبارات كان يطلقها وكأنها إهانات فكرية، بقلم ساخر، خلفه أنياب الأسد.

ذلك أن الأسد لم يكن يئن حتى عندما كانت روائح الدماء الزكية تجتاز أسوار السجن إليه كأطياف ضحايا تعود إلى الحياة. كان يزمجر، يزأر من فرط الاشتياق إلى الرجوع لساحة عراك يعرف أنه طويل، لأن طريق التاريخ أطول من الحياة.

في الزمن الرديء، زمن الحروب التي بهدلت الحرب، نتذكر أنك، أيها الماروني من جبل لبنان، كنت كذلك وريث جبران خليل جبران في عبور الحلقات الضيقة إلى الحلقة الأرحب. فصرت واحداً من قلة قليلة بين الرفقاء إذا دخلت قلب إنسان أو نفذت إلى عقله، اقتطعت في العقل والقلب مكاناً يظل يتغلب على الفراق، كل فراق... كما كان يتغلب على الاختلاف، كل اختلاف.

العقل والقلب مع أسد الأشقر يصرخان، إنها قطعة من الأرض التي ترفض الفرقة والفراق لأنها هي مصدر الحياة التي «يعبر الإنسان عن إرادتها الواحدة»...

هكذا يستدفي التراب الواحد أجسادنا، أيّاً كان الورق الذي به نلف العقول، والحبر الذي نقطره في قلوب الذين يقرؤون، علامات التاريخ على جدران الذاكرة.

تقي الدين الصلح: غاب مع تشرين^(٢٠):

من الرجال، من الكبار من إذا ذهبوا أخذوا معهم صفحة من التاريخ الحبيب، وقطعة من قلبك.

تقي الدين الصلح، - «تقي بك» للأصدقاء - كان في ذاته تاريخاً. وكان كذلك ينبوع صداقة تفيض على الناس وعلى البلد، في لطف كأنه قبس من لطف الله، وحكمة وعقل، كذلك في حماسة ولهفة صقلها العمر ولم ينتقص منها ذرة.

ولعل الحسرة كبيرة في أن تقي الدين يموت في غربتين، ويموت في أسبوع الاستقلال الذي كان بالنسبة إليه مثلاً، فجهاداً، فحياة، فحنيناً، فمثلاً من جديد، مثلاً يصارع اليأس.

أما الغربتان، فواحدة للجسد وأخرى للروح، أي الاستقلال.

إذ ماذا، غير الغربة، كان يتعد بتقي الدين الصلح، الفينة بعد الفينة،

إلى باريس حيث مات، وإلى كل عاصمة أخرى يتنشق فيها عبيراً من الحرية وأخبار الأحرار وذكريات الأيام الماضية، أيام الحلم بالحرية.

تُرى، هل تقتلنا الغربية؟

وأي الغربتين هي الأشد، شعورك بالغربة وأنت في مدينتك، أم إحساسك بأن الغربة إلى خارج وأن لليوم الأخير، هي الأقل ظلماً؟
لعلها مأساة الاستقلال هي التي ثقلت وطأتها على القلب الكبير فانفجر.

مأساة في رجل، ومأساة رجل في ما ساهم في بناءه.
ذلك أن تقي الدين الصلح كان في طليعة البناء، تفكيراً وتخطيطاً وكتابة وتظاهراً وعناداً واحتمالاً للظلم والاضطهاد، ثم نشوة بالنصر، ثم انتصاراً على النشوة، ثم تعقلاً، ثم توعية... ثم أسى على بناء كان يراه يتداعى.

والأسى الكبير أن تظل حياً بعد الذي صنعت يداك...
أي أن يظل الاستقلاليون أحياء ويرون ورثة الهيكل يغربونهم من فرط ما لا يدركون ولا يستحقون.

مات تقي الدين الصلح. ماتت حكاية كبيرة، بل مات تاريخ.
ثم إن كتابة التاريخ، والكتابة له، كانت «صنعة» تقي الدين، ولا نقول مهنته أو الحرفة.

من أيام «النداء»، لم تعرف له علة وجود خارج الصحافة وما كانت الصحافة آنذاك: أداة جهاد، ومنبراً للعقيدة والرأي، وعروة المجاهدين الوثقى.

وهي، في أيام «النداء» ومن جابليها، كانت تعود من الغربة لتكتب وتجاهد، فتطوي صفحة الصحافة التي هاجرت أقلامها لكي تنعم بحرية الغربة، وتعود للوطن باستقلال هو ثمرة استقلالها وأهلها وصحبها.

كانت «النداء» منبر حزب «النداء»؟

لا، بل كانت هي الحزب، حولها تحلق «النداء القومي» ولعله عرف بها أكثر مما عرف بتنظيمه أو النواب.

ثم كانت الصحافة هي التي تصنع للسياسة، عهودها والمواثيق، مادة التاريخ المقبل. وغداً، عندما تؤرّخ المبادئ التي اجتمع حولها اللبنانيون وتلك التي باسمها «ارتضى» بعضهم لبنان «وطناً نهائياً» لجميع أبنائه، سيكون لتقي الدين بالذات، ولقلمه، حصة كبرى.

ثم غداً، عندما تؤرّخ الصحافة من العهد الانتدابي إلى العهد الاستقلالي، ستعرف لتولي تقي الدين نقابة الصحافة أبعاد مهنية ووطنية هيأت الصحافة لأن تكون سياج الحريات العامة، فضلاً عن حصن حرياتها والأقلام، والموئل الكبير لممارسة السيادة الشعبية والدفاع عن حقوق الإنسان.

ولعلّ مرور تقي الدين في النقابة كان خير تمهيد لتوليّه رئاسة الحكومة في دولة فاخرت بتولية الصحفيين أرفع مراكزها منذ أن كانت، ولم تبخل عليهم، مع ذلك، بأصناف الاضطهاد، عهداً بعد عهد. خشب الصحافة، من ذلك، أن الحاكم منها كالمعارض كالمضطهد لا ينسى... وإذا مات فيعرف كيف يخلد.

مات تقي الدين الصلح؟

لا... حمل معه أوراقه والذكريات والأسى والطموح والجلد الطويل والأحلام الحلوة... لفّها كلها بالسأم، كما يلف جسده بالعباءة أيام الشتاء وأحنى طربوشه وابتسم وراح يلتقي الأسلاف الأبطال، راح يلتقي رياض ورفاقه من فرط ما نبحت لهم عن خلافة تصلح لتشرين جديد.

راح في تشرين... بل راح مع تشرين!

رجاؤنا ألا يكون أخذ معه جيلاً بكامله، جيل تشرين، وجمال الخريف الذي كان يعاند الشتاء.

جورج مصروعة: (ابن زيكار)... رواية تحققت^(٢١):

تقف لتتحدث عن جورج مصروعة، فإذا بك تتحدث عن ابن زيكار.
أمير من صور، أسس لنا حكاية المعاناة من أجل الأرض وحرمتها
والحريات.

ويصف جورج، في مقدمة حديثه للرواية التي أطلقته، لقاء مع الأمير،
فيقول:

«كانت صلاة فاتحتها نظرة صادقة إلى حقيقتنا، تشعرنا بأننا كبار.
نتدفق من حبسنا الضيق، فنملاً الآفاق، ونحس أن كل ذرة، وكل لون،
وكل نبضة من تلك الجمالات هو لنا، ومنا، وفينا.

ولا عجب، إذ كنا كلنا إيماناً راسخاً بأننا من هذه الأرض ولها.

وهي الباقية لنا، كما ستبقى هذه السماء، وهذا البحر، وجارته، بل
أميرته صيدون، وأختها صور، وكلتاها من المدن التي يقف التاريخ لها
إجلالاً».

نعم، تلك كانت أيام الحلم الكبير في الحبس الضيق.

أذكر جورج مصروعة، أول ما أذكره، في أيام الحلم تلك، بل أيام
الصلاة للتاريخ والأرض.

ترافقنا آنذاك، غداة إطلاقه من معتقل المية ومية، وكان عهد جيله
بالحرية المستعادة حديثاً، وعهد المقبلين منا على تلك الحرية، كالبرعم
المتفتح على النور، يبحث عن يناع.

كان العائدون أسطورة.

ابن زيكار كانوا، وهنيئلاً.

فيها أجمل أن يحلم الشباب بالتاريخ مستقبلاً، وكأنما البطولات
الحاضرة ما هي إلا استئناف لذلك التاريخ.

لا تزال صورة جورج، تلك الأيام - هل نبوح؟ في مطلع الأربعينيات - يمشي مسرعاً في سوق إياس كمن يريد أن يعوض زمن الأسر، ثم تراه يتسلق السلم المتعرجة إلى المكتب المتواضع وكأنه يتسلق فضاء الأمجاد. ماذا فوق؟

دار نشر أسسها، ورواية اسمها «ابن زيكار». وكان مني، عند تلك الدار، باكورة التأليف: بحث في «واقع الأمة وجوهرها»، أظنه قرئ تلك الأيام إلى حدٍّ، وبت اليوم أخاف على العقل من استعادة قراءته. ولا أعرف إذا كان لا يزال في بطن مكتبة ما. لذا تراني يا جورج جئت أستذكر لأشهد. وما أطيب الشهادة كما تعلمناها معاً وترافقنا في ممارستها، مسافات متفاوتة ثم تلتقي.

أول الشهادة أن الرواية أصدق من التاريخ. ذلك أنها تزيد الوقائع والوثائق بعداً آخر، هو بالذات بُعد الصلاة. أي بُعد الإيمان المحيي، وبُعد القلب الأصدق من الفكر، لأنه يجذر الإنسان في أرضه أرضين: الأرض الزمانية، وهي التاريخ، ثم أرض المكان، وهي الوطن الذي منه وبه نحيا، ولا يحيا هو، والتاريخ، إلّا بالإنسان... الإنسان الفاهم. والإنسان العاشق في آن.

من قال إن التراب الذي حملناه، تاريخاً بعد تاريخ، ومن شاطئ إلى شاطئ، إلى صيدون ومن صور إلى قرطاجنة - من قال إن التراب جماد؟ كل حفنة منه حفنة أحلام.

وكم تتوجع الأرض عندما تدوسها أقدام الغزاة، فيسمع أنينها بل الصراخ هؤلاء الذين يعشقون، كما في الرواية، حتى الموت. لأنه ليس من بطولة ولا شهادة من غير عشق.

أوليس هذا ما تقول، يا ابن زيكار، يا جورج؟ ولنؤرخ قليلاً، على هوانا.

كانت بيننا وبين الناس فينيقية. أردناها آفاقاً رحبة متوسعة توحد،
وأرادوها انحساراً وعزلة...

ثم إننا أردناها ثروة مستمرة في حياة تدوم حتى اليوم، تستحدث
حالتها ونستحدثها عصراً بعد عصر، لا تنسخها حضارة تخلفها، ولا هي
تريدنا أن نستحيل أضغاث أحلام في هياكل الآثار.

وأرادها الآخرون فينيقية المتحف. توقفت عن الحياة واكتفت بما
كانت قد أنجبت، فيرفضون عنها ولها أبدية الحياة من أجل أبدية الصورة.

فينيقية ضد التاريخ، وتاريخية ضد فينيقية...

تلك كانت المسألة.

وابن زيكار جورج مصروعة، كما في كل مأساة، يصارع القدر

قدرين:

واحداً ينكر الماضي،

وآخر ينكر المستقبل،

بينما الحاضر الزاخر بالحلم يتعذب بينهما.

وبعد، أينك الآن يا بن زيكار؟

في ما يقارب النصف قرن من العطاء الأدبي، تجاوزت الصراع

واختصرت القدرين، من غير أن تفقد شخصيتك وداعة الهانئ بمعرفته، ولا

يفقد قلمك براعة اللغة الملساء السلسة، تنساب منها الكلمة جداول مباشرة

إلى أعماق النفس والبصيرة.

الحكايات تنسج التاريخ أبطالاً أبطالاً.

وضحايا وضحايا.

ضحايا الحلم، وضحايا الحب، وضحايا التخلف الاجتماعي،

وضحايا الجهل السياسي... ثم أبطال ذوو إمبراطوريات أرحب من

طموحات: هنيئلاً.

هكذا «كونت» الإنسان، جعلته كوني التحسس والثقافة والتذوق،
عربي اللسان ولا أجمل، غير أنه يغرف من كل تاريخ وكل أدب.
من قال إن الترجمة هي مجرد احتراف النقل الخارجي من لغة إلى
لغة؟

ذلك هو تجاوز الصراع، قلنا.
إنك، في عصر تفجر القوميات، صرت أوسع العرب انتشاراً، وأعمق
اللبنانيين جذوراً.

أوليس هذا هو بالذات التدفق من الحبس الضيق الذي كنت تحلم به
في المعتقل؟

ما أطيّب السجون عندما تعصر فينا رسالة تجعلنا نتدفق، فنحطم
أسوارها وكل أسوار أخرى، بما فيها أسوار العقل والعقيدة والتاريخ.

في وطن صار كله معتقل «مئة ومئة»، بل ألف وألف، كان لك ولنا
أن نصنع، حلماً وصلاة، وبالقلم والكلمة، لبنان جديدة تركز إليه الحرية،
يظل بحجم الطموح الكبير، يصنع لكل جيل جديد وطناً أبداً متجدداً.

فطابت لك يا جورج مصروعة صلاة ابن زيكار، صلاة «ايونة» تطلقها
وأنظارها - تقول في كتابك - تائهة بين النجوم، وهي صامدة كأنها الصنم:

«ايه ملقرت!

يا إله الرموز الخفية، والنور المنعش،

يا إله النار المحرقة، وسيد الخافقين،

يا حامي الشواطئ اللازوردية ومخضع ثورة الأنواء، يا روح السماء
المتجسدة في الشهب، أمددنا برضاك، واشملنا بعفوك»

تلك كانت الصلاة...

فقم يا جورج، قم نهلل... ما أحلى وأعظم «الرموز الخفية»...

قم نقول، كأننا في رواية منك تنتظر أن تكتب... قم نقول: مرحى بك
في آخر الطريق كما في بدايته...

مرحى بك في الحرب كما في السلام...

مرحى بك في العظمة كما في السقوط...

مرحى بك دائماً أيتها النار المحرقة، يا نار الحرية، يا نار الحقيقة،
يا نار الشهادة...

فنورك هو النور، وحريقك أعظم تسييح لمجد الحياة.

توفيق يوسف عواد: يوميات الجمال الساخر^(٢٢):

لم أكن هنا عندما قتل توفيق... لا أعرف إذا كانت طواحين بيروت
هي التي هرسته، متنكرة في زي قبلة.

أعرف أنه لو قدر له أن يختار لمصرعه خشبة مسرح لما فضل أي
ديكور على القصر العتيق.

ولا كان الإنسان فيه تمنى أحسن من رفقة الابنة ومن له ولها... حتى
الموت، في لحظة لا وعي بارقة، يكتسب هكذا حناناً ليس له، وكأنه من
تأليف الضحية.

منذ أن كنت صبيّاً يطوف بين أهل «النهار» وأوراقها، لم أكن أفهم
كيف يكون مؤلف «الرغيف»، فضلاً عن «الصبي الأعرج»، رئيس تحرير
جريدة يومية سياسية...

أديب، يجعل من القصص حياة خالدة... ويتعاطى صناعة الأخبار
التي تنتهي كل نهار؟

لعلي لم أكن أعرف أن «الأستاذ توفيق»، في زي «حمّاد»، كان يحل
العشرين سطرّاً على العمود الذي يكتب يومياً في زاويته «نهاريات» في مرتبة
موازية للعشرين عنواناً الذي يستنبط من عشرين «قطعة»، ويزيد، كان يمر
عليها قلمه مصححاً.

وكم كان يمزّق من الأخبار والمقالات والرسائل يطعمها سلة المهملات «القش»، بجانبه، وكأنها شريكته.

هذا كله طبعاً في لحظات.

أما «النهاريات»، فينحتها سطرّاً سطرّاً، وكلمة كلمة، بل حرفاً حرفاً. بلغة اليوم، كل «نهاريات» رسالة.

من أبسط الأخبار كما من أخطرها، يستخلص توفيق يوسف عواد واحداً من اثنين: إما نكتة لاذعة، أو مقالاً متعالياً.

تلك كانت أيام الأدب في الصحافة. كانت الصحافة تحن إلى جذورها. لم يتعلم الصحفيون بعد أن اللغة - فكيف بالأدب؟ - مسألة ثانوية لا علاقة لها بحسن رواية الحوادث، مثلاً، أو البرقيات الخارجية، أو تلك «المحليات» التي تتصنع أن تكون أخباراً.

لا أعرف إذا كان أول رئيس تحرير في «النهار»، عهد جبران تويني، اعترض يوماً على ما كان إبراهيم اليازجي يسميه، منذ القرن السابق، «لغة الجرائد». ولو عاصرنا اليازجي اليوم وفي أمسنا القريب، لكان تحدث عن الاختزال الصحفي ربما... مختصر مفيد، بدون نكتة ولا رأي، من عدوى «وكالات» الأخبار الأجنبية وترجماتها...

لغة توفيق كانت «السهل الممتنع» الآخر، مختصر مفيد إنما من نوع رفيع... في كل «نهاريات» لمعة أو اثنتين تشعر معها بأنك، عن أبسط الأمور، تقرأ شيئاً مختلفاً جداً، الكاتب جاء من الآفاق الرحبة الملونة بأنوار، حيث للواقعية، حتى الواقعية القبيحة، مسحة جمال.

ولعله توفيق يوسف عواد أبرع من تعامل مع الجمال الساخر، فكانت تلك واقعيته الأكثر بلاغة من أدبه... وفي الصحافة طبعاً.

استجمع الذكريات عن توفيق، فأجدني عاجزاً عن بلوغ ما كان يريد لصورته دائماً من الأناقة، بل التأنق.

هو واحد كان يتمنى، لو أعطي له ذلك، أن ينذره القدر فيكتب رثاءه بنفسه... حتى يكون الأثر جمالاً.

وكان لا بد يختم بيت أو بيتين من شعره، ربما على النمط الذي اقتبسه سفيراً من اليابان، لأن الصياغة نحتاً وتقليماً وتلميعاً صاقت إنشاءه. ولكن، من أين لي أن أقول...

ولا تطبقوا عيني إذا متُّ وارفوا بعيني ولا تلقوا تراباً ولا سترأ على موعد عيني وراء الذي رأت له وقفْتُ عمراً به تُنزلُ القبرا معلمنا: إميل داغر^(٢٣):

لا أعرف، ولا أحد سيعرف، متى قرر إميل داغر أن يستشهد نفسه! لكنني أعرف أنه من عذابات الحرب وآلامها، خرج بقرار استشهاد. لم يحمل، وقد بلغ السابعة والستين وزادها حكمة ومعرفة - لم يحمل بندقية ينزل بها إلى خطوط تماس ما... حمل قلمه وظل يمارس، ويمارس، ويمارس إلى أن مات...

وكان كأنه، بالقلم، يريد أن يمحو الحرب وحدودها! هكذا، يشطبها، كما كان «يشطب» للمحررين، وأكبرهم، الكلمة النشاز، أو يصحح المقالات والأخبار والعناوين، حرفاً حرفاً، يدقق معهم ولهم، عبر الحروف، الفكرة والخبر، ثم جواز قول هذه أو إيراد ذاك، وماذا نسند إلى من، وكيف، ومتى ولماذا...؟ ومع ذلك، لم يغضب هو حرفاً، ولا انتقم منه محرر كلهم كانوا، إلى أمس، يهتفون: «معلمنا إميل».

لكن الصورة التي يتذكرونها ليست تلك التي عاشها كل محرر في «النهار» ٣٦٥ يوماً في السنة. بل صورة أخرى لعلها الأبقى لأنها الصورة الأخيرة التي شاهدها قليلون، وغدت نموذج الغيظ الصامت: «الأستاذ إميل» يعبر «المتحف» سيراً، يوم ظن أنه طاب من مرض يغالبه، وفي يده عصاه، لا القلم!

ليست العصا الغليظة التي يحلم الصحفي بأن يضرب بها الكذب والرياء. بل عصا نحيلة كان يتكئ عليها ليحمل نفسه، من بيروت إلى بيروت، يظل يمارس حتى الساعة الأخيرة.

هكذا، «معلمنا إميل». كبرنا الآن.

غلبه القدر على ليالي القنابل ورصاص القناصين واغتيالات المقاتلين. فغلبه «الشغل»!

كان يقول: «بدي إجي على الشغل».

حتى صباح خطفه، عاد إلى «الشغل»، كأنه لم يواجه الموت مع اثنين من كبار زملائه كانوا «يسرّبون»، في آخر الليل، من سنين، فخطفهم «خطافون» آنذاك، وعروهم، أو ما قارب ذلك، ورصفوهم إلى حائط كما ترصف الحجارة، المنبودة، وهيؤوهم للقتل، بينما إميل يصر على «الحوار» معهم ولا يبالي... ولكن حضر، في اللحظة الأخيرة، من ينقذهم، وينقذنا من الشر!...

ومع ذلك، لم يبح أحد منهم. بذلك لأحد، ولا صرخ، ولا هول ولا استصرخ.

كان ذلك ساعة دفع الجريدة إلى الطبع.

وعندما كنت أنت أيها القارئ تقرأها، كان «معلمنا إميل» يعود «يعبر» باسمًا، بل ضاحكًا، إلى... «الشغل»، في الحمراء!...

فقط لأنه... «الشغل»؟

لا، لا... لأنها الرسالة.

أجيال وأجيال من الصحفيين تخرجت، علّمها بقلمه.

كل صباح، في كلية الإعلام. بصبر كان يصح أن يكون قليلاً أيام زمان، فإذا بالحاجة إلى الصبر تتزايد مع... سنوات الحرب التي أكلت في ما أكلت، معارف الطلاب الجالسين إليه، وربما كذلك صبرهم هم، بل الجلد على المعرفة.

ثم مساء، حتى آخر الليل، إلى المخبرين، يصيرون، بفضل قلمه، مراسلين فمحربين فمعلقين... وتظل حاجتهم إلى «الأستاذ إميل»... يتغير شغلهم ويزداد القدر والمساهمة، والحاجة إليه لا تتغير؟ كأنها، بلغة الحرب، رصاصة: الغلطة، ولو «صرفاً ونحواً»، تجرح إميل في جسده، ووحدها تغضبه إذا تكررت - فمن يجرو؟

حتى أن تلاميذ إميل داغر، في «النهار» وحيثما انتشروا، صار عندهم «قاموس» يعودون إليه في شأن ما يجوز وما لا يجوز... على ذمة واحد من أبرزهم كان أمس، معنا، لا يعرف من نفتقد أكثر: الإنسان الذي نحب، أم... معجم المهنة التي حبّبا الإنسان إلى قلبنا! في معجم المهنة هذه إن أهمنا ربما كان المجهول بيننا، والمعروف منا فقط.

... نخفيه، نخبئه، كما «سر المهنة»، وراء كثافة المناقبية الصحافية التي لا يحترم الصحافي نفسه والآخرين من دونها... ومن دونها لا يركن إليه قارئ، وكلاهما جندي الآخر المجهول: القارئ الذي لا نعرف، و«المعلم» الذي لا يعرفه القارئ، لأنه، بلغة الحرب، يظل وحده «يمترس» وراء الحروف، كأن لا حياة من دونها، ولا سواها.

حيث هو الآن، هل يقرأ «معلمنا إميل» جريدة بلا خطأ؟ خلود الصحافي أن يقدر الذين يعاملون الكلمة من بعده على إبقائها، رفيعة، حرة كالروح، أقوى من زوال الورق... فكيف لا تكون أقوى من الحرب ومن الاستشهاد؟

رشدي المعلوف: مختصر مفيد... جميل (٢٤):

أحلى أيام رشدي المعلوف التي أذكر لم تكن تلك التي تزاملنا خلالها في الصحافة... مع أن هذه لم تكن بيننا مرة. معاً، تألمنا بمرارة لما كنا نكتب، وإن من زاويتين مختلفتين، عن الأيام الرديئة التي كانت تقبل علينا.

غير أن رشدي كان يكتب عنها، حتى عنها، بجمال، بل بلطف، أين منه ما كنت أتجه إليه من واقعية غالباً ما كانت تداني القساوة، وتتجاوزها أحياناً.

وكان التناقض في الإنشاء هذا يذكرني بما كان رشدي يعلمنا، أيام تدريس الأدب العربي في الثانوية: حتى اللوحة المرسومة التي تمثل كائناً بشعاً يمكن، بل يجب أن تكون جميلة!

إذ ذاك، على مقاعد الدراسة، ربما لم أفهم رشدي جيداً، على رغم أنه طبعني، كما أكثر من تلميذ أذكرهم، بمحبة الأبيات الجميلة من الشعر الحديث التي لم تكن الشعر الذي يفرض البرنامج تعلمه وترداده «عن ظهر قلب»!

ومذ ذاك وأنا أذكر رشدي بأنه كان معلمي... فيبتسم طويلاً، هذه الابتسامة الهائلة والساخرة في آن، ثم يقول إنني برعت في الكثير ولم أحسن ما كان مفروض أن يدرسنني، أي اللغة وآدابها.

صحيح. بعد أن صارت مقالاتنا تتجاوز كل يوم، صرت أدرك كم أنه الأعرف منا جميعاً في استنطاق اللغة الأكثر بلاغة بضع كلمات بسيطة تقول كل شيء.

«مختصر مفيد»... .. جعل العبارة عنوان زاويته في «الجريدة» أولاً، ثم عنوان مقالاته في جريدته «الصفاء»... ويا ليته كان يقول: «مختصر جميل»، لأنني لا أذكر مقالاً واحداً غابت عنه النظرة الجمالية إلى الحياة والسياسة التي كان رشدي رائدها والمعلم وربما آخر من يتجرأ على احترامها.

«مختصر مفيد»؟... لا، بل «مختصر جميل» كان يجب أن يكون العنوان. ولو أردت اليوم ابتكار شعار لمجموعة ما كتب لما وجدت غير هذا: «الجميل الموجه».

ذلك أني لا أذكر من رشدي مقالاً لم يكن «جمالي» البنية والتطلع...

كما لا أذكر مقالاً لم ينطلق من وجع في نفسه لظلم أو شذوذ أو تقصير أو قباحة. وكان رشدي كأنه يريد أن ينقل الوجع الذي في نفسه من حالة الفاعل إلى وجع في نفس المسؤولين، إنما في حالة «المفعول به»...

وكان يكتب ببساطة الكلام الجميل، فيتذكر القلائل منا الذين تحلقوا حوله في «مخزن دال»، ذات سنة في الأربعينيات كيف أراد رشدي أن ينتقل من التدريس إلى التجارة (لينعم بحرية اقتصادية تمكنه من الانصراف إلى الرسم والموسيقى والتأليف) فتحول متجره الأنيق، قرب ساحة البرج العتيقة، إلى حلقة أدبية دائمة، بل إلى مثل «الأكاديميات» المصغرة التي كانت تعيش بها «الاغورا»، أي ساحة السوق في أثينا الإغريق القدامى. ثم كانت الصحافة.

أولها، شأن سائر الأدباء معاصريه، مقالات في مجلة «المكشوف»، وأبرز تلك مقال قديم كان أول إطلالة لأنطون سعادة المفكر.

وبعدها الشعر. ما كان أجمل الشعر البسيط، كقصيدة «بلادي»...

وبعدها هذا الدفق الغزير، يشرح الفنون للناس، وأصعبها، الموسيقى الكلاسيكية، بأبسط المعاني والكلمات.

وأول السياسة العامة «البرلمان الأمثل»، تعلمناه كلنا وغيبناه... فتعاضمت خيبتنا بالواقع لما كنا نقيس الواقع، مثل رشدي، بالمثال.

تُرى، هل نعرف يوماً لماذا كان رشدي المعلوف يصبر دائماً، المرة بعد المرة، على النزول من مصاف المثالية إلى صخب الواقع وخبائته؟

لماذا، مثلاً، يتجاوز «المختصر المفيد» ليصبح... صاحب الجريدة بدل أن يظل سيد المنبر؟

يوماً ما، يجب أن يكتب وريث للأدب المعلوف في حكاية المأساة التي يعيشها شاعر كرشدي صدق السراب فظن أن مسؤولية الجريدة هي مفتاح حريتها... وليس العكس!

كيف؟... سيأتي الزمن.

الدوحة الجميلة التي كان لها، في البيت الواحد، فلسفة فخري وأدب
رشدي وعلم حلمي وشعره، ثم صحافة أمين وأدبه الروائي، وكل ما كان
حولهم ومن بعدهم، وصولاً إلى أسمى مراتب التأمل الرهباني والتأليف
اللاهوتي والبحث العلمي...

في زمن الشهادات، هذه الدوحة يجب أن تنصف هي رشدي الذي
يظل الغصن الحنون الأجل... الأكثر حقاً بالبقاء!



هوامش البحث

- (١) مقدمة المجموعة الثانية من (في وضع النهار)، ١٩٣٦ - ١٩٤٦، بتاريخ ١١/١١/١٩٥٧م.
- (٢) أُلقيت في حفلة تكريم ميشال شيحا في (الندوة اللبنانية) ونشرت في (النهار) في ٢٨/١٢/١٩٥٤م.
- (٣) أُلقيت في احتفال أقيم في كنيسة الجامعة الأمريكية تخليداً لذكرى رامز سركيس الذي توفي في ١٢/١٠/١٩٥٥م.
- (٤) كلمة أُلقيت في ذكرى فؤاد سليمان بدعوة من جمعية أهل القلم ونشرت في (النهار) بتاريخ ١٢/٢/١٩٥٤م.
- (٥) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.
- (٦) نشرت في كتاب (كامل مروة كما عرفته)، صدر عام ١٩٦٨م.
- (٧) تليت في ذكرى عفيف الطيبي التي أحيتها نقابة الصحافة في ٢/١/١٩٧١م وكان غسان تويني آنذاك وزيراً للإعلام.
- (٨) أُلقيت في ذكرى مرور أربعين يوماً على غياب جورج نقاش ونشرت في (النهار) بتاريخ ٢٤/٦/١٩٧٢م.
- (٩) أُلقيت في ذكرى وفاة صلاح لبكي في بعيدات بتاريخ ١٤/٨/١٩٧٢م.
- (١٠) في ذكرى مرور سنة على غياب مارك رياشي عام ١٩٧٤م.
- (١١) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.
- (١٢) أُلقيت في مهرجان تكريمي لكمال جنبلاط في ٢٠/٩/١٩٧٢م ونشرت في اليوم التالي في «النهار».
- (١٣) صدرت في كتاب نشر في ذكرى سعيد فريجة عام ١٩٧٩م.
- (١٤) (النهار العربي والدولي) بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٠م.
- (١٥) (النهار) بتاريخ ٢٤/٧/١٩٨٠م.
- (١٦) (الجمهورية الجديد) بتاريخ ٤/٢/١٩٨٢م.
- (١٧) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.
- (١٨) (النهار)، بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٨٧م.
- (١٩) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.
- (٢٠) قسم من هذا المقال نشر افتتاحية في (النهار) في ٢٨/١١/١٩٨٨م، عند وفاة تقي الدين الصلح.
- (٢١) أُلقيت في (بيت المستقبل) في ٣١ أيار ١٩٨٨م.
- (٢٢) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.
- (٢٣) (النهار) ٩/١/١٩٩٠م.
- (٢٤) تموز ١٩٩٠ - مقال غير منشور.

البصرة في مذكرات سليمان فيضي

د. حسن علي عبد الله

الخلاصة:

هناك شبه اتفاق بين الباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر بشأن أهمية الوثيقة في الكتابة التاريخية، ومن يتجول في المكتبات يجدها تزرخ بكتب وثائقية ودراسات اعتمدت الوثائق مادة أساسية، ومنها كتب المذكرات الشخصية التي اعتبرت وثيقة ناطقة على الرغم من وجود بعض الملاحظات عليها والمتمثلة بغلبة الانطباعات الشخصية.

لكل كاتب مذكرات مرتكز مكاني وزماني ورجال ساهموا في صنع أحداثها، في ضوء ذلك ارتكز البحث على موقع البصرة في تفكير سليمان فيضي كما تناولتها مذكراته والتي كانت بعنوان (مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق) تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي في طبعها الثالثة والتي تمت في بيروت ١٩٩٨.

اعتمد البحث على الطبعة الثالثة للمذكرات التي أدرك منظمها أهمية الالتزام بالنص مع بعض الإضافات الإيضاحية في بعض محطات المذكرات دون المساس بجوهر الفكرة أو تقود إلى تفسير آخر غير الذي قصده صاحب المذكرات، ولتحقيق كل ذلك أدخلت بعض الملاحظات على فصول المذكرات كلما اقتضت الضرورة.

المقدمة:

ظهرت كتابات كثيرة تناولت تاريخ العراق بصورة عامة ومدنه المختلفة بصورة خاصة خلال حقب مختلفة من التاريخ القديم إلى التاريخ المعاصر. تُعدُّ كتب المذكرات واحدة من المصادر المهمة في الكتابة التاريخية لأنها تعتمد الوثائق التي قد تزيل الغموض وتدفع باتجاه قراءة جديدة للأحداث. على الرغم من ذلك إلا أن الحذر واجب في التعامل معها لما تتضمنه من انطباعات شخصية.

من هنا تأتي أهمية البحث المعنون: (البصرة في مذكرات سليمان فيضي).

قسم البحث إلى مبحثين:

الأول كان بعنوان أهمية كتب المذكرات واختيار النموذج والفرق بين من يكتبها في حياته ومن تكتب له بعد وفاته كما حصل مع صاحب المذكرات.

لقد تم استعراض عدد الطبقات التي طبعت فيها المذكرات قيد البحث وأسباب اختيار الطبعة المحددة، وتناول المبحث السيرة الذاتية وبناء الشخصية وتأثير البيئة والعائلة على صاحبها منذ ولادته في الموصل وحتى استقرار المقام به في البصرة والتحول الكبير في حياته بعد انتقاله من المدارس الأميرية إلى العسكرية ثم إلى الوظائف المدنية والتأليف.

المبحث الثاني كان بعنوان نشاط المؤسسات الخدمية والسياسية في البصرة والعلاقة مع أبرز رموزها. فقد تعرض إلى الفقرات التالية:

الأولى/ تناولت الوضع الأمني في البصرة منذ أواخر العهد العثماني والاحتلال البريطاني وانعكاساته وموقف رموز البصرة من ذلك.

الثانية/ تناولت التعليم وكان محورها تأسيس أول مدرسة وطنية في البصرة تحت أوضاع تعليمية متخلفة في معظم الولايات العثمانية فما بالك بالولايات النائية مثل البصرة إضافة للاختلاف المذهبي والذي يحظى بأهمية من قبل الدولة العثمانية.

الثالثة/ تعرضت إلى الجمعيات والأحزاب السياسية في البصرة وجرى التركيز على أبرز هذه الجمعيات والأحزاب التي تركت وصمات في الساحة البصرية.

حملت الفقرة الرابعة عنوان الزعامة السياسية في البصرة والعلاقة مع السلطة العثمانية والبريطانية، وتتمثل هذه الزعامات السياسية بشخصية طالب النقيب ذي الإرث العائلي المعروف والموقف من السلطة الحاكمة، مع إدراكنا أن المحرك الأول لطالب النقيب المصالح الضيقة أكثر من أي عامل آخر، ويبدو أنه يعتقد أن المصلحة العامة تتحقق من خلال المصلحة الخاصة، إلا أن سلطات الاحتلال البريطاني لم تدرك ذلك وعندما تعارضت مصالح سلطات الاحتلال مع طروحات طالب النقيب كان حل ذلك نفيه إلى خارج العراق وبدون السعي لإيجاد حلول توفيقية.

أكدت الخاتمة أن صاحب المذكرات شهد في حياته تنقلات كبيرة بفعل ضغط الأحداث من الانتماء للمدارس الدينية إلى الأميرية ثم العسكرية وصولاً للممارسة السياسية بفعل الالتقاء مع أبرز رموز البصرة مركزاً على إظهار طالب النقيب بوجه واحد كشخصية معارضة بصورة دائمة بدون أي مساومة، إلا أن هناك مصادر أخرى أشارت إلى غير ذلك ولو سعى كاتب المذكرات لإظهار صورة طالب النقيب بدور المناور لكان أجدى.

اعتمد البحث على مصدر أساسي وهي مذكرات سليمان فيضي إضافة إلى مصادر أخرى للمقارنة والتعليق.

أتمنى أن أكون قد وفقت في إبراز جانب من تاريخ البصرة في مصدر مهم لدراسة التاريخ.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

أهمية كتب المذكرات واختيار النموذج

هناك اتفاق بين الباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر بشأن أهمية الوثيقة في الكتابة التاريخية، ولا غنى لمؤرخ ولا باحث عنها وبعبكسها سيتم اللجوء إلى المراجع الضعيفة. من يتجول في المكتبات يجدها تزخر بكتب وثائقية ودراسات اعتمدت الوثائق مادة أساسية ومنها كتب المذكرات الشخصية مع وجود بعض الملاحظات عليها ممثلة بغلبة الانطباعات الشخصية والمبالغات، إلّا أنها تبقى معيناً أساسياً للمعلومات والحقائق، ارتكز البحث على موقع البصرة في تفكير سليمان فيضي كما تناولها في مذكراته والتي كانت بعنوان (مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق) تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي في طبعها الثالثة والتي نشرت في بيروت عام ١٩٩٨. وبلغ عدد صفحاتها ٥٣٦ صفحة.

صدرت الطبعة الأولى للمذكرات عام ١٩٥٢ بعد سنة من وفاة صاحبها وكانت بعنوان (في غمرة النضال) وتضمنت أحداثاً ورجالاً ما زالوا على قيد الحياة في حينها ويدركها عدد من رجال الثقافة والسياسة. هذه الميزة^(١) ساهمت في نفاد الطبعة الأولى من سوق المكتبات. وبعد مضي ما يقارب الربع قرن صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٧٤ في بيروت إلّا أن عدد النسخ التي صدرت قليلة ونوعية طباعتها غير جيدة بسبب اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وعدم متابعة القائمين على طباعتها^(٢). وبعد مضي ما يقرب الربع قرن عن صدور الطبعة الثانية صدرت الطبعة الثالثة، والتي هي قيد الدراسة بفعل عوامل منها:

إن الطبعتين اللتين صدرتا بعد وفاة المؤلف اعتمدتا على ما أملاه صاحب السيرة لابنته السيدة ليلي دون الرجوع إلى مخلفاته الورقية والتي تضمنت معلومات مهمة قد تغير بعض الطروحات، أو الرجوع إلى من

عاصروه من الأشخاص وإجراء المقارنات مع مذكرات بعض الساسة الذين كتبوا مذكراتهم في حياتهم.

منذ وفاة صاحب السيرة صدرت العديد من الدراسات والمذكرات المعتمدة على وثائق جديدة، وكذلك سمحت بعض دوائر التوثيق البريطانية بالاطلاع على وثائق ممن قد مضى عليها فترة زمنية، إضافة إلى الوثائق العراقية. كل هذه المصادر تندفع إلى تحليل جديد للمواقف التي يتخذها المرء فما نراه الآن مناسباً ليراه البعض الآخر كذلك.

ومما تقدم يبدو أن ظهور الطبعة الثالثة أضحت ضرورة حتمية لتزيل بعض الغموض الذي ظهر في الطبعتين السابقتين. ومن الممكن القول إنها مزيدة ومنقحة كما أكد ذلك نجل صاحب السيرة بقوله: «لقد تطوع أخي باسل لإعداد الطبعة الثالثة للمذكرات فدقق النصوص وأوراق المؤلف وملفاته وأجرى تحريات وافية لكل ما ظهر من بحوث ووثائق»^(٣).

أدرك منظم الطبعة الثالثة التي اعتمدها البحث أهمية الالتزام بالنص مع بعض الإضافات الإيضاحية في زوايا محطات المذكرات دون المساس بجوهر الفكرة أو قد تقود إلى تفسير آخر غير الذي قصده صاحب المذكرات، ولتحقيق كل ذلك أدخلت بعض الملاحق على فصولها كلما اقتضت الضرورة.

اعتمدت الطبعة الثالثة كأساس لمن أراد الاستناد إلى مذكرات سليمان فيضي في الإحالات العلمية، وهذا ما جعل البحث يعتمد عليها. يعد صاحب المذكرات عصامي الشخصية لذلك لا بد لنا من التطرق للعوامل التي ساهمت في بناء شخصيته.

تُعَدُّ نشأة الإنسان من العوامل المؤثرة في بناء الشخصية، والأخيرة تمثل إحدى مظاهر الحياة الشعورية للإنسان، بل تجسد نظاماً متكاملاً من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والإدراكية، وهي قابلة لأن تحدد هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد منذ بداية نشأته وحتى التكون الأخير لشخصيته^(٤).

الولادة والنشأة:

ولد سليمان فيضي^(٥) ابن الحاج داود ابن الشيخ القصاب العوادي^(٦) في الموصل عام ١٨٨٥^(٧). عرف والده بشدة ورعه وتقواه وذاع صيته في الموصل بأنه رجل مبروك لذلك قصده الأهالي للبركة عندما يشتد بهم المرض، إلا أن هذه البركة التي كانت تحل على الآخرين لم تحل على والدته سليمان فيضي التي توفيت بعد تسعة أشهر من ولادته مما دفع والده للاقتران بامرأة أخرى. هذه الظروف جعلته ينشأ في بيت جده إلا أنها زادته صلابة لتخلق منه رجلاً عصامياً يصمد أمام الظروف الصعبة وهذا ما جعله ليكون موطن أسرار طالب النقيب^(٨).

تأثر سليمان فيضي بتوجهات والده الدينية الذي أدخله الكتاتيب لتعلم وحفظ القرآن وأوليات الفقه، لاعتقاده أن أي دراسة غير دينية تُعدُّ إحداداً، وهذا الأمر طبيعي لرجل كان يقضي معظم وقته في المسجد^(٩). إن توجهات الأب لا تتماشى مع طموحات الابن وكان عليه اختيار أحد أمرين:

الأول: الموافقة على توجهات الأب وبالتالي السير في حياة رتيبة.

الآخر: المعارضة لتوجهات الأب والسعي الجاد لإقناعه لتغيير وجهة نظره لذلك لجأ للأقرباء ليساهموا معه في تنفيذ خطته وأفلحوا في ذلك. هذه النتيجة ستغير توجهات سليمان فيضي الساعي للحصول على مستوى من التعليم في وقت كان عدد الطلبة الذين يرتادون المدارس قليلاً جداً^(١٠).

تم قبول سليمان فيضي بالإعدادية الأميرية^(١١) عام ١٨٩٥ في السنة العاشرة من عمره^(١٢). تُعدُّ هذه المرحلة نقطة تحول كبيرة في حياته في وقت لم تكن لسكان الموصل نظرة موحدة للتعليم ويمكن تقسيمهم إلى:

القسم الأول لا تود تعليم أبنائها وهم قسم من الأثرياء الذين يعتقدون أن اكتفاءهم المالي يغنيهم عن تعليم أبنائهم.

القسم الآخر يعتقدون ضرورة تعليم أبنائهم في مدارس الأوقاف

الأهلية فقط لاعتقادهم أن المدارس الأميرية تبعد الطالب عن الدين، وكذلك فإن مدارس الأوقاف تخلص الطالب من الجندية إضافة إلى ذلك قد يصبح من العلماء المجازين في الدين.

القسم الثالث ويشكل نسبة ضئيلة ممن يوافقون على دخول أبنائهم المدارس الأميرية^(١٣). إن اندفاع سليمان فيضي للتعليم غير الديني له ما يبرره، فبعد إتمام السنة الرابعة في المدرسة الأميرية بدأ الاستعداد للانخراط في المدرسة العسكرية ببغداد إلا أنه وكما توقعها ستثير مشكلة جديدة بينه وبين العائلة التي وافقت على المدرسة الأميرية بتوسط الآخرين فما بالك بالمدرسة العسكرية. سعى سليمان لتنفيذ رغبته وتوجه إلى بغداد. تم قبوله في المدرسة العسكرية وحقق النجاح وانتقل من المدرسة الرشدية العسكرية إلى المدرسة الإعدادية العسكرية حتى بلغ الصف الأخير من المدرسة^(١٤).

إن النجاحات التي حققها في المدارس العسكرية كان يدفعه هاجس الدخول إلى الكلية الحربية التي كانت حلم الشباب إلا أن هذا الحلم لم يتحقق بعد فصله من المدرسة الحربية^(١٥). على أن يلتحق إذا كان في السن القانونية للجندية للخدمة الفعلية ويؤجل إن لم يكن في السن القانونية^(١٦). يبدو أن سليمان فيضي مؤمن بأنه يجب أن يتحمل كل التبعات لأن الدخول في المدرسة الحربية قراره الشخصي.

مثل قرار فصله صورة واضحة لأسلوب الإدارة العثمانية في التعامل مع العرب لذلك رفض الالتزام بالقرار وتوجه إلى نجد حيث معسكر عبد العزيز الرشيد أمير نجد وصاحب الحضرة عند السلطان العثماني. استجاب الأمير إلى طلبه وبعث برقية إلى استانبول طالب فيها برفع الفصل عنه^(١٧).

عاد سليمان فيضي إلى البصرة واستقر في دار الحاج طه الجلبي الموصلية وصدر بعد ذلك قرار إلغاء الفصل الصادر بحقه إلا أنه اعتبر أن ذلك يمثل بداية لنهاية حياته العسكرية.

مارس بعد ذلك أعمالاً مختلفة منها مترجماً بالوكالة القنصلية الإيرانية في البصرة بصورة مؤقتة^(١٨) ثم كاتباً بقلم محكمة الجزاء ومحكمة الحقوق ثم كاتباً بقلم المدعي العام، وشغل منصب معاون رئيس كتاب محكمة التجارة. هذه الأعمال دفعته لدراسة القانون والعمل مع السيد أحمد المحامي^(١٩).

اعتبر سليمان فيضي أن مهنة الكتابة هي هدفه الأخير في حياته، لذلك أصدر عدداً من الكتب بلغ عددها (١١) مؤلفاً منها: شرح قانون إحكام الصلح بجزأين، التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية، تعريب القانون الأساسي الأمريكي، الرواية الإيقاظية، البصرة العظمى، الفرق بين الجارتين بالإضافة إلى عشرات البحوث^(٢٠).

على الرغم من ولادته ونشأته في الموصل إلا أن استقراره اللاحق في البصرة التي تركت بصمات في حياته اللاحقة. وهو مقتنع أن أي سلطة تقوم على مرتكز يتحدد بموجبها ماهية السلطة فهي إما أن تقوم على جماجم الأحرار وأشلأ الضحايا أو سواعد وقلوب الشعب. والسلطة العثمانية كانت تقوم على المرتكز الأول، في ضوء ذلك تابع مذكراته لأوضاع البصرة منذ أواخر العهد العثماني.

المبحث الثاني

١ - نشاط المؤسسات الخدمية والسياسية في البصرة والعلاقة مع أبرز رموزها، الوضع الأمني في البصرة أواخر العهد العثماني والاحتلال البريطاني.

إن السمات العامة للولايات العثمانية عموماً أواخر العهد العثماني تتمثل بالتخلف في مختلف مجالات الحياة وفقدان الأمن واحد من أبرز سمات الولايات النائية ومنها ولاية البصرة لأنها تجمع سمتين سلبيتين من

وجهة نظر العثمانيين: البُعد عن مركز الدولة والأغلبية الشيعية وسيتم التركيز على لواء البصرة^(٢١).

أصبح اللصوص وقطاع الطرق في مأمن من العقاب بل يرتكبون جرائمهم في وضح النهار وأصبح همّ الناس الأساسي حراسة ممتلكاتهم بأنفسهم بل تمت عمليات اغتيال لبعض الشخصيات ومنها اغتيال الحاج منصور جلبي السامان عميد أسرة السامان في مقهى التجار وكذلك اغتيال خالد باشا العون شيخ الزبير^(٢٢).

يبدو أن الوضع الأمني قد يتغير من وال إلى آخر كما حدث عندما شهدت البصرة بعض الهدوء في عهد الوالي عزت أفندي الذي حكم الولاية عام ١٨٨٦ وكانت أساليبه في معاقبة اللصوص شديدة وبطرق عديدة^(٢٣). وعندما حكم الولاية حسين فخري باشا عام ١٩٠٤ أدرك حالة الانفلات الأمني لذلك قام بأعمال أرهبت المجرمين، بعد أن تمكن من إلقاء القبض على اللصوص، نفذ بهم عملية القتل ووضع جثثهم داخل أكياس وألقاها في النهر ولقب الوالي منذ ذلك التاريخ: (أبو الكواني)^(٢٤). تمتعت البصرة بالأمن وأخذ أهلها يلهجون بالدعاء للوالي الجديد.

وفي عهد الوالي مخلص باشا الذي حكم البصرة عام ١٩٠٥ ساهم في تدعيم حالات الأمن ببناء مخافر للشرطة وإنشاء ثكنة للجيش في منطقة العشار وشق طرقاً واسعة في منعطفات الأزقة ووضع أكشاكاً خشبية للحراسة^(٢٥). وسعى للحد من الفساد الإداري والرشوة.

في ظل الاحتلال البريطاني كانت الأوامر الصادرة من القادة العسكريين تقضي بمنع التجوال في الطرقات بعد غروب الشمس بساعة ونصف والذي يشاهد في الطريق يؤخذ إلى محل البوليس وبيات تلك الليلة على الأرض ويساق في الصباح إلى الحاكم العسكري ويكون أمامه إما الغرامة والحبس أو الضرب بالعصي^(٢٦).

٢ - تأسيس أول مدرسة وطنية في البصرة:

لم يكن حال التعليم في العراق عموماً وفي البصرة خاصة أحسن حالاً من المرافق الأخرى إذا لم يكن أسوأ منها. فقد بلغ عدد المدارس في البصرة وقضاها مدرستين رشديتين ملكيتين واثنتي عشرة مدرسة أولية وملاكاً ضعيفاً جداً فقد بلغ ملاك المدرسة الأولية معلماً واحداً ومن النادر أن نجد اثنين^(٢٧).

أدرك سليمان فيضي حالة التعليم في البصرة وتقدم بطلب تأسيس مدرسة إعدادية أهلية تبدأ أولاً بصفين ويكون اسمها (تذكار الحرية) والتدريس فيها باللغة العربية وتدرس فيها اللغة التركية والإنكليزية والفرنسية، إلا أن والي البصرة الذي يدرك توجهات الحكومة المركزية أكد لسليمان فيضي أن الحكومة قد لا توافق على افتتاح هذه المدرسة بسبب اسمها وتدريس اللغة العربية وقدم اقتراحاً إذا أراد لمشروعه النجاح ويتمثل ذلك بأن يصبح اسمها يادكار حرية وأن لا يذكر في العريضة موضوع اللغة، وقد أخذت هذه الملاحظات على محمل الجد.

بدأ صاحب المشروع بتنفيذ أول الخطوات بجمع التبرعات التي بلغت ما يقرب (٨٦) ليرة واستأجر داراً وهيئة الرحلات وتم افتتاح المدرسة في ٢٧/ تشرين الثاني / ١٩٠٨ وأصبح سليمان فيضي مديراً للمدرسة والحاج أحمد السالم معاوناً للمدير ومن الذين مارسوا التدريس فيها عبد العزيز التكريتي وكذلك قدم بعض الضباط العرب عروضهم للتدريس فيها مجاناً منهم عبد الرزاق حلمي وسامي الأورفلي وتوفيق فكرت.

أقبل السكان على تسجيل أبنائهم فيها حتى بلغ عدد الطلبة في السنة الثانية (١٦٠) طالباً^(٢٨). اعتبر السكان أن افتتاح المدرسة نقطة مهمة يجب استغلالها لذلك ازداد عدد الطلبة الذين يودون الانتساب إليها وضاعت البناية بعدد الطلبة الآخذ في الزيادة مما دفع إدارة المدرسة للتفكير في

الانتقال إلى بناية أكبر وتم ذلك فعلاً إلى بناية في منطقة السيف. يبدو أن المدرسة كانت تمول نفسها بعض الشيء من الطلبة حيث كانت تستوفي من الطالب الميسور الحال (٤٠٠) فلس شهرياً ومن المتوسط الحال (٢٠٠) فلس ولا تستوفي من الطالب الفقير، بل كانت تدعمه وتجهزه بالكتب مجاناً. إضافة إلى ذلك كانت المدرسة تتلقى تبرعات من الميسورين لدعم الطلبة الفقراء^(٢٩).

أدركت جمعية الاتحاد والترقي^(٣٠) خطورة المدرسة إن استمرت بذات المنهاج لذلك أخذت تمارس الضغط على إدارة المدرسة لتغير لغتها هذا الأمر هو الذي ساهم في انحسار الطلبة من الدخول إلى المدرسة^(٣١).

٣ - الجمعيات والأحزاب السياسية:

تشكلت في البصرة جمعيات وأحزاب بعضها فروع لأحزاب وجمعيات ولدت في مركز العاصمة (استانبول) وأخرى مركزها البصرة.

أ) جمعية الاتحاد والترقي^(٣٢) فتح فرعها في البصرة عام ١٩٠٨ ومن الذين انتموا لها سليمان فيضي.

ب) جمعية البصرة الإصلاحية تشكلت في ٢٨ / شباط / ١٩١٣ ومن أبرز مؤسسيها طالب النقيب وجرى تأسيسها على غرار حزب اللامركزية في القاهرة والنادي الوطني في بغداد. للجمعية برنامج من (٢٨) مادة تضمنت سيادة الإمبراطورية العثمانية على العراق ووجوب أن يكون الولاية عراقيين وتكون العربية هي اللغة الرسمية^(٣٣). ويبدو أن للجمعية تأثيراً في المجتمع البصري والعربي وهذا ما أكدته القنصل في البصرة (كرو crow) في رسالة إلى المستر (مارلنك marling) السفير البريطاني في استانبول بتاريخ ٢٨ / آب / ١٩١٣ «إن منهاج الجمعية واسع وطموح ولا يمثل الحد الأدنى لما يمكن للعرب أن يقبلوا به وأنهم لا يريدون مساعدة أجنبية فالأجانب ملعونون ويجب

مقاومتهم وحفظ الوطن من كيدهم ومنعهم من الحصول على امتياز في العراق»^(٣٤).

(ج) الحزب الحر المعتدل افتتح في البصرة بتاريخ ٦/آب/١٩١١ برئاسة طالب النقيب ووقف الحزب بوجه سياسة الاتحاديين، وعندما تشكل حزب الحرية والائتلاف في شهر تشرين الثاني ١٩١١ تحول فرع الحزب الحر المعتدل إلى فرع حزب الحرية والائتلاف عام ١٩١٢ بدعوى من طالب النقيب. يبدو أن السفارة البريطانية تدرك أهمية هذه التطورات في الحياة الحزبية لذلك أوعزت إلى قنصلها في البصرة لزيارة طالب النقيب عارضاً عليه تقديم مساعدة حكومته لحماية الحزب إلا أن طالب النقيب رفض ذلك^(٣٥). لأنه قد أدرك الهدف من هذا الطلب.

(د) الجمعية العلمية الأدبية فقد تم افتتاحها في البصرة عام ١٩١٠ وتشكلت هيئتها الإدارية من الشيخ عبد الله باش أعيان، يوسف المنديل وسليمان فيضي^(٣٦).

الزعامة السياسية في البصرة والعلاقة مع السلطة العثمانية والبريطانية:

إن سيرة طالب النقيب في السياسة العراقية والحركة القومية ذات طابع مميز في البصرة فالرجل والمدينة في ترابط وثيق بفعل ظروف تاريخية، فموقع المدينة في أقصى طرف الإمبراطورية العثمانية بجوار مشيختين هما المحمرة والكويت والتي ستؤثر في البصرة لاحقاً. وبعد مجيء الاتحاديين واتباعهم سياسة التتريك التي ساهمت في دفع العرب في حث الخطى السريعة نحو اللامركزية ونمت القوى السياسية المعارضة بتأثير طالب النقيب أبرز زعماء البصرة في مقاومة الاتحاديين وهذا ما اعتقدته السلطات الاتحادية^(٣٧). لذلك سعت لاعتقاله عندما عينت فريد بك قائداً لموقع البصرة^(٣٨) والأخير معروف بالتشدد ضد الحركة القومية العربية وأعد خطة للقضاء على طالب النقيب، إلا أنه فشل في مهمته وكانت نتيجه قتل فريد

بك في حزيران - ١٩١٣^(٣٩). يبدو أن السلطات العثمانية تعتقد أن كل ما يريده طالب النقيب هو أن يجعل من نفسه حاكماً فعلياً لولاية البصرة وأن يؤسس اتحاداً للمشايخ مع أنها رشحت طالباً لمنصب متصرف الأحساء عام ١٩٠٢ إلا أنه أعفي لسوء تصرفه الإداري وقد وصف بتقارير أنه طاغية بكل معنى الكلمة ويسعى لابتزاز الأموال من الأغنياء وينهب أي شخص يرفض خدمته عن طريق لصوص محترفين^(٤٠).

ساهم الاحتلال البريطاني للعراق في حدوث تغيرات لمعظم نواحي الحياة إلا أن الموقف منه لم يكن موحداً^(٤١). حيث ظهرت طبقة جديدة في المجتمع البصري من التجار والمتعهدين والوجهاء التي سعت للترحيب بإطاعتك الجديد والتنسيق لمصالحها، إضافة لهذه الطبقة هناك من وقف معارضاً الوضع الجديد وكان مصيرهم المطاردة والنفي^(٤٢). سعت إدارة الاحتلال في ضوء المتغيرات الجديدة للتفاهم مع قادة البصرة ممثلة بشخصية طالب النقيب عندما أرسل القنصل البريطاني في البصرة والذي غادر إلى المحمرة بسبب الحرب رسالة بيد أحد رجال الشيخ خزعل للسيد طالب النقيب يقترح فيها حضوره لعرض بعض المقترحات البريطانية حول مستقبل العراق. توجه طالب النقيب للمحمرة للقاء القنصل وقدم الأخير مقترحات حكومته وتضمنت كما يلي:

- ١ - يقدم السيد طالب النقيب للحلفاء جميع المساعدات الفعلية لاحتلال البصرة.
- ٢ - يتعهد الإنكليز بتنفيذ وعودهم والتمثلة بتنصيب السيد طالب النقيب حاكماً عاماً لولاية البصرة ولواء الناصرية والعمارة.
- ٣ - جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية وتعيين موظفين عراقيين في جميع مناصب القضاء.
- ٤ - إعفاء أملاك السيد طالب النقيب وأملاك أسرته من الرسوم الأميرية^(٤٣).

إن هذه المقترحات وفي ضوء وجهة النظر بشخصية طالب النقيب تحتم استجابة المقترحات بصورة سريعة وبإيجابية إلا أن الواقع عكس ذلك تماماً. لقد طلب مهلة لدراسة هذه المبررات بصورة جيدة، في ضوء هذه المهلة قدم مقترحات جديدة للقنصل البريطاني مثلت الرد على العروض السابقة وتضمنت ما يلي:

(١) إن البلاد العربية ترغب في التخلص من نير الاستعمار العثماني لذلك فهو مستعد لإعلان الثورة ضد الترك مستعيناً بالضباط والجنود العرب والعشائر العراقية بدون تدخل الجيش البريطاني.

(٢) على الإنكليز أن يمدوه بالسلاح والمال والطائرات والفنيين.

(٣) أن تبقى البواخر والقطعات البحرية الإنكليزية في الخليج خارج مياه شط العرب.

(٤) إذا تم إخراج الترك تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الإنكليز ملكية أو جمهورية حسب رغبة الشعب.

(٥) إن النفقات التي يتكبدها الإنكليز في مساندة الثورة تعتبر قرضاً على البلاد ويسدد على شكل أقساط في الميزانية وتنتهي الحماية بتسديده وتبقى الامتيازات الاقتصادية وحدها نافذة.

(٦) أن تصبح هذه الشروط أساساً لمعاهدة دولية يوقع عليها مندوب رسمي عن الحكومة البريطانية^(٤٤).

لم تلق هذه المقترحات القبول من قبل الحكومة البريطانية بل رفضتها وأصررت على ضرورة السير بالمقترحات التي عرضها القنصل البريطاني، ومن خلال المقارنة بين المقترحات التي تؤكد أن طالب النقيب فضل المقترحات التي تخدم العراق على تلك التي تخدمه شخصياً. هذه الأفكار وردت عند سليمان فيضي إلا أنها لا تتطابق مع ما ورد في مصادر أخرى والتي تؤكد أن طالب النقيب قدم طلباً للاعتراف به كشيخ أو أمير للبصرة

تحت الحماية البريطانية براتب شهري قدره ألفي جنيه استرليني محسوماً من الواردات المحلية للمنطقة المحتلة^(٤٥). إزاء ذلك بعث طالب النقيب رسالة أوضح فيها موقفه من إصرار بريطانيا أكد فيها أنه لا يوافق على ذلك وسيعضد الترك مهما كلف الأمر^(٤٦). إن هذا الموقف جعل بريطانيا تقتنع أن طالب النقيب وضع نفسه في حقل أعداء بريطانيا وسيساند العثمانيين حسب ما جاء في رسالته. أصبح طالب النقيب بين فكي كماشة الإنكليز والعثمانيين. اجتمع طالب النقيب وأحمد باشا الصانع وعبد اللطيف المنديل وسليمان فيضي، وقرر المجتمعون أن يغادر طالب النقيب وسليمان فيضي البصرة إلى مكان آخر تخلصاً من الكماشة.

وعلى الرغم من كل ذلك لم ينقطع أمل الإنكليز في كسب طالب النقيب لصفها وذلك عن طريق إجراء تعديلات طفيفة على مقترحاتها السابقة وحملها إلى البصرة الحاج مصطفى النوري معتمد الشيخ خزعل وتضمنت ما يلي:

يلتزم السيد طالب النقيب جانب الحياد أثناء الحرب مقابل ذلك وعد الإنكليز بجعله حاكماً مدى الحياة على العراق من الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الاحتلال. يبدو أن الإنكليز كانوا يعتقدون أن طالب النقيب يلهث وراء الجاه والمال، فمن الطبيعي أن يكون جوابه إيجابياً إلا أن واقع جوابه عكس ذلك كما جاء في جوابه وحمله ذات الشخص الذي جاء بالرسالة (... إنني أرفض كل مقترح من هذا القبيل وقد عزمت على السفر إلى نجد فابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده واعلموا أن الذي لا يرضى بحكم الأتراك إخوانه في الدين حري به أن يأبى حكم الإنكليز)^(٤٧). إن وجهة نظر الإنكليز أثبتت صحتها فيما بعد عندما جرت عملية اختيار ملك على العراق في إحدى اللقاءات عبر طالب النقيب للمس بل عن رغبته بأن يصبح ملكاً على العراق وأنه يرفض أن يكون الملك أحد أبناء الشريف حسين، وقام بجولات لكسب الأتباع والمؤيدين في أنحاء العراق ولكنه فشل في

ذلك^(٤٨). وأكدت المس بل هذه الفكرة بأن طالب النقيب سيطر على مدينة البصرة سنين عديدة وتحدى السلطة العثمانية وتعهد للإنكليز بالقيام بثورة عربية لقاء اعترافنا به أميراً للمنطقة^(٤٩).

اعتقد طالب النقيب أن بقاءه في البصرة أضحى خطراً على حياته من قبل السلطات العثمانية والبريطانية وقرر السفر إلى الكويت ورافقه سليمان فيضي وعبد الوهاب المنديل والشيخ أحمد الإبراهيم وعبد الكريم الدخيل واستقبل الوفد من قبل شيخها ويبدو أن العلاقة الجيدة بين شيخ الكويت وبريطانيا شجع الأخيرة أن تكرر اللقاء مع طالب النقيب عن طريق القنصل البريطاني في الكويت (الكرنك كري Cree) وتحقق اللقاء وحضره الشيخ مبارك الصباح وعرض القنصل البريطاني المقترحات السابقة ذاتها وكرر طالب النقيب الرفض ذاته^(٥٠).

لقد تيقن القنصل البريطاني بعدم إمكانية إقناع طالب النقيب بالطروحات التي عرضها في اللقاءات السابقة لذلك دعا الأخير إلى مقر القنصلية البريطانية في الكويت وفي اللقاء أوضح القنصل التعليمات الصادرة من حكومته بحق طالب النقيب والتي تنص بنقل طالب النقيب إلى باخرة راسية قرب الفاو والتي يقيم فيها برسي كوكس^(٥١) ويبقى هناك حتى احتلال البصرة، بعد ذلك يدخل طالب النقيب كحاكم سياسي والسير برسي كوكس يصبح ممثلاً للحكومة البريطانية^(٥٢). استقبل طالب النقيب هذه الفكرة بالمعارضة بل رفضها واعتبرها وصمة شنيعة، إلا أن الحكومة البريطانية أكدت أنه في حالة رفض هذه الفكرة لا بدّ من توجيه الشيخ مبارك الصباح لكي يستثمر علاقته الجيدة معه لتنفيذ المشروع البريطاني وتم اللقاء بين الطرفين وعرض الشيخ مبارك الصباح الفكرة على طالب النقيب وكانت النتيجة مشادة كلامية بين الطرفين أنهاها الشيخ مبارك بأن التعليمات الواردة إليه من الإدارة البريطانية تؤكد بمنع طالب النقيب من السفر وأوضح هذه الفكرة لسليمان فيضي بقوله: (... إنه مضطر لتلبية الأوامر الإنكليزية ولا

يستطيع مخالفة أوامرهم^(٥٣). إن الأزمة انتهت بالتوصل إلى حل وسط عن طريق الانسحاب من الكويت خلصة بحيث لا يؤثر ذلك على العلاقات الكويتية - البريطانية.

توجه طالب النقيب بعد هذه الأزمة إلى منطقة بريدة والتقى فيها بعدد العزيز آل سعود في تشرين الثاني/ ١٩١٤ وفي اللقاء أكد النقيب في كلمته أن الإنكليز هاجموا البصرة بلد إخوانكم في الدين قاصدين احتلالها وفرض الرق والعبودية وفي الأخير طلب المساعدة باسم النخوة العربية، وكان رد الفعل السريع على عبد العزيز آل سعود لبيك وهذا يعني أن قوات عبد العزيز آل السعود ستساعد طالب النقيب في الخلاص من التواجد الإنكليزي، وفي الحقيقة إن طروحات عبد العزيز آل سعود لم تكن جادة لأنه يخشى احتلال مرافئه من قبل الإنكليز ووقع هنا بين الاستجابة لنداء النخوة العربية وبين زوال نفوره من قبل الإنكليز إن وقف أمامهم، لذلك بعث رسالة إلى الشريف حسين أمير مكة كتبها له سليمان فيضي أوضح فيها عروض طالب النقيب للمساعدة ومساندة العثمانيين، إلا أن الجواب لم يصل مما دفعه للكتابة مرة ثانية طالباً الإرشادات في هذا الظرف الدقيق وبعبكسه سيتوجه إلى العراق لدعم طالب النقيب^(٥٤).

عقد عبد العزيز آل السعود اجتماعاً حضره طالب النقيب وسليمان فيضي وعبد الوهاب المنديل وأبلغهم بنيته خروج جيشه إلى العراق يوم ٢٨ / تشرين الثاني / ١٩١٤ إلا أن طالب النقيب كان يشك في اندفاع عبد العزيز آل السعود وقد صدق توقعه عندما وصلت الرسائل تؤكد دخول الإنكليز البصرة وأطلع عبد العزيز آل السعود ضيوفه على الرسائل موضحاً لهم عدم جدوى العمل المخطط للتنفيذ^(٥٥).

إن هذه التطورات جعلت طالب النقيب في موقف صعب جداً وفي ضوء المناقشات التي تمت استقر الموقف على أن يستسلم السيد طالب النقيب للإنكليز ولكن بشرط أن يسمحوا له بالذهاب إلى بومبي^(٥٦). وبسبب

التطورات المارة الذكر كتب عبد العزيز آل سعود رسالة^(٥٧) إلى السير برسي كوكس يعرض عليه اتفاق المجتمعين، إضافة إلى الرسالة السابقة كتب السيد طالب النقيب رسالة إلى برسي كوكس حملها سليمان فيضي بأن لديه اتصالات مع الحكومة البريطانية قبل الحرب منذ أيام اللورد كتشنر. حينما كان في مصر وتؤكد كذلك بأنه في خدمة الحكومة البريطانية^(٥٨)، أما جواب برسي كوكس على هذه الرسائل فأكد فيها بأنه سيلقى من السلطات المسؤولة في بومبي غاية الإكرام وسلمت جوازات سفر للسيد طالب النقيب ولوليه وبعض خدمه وتمت مغادرته يوم ٩ / كانون الثاني / ١٩١٥ ومن بومبي سعى طالب النقيب لعرض خدماته عندما قدم التماساً إلى نائب الملك في الهند بإبداء اعتذاره عن موقفه اللاتعاوني خلال الأيام الأولى للحرب وهو مستعد الآن تماماً لوضع خنفسة تحت تصرف الحكومة البريطانية ومساعدتها بكل إمكانياته وهو يعد نفسه حليفاً وليس صديقاً لبريطانيا^(٥٩). إن كل محاولات طالب النقيب لم تجد نفعاً ولم يعد من منفاه إلا في ٢٨ / شباط / ١٩٢٠.

الخاتمة:

على الرغم من الملاحظات الكثيرة حول كتب المذكرات الشخصية، إلا أنها تبقى مصادر مهمة في الكتابة التاريخية لاعتمادها الوثائق بل هي وثائق ناطقة لما تضمنته من معلومات مهمة وأضحت هذه محوراً أساسياً للكتابة. لكل صاحب مذكرات مرتكز مكاني وزماني يدور حوله ورجال ساهموا في صنع الأحداث إلا أنه من النادر أن يقف صاحب المذكرات ناقداً أو مقوماً بل يذكرها كما هي. لقد أصبح من الممكن استخراج تاريخ الأشخاص والأماكن من بين أسطر هذه المذكرات.

أكد سليمان فيضي في مذكراته بأن البصرة شغلت حيزاً كبيراً في حياته وربطته صداقة مع أبرز رجالها ومنهم طالب النقيب رغم أنه وفد إليها لاحقاً

تحت ظروف خاصة وممارس العمل السياسي بصورة مشتركة مع صديقه الرئيس.

أعطى سليمان فيضي نظرة سريعة لأبرز أحداث البصرة التي كان طالب النقيب بعيداً عنها وسعى لأن يكون الأخير بطلاً لأحداثه.



هوامش البحث

- (١) ومع كل المميزات في الطبعة الأولى، إلا أنها لم تكن دقيقة وهذا ما أكدته نجل صاحب السيرة عبد الحميد فيضي بقوله: (وافت المنية أبي رحمه الله قبل أن تجهز مسودات طبع الكتاب وبعد وفاته ألفت نفسي وحيداً في مهمتي ولا من يصحح وينقح ما أرسله للطبع وسرعان ما غلبت علي الرغبة في تزويق الكلام وتميقه فأعدت صياغة بعض الفقرات وعدد من العناوين، وقدمت وأخرت واختصرت وأطلت أحياناً لكي أسبغ على الأحداث طابعاً قصصياً متسلسلاً بدل التدوين الوثائقي الصرف) للمزيد ينظر: تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق، ط٣، (بيروت ١٩٩٨)، ص ١١.
- (٢) المرجع نفسه، ص ١١.
- (٣) المرجع نفسه، ص ١٢.
- (٤) عماد الجواهري، شخصية كاتب المذكرات ساطع الحصري أنموذجاً، بحث منشور في كتاب المذكرات الشخصية مصدراً لكتابة التاريخ، (بغداد ٢٠٠١)، ص ٢٢٠.
- (٥) أضيفت كلمة فيضي إلى اسمه في المدرسة الرشدية العسكرية وذلك للتشابه بين الأسماء مع طالب آخر اسمه سليمان الموصلي لهذا عقد مجلس المدرسين اجتماعاً أوصى بمنع الالتباس بين الطالبين أن يختار كل طالب لقباً يضاف إلى اسمه فاختر الأول لقب حكمت فأضحى اسمه سليمان حكمت، أما صاحب السيرة فأوصى مدير الإعدادية أن يمنح لقب فيضي إلى الطالب الآخر تيمناً باسم المشير العثماني أحمد فيضي باشا ومنذ ذلك الوقت عرف باسم سليمان فيضي. للمزيد ينظر المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٣.
- (٦) العوادي نسبة إلى الجد الأعلى عواد العشائري المتصل بنسبه بالسيد أحمد الرفاعي.
- (٧) إن ولادة سليمان فيضي والمسجلة في دفتر النفوس عام ١٨٨٨ ينظر المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (٨) ينحدر من أسرة النقيب في البصرة والتي تدعي الاتصال بالوالي الكبير أحمد الرفاعي، وقد حصلت هذه العائلة على ثروة عظيمة عندما استطاع رجب النقيب أبو طالب أن يرغم دائرة الطابو عن طريق الرشوة على تسجيل أراضيها كانت بحيازته بصفة ملحقات، ويعد من أبرز الشخصيات العراقية في العهد العثماني وفترة الاحتلال البريطاني.
- (٩) يبدو أن دخول سليمان فيضي الكتاب لم تكن إلا طاعة للأب وليس عن قناعة، بل كان تواقاً للانخراط في المدرسة مع إدراكه عدم إتقانه اللغة العربية وقواعدها لعدم تدريسها في المدارس الحكومية لذلك أخذ يدرسها على يد العالم الفاضل السيد عبد العزيز التكريتي الناصري. إلا أن توجهات والده الدينية دفعته لتعليم التجويد. لم تنته طموحات الوالد عند هذا الحد، بل تعدت إلى إكمال ابنه الدراسة الدينية في مدارس

الأوقاف مع أهمية إيجاد عمل لابنه لعدم وجود تقاطع بين ساعات الدرس والعمل. ينظر، المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٣.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(١١) المدرسة الإعدادية الأميرية ذات الخمسة صفوف أسست بدلاً من المدرسة الرشدية ذات الصفوف الثلاثة وقد انضم خريجوها إلى الصف الرابع في المدرسة الإعدادية لإكمال تحصيلهم الدراسي، ومن طلاب المدرسة الرشدية محمد رؤوف العطار، داود سليم، علي جودت، محمد علي مصطفى وصديق الدمولوجي. ينظر، المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٧.

(١٢) بلغ عدد الطلبة في العراق عام ١٩١٤ (٤٩٩، ١٩٠) منهم ٦٠٠ طالب و٣٧٨ طالبة في المدارس الحكومية ومجموعهم ٩٧٨ طالباً وطالبة ويشكلون نسبة قياساً إلى مجموع الطلبة ٥٪ أما عدد الطلبة في المدارس الأهلية فبلغ ٢١٦٦ طالبة و٨٠٢٠ طالباً ليصبح مجموع عددهم ١٨٦، ١٠، ويشكلون نسبة تقدر ٥٢٪ وهذا الفارق جاء بفعل العوامل التي ذكرت آنفاً. للمزيد ينظر: وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط ١، (١٩٨٤ بيروت)، ص ٨٥.

(١٣) المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٣.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٣٧.

(١٥) فصل بعد المشادة الكلامية بين مولود مخلص وزميل آخر ووقف سليمان فيضي إلى جانب مولود مخلص ومن الطلبة الذين اشتركوا في المشادة هم شاكرو وفي، مصطفى عزيز، سعيد سارة، إسماعيل حقي وعواد نظيف ويبدو أن انضمام سليمان فيضي لطلبة الموصل بسبب عصبية الإقليم وكانت نتيجتها إحالة الطلبة المسيبيين للحدث إلى نظارة الحربية في استانبول وبدورها أمرت بفصل الطلبة المذكورين فصلاً نهائياً من المدرسة للمزيد ينظر: المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٨.

(١٦) نظمت سنوات الخدمة العسكرية بموجب قانون التجنيد الذي وضع عام ١٨٣٥ ونشر بعد ثلاث سنوات ونص أن تكون الخدمة إلزامية لجميع المسلمين البالغين من الرعايا العثمانيين وكما يلي:

[من عمر ٢٠ - ٢٤ سنة يخدم المسلم كجندي في الجيش النظامي خمس سنوات، ومن عمر ٢٤ - ٢٦ سنة يخدم المسلم كجندي في قوة الاحتياط لمدة سنتين، ومن عمر ٢٦ - ٣٢ سنة يخدم المسلم كجندي في قوة الرديف لمدة سبع سنوات، ومن عمر ٣٢ - ٤٠ سنة يخدم المسلم كجندي في القوات المحلية لمدة ثمان سنوات. استمر العمل بهذا القانون حتى صدور القانون رقم ١٨٤٥ الذي نص على السماح بدفع البديل النقدي من قبل الشخص المكلف بالخدمة العسكرية. للمزيد ينظر: يوسف عبد الكريم الرديني، المؤسسة العسكرية العثمانية ١٢٩٩ - ١٨٣٩ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة البصرة، ٢٠٠٢، ص ٢٧٦.

- (١٧) المذكرات، المرجع السابق، ص ٤٥.
- (١٨) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (١٩) المرجع نفسه، ص ٦٧.
- (٢٠) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (٢١) لواء البصرة يقع على خط طول ٤٥ درجة و ٣٠ دقيقة وعلى خط عرض ٣٠ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً في أقصى الجنوب الشرقي من الدولة العثمانية قدر عدد سكانه ٦٠٠، ١٦٥، ألف نسمة يشكل الشيعة منهم ٤٩٤، ١٣٠، ألف نسمة بنسبة تقدر ٨٠، ٧٨٪، أما السنة فقدر عددهم ٤٠٨، ٢٤، ألف نسمة بنسبة تقدر ٧٣، ١٤٪. للمزيد ينظر: ميرزا حسن آغا، تاريخ ولاية البصرة (دراسة في الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) ترجمة وصفي أبو مغلي، مراجعة حسين القهواتي (البصرة ١٩٨٠)، ص ٦٢.
- (٢٢) المرجع نفسه، ص ٦٣.
- (٢٣) المذكرات، المرجع السابق، ص ٢٣٩.
- (٢٤) المرجع نفسه، ص ٦٧.
- (٢٥) المرجع نفسه، ص ٦٧.
- (٢٦) المرجع نفسه، ص ٢٣٩.
- (٢٧) فيصل محمد الإرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٤، (الموصل ١٩٧٥)، ص ١٢٤.
- (٢٨) ومن طلابها أحمد نوري، شاكر النعمة، مصطفى الطه سلمان وعبد الحميد بديع.
- (٢٩) كما تبرع أحمد باشا الزهير بـ ١٠٠ ليرة ذهب.
- (٣٠) المذكرات، المرجع السابق، ص ٨١.
- (٣١) تشكلت في سالونيك هدفها الأساسي القضاء على استبداد السلطان العثماني، وهي خليط من أجناس وأديان مختلفة وكانت الكثرة الغالبة فيها من الأتراك. للمزيد ينظر: جورج أنطونيوس، يقظة العرب «تاريخ حركة العرب القومية» ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط ١، (بيروت ١٩٦٩)، ص ١٧٥.
- (٣٢) المذكرات، المرجع السابق، ص ١٠٤.
- (٣٣) المرجع نفسه، ص ٦٦٣.
- (٣٤) المرجع نفسه، ص ٣٤.
- (٣٥) وميض جمال عمر نظمي، المرجع السابق، ص ١٠٠.
- (٣٦) إن تحسب الاتحاديين كان دقيقاً عندما لاحظت أن طالب النقيب أخذ يجمع العرب المهمين في داره بالبصرة وقدموا طلباً إلى السلطات بتسخير جميع الضرائب للاحتياجات المحلية ووقع على المضبطة حوالي ٣٠٠ شخص، ويعد هذا أول طلب لإقامة حكم ذاتي في البصرة. ينظر: حنا بطاطو، العراق «الطبقات الاجتماعية

والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية» الكتاب الأول، ط ١، (بيروت ١٩٩٠)، ص ٢٠٣.

(٣٧) وصل فريد بك إلى البصرة في ٩/ مايس / ١٩١٣ وتولى قيادة الجيش فيها بيد من حديد فعين عاطف بك قائداً للجندرية وهجراني بك معاوناً له وهكذا أضحت البصرة تحت القوى العسكرية.

(٣٨) المذكرات، المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٣٩) بطاطو، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٤٠) يبدو أن عدم توحيد المواقف إزاء المحتل والمقاومة قديم وكما أكد ذلك ناجي السويدي في رسالته إلى سليمان فيضي «ذهبت إلى البصرة والحق يقال كانت الفكرة العربية هي الصخرة المتينة التي ارتكزت عليها أسس المقاومة لخطط الاتحاديين، إلا أن هذا لا يعني أن الجميع يتبنون اتجاهاً واحداً. فقد تبنى بعض الوجهاء في البصرة قضية الاستقلال بإخلاص في حين أن البعض الآخر سايرها كذريعة مصلحية خدمة لمآربهم. وأكدت المس بل في رسالة حول هذا الأمر بأن سليمان فيضي حاول إثارة وجهاء البصرة ليقدموا على تمرد فعلي قائلاً لهم بأن عليهم أن يخجلوا لعدم تضامنهم مع بغداد. للمزيد ينظر: المذكرات، المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(٤١) بلغ عدد الذين تم نفيهم إلى الهند من أهل البصرة (٢٠٠) شخص. ينظر: المذكرات، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ١٩٤.

(٤٣) المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(٤٤) حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١، (بغداد ١٩٧٩)، ص ١١٤.

(٤٥) المذكرات، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤٦) المرجع نفسه، ص ١٩٨.

(٤٧) محمد يوسف القرشي، المس بل وأثرها في السياسة العراقية، رسالة ماجستير منشورة، (بغداد ١٩٩٣) ص ١١٨.

(٤٨) المرجع نفسه، ص ٥.

(٤٩) المذكرات، المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٥٠) برسي كوكس ١٨٦٤ - ١٩٣٧ ضابط ودبلوماسي بريطاني التحق بحكومة الهند عام ١٨٨٤ وقضى الفترة من ١٨٩٦ - ١٩١٤ في الخليج العربي، شغل منصب المقيم السياسي في الخليج العربي عام ١٩٠٤ ثم شغل منصب الوزير البريطاني المفوض في طهران للفترة ١٩١٨ - ١٩٢٠، غادر إلى العراق ليصبح المندوب السامي البريطاني في العراق للفترة ١٩٢٠ - ١٩٢٣. للمزيد ينظر: القرشي، المرجع السابق، ص ٢٨.

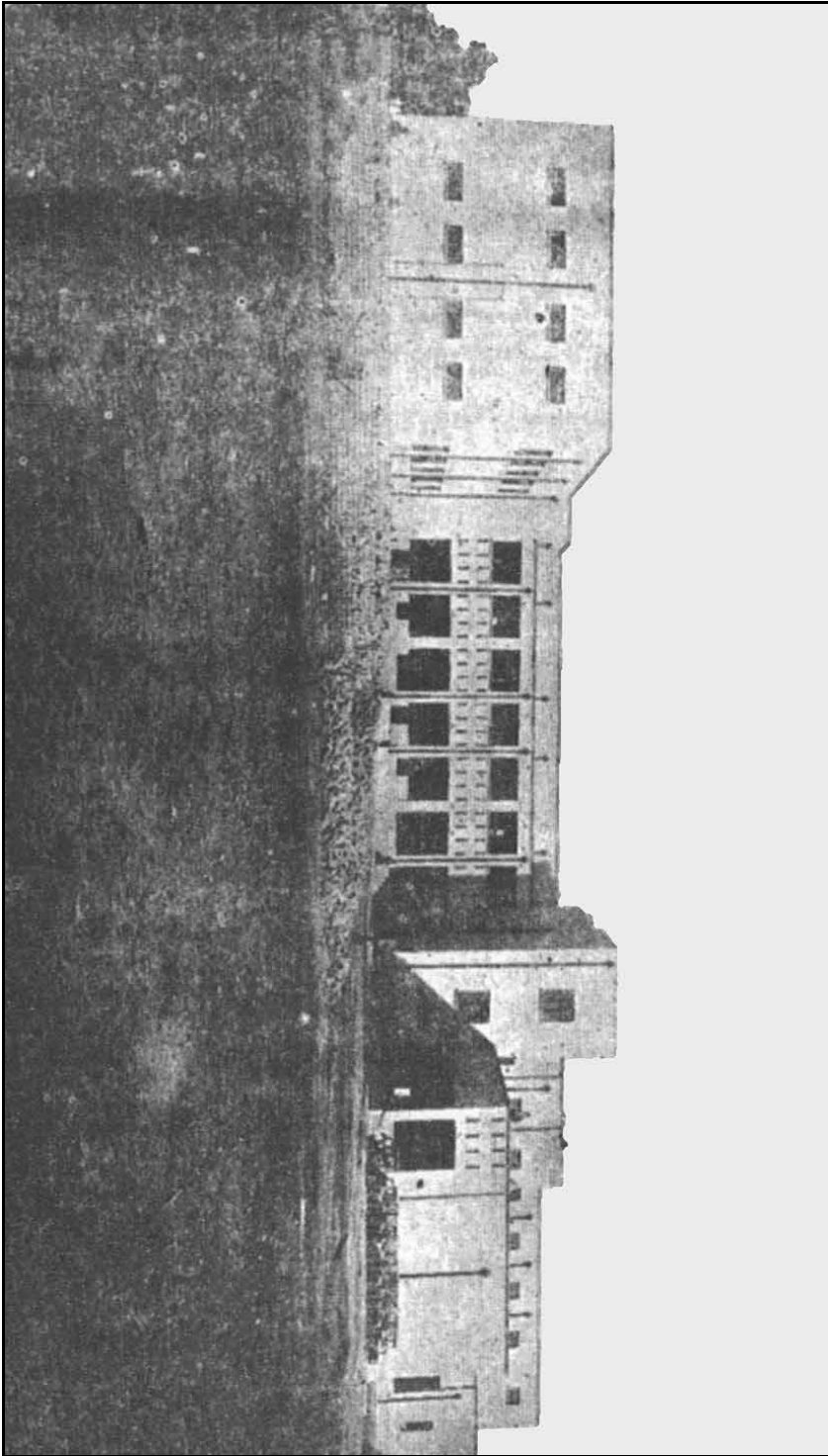
(٥١) المذكرات، المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٥٢) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

- (٥٣) المرجع نفسه.
- (٥٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٣.
- (٥٥) أقام في جزيرة سيلان ثم سمح له بالانتقال إلى مصر حيث مكث هناك حتى شباط ١٩٢٠ عاد بعدها إلى البصرة. للمزيد ينظر: القريشي، المرجع السابق، ص ٥.
- (٥٦) كانت رسالة عبد العزيز آل سعود التي بعثها في ١٠ / كانون أول / ١٩١٤ إلى برسي كوكس، رسالة استرحام للسيد طالب النقيب وبالوقت نفسه يؤكد صداقة طالب النقيب لبريطانيا ويطلب المغفرة لاتصاله بالأتراك بسبب خشيته من غدرهم. ينظر: المذكرات، المرجع السابق، ص ٢١٤.
- (٥٧) كتشنر ketshner، وزير الحربية البريطانية، عمل في البحرية وانتهت حياته بذات المهنة عندما ارتطمت بارجته بلغم في المحيط الأطلسي.
- (٥٨) المذكرات، المرجع السابق، ص ٢٠٥.
- (٥٩) وميض جمال، المرجع السابق، ص ١١١.



ملف العدد
مهرجان الحي في تحقيق
مجلة الغري
في ٢٢ نيسان ١٩٤٧م



بناية المدرسة الثانوية في الحي التي قام بإنشائها الشيخ الزعيم بلاسم آل ياسين
عام ١٩٤٧م بجهوده الشخصية

حول تأسيس مدرسة الحي :

عمل جليل خالد وخدمة مشكورة

سبق لنا أن أشرنا في افتتاحية العدد الـ ٢٠ من السنة السابعة من مجلتنا هذه (الغري)، إلى ما عزم أن يقوم به المحسن الكبير حضرة الزعيم الشيخ بلاسم آل ياسين بشأن تأسيس مدرسة ثانوية كاملة في قضاء الحي؛ فأكبرنا هذه المهمة الشماء وقدرنا لهذا الزعيم هذه الشهامة؛ وأكبرنا فيه هذه الوطنية الخالصة، والخدمة للنشء، وكنا ننتظر أن يتم المشروع، ويكمل هذا العمل الخيري الوطني العلمي المبارك، وبينما نحن ننتظر أن توافينا أنباء إكمال ما صمم على إنشائه، وانتهائه مما أخذه على عاتقه إذا بنا نتناول الدعوة الموجهة إلينا من هيئة جمعية المدارس الجعفرية لحضور حفل افتتاح بناية المدرسة المذكورة ولمشاهدة هذا المشهد الوطني الرائع في قضاء الحي؛ في يوم نيسان ١٩٤٧ فاندفعنا ملبين هذه الدعوة الحبيبة؛ كما اندفع غيرنا من محبي العمل، ومقدري الفضيلة من شتى جهات العراق ومختلف نواحيه، وخاصة من النجف، فقد أوفدت جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف جماعة من أعضائها الكرام وأساتذتها الأفاضل تمثيلها في هذا الحفل الرائع والاجتماع البديع.

لقد حضرت جماهير مختلفة، وطبقات متباعدة، من مختلف أنحاء هذا الوطن المحبوب، يتقدمهم حضرة صاحب الفخامة الأستاذ السيد صالح جبر رئيس الوزراء؛ وجماعة كبيرة من الوزراء والأعيان والنواب ورجال الدولة، فكان اجتماعاً تاريخياً ومفرداً في بابه، وكان مهرجاناً ممدوداً سيذكر - مدى الدهر - كما ذكرت السياحة، وكلما استعرض تاريخ واسط الحديث، وكلما مر ذكر الكرام.

فما أجدره من عمل يستحق الشكر والإعجاب، ويستوجب الثناء



الشيخ الزعيم بلاسم آل ياسين في صورة تذكارية جميلة

والإطراء، فلقد برهن هذا الرجل الكريم بعمله هذا وموقفه المحبوب، عن عقل راجح، وفكر سام، ورأي سديد، فلقد شاد هذا الصرح العلمي، الشاهق، والبناء الشامخ الذي سيبقى قائماً يمجّد ذكره وخالداً يعلي من شأن بانيه، ويرفع من مقام آله وذويه فهو عمل إن دل على شيء، إنما يدل على نفس طيبة، وروح سامية؛ وخلال كريمة ووطنية صادقة، وخدمة جليّة للجيل؛ تدعونا إلى تمجيده وإكباره وتحتم علينا - تشجيعاً لعمل الخير - الإشادة بذكره؛ ليسير على منواله، وينهج نهجه، من آتاه الله النعم، وأفاض عليه الخيرات وأنعم عليه بالثراء وأسبغ عليه المال والجاه.

فما قيمة المال - أيها الناس - وهو إلى زوال، وما قيمة الثراء إن لم يرفع من ذكر صاحبه، ويزيد من مقامه. ويجعله أمثلة طيبة بين إخوانه وأبناء جلدته، فمال لا يعز صاحبه، ولا ينتفع به من يستحقه، ولا يعرف في مواطن البر ومواضع الإحسان، فهو والعدم سواء؛ ولا يبقى لكل امرئ إلا عمله الصالح، وسعيه في سبيل الخير، ومساعدته للضعيف وإشادته لأرومة العلم، ومعاهد الثقافة، والمنشآت الصحية، التي يعم نفعها ويشمل الجميع خيرها.

إننا نستكثر هذا العمل الطيب، مع كبارنا القائم به لا لأنه من الأعمال الخارقة ولا لأنه من المعجزات التي يعجز عنها الإنسان، بل لأن الناس عندنا - مع الأسف الشديد - قد انصرفوا عن هذه النواحي، وانغمروا فيما لا يجدي ولا ينفع، فهم يصرفون المبالغ الطائلة ولكن في أمور زائلة، ومواطن غير نافعة، أما عند غيرنا من أبناء الأمم، الأخرى؛ والشعوب الشاعرة بواجبها فقد ضرب رجالها الرقم القياسي في الكرم والحد الأعلى في الأعمال الإنسانية والخدمات العامة التي يعود نفعها لعامة الناس، وحصل على نتائجها المجموع؛ فمن حصل على التوفيق في خدمة الإنسانية والبشر، كان وافر الحظ؛ وافر التوفيق؛ وافر الكرامة، وافر الذكر ثم يكون حديثه حديث الناس؛ وكرمه مضرباً للامثلة ومدعاة للفخر والاعتزاز.

إننا نهيب برجالنا ونطلب إليهم اقتفاء أثر هذا الزعيم، واتباع خطوته الموفقة، فللوطن حقوق لا يقدرها إلا من أوتي حظاً وافراً من السعادة،

ولأبناء الوطن واجبات لا يؤديها الا من منّ الله عليه بالتوفيق كل شيء يزول من هذه الدنيا الفانية، ولقد قال الامام علي سلام الله عليه: (احذروا نفار النمر فما كل شارد بمردود)^(١).

والخدمة العامة تبقى خالدة الذكر ما بقي الدهر، تزداد سطوعاً كلما طلعت الشمس، وبزغ القمر؛ وأطل على الدنيا بنوره المضيء...
فما السعادة - لو شعر الإنسان - إلا بالعمل المشكور، والذكر الحسن والأحدوثة الطيبة.

وأنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى وما الخلود، إلا لمن عرف واجبه، وأدى ما فرض عليه وقام بما يتمكن من القيام، وما البقاء إلا لمن بقيت أعماله خالدة يتردد ذكرها مع الزمن، ويعاد حديثها مع الأيام، وما النجاح والفوز إلا لمن عرف مواطن الخدمة العامة وخبر الطريقة التي ترفع من ذكره، وتسدي للناس أشرف الخدمات، فإنها من أسمى الغايات الشريفة وأرفعها قدراً.

ولئن دار في خلد بعض المحتفلين اقتراح اقامة تمثال لهذا المحسن الكريم في ساحة تلك المدرسة فإن له تمثالاً خالداً في قلوب أبناء الشعب العراقي لا يزيله مرور الليالي والأيام.
والذي أتوخاه من قراء الغري الكرام أن يطالعوا كلمتنا الثانية (الخلود) في هذا العدد.



(١) نفار النعم نفورها، ونفورها بعدم أداء الحف منها فتزول.

شخصيات سياسية أدبية



معالي الأستاذ توفيق وهبي وزير المعارف العراقية

كانت مجلتنا (الغري) قد طلبت إلى بعض الشخصيات السياسية التي حضرت مهرجان (الحي) كأصحاب المعالي السيد توفيق وهبي وزير المعارف ومعالي العين السيد عبد المهدي المنتفكي ومعالي السيد ضياء جعفر وزير المواصلات والأشغال، التفضل بإجابة الأسئلة التالية :

بعد التحية والتبجيل :

لقد اعتزمت إدارة مجلة الغري إصدار عدد خاص حول مهرجان الحي الذي انعقد بمناسبة

افتتاح المدرسة الثانوية هناك والذي شرفتموه بحضوركم.

وبهذه المناسبة تود إدارة الغري أن توجه إليكم الأسئلة التالية لتجيبوا عنها ولتكون في مقدمة ما ينشر في هذا العدد :

(١) هل أنكم تعتقدون بأن إنشاء المدارس من قبل الأهلين يدل على تنبه ثقافي عام.

- (٢) أليس من واجب المثريين في هذا البلد إنشاء المدارس ليخففوا من الثقل الملقى على كاهل وزارة المعارف (كما هو الحال في مختلف أقطار أوروبا) لتتفرغ وزارة المعارف إلى تأسيس جامعة عراقية .
- (٣) أليس من واجب وزارة المعارف تشجيع المدارس الأهلية لتعم الثقافة كافة أنحاء البلاد.

(٤) هل كانت بناية المدرسة على الطرز الجديد وهل نالت رضاكم ؟
وقد حصلنا على الأجوبة الآتية :

١ - جواب معالي الأستاذ توفيق وهبي وزير المعارف :

حضرة الفاضل صاحب مجلة الغري الثراء المحترم

استلمت رسالتكم المؤرخة ٢٠/٥/١٩٤٧ وإنني لأشكر لكم اهتمامكم بهذا الموضوع راجياً أن تأتي إجابتي بالفائدة المتوخاة.

١ - إن إنشاء بعض المدارس من قبل نفر من الأغنياء دل على تقدير هؤلاء للثقافة غير أن ذلك لا يكون دليلاً على تنبه ثقافي عام لأن هذا التنبه يقاس بمساهمة الأكثرية من أفراد الشعب بمثل هذه المشاريع.

٢ - إن نشر الثقافة بين جميع أفراد الشعب يتطلب الألف من المباني المدرسية وعشرات الآلاف من المسلمين وما يتبع ذلك من لوازم وتجهيزات مما يتطلب نفقات باهظة لا يمكن أن تتحملها ميزانية الدولة وحدها ولذلك نرى من الواجب أن تتظافر جهود الأهلين - وخاصة المثريين منهم - مع جهود الحكومة إذا ما أردنا بلوغ الهدف في وقت غير بعيد.

٣ - إن وزارة المعارف تشعر بلزوم تشجيع المدارس الأهلية وهي كانت ولا تزال تساعد هذه المؤسسات مادياً وأدبياً.

٤ - إن بناية المدرسة هي على الطرز الحديث وقد نالت كل الرضا

والاستحسان ولا يسعني أن أدع هذه الفرصة تمر دون أن أقدم جزيل شكري إلى السيد المفضل الشيخ بلاسم الياسين راجياً أن يكون عمله قدوة لغيره من المثريين، وتفضلوا بقبول فائق تقديري.

بغداد

المخلص توفيق وهبي

٢ - جواب معالي الأستاذ السيد عبد المهدي المنتفكي :

لفضيلة الأستاذ مدير إدارة الغري الأعز تحية طيبة :

تلقيت كتابكم وبناءً على رغبتكم أوافيكم بالإجابة على أسئلتكم حسب ترتيبها :

١ - لا شيء أكثر دلالة على التنبه الثقافي العام من الجهود والأموال التي ينفقها وتوجد بها نفوس كريمة أدركت واجباتها تجاه الوطن وأبنائه فراحت تنشئ المدارس العلمية وتقيم المعاهد الثقافية عالمة بأن إسعاد الأمة وحياتها يتوقفان على ذلك.

٢ - إن ما يخصص الآن من ميزانية الدولة العامة للمعارف يساوي بالمائة (١١) تقريباً من مجموعها ولربما زادت هذه النسبة على ذلك في بعض السنين. والتعليم كما يرى محدود النطاق جداً ولو أردنا أن نزيد هذه النسبة إلى ضعفها أو أكثر من ضعفها مع ذلك سيبقى النطاق ضيقاً لا يتسع لتطمين الحاجة، إذ أن الميزانية وحدها وهي المكلفة بالصرف على جهات أخرى حاجة البلاد لها كحاجتها للمعارف كالصحة والأمن والري والدفاع والمحاكم والطرق وغيرها مما لا بدّ لها من الإنفاق عليها لا يسعها أن تسد حاجة البلاد للتعليم إلى الحد الذي يتفق مع الغاية وتحقيق الرغبة المطلوبة. ولذلك فإن من الواضح الذي لا شك فيه بأن الثقافة لا يمكن أن تنعم بها هذه البلاد بمجموعها ويتمتع

الجميع بخيرات نتائجها ما لم يسد الشعور الأفراد والجماعات بأن المساهمة في المؤسسات العلمية والمعاهد الثقافية من الواجبات المفروضة التي يتحتم أداؤها على كل من يستطيع ومن كانت له القدرة على الإنفاق من ماله أو من جهده.

٣ - إن ما يترتب على الأهلين من واجب المساهمة لم يكن معناه إعفاء الحكومة عن المسؤوليات والواجبات المترتبة عليها من إنفاق وغيره، إذ إن البلاد لا يمكن أن تنهض نهضتها العلمية الصحيحة المتناسقة المنظمة والموجهة بأهدافها و مقاصدها وغاياتها وتحقيق العدل الاجتماعي فيها إلا إذا كانت الحكومة عادلة بتوزيع الخدمات عاملة بواجباتها مدركة مسؤولياتها غير متجاهلة ولا متساهلة.

٤ - إنني رأيت المدرسة (في الحي) على طراز يبهج القلب ويشرح الصدر كما أنني رأيتها وستراها الأجيال المقبلة لساناً فصيحاً ينطق بحمد (الشيخ بلاسم المحمد) وتمجيده وشكره على إخلاصه وصدق وطنيته.
بغداد عبد المهدي

٣ - جواب معالي الأستاذ ضياء جعفر :

لصاحب الفضيلة الأستاذ مدير إدارة الغري المحترم ...

شكراً على كتابكم ونزولاً عند رغبتكم أوافيكم بالإجابة على كتابكم حسب الترتيب:

١ - نعم.

٢ - إن الفكرة القديمة كانت ولا تزال في بعض الأقطار بأن إنشاء المدارس كان على عاتق المحسنين ولكن الاتجاهات الحديثة في جعل إنشاء المدارس وخصوصاً الابتدائية والثانوية من واجبات الحكومة. كما أن الحكومات أصبحت تجبي الضرائب من الأفراد بنسبة الإيراد السنوي وبصورة تتضاعف مع الإيراد على الأغلب.

وإذا كان لا بدّ من طلب مساعدة المثرين في بلاد إيراد الحكومة لا تسد ما تتطلبه البلاد من واجبات وخدمات كبلادنا فيجب أن تكون هذه المساعدة لإنشاء المعاهد العالية وتترك الدراسة الأولية للحكومة لنشر الثقافة بين جميع طبقات الشعب بصورة متساوية.

٣ - في الوضع الراهن نعم.

٤ - نعم كانت على الطراز الحديث ونظراً لوضع مدينة الحي من عدم وجود المواد الإنشائية فإن العمل كان من الأعمال التي تستحق الإعجاب والتقدير وذلك للجهود العظيمة التي بذلت من قبل المحسن الكبير الشيخ بلاسم الياسين في سبيل هذا العمل الخيري.

بغداد

ضياء جعفر



فخامة الأستاذ السيد صالح جبر العضو العامل لمشروع المدارس الجعفرية



فخامة الأستاذ صالح جبر العضو العامل
لمشروع المدارس الجعفرية

كان للجهود الجبارة ؛ والمسعاعي الحميدة، والأتعاب الجمة التي بذلها حضرة صاحب الفخامة، الأستاذ السيد صالح جبر، وإخوانه الكرام من أعضاء هيئة المدارس الجعفرية في العراق الأثر الحميد في بعث هذه المدرسة من جديد؛ وإعادة حياتها، ولقد كان لهذه الشخصيات المحترمة أثرها الفعال في الاكتتاب العام الذي جرى لها في العام المنصرم، والذي برهن على شهامة العراقيين ؛ وسمو مداركهم للأهداف الوطنية السامية والخدمات الصحيحة المجدية ..

ومدرسة (الحي)، هي بعض من تلك الجهود المقدرة وإحدى تلك المساعي المشكورة التي أنتجتها همة فخامته وصحبه الأمثال فحيا الله العاملين من رجال الإصلاح وأخذ بأيديهم إلى ما فيه السعادة للبلاد إنه سميع مجيب.

(الغري)

ثمرات الأعمال الخالدة

بقلم : نوري شمس الدين

لقد طلب إليّ رئيس تحرير مجلة الغري الغراء أن أقول كلمة عن مشروع بلاسم الخطير لمناسبة اعتزامه إصدار عدد خاص من مجلة الغري عن هذا المشروع الحيوي الخالد، فلم أر بداً من إجابة هذا الطلب ولا أراني بحاجة إلى ذكر المسوغات التي تستدعي تليّتي، ومجمل القول إني نفذت رغبة صديقنا الفاضل شيخ العراقيين وكفي.

كانت الفترات المظلمة والظروف القاسية التي مرت على العراق والعراقيين جعلت من هذا الصقع أداة لإعاشة مستغليه ومن أهله عملاء لمستعمره وقد ظلت الحال سائرة طيلة أربعة قرون أو حوالي هذا الزمن، وقد بقي العراق في غضون هذه الفترات واسفاً في قيود الاسترقاق راضخاً تحت نير العبودية متفياً ظلال مستعبدية ومستغليه وإن كان الظلال وهماً والرعاية تصنعاً وهكذا دواليك حتى قبض الله العراق الظروف المناسبة والزمن المواتي نوعاً ما، وقد أخذ فجر الحرية يبشر بالانبثاق رويداً رويداً وبين ليل الشك وصبح اليقين ثارت أول طلقة على يد شيخ الأمة وقريع العرب والمسلمين جلالة الملك الحسين بن علي فكانت تلك الطلقة صرخة الحق في وجه الباطل ووثبة الأسير الذي طال أمد أسره في وجه الآسر الغشوم، وثار كل قطر في قطره مقتدياً بسيده معتزاً بمنقذه وقام كل بواجهه حسب طاقته وقدرته، وبعد جلاد عنيف وجدال محق صارخ أخذت الأقطار

العربية بعد أن ضحى ظل الأتراك عن أوطانهم، نعم أخذت تُهيئ نفوسها بما تبقى عندها من ضحل المواهب وبقايا القابليات لأن تحكم أوطانها بنفسها وتزاوُل أعمالها في أجهزتها الحكومية المرتجلة آنذاك، ومن ضمن هذه الأقطار وتلك الأصقاع العراق الذي نحن بصدد القول عنه، قام العراق وهو جرح لما يندمل منهك القوى لا قبل له ولا قوة على تحمل المسؤوليات الأولية فضلاً عن الأشياء المتركة من قبيل من القوانين وشق الجداول واستثمار الأراضي القابلة للزراعة وإعمار البوار منها، إذ لا ثروة ولا ثقافة ولا مشاريع بارزة وما إن وطأت أقدام الخلفاء أرضه المقدسة حتى شعروا هذا كله، ولكن ثم ماذا وما قيمة الوعد ووزن العهود فركز الحلفاء حكمهم على نوع من الضغط ولون من العسف لم يألّفه العراقيون قبل عهد الحلفاء فلم يتحمل المراقبون هذا اللون من الحكم فخاطب زعماءهم الانكليز في أن يقلعوا عن هذا الأسلوب من التحكم في العراقيين وطالبوهم بعهد سبق أن تفوهوا به زعماء الانكليز وساستهم والثورة العربية الكبرى مشبوبة الجذوة متطايرة الشرر والقول هو هذا: (جئنا محررين منقذين لا مستعمرين مستغلين) فلم يأخذ الانكليز هذا القول من زعماء العراق بنظر الاعتبار فصمم العراقيون على الاصطدام المسلح مع الحلفاء مهما كلف ذلك الاصطدام من ثمن، وثار الفرات ثورته العتيدة المقدسة وبعد أن فاضت الأرض من دماء الفريقين في الاشتباكات الدموية في مختلف الميادين نزل الحلفاء على رغبة الشعب العراقي وزعمائه وكان فاتحة العهد الجديد إذ ذاك مجيء جلالة المغفور له الملك فيصل باني مجد العراق الحديث ومؤسس كيانه بطلب من العراقيين أنفسهم، ولما أن شرف جلالته العراق وطنه الذي اختاره الله له أخذ يعمل ليل نهار على تركيز مملكته وتقوية سلطانها ونفوذها رغم العقبات الكئداء والمصاعب الجمة، ولكن إرادة جلالته كانت أقوى نفوذاً وأمتن صلابة من أن تؤثر عليها هذه العقبات أو تلك المصاعب، وعاونوه في أداء رسالته الوطنية فريق من أبناء

هذا الوطن العزيز، فما مرت السنون وتداولت الليالي عجلة الزمن السريع حتى درت أفاويق أعمالهم فتحلبوا أشطرها وأثمر غرس أكفهم فاستمر وجناه واستحلوا لذته، ولكن المنح نسبية والأثمار موضعية ودار الزمن دورته وانتقلت الأذهان وأرهف الإحساس في الطبقات الصالحة من أبناء هذا الوطن المحبوب فأخذ يفكر في توسيع معاهد الثقافة وتعميمها تعميماً يشمل أنحاء العراق، وهذا التوسع العمومي هو إقامة مشروع خطير استقلالي عن المشاريع الثقافية الحكومية، وأبرز هذه المشاريع وأولها خارج العاصمة هو المشروع الجبار الذي سيطر جلاله على الذهنية العامة والخاصة من أبناء العراق اليوم وهو البناية العتيدة للمدرسة الجعفرية في حي واسط الذي قام بإنشائها الرئيس الجليل والزعيم الإنساني الكامل الشيخ بلاسم الياسين، وهذا المشروع الخالد الذي ضرب الرقم القياسي في المشاريع الأهلية الخطيرة الخالدة، ولا أراني ميالاً للمين تواقاً للمبالغة إذا ما قلت إن مشروع بناء المدرسة الجعفرية في الحي الذي أنشأه الشيخ بلاسم هو مشروع يحدثك عن نفسه بنفسه، وتعزى عبقرية الباني إلى إنشائه وإخلاص المؤسس إلى تأسيسه ونرجو أن يكون قدوة حسنة لغيره من أبناء هذا الوطن أن يسلكوا النهج الذي سلكه الشيخ بلاسم ويتعاونوا على إعلاء شأن المملكة العراقية في مثل هذه المؤسسات الباقية مع الزمن تنطق بفضل الباني وشرف المؤسس وعلو همة المنشئ وكما أني أهيب بالحكومة الحاضرة في أن تكمل مشاريع قرر انشاءها وتؤسس مشاريع أخرى نافعة وليس هذا على همم الرجال المخلصين بعزير كما ننتظر بفارغ الصبر إكمال مشروع جسر الكاظمية على أيدي الرجال المسؤولين في الوزارة الصالحة وإنا إلى رؤية أعمالهم لمنتظرون.

وأود قبل أن أختتم كلمتي هذه أن أتعرض لموضوع لا يقل أهمية وخطورة عن غيره من الأعمال الجبارة التي أشرنا في صدر المقال إلى منشئها - ألا وهو موضوع تشجيع الحكومة للجمعيات الأدبية والثقافية

والنوادي العلمية، لأن تقويم وتوسيع مثل هذه النوادي وتلك الجمعيات وتشجيعها ومعاونتها مما يضمن لها غرساً مثمراً ؛ هذا مع العلم أن الذهنية العامة تكاد تكون متفقة، على أن العراق الحديث لم يبلغ المبلغ الثقافي اللائق بمكانته التاريخية ونهضته الحديثة ؛ ولا شك بأن توسيع المعاهد الدراسية وتكوين دعائم الدراسة الحالية على اختلاف أصنافها مشفوعة بنمو هذه الجمعيات والنوادي هو كفيل بأن ينشئ جيلاً صقيلاً الذهن مركزاً ثقافته على أحدث الأساليب العلمية مدعومة بالثقافة الصناعية التي يتلقاها الطلبة في العواصم الغربية وبذلك نهئى حاضر شبابنا لمستقبل زاهر والزمن مساعد للرجال العاملين.



الخلود

بقلم : شيخ العراقيين

صاحب مجلة الغري



الشيخ الزعيم بلاسم آل ياسين

قد يتوهم البعض أن سبل
الخلود التي عنها تنبعث المصلحة
العامة ضيقة الى حدّ يستعصي على
غير أهل الثروة المجدية، أو الجاه
العريض، أو الأدب اللباب ؛ أو
العلم والفن، من حيث هما، أو
أنها مقتصرة على فئة دون أخرى،
وعنصر دون آخر ؛ أو في بيئة دون
بيئة، وصقع دون صقع لا أن
التوهم هذا باطل، لأن الخلود
مشاع في العالم كله على بني

الإنسان كلهم، كل بحسب مواهبه إذا كان فناً وتابعة اختراعه إذا كان
أديباً، وغزارة مادته إذا كان عالماً، وبمنح يمينه البارزة إذا كان من أهل
الثروة واليسار ؛ ومعروفه إذا كان من أهل المعروف، لأن المعروف يخلد
مجداً وذكرى لصاحبه مدى الدهر والأزمان، كما قال الامام سيد شباب
أهل الجنة الحسين بن علي (عليه السلام) : (اعلموا أن المعروف يكسب حمداً

وأجراً، ولو رأيتهم المعروف رجلاً رأيتهم حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتهم المنكر رأيتهم سمجاً مشوها تنفر منه القلوب وتفض منه الأبصار.

أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وخير الناس من نفع بماله الناس وأعفاهم من عفي عن قدره، وأفضلهم من وصل من قطعه ومن يعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه، ومن أحسن إلى الناس، أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين).

وإن ما قاله الإمام عليه السلام، هو آخر مفهوم من مفاهيم الخلود الأبدي للإنسان، ومصادق من مصاديقه، وبالعكس فإن الخلود بعيد عن العالم الذي لا ينتفع بعلمه؛ كما أنه بعيد كل البعد على ذوي الثراء الذين لا هم لهم سوى جمع الثروة من أي شيء وفي كل شيء، دون أن يفكروا بإنشاء أي أثر إنساني يمنع عنهم لعنة اللاعنين ولوم اللائمين، وهو بعيد أيضاً عن الفنان بفطرته دون أن يقيم البرهان على فن بارز إنتاجه؛ وعلى أهل المواهب الذين لا يصقلون مواهبهم، فمثل هؤلاء جميعاً أعني أهل المواهب غير المستغلة، والأموال غير النافعة؛ مثل السيوف في أيدي الجبناء والالائي عند الخلاء بالفطرة.

وقد جمعوا المال واكتزوه، وظنوا أنهم مخلدون له في الدنيا، أما دروا، بأنهم ضيوف، وما في أيديهم عارية؛ وأن الضيف مرتحل، والعارية مردودة:

إذا كنت ذا مال فكن فيه محسناً فعماً قليل أنت ماض وتاركه أقول كلمتي هذه؛ في هذا العدد الخاص من مجلتي (الغري) بمناسبة إكمال الشيخ النبيل الشيخ بلاسم الياسين مشروعه الحيوي الخالد؛ ألا وهو المدرسة الثانوية؛ في قضاء الحي، وهو المشروع الخطير؛ الذي إن دل على شيء، إنما يدل على حب هذا الزعيم الخالد، الخير لأبناء وطنه، وأمهته وشرف نفس الباني وعلو همته:

لأن المدارس فيها كل منفعة لولا المدارس لم يصلح لنا حال ولا أراني مبالغاً إذا قلت: إن هذا الأثر الخالد المظلم؛ الذي

سيبقى فم الزمن مجده، ما كرّ الجديدان :
 ما جاد بالوفر إلا وهو معتذر ولا عفا قط إلا وهو مقتدر
 وكلما قصدوه زاد نائله كالنار يؤخذ منها وهي تستعر
 والذي أتوخاه من كلمتي هذه ؛ وذكر هذه الأسماء المحترمة مع حفظ
 ألقابهم ؛ سيكون عمل الشيخ بلاسم لهم حافزاً ومنبهاً غيره من الزعماء،
 والموسرين، والتجار، كأمثال :

محسن شلاش،
 وعبد الهادي جلي،
 وعبد النبي الدهوي،
 وكامل الخضيري،
 ومحمد جواد عجينة،
 وعبد الهادي الدامرجي،
 وحاج طالب محمد علي،
 وعبد الكاظم الشمخاني،
 والسيد أحمد النقيب ؛
 وآل باش أعيان،
 وأمير ربيعة محمد الحبيب،
 وعبد الواحد الحاج سكر،
 وعبد السادة آل حسين،
 وصكبان العبادي ؛
 والسيد محسن أبو طيخ ؛
 وحسن السهيل ؛
 ومحمد باقر السهيل،
 ومجيد الخليفة،
 ومحمد العريبي ؛

وحمود الخليفة،

وصفوك الياور، ونجيب الجادر ؛ وعبد العزيز البغدادي، ورابع
الحاج عطية، ووو إلخ.

وغيرهم ممن منَّ الله عليه بالمال الجزيل، وسيمن الله عليه الخلود ؛
في بناء أثر كهذا الأثر ؛ أو غيره من الآثار التي يثني عليها الخاص والعام.
وعلى هذا النوع من التوثب للأعمال الخالدة، والآثار الجلييلة،
تسترجع الأمم ماضيها العتيد، وتعتبر حاضرها بهذه الروح في تلك الآثار
التي نحن بصدد القول عنها، فعند ذلك، نطمئن إلى مستقبل باسم ؛ شهوده
بارزة، وآثاره ناطقة بفضل البناء المؤسسين، والمنتهجين نهجهم، والسالكين
محجتهم، وإن البشائر آخذة بالنمو رويداً رويداً.

أقول هذا : وقد جمعتني الصدفة الحسنة بالزعيم الكبير والشهم النبيل
الشيخ بلاسم الياسمين ؛ وسمعت منه ؛ وهو مجد في القول من أن سيباشر
في بناء مستشفى ضخيم على أحدث طراز ؛ وهو يدرس فعلاً مناهج
المستشفيات العامة ليطلع على مناهجها وهو ينتظر فرصة المباشرة بالعمل ؛
بفارغ الصبر، كما أنه أخذ يعد العدة لإنجاز مشروعه هذا على أحدث
أسلوب هندسي بارع وليس هذا على شهامة الزعيم عبد الله بكثير ولا بعزيز.
شمر وجد لأمر أنت طالبه إذ لا تنال المعالي قط بالكسل
ونحن إنما ننشر هنا تصوير الزعيم الحسن بناءً على شروعه بدرس
التعليمات التي تختص ببناء المستشفى الذي هو عازم على إنشائه، وفقه الله
لهذا العمل الصالح.



لمحات في خزائن الكتب الواسطية

بقلم : كوركيس عواد

لعبت مدينة واسط دوراً خطيراً في تاريخ العراق ؛ حين كانت الأنظار متجهة إليها، لأنها مقر الحكومة، ولأن بغداد وسامراء لم تكونا قد بنيتا.

أسس الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط في أواخر المائة الأولى للهجرة، فلبثت عامرة أهلة بسكانها مئات السنين ؛ تمر بها تقلبات سياسية واجتماعية مختلفة، ولسنا نهتم بتاريخ واسط السياسي قدر اهتمامنا بتاريخها العلمي.

فتحدثنا المراجع القديمة، أن لواسط جملة تواريخ صنف في رجالها وأخبارها، لا نعرف منها اليوم إلا واحداً وهو (تاريخ واسط) لأسلم بن سهل الرزاز الواسطي، المعروف ببحشل، المتوفى نحو سنة ٢٨٨ هـ، ونسخة هذا الكتاب الفريدة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وعنهما نقلت وصورت جملة نسخ ؛ اثنتان في خزانة المتحف العراقي، وأخرى في خزانة ديوان وزارة المعارف ببغداد، وأخرى في خزانة كاتب هذه السطور.

وما من شك عندنا في أن هذا التاريخ والتواريخ الأخرى الضائعة^(١)،

(١) ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (١ : ٣٠٩ طبعة وزارة المعارف التركية). وانظر الوافي بالوفيات للصفدي (١ : ٤٧) والإعلان بالتويخ للسخاوي (ص ١٣٤).

تتناول في أكثر ما تتناول تراجم علماء واسط، من محدثين وفقهاء وأدباء وشعراء وغيرهم ممن تزخر كتب التراجم العربية المختلفة بذكر طائفة كبيرة منهم.

وفي الواقع، إن واسط، التي عاشت زهاء ألف سنة، قد أنجبت من هؤلاء الكتاب الأدباء جمهرة غفيرة، ترك كثير منهم مؤلفات، أبت يد الدهر والإنسان إلا أن تتلعبا بأغلبها فصرنا لا نعلم من أمرها إلا أسماءها، ولا نملك منها إلا التحسر على فقدها.

ومن أجدد باكتناز مؤلفات الواسطيين هذه وادخارها غير مدينة واسط ذاتها؟ ومن أولى بجمع هاتيك التصانيف من أبناء واسط الذين ازدهرت بهم؟

لا مرأى في أن تلك الأسفار العديدة كانت تجمع في خزائن كتب تقام في كل موضع من البلد يليق به أن يزدان بالكتب.

وإذا قسنا واسطاً بسائر المدن ذات التاريخ الحافل، ترجع عندنا القول أن تلك الخزائن كانت تقام في (المدارس) و(الجوامع)، كما كانت تنشأ في دور العلماء وسراة القوم وعليتهم.

فقد ذكرت المراجع التاريخية الموثوق بها، أن جملة مدارس كبيرة كانت عامرة في أزمنة مختلفة من تاريخ واسط^(١). ولا يمكننا أن نتصور مدرسة كبيرة حافلة بالعلماء، تخلو من خزانة كتب. ويندر أن نجد جامعاً دون أن يكون في جملة موقوفاته خزانة، تضم فيما تضم، طائفة من المصاحف وكتب الدين الأخرى وغير ذلك من الكتب التي ينتظر وجودها فيه.

ولكن أخبار تلك الخزائن قد ذهبت - وأأسفاه - بذهاب المدارس

(١) راجع: مدارس واسط مدينة الحجاج: الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني. (مجلة الكتاب ٢ [١٩٤٧] ص ٤١٢ - ٤٢٥).

والجوامع ذاتها. وفي الواقع، إننا حاولنا أن نلمس في فهارس المخطوطات العربية المبنوثة في خزائن كتب الشرق والغرب ؛ لنحظى ببقايا المجلدات التي كانت تضمها تلك الخزائن ؛ غير أننا لم نخرج إلا بالقليل الذي يكاد لا يذكر.

فقد جاء في آخر مخطوط (تاريخ واسط) لبحشل المار ذكره، سماع ذو قيمة تاريخية، هذا نصه :

[سمع جميع هذا الكتاب ؛ وهو تاريخ واسط لبحشل .. وذلك بواسط، في مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام ؛ نور الله ضريحه، في مجالس آخرها الاثنين رابع عشر ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسائة^(١)] (١١٧٧م).

ولا نجانب الصواب إذا ما قلنا، إن النسخة هذه قد كانت في خزانة مدرسة ابن درام بواسط.

وفي الخزانة الوطنية بباريس^(٢)، نسخة قديمة نفيسة من (مقامات الحريري)، كتبها وزوقها بالصور الجميلة الملونة ؛ أحد فناني هذه المدينة في المائة السابعة للهجرة، وهو يحيى بن محمود بن يحيى بن أبي الحسن الواسطي^(٣) ؛ الذي فرغ من كتابتها وتزويقها سنة ٦٩٤ - (١٢٩٤م). فإلى أي خزانة واسطية يا ترى كانت تعود هذه التحفة الخطية في سالف الأزمان ؟

أما خزائن الكتب التي كانت مبنوثة في بيوت أعلام العلماء ووجوه الناس، فهي وإن كنا نعد حقيقة وجودها سابقاً أمراً تاريخياً ثابتاً، إلا أن

(١) تاريخ واسط (مخطوط المتحف العراقي، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) فهرست المخطوطات العربية بباريس. تأليف بلوشيه (الرقم ٥٨٤٧).

(٣) راجع ترجمته في العدد السادس من مجلة (الثقافة) المصرية وهي بقلم الأستاذ إبراهيم جمعة.

الخوض فيها عسير، لندرة المراجع التي تتناول أخبارها بالبحث والتفصيل ونقتصر في هذه العجالة على إيراد خبرين لخزانتين تعودان إلى شخصين ؛ أحدهما خزانة عز الدين الفاروئي الواسطي، وكان هذا الرجل من أهل (الفاروث)، وهي قرية كانت على شاطئ دجلة، بين واسط والمذار^(١)، وقد عرف بالزهد والتصوف. سمع الحديث ورحل فيه، فقدم إلى دمشق مرتين، ثم عاد إلى وطنه ومات بواسط سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م). وكان الفاروئي، على ما ذكر ابن كثير قد «خلف ألفين ومائتي مجلد»^(٢). فهذه الكمية من المجلدات يصح اعتبارها خزانة.

ولعل مما ينظم في سلك الخزائن الواسطية ؛ خزانة ابن الثردة. واسمه الكامل علي بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي ثم الدمشقي، المعروف بابن الثردة، وقيل ابن الفردة، المولود سنة ٦٩٧هـ - (١٢٩٧م) المتوفى سنة ٧٥٠هـ - (١٣٤٩م). تعانى الآداب والوعظ، وتغير في آخر عمره في السوداء، وهو مع ذلك ينظم الشعر، فالتحق بعقلاء المجانين !

وقد أحرز هذا الرجل خزانة كتب سرق جانب منها على حدّ ما ذكره بعض المؤرخين، فقد (كان يدعي أنه سرق له من بغداد من الكتب بقدر ألفي مجلد ؛ وأن جماعة من التجار باعوها بدمشق)^(٣).



ما كنا نكتب هذه الكلمة في خزائن الكتب الواسطية، حتى بلغنا أن المحسن الكبير الشيخ بلاسم الياسين ؛ الذي شيد مدرسة ثانوية كبيرة في

(١) معجم البلدان [٣ : ٨٤٠ طبع ليسك].

(٢) البداية والنهاية في التاريخ [١٣ : ٣٤٢].

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني [٣ : ٨]؛ وفوات الوفيات لابن شاعر الكتبي [٢ : ٣٩] بولاق [١٢٨٣ هـ].

بلدة (الحي)، القائمة اليوم على بعد غير كبير من أطلال واسط، قد تبرع أيضاً بمبلغ حسن من المال لإنشاء خزانة كتب كبيرة تلحق بالمدرسة المذكورة، وتضم رفوفها أمهات التصانيف العربية ونفائسها. ولعمري، إذا أتيح تنفيذ هذه الفكرة وإخراجها إلى حيز الواقع، كان الرجل من أعظم من سيخلد تاريخ العراق الحديث ذكرهم، لأنه ساهم في نشر العلم في هذه الربوع. ولا مشاحة أن مدرسته وخزانة الكتب التي نحن بصدددها، سيكونان منارين للعلم في بعض أنحاء العراق. وستذكرنا بما كان في مدينة واسط من معاهد علمية مختلفة.



المجرى القديم لدجلة

بقلم: فؤاد سفر

يتجه اليوم دجلة في مجراه بعد أن يترك مدينة الكوت نحو الشرق فيمر ببلدة علي الغربي ومنها نحو الجنوب الشرقي فيسقي حقول العمارة تاركاً المدينة على يساره ثم بقلعة صالح ويستمر في جريانه حتى يتصل بالفرات في القرنة. وقد اتخذ هذا المجرى منذ قرنين ونصف قرن من الزمن. أما قبل ذلك فقد كان يسقي بساتين واسعة وأراضٍ شاسعة وبلدان عامرة أهلة بالسكان غنية بخراجها منها سابس وفم الصلح وواسط والرصافة والحوانيت جميعها الآن بعيدة جدّ البعد عنه.

وهذه المدن وغيرها مما كان على دجلة في العصرين الأموي والعباسي معظمها من مستحدثات العرب الإسلام، إذ لم يكن دجلة قبل الإسلام يسقي هذا الجزء من سواد العراق، فقد ذكر لنا قدامة بن جعفر في كتاب الخراج وصفة الكتابة طبعة ليدن ص ٢٤٠: (وسبب البطائح المبطحة في أرض السواد أن ماء دجلة كان منصّباً إلى دجلة المعروفة بالعوراء التي هي أسفل البصرة في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب، فلما كان ملك قباذ فيروز (قباذ الأول ٤٨٨ - ٥٣١ م) انبثق في أسفل كسكر بثق عظيم فأغفل أمره حتى غلب ماؤه وغرق كثيراً من أرضين عامرة كانت تليه وتقرب منه فلما ولى أنوشروان ابنه (كسرى الأول ٥٣١ - ٥٧٩ م) أمر بذلك الماء فزحم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين الى عمارة، ثم

لما كانت سنة ٦ من الهجرة وهي السنة التي بعث فيها النبي ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز (كسرى الثاني ٥٩٠ - ٩٢٨ م) زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة أيضاً لم ير مثلها وانبثقت بثوق كبار فجهد أبرويز أن يسكرها ... فلم يقدر للماء على حيلة فورد المسلمون العراق وشغلت الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت إليها ويعجز الدهاقون عن سدها فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت.

ومنذ ذلك الحين كان نهر دجلة يجري في غير مجراه الحالي وقد ظلت المدن والقرى الإسلامية الواقعة على جانبيه عامرة حتى القرن التاسع أو العاشر للهجرة إلى أن أخذ دجلة يغير مجراه فيعود تدريجياً إلى شط العمارة. وما حلت سنة ١١٠٧ من الهجرة حتى هجرت مدينة واسط هجراً تاماً لنضوب الماء في عقيق النهر المار بها. هذا ما ذكره لنا نعمة الله الجزائري من أهل واسط في كتابه (زهر الربيع) طبعة النجف، ص ١٢٧. فيكون عمر دجلة القديم مبتدئاً بسنة ٦ للهجرة على الأقل ومنتهاً سنة ١١٠٧ للهجرة.

ولا بد وأن دجلة القديم قد ترك معالم أو عقيق يمكن اقتفائه. فإلى الشرق من مدينة الكوت يتدنى نهر دارس يعرف اليوم بشط الدجيلية، يتجه، بعد أن ينعطف، إلى جنوب الشرق ماراً بأطلال تعرف اليوم بسابس وبعد أن يتركها على يمينه يستمر في امتداده حتى يمر بأطلال المنارة فيشطر خرائبها إلى شطرين وهذه الخرائب في موقع مدينة واسط التي نقبت فيها مديرية الآثار القديمة العامة تنقيباً واسعاً لستة مواسم من سنة ١٩٣٦ فوجدت فيها من منشآت الحجاج بن يوسف الثقفي جامع وقصره. ثم يستمر عقيق شط الدجيلية إلى الجنوب فيتشعب في نقطة ما إلى فرعين يتجه أحدهما شرقاً حتى يصل دجلة الحالي في مكان بين علي الغربي والكميت ويستمر الفرع الآخر في الاتجاه الجنوبي ويعرف بشط الأخضر ويمر بالأطلال المعروفة اليوم بالرصافة ومن بعدها يتجزأ شط الأخضر إلى عدة فروع تضعيع معالمها في منخفض من الأرض في البطائح التي ذكرها قدامة بن جعفر.

ونعتقد أن شط الدجيله هو عقيق دجلة بين سنة ٦ - ١١٠٧ للهجرة وذلك لأن هذا الشط عريض يناهز عرضه في بعض الأماكن ٢٠٠ متر ولأن عليه تقع خرائب سابس وواسط والرصافة واسترقد منه أقنية واسعة كحصان أبي طبرة (ويقع إلى الشمال من واسط على نحو ١٠ كيلو مترات منها) البعض منها اعظم من نهر أبي غريب وغيره من الأنهار التي تستمد ماءها اليوم من الفرات، يضاف إلى ذلك أن الأطلال الواقعة على جانبي شط الدجيله بين الكوت والرصافة إسلامية في آثارها السطحية مما يتفق في الزمن مع عمر نهر دجلة.

والجدير بالذكر أن المستشرقين وغيرهم من الباحثين في جغرافية العراق القديم قد اختلفوا في تعيين مجرى دجلة القديم وفي تثبيت موقع واسط فمنهم من عدّ شط الغراف ذلك المجرى وقد ذهب بعض الكتاب أو المؤرخين بأن مدينة واسط هي الحي الموجودة الآن ومنهم من تاه بين الغراف وشط الدجيله إلا أن الباحثة الأستاذة يعقوب سركيس استطاع أن يعين موقع واسط ويبرهن على أن الأطلال المعروفة الآن بالمنارة الواقعة على جانبي الدجيله هي تلك المدينة الشهيرة التي أسسها الحجاج بن يوسف واتخذها حاضرة لإدارته.

وكانت واسط مدينة العلم والمال اشتهرت برجالها وبمدارسها التي كانت منها للفقهاء والباحث في القرون الوسطى^(١) ونستبشر فرحاً بمشروع الحكومة في كربي الدجيله وإسقاء أراضي واسط كما أننا سررنا بالمدرسة الجديدة المؤسسة في مدينة الحي حيث يسعى أحد سكانها البررة الزعيم

(١) وبهذه المناسبة لا بدّ أن نذكر في الشرح نبذة من المدارس التي شيدت في واسط؛ وفي سنة [٦٣٢ هـ] في سابع عشر شعبان فتحت المدرسة التي أمر بإنشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرايبي للشافعية بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان دائراً، فأمر بتجديد عمارته ورتب به مدرساً للعدل أحمد بن نجا الواسطي ورتب بها معبدتين واثنين وعشرين فقيهاً وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع صاحب الديوان ابن الدباهي والناظر بواسط والقاضي والنقيبات والقراء =

الكبير الشيخ بلاسم بن محمد آل ياسين رئيس قبائل آل مياح في إحياء ذلك الجزء من العراق وبعث العلم والأدب فيه ولم يسبقه سابق من أهل الثروة والزعامة منذ أن اندرست المدارس معالم واسط العلمية والأدبية.



= والشعراء. وكان المتولي لعمارتها والذي جعل النظر إليه وإلى عقبه في وقتها أبو حفص عمر بن أبي بكر بن إسحاق الدورقي، وفي الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي ٦٤٢ - ٧٢٣ نشره الدكتور مصطفى جواد ببغداد ١٣٥١. [سنة ٦٤٨] وفيها توفي فخر الدين عمر بن إسحاق الدورقي كان يتولى أشغال زعماء البيات، وينوب عنهم، وكان ذا مال كثير فأنض؛ وجاء عريض بنى بشرق مدينة واسط جامعاً كان قد دثر؛ يعرف بجامع ابن رقا، وعمر إلى جانبه رباطاً، وأسكنه جماعة من الفقراء، ورتب فيه من يلقي القرآن المجيد ويسمع الحديث وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية .. ثم أنشأ قريباً من مدرسة الشراي التي بشرقي واسط رباطاً آخر على شاطئ دجلة تربة يدفن فيها، ووقف عليها وقوفاً سنياً وكان قد تجاوز السبعين من عمره.

مدينة واسط

وهي حسنة الأفطار كثيرة البساتين والأشجار بها أعلام يهدي الخير شاهدهم وتهدي الاعتبار مشاهدهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الإطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة وإليهم يأتي أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك. وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خاوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها ويعطي لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وضافني وزودني تمرًا ودراهم. رحلة ابن بطوطة، الطبعة الأزهرية بمصر، ص ١١٤.

مدارس واسط مدينة الحجاج

بقلم: يوسف يعقوب مسكوني

تمهيد:

لقد ترك لنا الأقدمون آثاراً قوية على الزمن، وقاومت الريح والأعاصير؛ فوقفت شامخة أبيّة الإذلال والخضوع، لتحدث الأبناء عن الآباء، والآباء عن الأجداد. وهكذا نرى في كل منعطف من منعطفات دنيانا أثراً مجهولاً أمام ناظره معروفاً عند الباحث عنه، ينبئك بعزته وعظمته أنه من صنع الجبابرة العظام الذين دوت أصواتهم في البقاع والآجام؛ ففعلوا ما فعلوا، وكان عملهم كبيراً.

إن في جنوبي العراق عند شط الحي ومدينة الحي الواقعة عليه؛ وعلى بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من شرقي مدينة الحي، بقايا ماثلة، قامت بالكشف عنها وترميمها مديرية الآثار القديمة العراقية. إن هي إلا أنقاض مدينة كانت بالأمس عامرة أهلة بسكانها، يشقها دجلة العذب فيشطرها إلى شطرين، كما في مدينة بغداد اليوم. تلك هي مدينة واسط التي ابتناها الحجاج بن يوسف الثقفي. وعلى رأي أكثر المؤرخين أنها بنيت سنة ٨٣هـ أي (٧٠٢م). وكما هو معلوم أن الحجاج عين والياً أي عاملاً على العراق في خلافة عبد الملك بن مروان أشهر ملوك بني أمية في الشام. وقد عاشت هذه المدينة بعده ما يقارب الألف سنة. ثم اندثرت وعفي أثرها تقريباً.

سبب تشييدها:

أما سبب تشييد هذه المدينة فلأنه آنس من أهل الكوفة الملal، ولأنه وجد عسكره الأموي مختلطاً بأهل الكوفة ؛ ما يضر بالسكان ويدعو إلى التبليبل في الأعمال، فيجب أن يحصر في محل معين مستقل. لذلك فكر في إيجاد مكان يتوسط بين الكوفة والبصرة، وهما المدينتان المهمتان آنذاك فاختار مكاناً وسطاً بينها ؛ فصار يبعد عنها بمسافة واحدة، وكذلك عن الأهواز، أي مسافة أربعين أو خمسين فرسخاً عن كل منها.

وكانت هذه البقعة في السابق محوطة بالأهوار والمستنقعات، تنمو فيها الأعشاب والأقصاب ؛ حتى كان يطلق عليها قبل بنائها (واسط القصب)، وكانت على كرش من الأرض ؛ أي ترتفع قليلاً، لذلك كان البصريون إذا نادوا واسطياً ينادون : (يا كرشي!)، فيتغافل عن الجواب، لأنه يدعي ذلك منقصة من مناديه. فضرب المثل في تغافل واسطي فقليل : تغافل عنا كتغافل واسطي، ومن ذلك ما أنشد التنوخي للفضل الرقاشي حيث يقول :

تركت عبادتي ونسيت بري وقدماً كنت بي برأ حفيا
فما هذا التغافل يا بن عيسى أظنك صرت بعدي واسطياً(*)
إلا أننا لا ننسى أن مدينة واسط لم تشيد على أرض خالية كلها، وإنما كانت بجوارها مدينة كسكر أو كسكر ؛ وهي معروفة في التاريخ، وعلى الأخص التاريخ الفارسي قبل الفتح الإسلامي.

وقد سئل الحجاج عن اختياره هذا المكان فقال : إني اتخذت لي مدينة في كرش من الأرض أكون فيه متوسطاً بين الكوفة والبصرة. ولا شك أنه كان يرسل منها فرق عساكره في الحروب التي جرت في العراق مع الخوارج الذين ناووا حكم بني أمية في العراق. وفي أول تشييدها جعلها

(*) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة (واسط)، ج ٨، ص ٣٧٩ - ٣٨٤ مصر.

حصناً له ولجنوده، ثم جلب لها بعض أكابر أهل الكوفة والبصرة فأقامهم فيها، وجعل فيها أسواقاً لسد حاجيات ساكنيها، كما أنه أقام فيها مسجداً في الجهة الغربية، وكذلك شيد فيها قصره ذا القبة الخضراء المعروف بخضراء واسط. وهنالك قصص وروايات في تشييد هذا القصر، أدرجتها في الكتاب الذي عزمت على تأليفه حول هذه المدينة وما وصل إلينا من أخبارها، وهو ما لا يستهان به، برغم المتاعب الجمة في الحصول على أخبارها من مراجعة الكتب التاريخية، لاستقصاء أحوال هذه المدينة التي عمرت مدة من الزمن، ثم انقرضت فأصبحت في عالم الغيب لا يعرف عنها شيء، وكثيرون الذين لم يعرفوا عنها إلا اسمها واسم بانيها فقط.

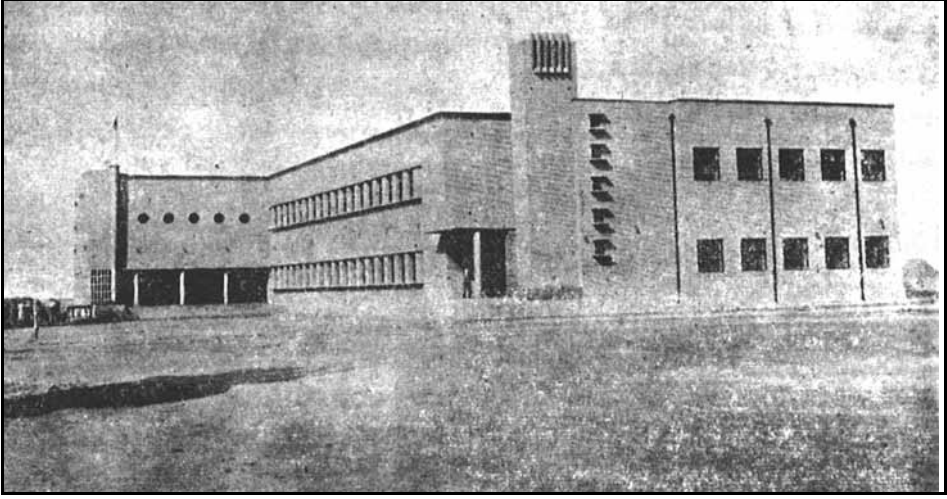
عمرانها وتكاليف بنائها :

ولقد أحاطها الحجاج بسور عظيم، وجعل لها أبواب، كما أنه نقل أبواباً لقصره وللمسجد الجامع من مدن قديمة كانت عامرة في ذلك الزمان، مثل (الزندورد)، و(سرايط)، و(الدوقرة)، و(دار وساط)، و(دير ماسرجيس أو ماسرجسان)، فضج أهل هذه المدن وقالوا : قد غصبتنا على مدائننا ؛ فلم يلتفت إلى قولهم. وأنفق الحجاج على بناء قصره والمسجد الجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم ؛ فقال له كاتبه صالح بن عبد الرحمن : هذه نفقة كثيرة، وإن احتسبها لك وجد في نفسه. قال : فما نصنع ؟ قال : الحروب لها أجمل. فاحتسب منها في الحروب بأربعة وثلاثين ألف ألف درهم، واحتسب في البناء تسعة آلاف ألف درهم^(*).

وذكرت المصادر التاريخية العديدة بعض البيوتات المشهورة فيها ؛ وعدداً من المساجد والمشاهد والمقابر والمدارس والربط : مما يدل على عظم أهميتها في التاريخ.

(*) معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة (واسط)، ج ٨، ص ٣٧٩ - ٣٨٤؛ وراجع فتوح البلدان للبلاذري في بحث (أمر واسط العراق)، ص ٢٩٠ طبعة أوروبية.

أما سكانها فقد كانوا مزيجاً من قبائل عربية جاءت من جنوبي العراق وأواسطه ولم يختلط بهذه الكتلة العربية أجناس من النبط والخوز الذين كانوا يطلق عليهم أهل السواد ؛ حيث شدد عليهم الحجاج في دخول المدينة، فكان يدخلهم نهاراً للعمل فيها ويخرجهم ليلاً. إلا أن البعض منهم دلس إليها بعد موته فاختلط بسكانها.



ثانوية الحي بمدينة الكوت التي قام بانشائها الزعيم الشيخ بلاسم آل ياسين عام ١٩٤٧م على نفقته الخاصة

أسباب انقراضها وتاريخه :

أما أسباب انقراضها فمعروفة، لأن دجلة قد غيّر مجراه بعد أن كان يمر في وسطها كما أسلفنا، وسبب ذلك إهمال السدود وكثرة البثوق التي تتسرب منها المياه ؛ التحق دجلة بفرعه الذي كان يسمى (دجلة العوراء)، وهو المجرى الحالي الذي يمر بمدينة العمارة الحديثة الحالية ؛ تاركاً مدينة واسط في صحراء رملية قاحلة جرداء، فهجرها سكانها وتفرقوا في القرى والأرياف والمدن إلى حيث العيش والرزق ؛ فبقيت خربة، وبتماذي الزمان طمرت الرياح والعواصف الرملية فغطتها عن العين، وهكذا خفي أثرها وغابت عن عالم الوجود.

وأكد لي الأستاذ يعقوب سركيس المحقق المدقق أن آخر خراب لمدينة واسط على ما جاء للششتري كان قبيل سنة ١١٠٧هـ أي سنة ١٦٩٥م.

ولما كان مقالنا هذا يتعلق بالبحث عن مدارسها فإننا نكتفي بهذه الإلمامة عنها، بعد أن أعطينا صورة موجزة من تاريخها.

مدارسها :

إن لمدارس هذه المدينة المندثرة أهمية كبرى في تاريخها ؛ بالرغم من قلتها فيما توصلنا إليه. وليس من الإنصاف أن نقول وأن مدارس واسط اقتصرت على عدد معلوم، لقلة ما تمكنا من معرفته عنها، بل هنالك مدارس لم نعرف عنها شيئاً، بالنظر لقلة من ألفوا في تأريخ هذه المدينة، سواء أكان ذلك في أوائل أدوارها أم في أواخرها، إذا قارناهم بمؤلفي المدن الأخرى التي لا تقل عنها شأنًا كبغداد والبصرة والموصل وغيرها.

وتضيف إلى ما نعرفه من مدارسها الربط التي كانت بمثابة مدارس تدرس فيها القراءة والكتابة وعلوم الدين والفقه، وخاصة دراسة القرآن الكريم وما يتعلق به من الشرح الوافر والتفاسير القيمة. زد على ذلك ما يتعلق بقواعد الصرف والنحو والفصاحة والبلاغة وعلوم البيان والبديع والمعاني والنثر المسجوع والشعر المنظوم. وكذلك الفقه والعلوم الشرعية وفلسفة الكون والتوحيد وغيرها من العلوم التي لا تُحصى. كما أننا لا ننسى أنه كان يتخذ في كل مسجد من المساجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة أيضاً وحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية، فكان يعتبر كل مسجد مدرسة من المدارس. وهنالك عدة كتاتيب لتعليم الصغار وتهيئتهم لقبول هذه العلوم. والذي يثبت لنا ما قلناه في هذا الصدد الأساتذة الواسطيون والعلماء والفحول الذين تخرجوا من هذه المعاهد ؛ فدرسوا وأفتوا، وحدثوا وكتبوا ؛ ودونوا في مختلف المدن الإسلامية الشهيرة ؛ ما وراء النهر وأفغانستان؛ حتى مصر

وبلاد المغرب والأندلس وهذه تواريخ تلك المدن مشحونة بأسماء الواسطيين الذين نزحوا لها فأفادوا وخرجوا رجالاً علماء على أيديهم استدلالاً مما أحصيناه من هذه الجماعات ؛ ويكفيها فخراً أن يدخلها الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط، الذي درس فيها عند انتقاله إلى العراق من بلاد فارس^(١) ومنها سار إلى بغداد والبلدان الأخرى.

واشتهرت واسط بالمدارس الآتي ذكرها على ما دونه الرحالون والمؤرخون عنها، ولم يذكروا غيرها. ولعلمهم لم يجدوا أشهر منها في زمانهم.

مدرسة خطلبرس :

إن أول مدرسة عثرنا على أخبارها وأقدمها تاريخاً بالنسبة لما عرفناه هي مدرسة خطلبرس، وتقع هذه المدرسة بالقرب من دجلة في الجهة الشمالية الغربية من الجانب الشرقي، كما يغلب على الظن - لأن مدينة واسط كانت راكبة دجلة من الجانبين كبغداد - وقد نص على تعيين موقعها ابن الديبشي في مخطوطه المحفوظ الآن في المكتبة الأهلية بباريس، حيث قال فيه : «جعفر بن مظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة. توفي بواسط سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) فدفنها بمدرسة خطلبرس أعلى البلد»، اهـ^(٢). أما ما جاء في أوصاف هذه المدرسة فغير معروف لدينا. وغاية ما نعرفه أن الاسم المطلق عليها هو اسم أحد مقطعي^(٣) واسط، وكان يدعى خطلوبرس، وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل فقال : «في سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م) قتل

(١) راجع معجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس ص ١٤٩٩ مع ذكر المصادر التي استقى المؤلف منها أخبار مجد الدين الفيروز آبادي.

(٢) هذا ما ذكره لنا الدكتور مصطفى جواد الملاحظ الفني في مديرية الآثار القديمة العامة نقلاً عن مخطوط لابن الديبشي.

(٣) المقطع: هو الذي يقطعه السلطان أو الخليفة الإمام أرضاً ببلدانها وقرائها ليستثمرها بنفسه لقاء مبالغ معينة يقدمها سنوياً لصندوق بيت المال، ومن يعجز عن ذلك يعزل أو يحبس.

خطلوبرس مقطع واسط، قتله ابن أخي شملة صاحب خوزستان ويدعى ابن شنكا، أصعد إلى واسط ونهب سوادها وقتل المقطع المذكور^(١).

أما ابن خلدون فقد ذكره عدة مرات في تاريخه. ذكره في حصار السلطان محمد بغداد فقال : (كان السلطان محمد قد بعث إلى المقتفي لأمر الله في الخطبة له ببغداد فامتنع من إجابته وأرسل المقتفي عن «خطلوبراس»، صاحب واسط فجاء في عسكره وملك مهلهل الحلة... إلخ)^(٢). وكان ذلك سنة إحدى وخمسين وخمسمائة على وجه التقريب، أي سنة (١١٥٦م) وذكره في حروب المقتفي مع أهل النواحي فقال : (كان سنقر الهمذاني صاحب اللحف، وكان في هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان، فسار المقتفي لحربه في جمادى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وضمن له الأمير (خطلوبراس) إصلاحه فسار إليه خاله على أن يشرك المقتفي معه في بلد اللحف الأمير أزغش المسترشدي، فأقطعها لهما جميعاً، ورجع، ثم عاد سنقر على أزغش وأخرجه وانفرد ببلده ؛ وخطب السلطان محمد، فسار إليه (خطلوبراس) من بغداد في العساكر وهزمه وملك اللحف .. إلخ)^(٣). وذكر أيضاً أن مقطع البصرة منكبرس من موالي المستنجد، وقتله سنة تسع وخمسين وخمسمائة (١١٦٣م) وولي مكانه كمشتكين. وكان ابن سنكا - أوشكا - ابن أخي شملة صاحب خوزستان، فانتهاز الفرصة في البصرة ونهب قراها، وأمر كمشتكين بقتاله ؛ فعجز عن إقامة العسكر، وأصعد ابن سنكا إلى واسط ونهب سوادها وكان مقتطعها (خطلوبراس) فجمع وخرج لقتاله، واستمال ابن سنكا الأمراء الذين معه، فخذلوه وانهزم، وقتله ابن سنكا سنة إحدى وستين وخمسمائة (١١٦٥م)، ثم قصد البصرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة

(١) الكامل لابن الأثير، ج ١١، ص ١٤٠، طبع مصر. وفي طبعة أوربة، ج ١١، ص ١٤٠، ص ١٥١، ص ٣١٢، ٢١٣ حيث تذكر أخبار خطلوبرس المذكور.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، ج ٣، ص ٥١٩، طبع بولاق.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، ج ٣، ص ٥٢٠، طبع بولاق.



جانب من جمهور مهرجان الحي في مدينة واسط

(١١٦٥م) ثم قصد البصرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة (١١٦٦م)، ونهب جهتها الشرقية وخرج إليه كمشكين وواقعه وسار ابن سنكاه إلى واسط؛ وخافه الناس ولم يصل إليها^(١).

وذكر في الجامع المختصر لابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) أيضاً: (أن قراسنقر الحاجي، أحد المماليك المستنجدية. وكان أولاً لخطلبرس شحنة^(٢) واسط قديماً^(٣))، فيظهر من هذا أن ما أورده ابن الأثير نقله ابن خلدون مع اتفاق السنين أيضاً فيكون تاريخ بناء هذه المدرسة

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، ج ٣، ص ٥٢٤، طبع بولاق.

(٢) الشحنة، أي شحنة البلد: من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان على قول الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط، وهو بمثابة مدير الشرطة في يومنا هذا، وكثيراً ما كان المقطع هو الشحنة نفسه، كما كان خطلبرس هذا؛ حيث ورد ذكره مقطوعاً وورد ذكره شحنة في واسط في المدة نفسها.

(٣) الجامع المختصر لابن الساعي الخازن، ج ٩، ص ٧٤، طبع على نفقة الأب أنستاس ماري الكرمللي وعناية الدكتور مصطفى جواد.

المسماة باسم مقطع واسط [خطلوبراس] إلى ما قبل سنة إحدى وخمسين وخمسمائة للهجرة بقليل، كما أنها بقيت بعده إلى ما بعد سنة ٦١٠هـ، كما رويناه في أول الخبر عنها ما ذكره ابن الدبيشي من أن جعفر بن مظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة مات في السنة المذكورة بواسط ودفن في المدرسة المذكورة. ويدلنا هذا على أن المدرسة كبيرة حتى كانت فيها مقبرة لدفن مشاهير الرجال العلماء فيها. وأما الاسم فالغالب أنه تركماني.

هل كان يطلق عليها المدرسة البرانية ؟

وذكر الأستاذ عباس العزاوي المحامي في الجزء الثاني من كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) [ص ٢٩] نقلاً عن الدرر الكامنة، [ج ٤، ص ٤١٩] و(طبقات الشافعية الكبرى)، للسبكي [ج ٩، ص ٢٥٠]: أن يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي ويكنى أبا زكريا الواسطي الذي كان فقيه العراق في زمانه، وقد ولد سنة ٦٦٢هـ [١٢٦٣م] وتفقه على والده وسمع من الفاروخي وأجاز له ابن أبي الدنية وعبد الصمد بن أبي الجيش وغيرهم، وقد حدث بغداد ودرس في المدرسة البرانية بواسط. له مصنف في الناسخ والمنسوخ، وكتاب (مطامع الأنوار النبوية في صفات خير البرية)، الذي قال عنه الذهبي: هو فرع في الفقه؛ وكان يقال في حقه: إنه فقيه العراق في زمانه؛ مات بواسط في ربيع الآخر سنة ٧٣٨هـ [١٣٣٧م]. فقد تكون المدرسة البرانية هذه هي مدرسة خطلبرس عينها، لاتفاق التاريخ والموقع، ولوقوعها في أعلى البلد، كما ذكر ابن الدبيشي وتقارب مدة تدريس يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي فيها وتاريخ وجودها. فإذا صح ذلك فتكون قد بقيت إلى ما بعد سنة ٧٣٨هـ، التي توفي فيها يحيى المذكور. أما إذا لم يصح هذا فتضاف بذلك مدرسة أخرى إلى مدارس واسط.

مدرسة الغزنوي :

ورد ذكرها في (الجواهر المضنية في طبقات الحنفية) لمحيي الدين

عبد القادر القرشي المصري كما يأتي : (محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الفضل الغزنوي، حدث بكتاب : تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء، لأبي الفتح عبد الصمد بن سعود بن يونس النجار، وقال : صحب أبا الفتح أحمد بن محمد الغزالي وأخذ عنه علم الوعظ، وقدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ؛ وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر، ثم انتقل إلى واسط فسكنها إلى حين وفاته. وقرأت في كتاب القاضي أبي الحسين علي الواسطي بخطه قال : توفي محمود الغزنوي يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة في مدرسته بمحلة الوراقين، وكان يوماً مشهوداً)، اهـ^(١). فتكون هذه المدرسة معاصرة للمدرسة المذكورة آنفاً، أي من مدارس القرن السادس للهجرة. وكل هذه المدارس تسمى بأسماء أصحابها ومنشئها.

مدرسة ابن الكيال الواسطي للحنفية :

ذكرها ابن الساعي الخازن في كتابه الجامع المختصر، في ترجمة أبي الحسن عبد اللطيف المعروف بابن الكيال الواسطي في حوادث سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م) قال : (أبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله بن علي بن منصور بن الحسن الواسطي المعروف بابن الكيال، قاضي واسط ومشرف ديوانها ؛ تولى القضاء بواسط مدة بعد أبيه، وكان فيه فضل، وعنده معرفة بمذهب أبي حنيفة، درس الفقه بواسط بعد والده في مدرسة بها الحنفية، وتولى أيضاً التدريس بمشهد أبي حنيفة وخلع عليه من الديوان العزيز، فذكر به الدرس في يوم السبت تاسع شوال سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وفوض إليه النظر في الوقوف عليه وعلى غيره من المدارس الحنفية وعاد إلى واسط

(١) الجواهر المضية في الدين القرشي المصري المولود سنة ٦٩٦هـ [١٢٩٦م] والمتوفى سنة ٧٧٥هـ [١٣٧٣م]، ج ٢، ص ١٥٤، طبع حيدر آباد.

قاضياً ؛ واستتاب في التدريس عنه أبا الفرج عبد الرحمن بن شجاع الحنفي ثم عزل عن التدريس والنظر - أعني ابن الكيال - في جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين وخمسمائة، وفي المحرم سنة ثمان وتسعين أذن له من الديوان العزيز بالاسجال عن الخدمة الشريفة بواسط، وقبول الشهود، فكان على ذلك إلى أن عزله قاضي القضاة أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغاني عن القضاء، في سلخ شوال من سنة ثلاث وستمائة، وبقي مشرفاً بالديوان إلى أن صرف قبل وفاته بقليل وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة خمس وستمائة المذكورة)، اهـ^(١).

ولم تقتصر أخباره على ابن الساعي قط، بل ذكره القرشي صاحب الجواهر المضية، بقوله : (نصر الله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي أبو الفتح القاضي المعروف ابن الكيال، قرأ القرآن الكريم بالروايات العشر على أبي القاسم علي بن محمد بن جعفر، وسمع منه الحديث ومن غيره. قدم بغداد في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهو شاب يطلب العلم ؛ وعلمه مسائل الخلاف عن الحسن بن سلامة المنبجي وعن القاضي إبراهيم الهيتي، حتى برع وتكلم في مجالس المناظرة وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ثم عاد إلى واسط، ودرس بمدرسة تعرف به، وتولى القضاء بالبصرة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وعزل في سنة ست وسبعين، وقدم بغداد في ذي القعدة سنة تسع وسبعين، وأقام بها مدة حدث بها وأقرأ القرآن، وعلم بجامع القصر^(٢) مسائل الخلاف. قال ابن النجار : كان غزير الفضل حسن المناظرة له معرفة حسنة بالأدب ويقول

(١) الجامع المختصر لابن الساعي الخازن، ج٩، ص٢٨٠، ٢٨١.

(٢) جامع القصر، ويعرف أيضاً بجامع الخلفاء، لم يبق من آثاره سوى منارة شاهقة كبيرة تعرف بمنارة سوق الغزل قائمة وسط هذا السوق ومسجد صغير عليه آثار القدم يشتمل على جزء صغير من بقية جامع القصر وسعته.

الشعر الجيد. سمع منه ببغداد أبو الحسن القطيمي ثم إنه عاد إلى واسط وتولى القضاء بها في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة، ولم يزل على ولايته إلى حين وفاته ليلة الأحد ١١ جمادى الأولى سنة ٥٨٦هـ [١١٩٠م]، سئل عن مولده فقال : سنة اثنتين وخمسمائة^(١) [١١٠٨م]. قال ابن النجار : (سمعت منه الكثير ؛ ونعم الشيخ كان فضلاً وعلماً ومعرفة وثقة. وابناه عبد الرحيم وعبد اللطيف تقدم ذكرهما)^(٢) اهـ.

نستدل من هذه المعلومات أنه أقام هذه المدرسة في حياته العلمية بعد الدراسة والتحصيل فيكون إنشاء هذه المدرسة حوالي سنة ٥٤٥هـ، أو سنة ٥٥٠هـ. أي أواسط القرن السادس الهجري ؛ وبذلك تكون هذه المدرسة معاصرة لمدرسة خطلبرس الآنفه الذكر.

مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام :

ومن المدارس التي عاصرت مدرسة ابن الكيال الواسطي الحنفية أيضاً مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام. وقد ورد ذكرها في مخطوطة تاريخ واسط لأسلم بن سهل بن حبيب الرزاز الواسطي المعروف ببحشل، حيث ذيلت في آخر المخطوطة الفقرة التالية : (سمع جميع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل وذلك بواسط في مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام نور الله ضريحه في مجالس ؛ آخرها الاثنان رابع عشرين ذي القعدة

(١) ج ٢، ص ١٩٨ من الجواهر المضية.

(٢) قال الدكتور مصطفى جواد: (لا نشك في أن أبا الحسن القطيعي المذكور وأبا عبد الله ابن الديلمي مؤرخ واسط وبغداد سآلاه عن ولادته، ولكن ابن النجار لم يود ذكرهما لحاجة في نفسه رحمهم الله جميعاً).

(٣) هو أسلم بن سهل بن زياد بن حبيب الرزاز أبو الحسن المعروف ببحشل الواسطي، منسوب إلى محلة الرزازين المحلة السفلى بواسط، ومسجده هناك وداره، وهو ثقة إمام يصلح الصحيح، وجده لأمه أبو محمد وهب بن بقية. ويقال وهبان جمع بحشل تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها ورتب طبقاتهم وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان مات في سنة ٢٨٨هـ [٩٠٠م] قبلها أو بعدها بقليل: حدث عنه بتاريخه أبو =

من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة [١١٧٧م]^(١)، اهـ، فإذا كان آخر قراءة المخطوطة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فلا شك أن تشييد المدرسة المذكورة يسبق التاريخ المذكور بكثير.

المدرسة الشراعية الشرقية بواسطة :

ذكرها ابن الفوطي البغدادي في كتابه (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة)، في حوادث سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) قال ما نصه : (وفي هذه السنة في سابع شعبان فتحت المدرسة التي أمر بإنشائها شرف

= بكر محمد بن عثمان بن سلمان المعدل، وكان يضاهيه في الحفظ والإتقان وشركه في أكثر شيوخه؛ ومات قبل الـ [٣٣٠هـ أي ٩٤١م] ذكر ذلك كله السلفي الحافظ في السؤال التي سألتها خميسا الحوزي. نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموي طبع مرغليوث، ج ٢، ص ٢٥٦ مع العلم بأن ياقوت ذكره باسم نحشل والصحيح بحشل كما جاء في مخطوطة تاريخ واسط بدار الكتب المصرية بالقاهرة والنسخة التي نقلها عنها مديرية الآثار القديمة العراقية وراجع عدد جريدة الأخبار الخاص رقم [٧، ٨، ٩] حيث نشر الأستاذ كوركيس عواد بحثاً مطولاً عن هذه المخطوطة واللقب بحشل على ما قاله الأب العلامة أنستاس ماري الكرمللي أنه من اللفظتين الأرميتين (بر)، ومعناها الابن و(حشالا)، ومعناها الصائغ فيكون مجموعها: [ابن الصائغ] إذ كان قد توصل إلى تحقيق هذه اللفظة منذ ٥ شباط ١٩٠٥م كما يلاحظ من حاشية نسخته من تاج العروس في المستدرک على بحشل.

(١) وقال الحاج خليفة المعروف بكتاب جلبي في كتابه كشف الظنون في المجلد الأول، ص ٣٠٩ من طبع الأستانة الأخيرة ما يلي: (تواريخ واسط: منها تاريخ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن الديبشي الواسطي المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة، والذيل عليه لابن الجلابي، هو أبو الحسن علي بن محمد بن الطيب الجلابي المؤرخ المتوفى سنة ٥٣٤هـ [١١٣٩م] وتاريخ السيد جعفر بن محمد بن الحسن المعروف بالجعفري. وتاريخ بحشل وتاريخ واسط أسلم [لأسلم] بن سهل [ابن أسلم بن زياد الواسطي المحدث المتوفى سنة ٢٩٢هـ - ٩٠٤م]، اهـ. وقد أخطأ صاحب كشف الظنون إذ توهم أن تاريخ بحشل هو غير تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز وقد أثبت المؤرخون والأدلة التاريخية أن «بحشل، لقب لأسلم بن سهل المذكور، وتاريخ بحشل وتاريخ واسط هما كتاب واحد».

الدين أبو الفضائل الشرابي للشافعية بالجانب الشرقي من واسط على دجلة ؛ مجاورة لجامع كان دائراً. فأمر بتجديد عمارته، ورتب به مدرساً العدل أحمد بن نجا الواسطي ؛ ورتب بها معيدين واثنين وعشرين فقيهاً. وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها، وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان ابن الدباهي، والناظر بواسط، والقاضي والنقيب، والقراء والشعراء، وكان المتولي عمارتها والذي جعل النظر إليه وإلى عقبه في وقفها أبو حفص عمر بن أبي إسحاق الدورقي^(١)، اهـ.

أما أخبار شرف الدين إقبال الشرابي هذا فقد جاء في الحوادث الجامعة ما عثرنا عليه قال :

(في سنة ٦٤٦هـ [٤٨م] رتب شرف الدين إقبال الشرابي عماد الدين ابن ذي الفقار الماوي مدرساً في المدرسة التي أنشأها بواسط. حكى أنه لما حدث الشرابي في ترتيبه دخل بعض الخدم وقال له : قد رأيت الليلة مناماً، فسأله عنه، فقال : رأيت علياً عليه السلام ومعه سيف في غمد أخضر وقد ناولك إياه وقال لك : هذا ذو الفقار، فأذن في ترتيبه^(٢)، اهـ.

أما وفاة شرف الدين إقبال الشرابي فكانت في سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) على ما ذكره ابن الفوطي أيضاً في الحوادث الجامعة حيث قال : (توفي شرف الدين إقبال الشرابي، كان شيخاً شجاعاً كريماً شريف النفس عالي الهمة ؛ بنى بواسط مدرسة على شاطئ دجلة بالجانب الشرقي ؛ وعمر إلى جانبها جامعاً، وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان ؛ وجدد بمكة - شرفها الله تعالى - الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا).

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

ومما جاء في الحاشية ما قاله قطب الدين أنه بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ووقف بها كتباً كثيرة في سنة ٦٤١هـ [١٢٤٣م]. وعين غرفة التي في الموقف ؛ وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به، وأوقف على ذلك كله الوقوف السنية. وكان كثير الصدقات والمواصلات كان في خدمة الخليفة بالحلة فمرض بها وحمل إلى بغداد في شبابة وهو مثقل، فوصل في سابع عشر شوال وتوفي في ثامن عشر، وصلى عليه في جامع القصر. ودفن في تربة الخليفة المستعصم بباب القبة على يمين الداخل. وزاد في الحاشية أيضاً ما تقدم في حوادث سنة ٦٤٥هـ [١٢٤٧م] أنها في رباطها المستجد بشارع ابن رزق الله من غربي بغداد - وجلس الوزير وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية، وكان أولاً لعز الدين نجاح الشرايبي وانتقل إلى زوجته بعد وفاته ؛ فلما أفضت الخلافة إلى الظاهر حملته إليه فقبله، فأبعده عنه رشيق وأنفذ إلى ولده المستنصر، فلما دخل عليه قال : ما اسمك ؟ فقال : إقبال. فسر بذلك واستبشر وتفاءل به، فلما أفضت إليه قربه وقبض على رشيق وحبه، وجعل إقبالاً شرايياً، ثم جعله سر خيل العسكر، فلما توفي زعيم إربل سار بالعسكر إليها وأخذها وعاد مظفراً. فلما أفضت الخلافة إلى المستعصم زادت منزلته عنده وقرب من قلبه. فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين وستمائة خرج إلى لقاءهم وظهر من حسن الأحوال بعده - ملاحظة : واسم المدرسة التي بناها الشرايبي ببغداد الشرقية^(١).

وأشهر من درسوا فيها عماد الدين زكريا القزويني، ففي الحوادث الجامعة من حوادث سنة ٦٨٢هـ [١٢٨٣م] أن عماد الدين زكريا بن محمود القزويني قاضي واسط وصاحب كتاب (عجائب المخلوقات) وكتاب

(١) الجامعة لابن الفوطي، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

«آثار البلاد وأخبار العباد» نقل إلى القضاء سنة اثنتين وخمسين وستمائة وأضيف إليه التدريس بمدرسة الشرايبي ؛ فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، وكان حسن السيرة عفيفاً^(١).

مدرسة الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي :

ومن مدارس واسط المدرسة التي وصفها ابن بطوطة في رحلته ولم يذكر اسماً علماً لها ، وإنما يذكر اسم بانيها ، وهو الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي الذي قال عنه : إنه من كبار أهل واسط وفقهائها ، وقال عنه أيضاً ، إنه يعطي كل معلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها ، ثم يضيف قائلاً :

ولقد لقيته وأضافني وزودني تمرّاً ودراهم. فتكون رحلة ابن بطوطة إلى واسط في إبان تشييد هذه المدرسة التي قال عنها إنها مدرسة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن. ونحن نعرف ان ابن بطوطة ولد سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) وابتدأ رحلته من طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمئة معتمداً حج بيت الله الحرام وسنه يومئذ اثنتان وعشرون سنة. وكان الفراغ من تقييد رحلته هذه في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمئة ، فعلى هذا يكون مروره بواسط حوالي سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) أو ٧٣٠هـ (١٣٢٩م) فالمدرسة إذن من منشآت القرن الثامن الهجري^(٢).

الربط :

لم نعثر فيما دون من آثار واسط إلا على عدد قليل معين من الربط.

(١) المصدر نفسه ، ٢٥٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ٤ ، ٥ ثم ج ٢ ، ص ٢٠٦ طبع بمصر.

والرباط معناه هنا المعهد المبني والموقوف للفقراء، ويكون عادة مأوى الرابطة أي الزاهد الذي يقوم بتعليم الفقراء وإطعامهم والإشفاق عليهم وإيوائهم.

رباط قراجة :

ومن هذه الربط رباط قراجة، ويقع على نهر دجلة في الجانب الشرقي ؛ كما يدل النص التالي وقد قاله العماد في الخريدة : (وكان أبو الفرج العلاء بن السوادى عند رباط قراجة بواسط يأوي إلى غرفة على شاطئ دجلة، جرت بينه وبين الصوفية منافرة ثم أراد لألفته بها ولقربها من قلبه، فكتب إلي بأن آخذها وعاتبني في رقعته فأجبتة نظماً...

في غرفة انهارها من تحتها تجري ففز منها هديت بغرفة والعماد الأصفهاني تولى الأمر بواسط في خلافة المستنجد الله العباسي الذي تولى الخلافة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) وتوفي ٥٦٦هـ (١٧٧٠م).

رباط القربتي :

وقد ورد ذكره في مخطوط لابن الديبشي، وهو ذيل على كتاب تاريخ السمعاني جاء فيه ما نصه : (أحمد بن علي بن سعيد الحوزي أبو العباس الصوفي سكن واسط وأقام بها برباط القربتي، ولد سنة ٤٩٩هـ (١١٠٥م) وتوفي سنة ٥٧٧هـ (١١٨١م) قال ابن الديبشي : (حضرت الصلاة عليه يوم الخميس بجامعها ودفن بمقبرة مسجد زنبور).

رباط جامع ابن رقاqa ورباط المدرسة الشرايية :

ذكرهما ابن الفوطي صاحب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) بقوله : (فيها توفي فخر الدين عمر بن إسحاق الدورقي. كان يتولى إشغال زعماء البيات وينوب عنهم وكان ذا مال كثير فائض، وجاه عريض ؛ بنى بشرقى مدينة واسط جامعاً كان قد دثر يعرف بجامع ابن

رقاقا، وعمر إلى جانبه رباطاً وأسكن جماعة من الفقراء، ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ويسمع الحديث. وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية، ثم أنشأ قريباً من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطاً آخر على شاطئ دجلة وتربة يدفن فيها، ووقف عليها وقوفاً سنية وكان قد تجاوز السبعين من عمره)، اهـ [ص ٢٥٤].

ويجد الباحث في تاريخ واسط مدارس بأسماء المحدثين والرواة والفقهاء، كانوا يتخذونها بأسمائهم، أو يجعلون قسماً من بيوتهم مدرسة يجتمع فيها طلاب العلم من المدينة أو من أنحاء أخرى.

هذا مجمل ما تمكنت من الحصول عليه من مدارس واسط ويقيني أن وجود هذه المدارس في مدد متقاربة هو الرجعة العملية التي حدثت في أواخر أيام الدولة العباسية. لاسيما عهد الوزير نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي، الذي أنعش الروح العلمي في زمانه، بفتح المدارس النظامية العديدة في أنحاء الشرق العربي والعجمي فتأثرت واسط بهذا التيار، وعاد لها نشاطها العلمي والثقافي، وهي أم المقرئين والفقهاء والمحدثين الذين درسوا وأفتوا في مختلف البلدان العربية وأخصها بغداد مركز الخلافة العباسية، حيث غصت معاهدها العلمية بالأساتذة الواسطيين.

إن ما هو جدير بالذكر في هذه المناسبة قيام الزعيم الكبير الشيخ بلاسم بن محمد آل ياسين رئيس قبائل المياح في مدينة الحي التي تعد تاريخياً من بقايا آثار واسط وسكانها الذين نزحوا إليها عند إنقطاع نهر دجلة عن المدينة الشهيرة كما ذكر آنفاً (ببناء مدرسة كبيرة) على احدث طراز من فنون الأبنية العصرية والتي صرف عليها مبالغ طائلة من جيبه الخاص فكانت مبرة فاخرة لو رآها ابن بطوطة لتاه فناً و إعجاباً ولدون اسم الشيخ بلاسم في أعز مكان من فصول رحلته إلا أن العلم وبيوت العلم لا يقدرها إلا ذووها فقد ضرب هذا الزعيم الطيب الذكر رقماً عالياً في سجل المبرات العراقية التي جعلت من أبناء العلم الألسنة تلهج بذكره وتشيد بمفاخره عزاً وإعجاباً

فهنيئاً له بما قام به وخلد اسمه على كر السنين والأجيال بهذه المفخرة التي بنيت بجوار مدارس واسط أو خلواتها التي أخرجت للعالم الشرقي والغربي أساتذة وأساطين كباراً دوخوا العالم بمفاخرهم ومآثرهم ومؤلفاتهم التي بقيت مع السنين لم تبل ولن تزول، ولا شك في أن المعهد الذي شيده هذا الشيخ الوقور سيخرج فحولاً وأبطالاً يكونون في المستقبل سدنة للعلم وتراثاً خالداً لأبناء الرافدين مهما كر الجديان وتعاقبت الأزمان.



في مهرجان الحي :

الصرح الثقافي الممرد

لحضرة صاحب المعالي السيد صادق البصام
المدير المسؤول للمدارس الجعفرية في العراق



صاحب المعالي السيد صادق البصام المدير
المسؤول للمدارس الجعفرية في العراق
خلال مهرجان افتتاح ثانوية الحي

في هذا الجو البهيج يتسق فيه
مهرجان الربيع ومهرجان الوطنية
والأريحية اتساقاً في هذا الجو
الذي عند رواقه الجميل على حفلنا
الرائع أحييكم بتحية طيبة كطيب
هذا المهرجان المزدوج البديع..

وإذا كان الشكر رمزاً لتقدير
الفضل فلا بدّ لي من أن أعقب
التحية بالشكر لكم تقديراً لهذه
الروح العالية التي حملتكم على
الاستهانة بمشاق السفر ووعورة
الطريق لكي تقيموا لنا الدليل
الناطق البليغ على أن الأعمال

الوطنية الفذة في هذا البلد تجد في صدور الكرام من أبنائه منزلتها العليا
وتجد في شمائل الأمجاد من رجاله هذه الهزة الكريمة البادية الآن على
قسمات الوجوه حيثما أدرت النظر في هذا الاحتفال المجيد.

أيها السادة - إنا نفتتح اليوم بسم الله هذا الصرح الثقافي الممرد ونجد
في الاحتفال بافتتاحه معنى غير معنى الإعلان والتفاخر، ونجد في مشاركتكم

إيانا هذا الاحتفال مغزى غير مغزى المجاملة وحب الاطلاع فما أردنا نحن إعلاناً ولا تفاخراً وما أردتم أنتم كذلك مجاملة ولا حدث بكم إلى هذا المكان رغبة في الاطلاع دون شك ولكن معنى ربيعاً ومغزى نبيلاً جمعاً هذه الصفوة الطيبة من الوطن في هذا الصعيد الطيب وما ذاك إلا تكريم الأريحية النادرة التي شادت هذا الصرح النادر لغاية هي أكرم الغايات.

أيها السادة - تعلمون بأن أمم الغرب قد تقدمتنا في ميادين العلم والثقافة أجيالاً من الزمن وسبقتنا في هذا المضمار بمسافات شاسعة ومع أن جذور العمل قد رسخت في ديارها فالخيريون من أبنائها ما زالوا يتسابقون إلى بذل النفائس من كرائم المال ليزرعوا في كل مكان غرساً جديداً للعلم ويقيموا في كل ناحية معهداً جديداً للمعرفة من غير اعتماد على ما تؤسسه حكوماتهم من معاهد ومدارس وجامعات. فكم حريّ بنا ونحن أمة قد أقعدها الجهل أجيالاً فانقطعت من اللحاق بقافلة الحضارة أن نضعف الجهود ونبذل أقصى المساعي للحاق بموكب الحضارة الإنسانية السائرة على عجل لنستطيع أن نعيش مع أمم العالم على وجه هذه الأرض التي لا يعيش عليها بعد الآن إلا من تسلح بسلاح العلم وتزود بنور المعرفة.

فليس كثيراً إذن أن نقيم المهرجان تلو المهرجان والاحتفال إثر الاحتفال كلما استطعنا أن نقيم للعمل داراً أو نشيد للثقافة صرحاً.

فليس لما نعاني من نقص في تكوين الأمة السياسي والاجتماعي والاقتصادي من علاج إلا العلم والثقافة.

سادتي - لقد قامت جمعية المدارس الجعفرية في الفترة الأخيرة ببعض الجهود وبذلت كثيراً من المساعي المثمرة لتهيئة وسائل التعليم والثقيف لأبناء هذا الوطن فاستنجدت بالمحسنين والتمولين من رجالنا فجادت أكفهم بأجزل العطاء ودلت الأريحية التي أظهرها أبناء العراق ورؤساء القبائل منهم بصورة خاصة على تقدير بالغ وإدراك عميق لقيم الثقافة وفوائد العلم مما جعلنا نعتقد بأن رؤساء العشائر ونخص بالذكر منهم أبناء هذا اللواء في طليعة

المؤمنين بالفكرة القائلة بأن نهضة الأمم لا تقوم إلا على أسس من المدارس وعلى قواعد من الثقافة الراقية، وقد كان بودنا أن نبدأ حفلاتنا بتدشين بعض مؤسساتنا في بغداد ولكن العمل الفذ الذي انفرد به الشيخ بلاسم آل ياسين والبادرة الطيبة التي افتتح بها عهداً غير معروف لنا نحن العراقيين، بإقامته هذا البناء الفخم الذي تشهده بأعينكم وترويه بأنفسكم على نفقته الخاصة مدفوعاً بأريحية عربية وشهامة وطنية، كل هذا حملنا على أن نجعل احتفالنا الأول بالمشروع الأول الفريد ببابه، وقد أشاد الشيخ بلاسم بهذا البناء إلى الطريق السوي الذي ينبغي على الممولين والمحسنين من أبناء هذا الوطن أن يتسابقوا إلى سلوكه، وهم إن شاء الله سالكوه.

إن عملاً وطنياً إنسانياً كهذا يهز النفوس في البلاد الراقية المتخمة بدور العلم المترعة بمؤسسات الثقافة، فكم خليق بأن يهز نفوسنا نحن الذين يتيه أبنائنا في فيافي من الجهالة وفي بيد من الأمية، إنني أعرف من خلائق الشيخ بلاسم الياسين ما يجعله ينفر من المديح والإطراء، فهو ذو روح إنساني وشعور وطني عال مما يزده بهذه المظاهر وإنما هو بحاجة إلى أن يلمس آثار جهده وأن يشهد الثمار التي ستجني من هذا الغرس في ناشئة صالحة قوية الخلق مستقيمة التفكير، أما التقدير أو الإعجاب فإننا نتركها إلى التاريخ والأجيال القادمة من شباب هذا الوادي السعيد.

وأخيراً نرجو من المخلصين أن يكون هذا الاحتفال فاتحة كريمة تتوالى بعدها مهرجانات كبرى تفتتح بها صروحاً جليلة للعلم والثقيف، يتبارى بإنشائها المحسنون رحمة بالناشئة ورغبة في خلاص الوطن من عبودية الجهل.



بلاسم قدوتنا الصالحة

نص الكلمة التي تكرم بها معالي السيد عبد المهدي المنتفكي الشيخ بلاسم في مهرجان الحي، وهي من كلماته المرتجلة البليغة:

يسرني أن يسعدني الطالع فأشهد هذا الاحتفال بافتتاح هذا المعهد الجليل الذي أنشأته روح عالية وأوجدته أريحية عربية شماء أنشأته إنشاءً فخماً نفس كريمة وثقة الوثوق كله وآمنت بقول الشاعر:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى
هذا الشعور الحي، وهذه الروح العالية، وبهذا السخاء المثالي النادر أقام الشيخ بلاسم محمد الياسين هذا الصرح الممرد كما وصفه معالي الأخ صادق البصام.

سادتي:

إن إقامة هذا المعهد الجليل بأموال طائلة أنفقها المحسن الكبير جعلنا لا نشك بأن التاريخ سيعتبره المعهد الأول لحضارة هذه البقعة العزيزة من الوطن، يوم كانت واسط نجمة الرائد وقبله القاصد تضرب إليها أباط الإبل من أنحاء المعمورة ليستنبروا بالثقافة التي كانت تشع من معاهدها على كل مكان. وإذا كان شكر المحسن على إحسانه من أفرض الواجبات وألزم ما يتقيد به الإنسان أن يعترف به فإن على أهالي الغراف أن يشكروا الشيخ بلاسم على وطنيته الحقبة التي أوجدت لنا هذا المعهد الجليل.

وإني لا أشك أننا نحن الغرافيين بصورة خاصة سنتخذ من الشيخ

بلاسّم مثلاً صالحاً وقدوة حسنة، واسمّحو لي أيها السادة أن أقول: إذا كان الإنسان يُهنأ على مال يحيى به أو على بسطة بالحياة يرزقها، أو على مقام رفيع يتوصل إليه فكم بالأحرى أن نهني الشيخ بلاسّم على أريحته هذه التي هي أحسن من كل مال ومصدر لكل سمعة حسنة في الدارين ولذلك اسمّحو لي أن أتشرف فأسعى إلى الشيخ بلاسّم ماشياً حيث كان من هذا الحفل لأعانه على مأتاه الجسيم.



قم حي هذي المنشآت معاهداً

قتل العقوق فكم قتلنا نابغاً بين البيوت وكم وأدنا قائدا
القصيدة الغراء والرائية العامرة التي ألقاها شاعر الجيل محمد مهدي
الجواهري في مهرجان افتتاح ثانوية الحي ولقد كان لهذه القصيدة العصماء
والفريدة الغالية أثرها العظيم على المستمعين والرأي العام العراقي. ولا
عجب فالأستاذ الجواهري - خريج مدرسة النجف - شاعر الدنيا العربية.

قم حي هذي المنشآت معاهداً
الشامخات أنوفهن إلى السما
والفاتحات على الخلود نوافذاً
قم حيهن ببعث شعب واثقاً
جلت بنى تلد الرجال وقدست
قم حي هذه الموحيات صوامتاً
واخلع عليهن المواهب تجتلي
يا بنت رسطاليس أمك حرة
وأبوك يحتضن السرير يربها
مشت القرون وما يزال كعهده
يستنزل الخطرات من عليائها
لم يقتنص جاهاً ولا سام النهى
جل النهى الفكر اعظم عصمة
يا بنت رسطاليس قصي نستمع

الناهضات مع النجوم خوالدا
والمطلعات لفرقدين فراقدا
والمجريات مع الحياة روافدا
وترضهن بخلق جيل جاهدا
غرف تبوأها الخلود مقاعدا
واستنطق الحجر البليغ الجامدا
لا النثر، لا الشعر المعاد قلائدا
تلد البنين فرائدا وخرائدا
ويقوتها قلباً وذهنأ حاشدا
في أمس مشاء يعود كما بدا
عصماً ويدني العالم المتباعدا
ذلاً ولا اتخذ الحرير وسائدا
من أن يريد وصائفاً وولائدا
عن عاشقك أقارباً وأباعدا

عن واهبين حياتهم ما استعبدوا
والصاعدين إلى المشانق مثلما
ومحرقين يغازلون وقودها
والمسملات عيونهم وكأنهم
قصي فديتك من لعب غضة
إني وجدت وللشباب حدوده
فتخلعي نجد الفهوم عوارياً

للشاكرين ولم يذموا الجاحدا
ارتقت النصور إلى السماء صواعدا
شوقاً إليك ويحمدون الواقدا
بطيوف شخصك يكحلون مراودا
تصف القرون مخابراً ومشاهدا
أشهى بنات الفكر أقصاها مدى
وتبسمي نجد الفنون نضائدا



شاعر الجيل محمد مهدي الجواهري يلقي قصيدته العامرة خلال مهرجان
افتتاح ثانوية الحي ولقد كان لهذه القصيدة العصماء أثرها العظيم على
الحاضرين والرأي العام العراقي

وتطلبي نزجي النفوس عزيزة
يا بنت رسطاليس لحت [بواسط]
خصب الشعور ستحمدين مولهاً
هدياً وتنتظم القلوب قصائد
فنزلت [حياً] بالصباية حاشدا
من أهله ومنازلاً ومراودا



أحزرت منهن الطريف التالدا
طول المدى وبذلت كنزاً نافدا
للصف. أو جرس يدق معاودا
خضراء ولم تكذب لعينك رائدا
وتنصت من متع النعيم الشاردا
وخبرتهن مصادراً ومواردا
جازت مخلصها فكان الخالدا
كفاه روحاً من نبوغ هامدا
علقاً بمنعرج الأزقة كاسدا
كالزرع أينع لم يصادف حاصدا
تلقي على كتفيه ثقلاً آيدا
جهل فزل عن الفضيلة حايدا
قد كان لولا ذاك يرجع حاسدا
بين البيوت وكم وأدنا قائدا
أتريد أحسن من أولئك حامدا
في الرافدين شأى الكريم الماجدا
نفر وإن أنبهت ذكرك عامدا
يمشي عليها المجد نحوك قاصدا
للمكرمات وإن حسبن طرائدا
أبدأ تلقف من أتاه صائدا
صنو يسدد خطو صنو عاضدا
أيه بلاسم والمفاخر جمة
أحزرت مجداً ليس ينفذ
ذكره ذكر يظل بكل باب فتحت
خبر قد جبت الحياة رحية
وحلبت من غفلات دهرك شطرها
والسبت في غدر اللذائذ خائضاً
أعرفت كالأثر المخلد لذة
لله درك من كريم أنعشت
نفقت من عذبات صبيان الحمى
إنني وجدت مواهباً مطمورة
ولرب أشعث أغبر ذي هامة
ألوى به فقر فنكب خطوه
قد راح يبعث بالتعاسة راحماً
قتل العقوق فكم قتلنا نابغاً
أولاء حمذك عاقباً عن عاقب
سيقول عنك الدهر ثمة ماجد
هل غير إن رمت الثنا كما ادعى
مجداً على مجد فتلك طماحة
كذبوا فإننا الأكرمين طرائد
وإذا صدقت فللخلود مصائد
يمشي الكريم مع التكرم توأماً

سار الكريم إلى المكارم فarda
كان النفوس نوازلاً وصواعدا
بيدي سواك طرائقاً وبدائدا
للهو دوراً والقمار موائد
هذا الجماد على سموك شاهدا
جيشاً ترد به الوباء الوافدا
من راح فيه عن الجهالة ذائدا



حتى إذا بلغ الجميل أشده
ما كان باللغز الخلود وإنما
هل غير آلاف تروح كما اغتدت
لغور إلى مطموره إن لم ترح
أحييتهن فكان عدلاً ناطقاً
وضممتهن لبعضهن مجهزاً
الجهل أكرم ذائد من موطن

ومددت للتعليم أزكاها يدا
واحمد فقد عدم المعلم حامدا
لوجدت عبداً للمعلم ساجدا
والمرتعي طيف المتاعب هاجدا
تأسو الجراح ولا تطلب ناشدا
يغزو الألف بها ويحسب واحدا
كن للشبيبة في المزالق راشدا
وتوق بالإبداع جيلاً ناقدا
نشوى عليه لعنت عهداً بائدا
ولسوف يتهم البنون الوالدا
أن لا يظلموا كالنسيم رواكدا
أن لا يكونوا زمهريراً باردا
لطفاً ونشئاً كالزلازل راعدا
ملكاً ويخلق للتمرد ماردا
يطأ البلاد روابياً وفدافدا
وينير خابطة. وينهض راقدا
حنقاً على نظم بلين وحاردا

أعطيت حق العلم أوفاهها ندى
فاعط المعلم يا (بلاس) حقه
وجاز للحر السجود تعبداً
للمتعيب المجهود في يقظاته
والمثخن المجبول لم ينشد يداً
والمستبيح عصارة من ذهنه
قل للعلم راجياً لا راشداً
يا خالق الأجيال ابدع خلقها
سيقول عهد مقبل عن حاضر
ولسوف يبرأ عاقب من أهله
قل للشبيبة حين يعصف عاصف
وإذا اغتلت فينا مراجل نعمة
هيء لنا نشئاً كما انصب الحيا
فلقد رأيت الله يخلق رحمة
ومحمداً ما إن إهاب بجيشه
ويكب جباراً ويعلي مدقعاً
لو لم يعباً للقيادة ثائراً

ما إن يروح مع الضيف مطاوعاً
 وأذل خلق الله في بلد طغت
 نشئاً يقوم من زمان فاسد
 علمتم فرض الحساب فأنتم
 ما إن تعجل خلق جيل ناقصاً
 اطلق يد التحليل في تاريخهم
 لا بد من فهم الحياة معايباً
 جنباً إلى جنب يتم بعضها
 علمه حب الثائرين من الوري
 واجل الشعوب كرائماً لا تنتقص
 واجلب له أمس البعيد مراجعاً
 أره لثورته عظام جماجم
 وإذا تقصاك الدليل مسائلاً
 فابعث له الأشباح يشهد عندها
 يشهد خيالاً عارياً ومجوعاً
 أصلح بنهجك منهجاً مستعبداً
 قالوا قواعد يبتنيها غاصب
 تحتل منه مشارفاً ومناهلاً
 ساقت جيوش الموبقات حواشداً
 ما كان أهون خطبه مستعمراً

من لا يروح على القوي معاندا
 فيه الرزايا من يكون محايدا
 لا كالزمان يكون خلقاً فاسدا
 أدري بهن فوائداً وعوائدا
 ألا تحمل من عناء زائدا
 حرّاً وفك من العقال أوابدا
 ومفاخرّاً ولذائداً وشدائدا
 بعضاً كما انتظم الجمان فرائدا
 طراً وحب المخلصين عقائدا
 شعباً ولا تقحم عليه شواهدا
 وألح له أمس القريب مساندا
 وابعث له زنداً اطن وساعدا
 عن أي شيء أعقبت ومناشدا
 ما يستفز مطالعاً ومشاهدا
 من أهلهم ومضايقاً ومطاردا
 صنع الغريب على الثقافة حاقد
 وسط العراق. على الكرامة قاعدا
 وتسد منه مسالكاً ومنافدا
 للرافدين مع الجيوش حواشدا
 لو لم يقم وسط العقول قواعدا



يا شاعر الفصحى ولست مبالغاً

محمود الحبوبى



كان من سحر رائعة الأستاذ الجواهري وأثرها البليغ في نفوس الحاضرين كافة، أن أوحى إلى الأستاذ الحبوبى هذه الأبيات الرصيفة الساحرة التي عبّر بها أصدق التعبير عن مدى تأثره بتلك الخريدة الفريدة وإعجابه بها، وليس غريباً من شاعر حساس كالأستاذ الحبوبى تأثره بشعر شاعر عبقرى كالأستاذ الجواهري، فما كاد ينتهي الجواهري من إلقاء

قصيدته حتى شرع الحبوبى يملي على أحد إخوانه من أعضاء (الرابطة) هذه الأبيات التي وازن فيها بين ذلك الصرح الممرد الذي شاده المحسن الكبير الشيخ (بلاسم) وبين ذلك الصرح الممرد من صروح الأدب العربي الشوامخ الذي شاده الأستاذ الجواهري.

ثم يسري خبرها بأقل من لمح البصر إلى مسامع صاحبي المعالي السيد (عبد المهدي) المنتفكي والسيد (صادق) البصام والأستاذ الجواهري

وعند الظهر وعلى مائدة الفاكهة يطلب صاحباً المعالي من الأستاذ (الحبوبي) أن يلقي على الوفود أبياته فينشدها وتستعاد مراراً وبكلمات الإطراء والإعجاب، وإذا هي منهج آخر قائم بذاته، واحتفال آخر مستقل بنفسه يعقد تكريماً للجواهري شاعر الدنيا العربية.

وليس هذا بالكثير على أبي فرات الذي هو كما قال عنه فخامة رئيس الوزراء أبو سعد مفخرة من مفاخرنا ليس في هذا البلد ولا في هذا العصر فحسب، وإنما هو مفخرة لكل بلد من بلاد العرب، ولكل عصر من عصورهم لا يختص به بلد دون بلد ولا عصر دون عصر.

يا شاعر الفصحى ولست مبالغاً	وأديبها الواعي ولست مغالياً
أنشأت في هذي البناية مثلها	صرحاً يسميه الأنام قوافيا
أعجوبتان بناية وقصيدة	يتنافسان تسامياً وتعاليا
ان شيد ابن محمد هذا البناء	فابن الجواهر صاغهن لآليا
كلتاهما هذي كهذي لم تزل	أثراً على مر الليالي باقيا



هلم انظروا هذا الذي يبهر الحجي وهذا الذي ترتاح فيه الضمائر

كذا فلتكن أعمالنا والمآثر



الشيخ محمد علي اليعقوبي معتمد جمعية الرابطة
العلمية الأدبية في النجف الأشرف

قصيدة الشاعر الكبير
الأستاذ الشيخ محمد علي
اليعقوبي معتمد جمعية الرابطة
العلمية الأدبية في النجف
الأشرف وقد ألقاها في حفل
الافتتاح الأستاذ الفاضل السيد
هادي محيي الخفاجي وهي كما
يراها القارئ الكريم رائعة من
روائع الأستاذ الكبير اليعقوبي
المعروف بشعره المطبوع وقريضه
المنسجم.

أوائلها محمودة والأواخر
وهن على أيدي الليالي أساور
بهن إذا دارت عليه الدوائر
لسان الثنا والنعت عنهن قاصر

كذا فلتكن أعمالنا والمآثر
فهن بأجساد الزمان قلائد
وهن اللواتي يبعث المرء خالداً
وهن على كر العصور وطولها

ولكنما غر المساعي الذخائر
ليرقى كبت فيه الجدود العوائر
وشبت بحجر الجهل منه الأصاغر
سوى العلم ناه في العقول وآمر
ومن آب من سوق العلى وهو خاسر
وليس الفتى من يجعل المال ذخره
أسفت لشعب كلما قام ناهضاً
أكابره بالوفر شحت أكفهم
فيا حبذا يوم نرى الشعب ما به
وما شرع من فاز بالحمد رابحاً



اعد نظراً للحي من أرض واسط
أقام ابن ياسين الزعيم مجدداً
فعاد لها بعد المشيب شبابها
فأنسى حديثاً ما بنته رجالها
مضوا ومضت آثارهم وتخلدت
فلو نشروا من بعد طي لغاظهم
بنى معهداً للعلم فيها قبابه
تسامت مبانيها فهيهات يرتقي
فتحسبها فوق البسيطة هالة
وما هي إلا الغاب يحوي ليعرب
إذا أبصرت عيناك سحر جمالها
على حين رواد المعارف قبلها
(فألقت عصاها واستقر بها النوى
فقل للأولى لم يحضروا مهرجانها
هلم انظروا هذا الذي يبهر الحجى
إذا ذكروا الأجواد فابن محمد
فهلا اقتدت فيه أناس لبخلها
ألم تر نهج المجد أبيض لا حبا
يعدون في الأحياء شكلاً وصورة

ترى اليوم ما فيه تقرر النواظر
رسوم معاليها وهن دوائر
نضيراً وأيام الشباب نواضر
قديماً فلم يذكرهم بعد ذاكر
مساعيه حتى يحشر الناس حاشر
من الذكر في الأحياء ما هو ناشر
تضاهي الدراري رفعة وتكاثر
لأدنى مراقيها من الفكر طائر
تضيء بها شهب البلاد الزواهر
شبولاً نمتها الضاريات الخوادر
تيقنت أن الحسن للمرء ساحر
مواردها ضاقت عليها المصادر
كما قر عيناً بالإياب المسافر)
لدى محفل يطير باد وحاضر
وهذا الذي ترتاح فيه الضمائر
لأول من تثنى عليه الخناصر
علائنها مذمومة والسرائر
فهل عميت أبصارها والبصائر
وأفضل منهم ما تضم المقابر

ضنينون ظنوا ثروة الشعب أكلة بها علقت أنيابهم والأظافر
ولكن قضت تلك المكارم أننا فصرح فيها للملا ونجاهر
ومن وازر الشعب الضيف فإنما له الله في كل الأمور موازر



تحية الحي



الشيخ علي الصغير عضو جمعية الرابطة العلمية
في النجف الأشرف

القصيدة البديعة للشاعر
الأستاذ الشيخ علي الصغير عضو
جمعية الرابطة العلمية في النجف
الأشرف وقد ألقاها الأستاذ
الفاضل السيد علي الهاشمي في
حفل افتتاح المدرسة المذكورة.
وقد استعرض فيها تاريخ واسط
بصورة موجزة بليغة استرعت انتباه
المستمعين وإعجابهم.

وقل أتينا نلبي للعلا طلبا
وقد سعوا ليؤدوا بعض ما وجبا
فكيف صرت لأقمار العلى قطبا
فاستقبلي مجدك الماضي الذي ذهب
فهاهنا ألف حجاج لك انتسبا

قم حي واسط حي العلم والأدبا
حجت إليك هنا الأقوام تكرمه
وقد جمعت وفود الشعب قاطبة
بشراك قد أرجع التاريخ ما سلبا
لأن نسبت إلى الحجاج من قدم

يا حي واسط زاحم بالحصى الشهباً
هنا بواسط حيث العرب قد رفعت
وها هنا سطر التاريخ سيرته
وها هنا شاهد التاريخ السنة
وها هنا تربة للعلم مخصبة
وها هنا روعة التاريخ فاحتفلي

ففي صعيدك صرح العلم قد نصبا
منارة سايرت في مجدها الحقباً
فطالعوا هذه الكشبان والتربا
جريئة وصدوراً تحمل الكتباً
كانت لنا تنبت الأفواه والخطبا
بما يعيد لنا ابراده القشبا



قل للمنارة مهلاً وهي من حجر
فها هنا معهد للعلم يوقظها
وها هنا قام للأفكار مختبر
وها هنا أسست للشعب مدرسة
وها هنا غرست للعقل بذرتة
شتان ما بين أرض أنبتت أدباً

إننا أقمنا مناراً يحمل الشهباً
عزائماً سعرت من فطنة لهبا
عن الحقائق فيها يكشف الحجباً
على بنيتها الغيارى نعقد الاربا
فانبتت ثم نبتاً يافعاً خصبا
وبين تربة أرض أنبتت عشباً



هذا البناء يرينا كل آونة
يقي مع الدهر والدنيا يحدثنا
ما قيمة الطاق والأهرام إذ مثلاً
إن خلد الدهر في الإيوان هيكله
أو شيد الطاق كسرى وهو من حجر
كل بنى حسب ما يوحى الشعور به

للفضل منتخباً للشعب منتدبا
كأنه في فم الأجيال قد كتباً
لمن يشاهد فيها الصخر والخشبا
فها هنا خلد العرفان والأدبا
فذا بلاسم شاد المجد والحسبا
ففي البناية عن أهل البناء نبا



يا شعر هذي وفود العرب فاسقهم
هنا محبوبك فابسم للمني جذلاً
الحفل محتشد فاسحر مسامعه

ما ساغ للنفس سلسالاً وما عذبا
وموسم البشر هذا فابتهج طرباً
واسكب له من مدام الوحي منسكبا

وجئ به عربياً حين تنشده
يا سادتي إن طغى فيض الشعور فلي
فربما عصفت في النفس عاصفة
وربما اكتأبت نفسي وأزعجني
فألهب الغيظ تفكيرى ولا عجب
يضيمني أن هذا الشعب عاث به
ألا يسؤكم أن البلاد بها
دعوا التنازب بالألقاب واجتهدوا
قد فرقنا حزازات بلا سبب
فأسسوها على اسم الله جامعة
وكونوا وحدة في الشعب صالحة
قولوا لهم إن آثاروا الاختلاف بنا
ماذا الخلاف وأنا كلنا عرب
أليس يجمعنا دين وتربطنا

يرون بين القوافي منه العجبا
من لطفكم ما يرد اللوم والعتبا
بات الفؤاد بها حيران مضطربا
حال أراني هذا الشعب مكتئبا
إن جاء شعري مثل الجمر ملتهبا
جهل يجر له الويلات والحربا
أوضاع جهل أثارت حوالها الشغبا
أن توجدوا ما يزين الاسم واللقبا
وشعبتنا فكنا في الهوى شعبا
تضم مبتعداً منا ومقتربا
ثم اجعلوا الوحدة الكبرى لها سببا
الشعب متفق يا أيها الغربا
فما الذي قد أثار الشك والريب
عروبة في أخاها تفضل النسب



بلاسم الخير إن الخير موهبة
علمهم كيف فعل الخير واهدهم
وقل لهم أناهل الوفرة أفضلهم
حيثك في النجف المحبوب رابطة
(تضفي على النجف الأعلى أشعتها)

فاحمد لربك ما أعطى وما وهبا
إلى المعالي ليسمو بينا رتبا
من يخزن الحمد لا من يخزن الذهب
علمية تجمع الآداب والأدبا
فما نبالي ألاح البدر أم غربا



انطباعاتي عن الحفلة

بقلم : هادي محيي الخفاجي

في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ٢٢ نيسان ١٩٤٧م اتجهنا قاصدين بناية مدرسة الحي الثانوية، حيث المهرجان العظيم والاحتفال الفريد الذي أقيم تكريماً لمنشئ المدرسة الشيخ بلاسم آل ياسين. وكان في استقبال الوفود معالي السيد صادق البصام المدير المسؤول لهيئة إدارة المدارس الجعفرية في العراق. كان يقبل عليهم مرحباً بهم بوجه بشوش متهلل فرحاً وغبطة وبكلمات طيبة عذبة.

وما حانت الساعة التاسعة حتى احتشدت ساحة المدرسة بالمدعوين من مختلف الألوان والمشارب وزراء وأعيان ونواب وأدباء وموظفين. ثم أقبل فخامة رئيس الوزراء السيد صالح جبر الذي كانت له اليد الطولى في تشجيع هذا المشروع وأمثاله من الخدمات العامة والعمل على تنفيذها فنهض الحاضرون ترحيباً به.

كان يسود الحفلة شيء كبير من الروعة والجلال وحسن الذوق والتنسيق يتناسب وما لهذا العمل من أهمية. وبعد فترة قصيرة وزعت خلالها المرطبات وزع منهج الحفل ثم تقدم الأستاذ السيد عبد الهادي المختار مدير ثانوية بغداد الجعفرية إلى منصة الخطابة وبدأ يقدم الخطباء والشعراء حسب المنهج.

١ - كلمة معالي السيد صادق البصام : تقدم معالي السيد صادق البصام

فافتتح كلمته بالترحيب بالوفود وشكره لهم تلبيتهم الدعوة. ثم استعرض تاريخ المدارس الجعفرية وعمل هيئتها المؤلفة منه ومن زملائه على تشجيع وتعميم الفائدة من هذه المؤسسات الثقافية فكانت كلمة ثمينة غالية ألمت بالموضوع إماماً تاماً. ولا غرو فمعالي السيد البصام خطيب من الخطباء يعرفه كل المعرفة أعضاء البرلمان العراقي ومثقف من مثقفي هذه البلاد تعرفه في توليه وزارة معارفها مرات عديدة.

٢ - كلمة معالي السيد عبد المهدي المنتفكي، معالي السيد عبد المهدي المنتفكي خطيب مفوه لا يعرف التكلف ولا التعسف يرتجل الكلام الطويل البليغ وكأنه مسطور أمامه يقرؤه قراءة، يتخلل كلماته كثيراً من النكات العذبة والنوادر المستملحة، كانت كلمته إشادة بهذا العمل الجليل والأثر الجبار وإشادة بالجواد المحسن باني هذا الأثر ومخلده الخالد، كما يقول الأستاذ الجواهري. ولم يكتف معالي السيد عبد المهدي بما أفرغ في خطابه من عواطف ورقة شعور ترجمت عنها الفاظه العذاب بل أراد أن يقرن القول بالعمل فسعى إلى الشيخ بلاسم مهنئاً ومباركاً له على هذا التوفيق العظم لخدمة امته وأبناء وطنه فكان عملاً محمود يشكر لمعالي السيد عبد المهدي ويذكر، لأنه إن دل على شيء فإنما يدل على تلك الأريحية الهاشمية العربية.

٣ - قصيدة الاستاذ الشيخ علي الصغير عضو جمعية الرابطة الأدبية : - قصيدة عامرة تمتاز بمتانة الأسلوب وجدة الأغراض. تطرق ناظمها الأستاذ الشاعر إلى ذكر تأريخ واسط القديم موازنة بينه وبين تاريخها الحديث الذي أوشك أن يبعث على أيدي رجالها المعاصرين كالشيخ بلاسم آل ياسين باعث الحركة الثقافية فيها. ثم تطرق إلى فائدة ترميم الثقافة والتعليم في البلاد وخرج منها إلى مناشدة العرب توحيد كلمتهم ولمّ شعنتهم وتنامي ما غرسه الجهل من الحقد والبغضاء في نفوسهم.

٤ - قصيدة الأستاذ الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي معتمد الرابطة الأدبية : اليعقوبي شيخ من شيوخ الشعر في العراق وفحل من فحوله ؛ تغلب على شعره السلامة والركة والمتانة والجزالة معاً، فهو من ذلك النوع الذي يدعوه الأدباء : بالسهل الممتنع، وقصيدته هذه إحدى تلك الفرائد اليعقوبية التي جادت بها قريحته الفياضة، فمجد فيها ما شاء بالإحسان والمحسنين وذم فيها ما شاء البخل والبخلاء ممن أوتوا سعة في الثروة والجاه.

٥ - كلمة الأستاذ سعيد الخضير من أهالي الحي : - لم أكن أعرف هذا الرجل من قبل ولا قرأت له شيئاً في صحيفة أو مجلة. وقف وقفة الخطيب الذي اعتاد ارتقاء المنابر فقد كان واثقاً من نفسه متمكناً من موضوعه ومادته. ارتجل كلامه ارتجالاً غير متكلف ولا متعنت ببيان سهل مشرق ضمنه كثيراً من الملح والنوادر الأدبية فدل على سعة اطلاع وحفظ للمأثور من كلام العرب البلغاء نثراً ونظماً. استعرض في كلمته تاريخ المدارس الجعفرية وأعمال هيئتها وخدماتها لهذا البلاد عن طريق بث الثقافة وبعثها بين أفراد الشعب، وآخرها هذا الصرح الممرد الشاهق القائم وسط قبائل ربيعة قبيلة الزعيم بلاسم.

٦ - قصيدة الأستاذ الجواهري : الجواهري في غنى عن تعريفه وتقديمه إلى القراء، فهو أمير شعر العراق غير منازع ولا مدافع، وهو فوق ذلك - في رأيي - أمير شعراء العرب قاطبة، وقد كان بودي أن أفرد له مقالاً خاصاً بل مقالات أعلن فيها رأيي هذا، ولا زلت عن هذا الرأي وعند تلك الرغبة، فأرجو أن أوفق لها في القريب العاجل.

أما القصيدة التي نحن بصدد الكلام عنها فليست هي شعراً من الشعر، وإنما هي آية من آيات الشعر العربي قديمه وحديثه، فقد جاءت - كما عودنا الجواهري - بكرةً في كل معنى من معانيها، يتيمة إلا من أخواتها (المعري) و(ستالينغراد) و(دجلة في الخريف).

وفق الأستاذ الجواهري فيها توفيقاً كبيراً لا في اختيار الألفاظ ولا ابتكار المعاني ولا في التأليف بين ألفاظه ومعانيه بذلك الأسلوب المعجز فقط، وإنما وفق أيضاً في التعبير عن أفكاره وآرائه بذلك الشكل الهادئ المتزن، مما حدا بفخامة رئيس الوزراء إلى أن يدعوه إليه ويصافحه مهناً له، ثم يقف وإياه جنباً إلى جنب أمام آلة التصوير عندما طلب إلى فخامة الرئيس أن تؤخذ والزعيم بلاسم والوفود صورة تبقى للذكرى الكريمة هذه.

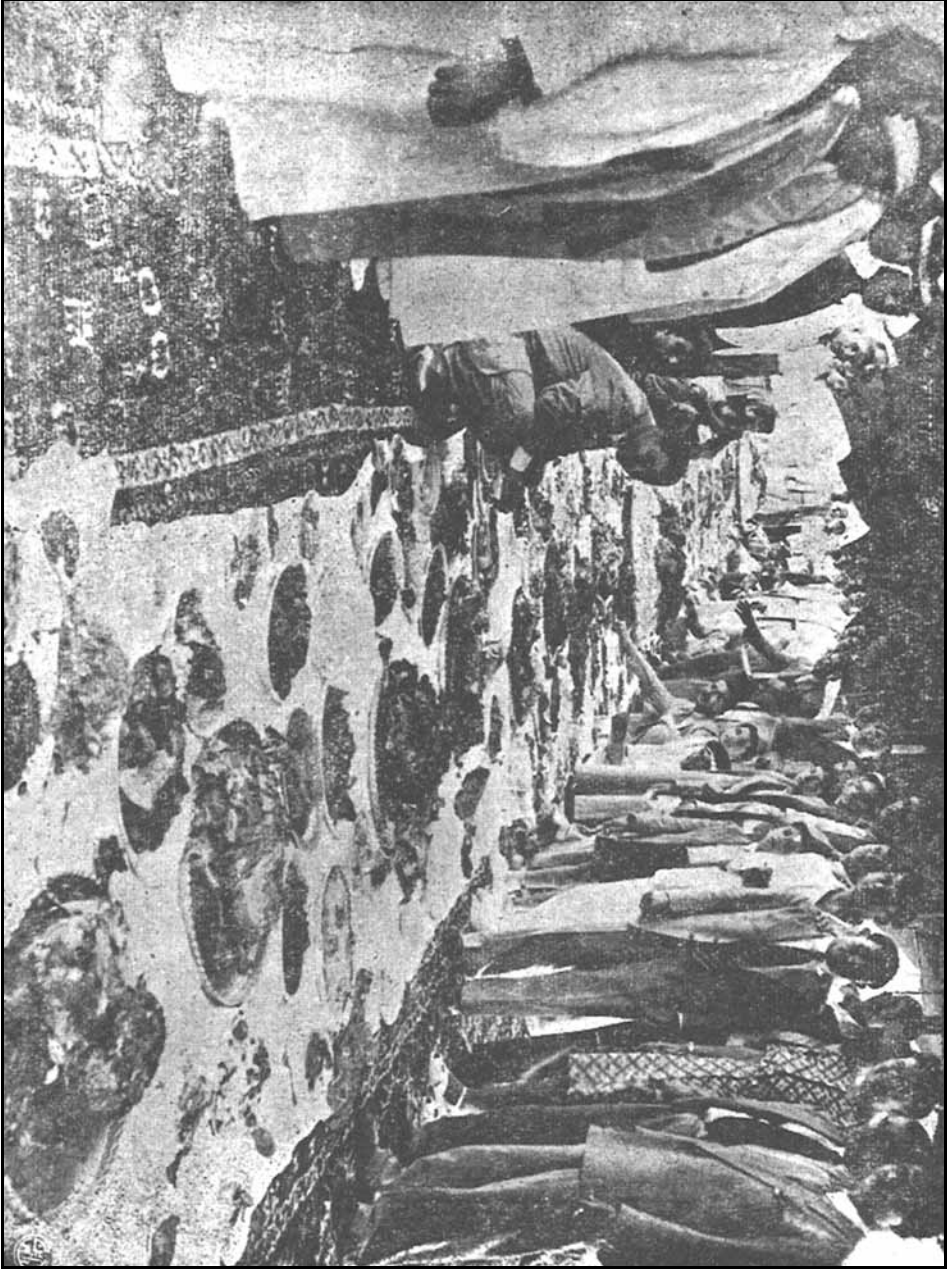




الجالس على الكرسي الوجيه الشيخ علي الحاج عبود. كما يرى على اليمين شقيقه عربي الحاج عبود
واضعاً يده على كتفه. ويليه في الوسط يوسف ملا كرم وإلى جانبه الوجيه باقر الغرباوي
وهؤلاء محل ثقة الشيخ بلاسم في أعماله



الجالسان على الكراسي من اليسار الوجيه السيد عربي الحاج عبود معتمد الشيخ بلاسم
والثاني الطيار الأستاذ عبدالله ناجي. الواقفون من اليمين مهدي الشيخ بلاسم
والوجيه باقر الغرباوي ومحمد الشيخ عبد الله الياسين



صورة من عشرات الصور التي التقطت للوفود الكريمة التي دعيت لحضور حفلة افتتاح المدرسة في (الحي) - وهذه الصورة تمثل واحدة من جهات موائد الأظعمة والفواكه

٥٠ ألف دينار يتبرع بها الشيخ بلاسم آل ياسين^(١)

التبرع بمبلغ ٥٠ ألف دينار، لغرض إنشاء مدرسة عمل كبير جداً يستحق صاحبه عليه التقدير العظيم ويسجله له أبناء المجتمع، في سجل الأعمال الجليلة. والتبرع لإنشاء المدارس والمستشفيات ومؤسسات البر الأخرى؛ أمر نادر الوقوع، مع كل الأسف في الوقت الحاضر في العراق، بالرغم من وجود عدد غير قليل من أصحاب الثروات الطائلة ولكن الشيخ بلاسم الياسين، أحد رؤساء عشائر المياح في الحي بدأ بإنشاء مدرسة في الحي، لتكون ثانوية، يؤمها الطلاب من أنحاء الغراف، وقد كلفته ٥٠ ألف دينار؛ دفعها راضياً مسروراً من جيبه الخاص قد قام بعمل وطني كبير، ستبقى ذكراه الجميلة ليس في قلوب أبناء الحي والغراف وأولادهم وأحفادهم بل في قلوب أبناء العراق جميعهم. وقد تقرر صباح الجمعة الماضية، ٢٥ نيسان ١٩٧٤ موعداً لافتتاح هذا المعهد العلمي، ينشئه هذا المحسن الكبير من ماله الخاص.

واعتباراً من يوم الخميس، الذي سبق يوم الافتتاح، أخذت سيارات المئات من المدعوين، تخرج من العاصمة، ومن الحلة ومن الكوت، ومن الناصرية ومن سائر المدن العراقية، متجهة إلى مدينة الحي، على ضفاف الغراف، لتقضي ليلتها في ضيافة الشيخ بلاسم الياسين، ولمشاهدة افتتاح هذا المعهد العلمي؛ في صبيحة اليوم التالي:

(١) جريدة الشعب، العدد ٧٦٤، السنة الثالثة، (٢٨ نيسان ١٩٤٧).

وقد وجهت الدعوة إلى أكثر من ١٠٠٠ شخص، من ساسة ورجال علم وأدب ورؤساء قبائل ؛ وموظفين من مختلف أنحاء العراق. واتخذت جميع الاستعدادات ليحلوا على الشيخ بلاسم ضيوفاً كراماً. وقد حالت صعوبة السفر ؛ ومشاكل قسم من المدعوين دون حضور الحفلة، وفخامة السيد حمدي الباجه جي ومعالي السيد مزاحم الباجه جي من جملة الذين لم يتمكنوا من الحضور بالرغم من شدة رغبتهم في ذلك، ووصل مع ذلك بضع مئات من المدعوين مدينة الحي ضيوفاً على الشيخ بلاسم، وحضروا الافتتاح الرائع.

وكان فخامة الأستاذ صالح جبر ومعالي السيد عبد المهدي ومعالي السيد صادق البصام ومعالي السيد توفيق وهبي ومعالي الدكتور ضياء جعفر وعدد كبير من النواب والأعيان والشيوخ والموظفين الكبار والعلماء والأدباء والصحفيين بين المدعوين، وكانوا جميعاً، موضع حفاوة واهتمام بالغين من الشيخ بلاسم وشقيقه الأكبر الشيخ عبد الله الياسين، ونزلوا ضيوفاً كراماً على الشيخ بلاسم، في قصره وفي دور أعدت لهم، وجهزت بجميع وسائل الراحة، كما حل بعض المدعوين في قصر الشيخ عبد الله، وعندما كان بين وقت الغداء أو العشاء، كانت الموائد العربية تفرش على الأرض، فيجلس الجميع لتناول الطعام العربي على الطريقة العربية، وكان يبلغ عددهم على مائدة واحدة حوالي ٥٠٠ شخص.

يوم الافتتاح :

وفي الساعة الثامنة، من صباح الجمعة ٢٥ نيسان الجاري بدأ المدعوون يتقدمهم فخامة الأستاذ صالح جبر ومعالي السيد عبد المهدي يصلون، الجماعة بعد الجماعة، إلى بناية المدرسة لافتتاحها.

وبعد أن أخذ كل محله وازدحمت جماهير الحي من رجال ونساء وأطفال لمشاهدة افتتاح المدرسة، افتتح أحد طلاب ثانوية الحي الحفلة بتلاوة شيء من أي الذكر الحكيم، ثم تقدم معالي السيد صادق البصام، بصفته مدير المدارس الجعفرية المسؤول فشكر الحاضرين لتبليتهم الدعوة وأثنى على وطنية الشيخ بلاسم وأريحيته وحث أغنياء العراق على الاقتداء به. ثم القى معالي السيد عبد المهدي، بناء على طلب معالي البصام؛ كلمة ارتجالية قوبلت بالاستحسان والإعجاب؛ ثم أنشدت فرقة من طلاب الحي نشيد البلاد العربية؛ ثم تليت قصيدة الأستاذ الشيخ علي الصغير فقصيدة الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي فقصيدة الأستاذ محمد مهدي الجواهري التي نالت إعجاب الجميع ثم كلمة باسم مدينة الحي ألقاها السيد السعيد الخضير وكلها إشادة بعمل الشيخ بلاسم وتقدير لوطنيته هذه، ومناشدة للأثرياء الآخرين أن يقتدوا به، وبعد انتهاء الخطب والقصائد، بدأ الجميع، يتفقدون بناية المدرسة وصفوفها وهي بناية تشتمل على ثماني غرف كبيرة للدراسة وغرف الإدارة والمدرسين، وأربعة مختبرات كبيرة وقاعة كبيرة للمحاضرات والحفلات.

وقد بدأ بتأسيسها في تشرين الثاني الماضي؛ وحفرت أساساتها في ست ساعات فقط؛ وهي من وضع وتصميم المهندس السيد جعفر العلاوي؛ وفيها قسم داخلي، لأنها معدة ليقصدها الطلاب ليس من الحي فقط بل من سائر المدن والأطراف القريبة وقد أبدى رئيس الوزراء كلمة الشكر باسمه واسم الحكومة إلى الشيخ بلاسم والطلب من الأثرياء الآخرين أن يقتدوا به وستقوم بإدارة المدرسة هيئة إدارة المدارس الجعفرية في العراق ثم توجه الجميع لتناول الغداء على مائدة الشيخ بلاسم، وكلهم إعجاب بعمله الوطني هذا؛ وإكبار لروحه العالية. وبعد تناول الغداء واستراحة قليلة، اخذت الوفود المدعوين تعود إلى قواعدها.

وأخيراً :

نكرر من جديد تسجيل تقديرنا للشيخ بلاسم الياسين ؛ ونرجو أن يكون قدوة لأمثاله من الأثرياء فيقومون بدورهم بإنشاء المدارس والمستشفيات وسائر المؤسسات الاجتماعية والثقافية لفائدة مواطنيهم ونرجو ان نراهم قريباً يتنافسون في هذا الميدان وهو أحسن وأشرف ميدان للمنافسة.



أربعة أدلة في الحي تعبر عن النهضة الجديدة في العراق

بقلم السيد حسن الجواد



السيد حسن الجواد

كان يوم الحي يوماً تاريخياً مشهوداً. فقد تقاطر المدعوون من كل فج وصوب ينتظرون الساعة التي تفتتح فيها المدرسة التي أشادها الشيخ بلاسم الياسين. وقد شاهد الناس أربعة أدلة في هذا اليوم قامت لتعبر عن عظمة النهضة التي يقدمها المستقبل لأبناء الرافدين.

هذه الأدلة الأربعة السنة ناطقة تبشر بنهضة شاملة في كل نواحي الحياة ولذلك فقد أصبحت جديرة بالتحليل لنرى كيف أنها تبشير نهضة عامة شاملة.

الأدلة هذه هي المدرسة، والقصيدة، والوليمة، والوفود.

أما المدرسة فإنها نموذج حديث الفن المعماري وقد أشادها الشيخ بلاسم على نفقته الخاصة وتقدر بنحو خمسين ألف دينار وهي ضخمة بنيت لتكون مدرسة ثانوية. وليست الغرابة في بنائها وإنما في هذه الروح الجديدة التي تسربت إلى نفوس شيوخ العشائر فولدت فيهم حب الإنشاء لخير المجموع وهذه البادرة ستدفع باقي زعماء القبائل للإقبال على المشاريع العامة ولا سيما المدارس منها لأنهم أخذوا يشعرون أن عظمة الفنون جاءت عن طريق العلم والمدرسة.

وأما القصيدة فهي قصيدة الشاعر الفحل محمد مهدي الجواهري وقد ألفت بمناسبة إنشاء المدرسة وافتتاحها في الحي وهي لعمري قصيدة عبرت عن خوالج الجواهري وتحسساته في هذا الإنشاء الضخم أحسن تعبير، ويرى كثير من أهل الرأي أن هذه القصيدة جاءت من النوع الممتاز وستكون درة لامعة في تاج الشعر الجواهري. إذ إن كل بيت فيها يصح أن يعتبر بيت القصيد ولا يمكنك أن تستغني عن واحد منها فقد جاءت كلها مترابطة ومفرغة الحلقات في سلسلة أحسن نظمها الشاعر أحدثت في الرأي العام من السامعين أبلغ الأثر وأحسنه، وما زاد في قيمتها الأبيات التي أنشدها الشاعر الحبوبي إذ قال :

يا شاعر الفصحى ولست مبالغاً وأديبها الواعي ولست مغالياً
أنشأت في هذي البناية مثلها صرحاً يسميه الأنام قوافيا
أعجوبتان بناية وقصيدة يتنافسان تسامياً وتعالياً

وأما الوليمة فقد كانت مثار إعجاب الناس عامة لأنها أظهرت من كرم آل ياسين ما أنسى الناس حاتم طيء. فقد بقيت موائد الطعام يومين متتالين والوفود تغدو وتروح وكلها نزيلة هذا البيت. وليس عيباً أن يكون

الأمر كذلك وعبد الله وبلاسم هما من أبناء العروبة العريقين وقد سكن أجدادهم هذه الأرض منذ قديم الزمان وهي أرض عرفها التاريخ بشرفها وخصبها وقد سكنها القادة والزعماء من أشرف العرب وأوجدوا فيها حضارتهم المعروفة.

وأما الوفود فقد أظهروا بمجيئهم إلى الحي ميزة خاصة من مزاياهم. أنهم رغم بعد المسافات وقلة الوسائط أخذوا يصلون الحي زرافات زرافات وكلهم مستبشر فرح بما يرى ويشاهد، فقد أظهروا استعداداً فائقاً لتقبل المشاريع وتتبع آثارها وأوجدوا في الحي جواً اجتماعياً لا نظير له وقد لاحظت أن البعض يتبادلون التهاني على السعادة التي شعروا بها في ذلك اليوم الأغر، إنهم يشعرون بقيمة هذا العمل وقد ساهموا بمجيئهم في رفع شأنه وحسن تقديره.

نعم ؛ هذه الأدلة الأربعة في تبشير نهضة جبارة بين الرافدين وقد صار الشيخ بلاسم قصب السبق في فتح أبوابها والشعب ينتظر الآن بفارغ الصبر إلى القدوة الصالحة ليرى كيف أن زعماء العراق وشيوخه سيقتمدون بها لدعم نهضته الجديدة.



بلاسم الحي - وحاتم طي

بقلم: حسام الدين الهادي



السيد حسام الدين الهادي

العرب، والكرم، كلمتان مترادفتان في الروح. ضمهما المعنى السامي من معاني الأخلاق العالية وقد عرفنا منذ عرف العرب ومنذ عرف الكرم.

وإذا كانت بعض مظاهر الأقسام وبعض خصالهم تجري مجرى العادات والتطبع، فالكرم عند العرب يتعدى هذا الحصر ويتجاوز هذا النطاق. ولا أغالي إذا ادعيت أن الكرم في العرب غريزة تجري فيهم مجرى الدم في العروق. وإذا قبلنا بمبدأ تعارف الأشياء وائتلافها كان من المسلم به تعارف العرب والكرم وائتلافهما.

وإذا جردنا أحدهما عن الآخر انعدمت صفاتهما على انفراد وتجلت

مزاياهما عند التماسك والعناق. فإنَّ ما وجد الكرم فلا بد للعربي هناك من مقام. وأين ما حل العرب فلا بدَّ للكرم هناك من يد، ولما للكرم من مقام محمود اشتق العربي منه كلمة - المكارم - فكل ما ليس له مساس في الكرم انعدم مقامه من بين المكارم الأخرى.

وقد مجد التاريخ وتغنى بوقائع عدة (تكاد لا تقل عن عدد من ذكر من العرب في التاريخ) دلت على هذه السجايا الحميدة التي لازمت العرب ولازموها هم أيضاً. وأضفى الشعراء من قرائحهم أريجاً لم يزل يعطر التاريخ بالأريحية العربية.

فهذا شاعر يصف العرب والكرم بيت واحد من الشعر مقتضب فيقول:

فعبدهم بين البرية سيّدٌ وسيّدهم للضيف في بيته عبد
وقال آخرون ما سمح لهم الخيال أن يقولوا. وقال آخرون ما سمح
لهم الواقع أن يقولوا. وكان من مقالة هؤلاء ومقالة هؤلاء خلاصة ما أنشده
الشاعر المنصف حيث قال:

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطباً على النيران

وقد تذوق التاريخ اختبار شخصية عربية تمثل سخاء العرب وكرم العرب. وكان الرأي قد استقر على - حاتم طي - لما عرف عنه من سخاء وكرم تجاوز حدَّ التفكير. حيث كان كريماً كما تريد العروبة وتشاء. وعربياً كما يريد الكرم ويشاء.

وقد كان لدى بعض المتأخرين مغمز فيها قيل في حاتم وفي كرم حاتم حتى خيل إليهم (أنه شخصية مثالية رسمها الخيال وليس لها من الواقع نصيب ولا يمكن أن يكون في الأرض سخاء كهذا السخاء. والنفس مجبولة من قبل ومن بعد على تقديس الادخار وحب الجمع، والنفس مخبوة

وراء الانتهازية والكسب وإن دلت بعض مظاهرها على غير حقيقتها).

هكذا قال البعض.

وفاتهم أنهم في خطأ مفصوح من هذا القياس المبني على الإشعاع النفسي. وكان الأخرى بهم أن يدرسوا مكان أنفسهم من الضعة قبل إصدار الحكم على التاريخ وما أجمل مقالة الشاعر:

يرى في بعض الناس نقصاً وبعضهم كمالاً وكل في الحقيقة صادق
لأنني كالمرآة أبدي لمن يرى من الناس من أخلاقه ما يوافق
وخيل إليهم أن انعكاس مرأى البدر في الماء، لا يدل على رفعة
وسمو مقامه وتصوره وكأنه غريق يلعب به الموج. ولكن هذا لا يضير
القمر ولا يحط من سمو مقامه وعلو شأنه ولولا ضعف البصر وقصر النظر.
لكان البدر بديلاً عندهم في كل تحولاته وتبدلاته وانعكاساته.

ومع كل هذا فقد أبت العروبة السمحاء إلا أن تشمخ بأنفها الكريم
وأبت إلا أن تضرب الأمثال العليا يوماً بعد يوم لتعود بالتاريخ غصاً جديداً
لا لبس فيه ولا غموض.

فإن كنت في شك من حقيقة حاتم واقعية الكرم العربي وإذا كان ما
ردده التاريخ رواية لا دراية وخيال لا حقيقة.

فهيأ بنا نركب متن الريح لا نلوي على شيء لطل على ضفاف -
الغراف - ثم لنمشي الهوينا بين باسق الشجر وشهي الثمر، ثم تعال معي
نجدوس مراتع الكرم وإن شئت فقل مراتع العرب لترى أبواب الحي وقد
فتحت باعها مرحبة بالقادمين. ولتستشف ببصيرتك النفاذة مكنون ما احتوت
عليه الأضلاع. فهل ترى وهل تبصر إلا قلوباً أرقصها طرب الضيافة فتفتحت
فواحة كالزهرة أسكرت بعطرها الغادين والرائحين وضمنتهم إليها ثملين قل
لي بربك هل عرفت غير العرب وهل رأيت غير الكرم؟

ثم تمايل بعطفك ما شاء لك الهوى واضرب الخطى خفافاً أو ثقلاً.

وتوجه بقلبك ولبك نحو ذلك البرج العاجي والصرح الممرد على ضفاف
النهر العسجدي.

وتعال معي نغترف من - الغراف - ما ينسبك خمرة النشوان وتطلع بعد
كل هذا وذاك إلى ذلك العربي الأصيل بزيه العربي الصميم. لتستوحي من
شمائله ما ينطق بالكرم وبالعرب معاً.

أليس ذلك هو أبو بشار؟

أرأيت أنه وهو يتفتح عن ابتسامة رقيقة مفعمة بالحياة. يمد يده ليلقاك
مرحباً. فاحذر أن تغوص ببحر كرمه إذا مددت إليه يدك ولا ينجيك إلا أن
تركب متن سفينة العلم. التي امتد رواقها على ربوع - واسط - أو أن تغترف
من بحر جوده ما يرضيه، واعلم أن ما يرضيه فوق الذي يرضيك. أرأيت أنه وقد
عاهد نفسه أن لا ينطق إلا بأقل ما يعمل. حتى ليخرسك بنطقه وصمته
وحتى لا تقوى على رد الجواب. وقد يبهرك حياؤه ويخجلك. فلا تدري ما
تختار من جميل الألفاظ وشوارد الكلم لترد عليه تحيته الجميلة وابتسامته
العذبة.

ثم اذهب حيث شئت وأنتى شئت حيث الموارد والموائد والمشارب
والمآكل. وعد إلى ما سمعت وما رأيت.

ثم خبرني بربك. هل تردد بعد اليوم؟



الليلة الثانية بعد الألف :

الشيخ بلاسم الياسين

بقلم : عبد الهادي المختار

الناس مختلفون في الخلق والطباع متباينون في الصفات والعادات. لكل هوى ولكل سجية ولكل خصلة وقلما نجد تشابهاً في الهوى والسجيا والخصال. وله في خلقه شؤون.

ولقد قرأنا كثيراً في كتب الأقدمين عن الجود والكرم وعن الأجواد والكرام. ولقد طرقت أسماعنا القصائد الرنانة التي أفاضت في سرد مناقبهم ومآثرهم. وقد ملئت بطون المجلدات بتخليد أسمائهم وتمجيد أعمالهم، كما قرأنا كثيراً عن الضد من ذلك عن البخل والشح وعن البخلاء. وفي الدراساتين لذة وفي البحث عن النقيضين متعة فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء.

قد يشتهر كريم في التاريخ فيفخر بكرمه. ويعجبه أن يسمع آيات المدح والثناء والإطراء ممن يحيط به. ويستهويه أن يمتد صيته إلى أقصى المعمورة. تلك هواية وهي لعمرى حسنة ولكنها غير مقصودة لذاتها بل يتطلب من ورائها غاية أخرى.

وكريم آخر لا يهتم إن ذكره الناس بخير أو بشر. أشادوا بمدحه وأطنبوا بوصف خصاله أم سكتوا وتهامسوا. هو كريم لأنه يحب الكرم لذاته لا يريد جزاءً ولا شكوراً. فيذكره الناس رضي أم أبى. هو كالشمس لا يحجبها حاجب، كالنور يتخلل الظلام فلا يريد أشعته حاجز. يتعد عن

المديح والمديح يلاحقه، هرب من الشاء والثناء يأبى إلا أن يتمسك بأذياله.
هذا النوع من الكرم - أعني الدرجة العليا منه - هو المثل الأعلى
للكرم. هو أسمى صفات الجود. وأعلى درجات الخلود.

ولا يقل الجود في المال عن الجود بالنفس فكلاهما في منزلة واحدة
إذ المال في ذاته إن لم يخدم النفس لا نفع فيه ولا جدوى ولا يغني ولا
يشبع فمن جاد بماله فكأنما قد جاد بركن من أهم أركان حياته وأخيراً فقد
جاد بجزء من حياته والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

سمعت عن الشيخ بلاسم كثيراً ولكنني لم أره. ثم قضت الظروف أن
أكون في مهمة رسمية في الحي فالتقيت به وكانت تلك اللقاء قصيرة جداً
بحيث إنها لم تترك في نفسي أي أثر اللهم إلا إعجاباً بأدب الشيخ
وتواضعه.

ثم مضت الأيام وكرت الأعوام وإذا بالشيخ بلاسم يباشر في وضع
أسس للمدرسة الجعفرية في الحي وإذا بي مدفوع بحكم المهنة والواجب
للسفر إلى الحي لرؤية ذلك البناء الذي ملك عواطفني باتساعه واستولى على
مشاعري بشموخه، يمت وجهي بعد ذلك إلى قصر الشيخ بلاسم ولكنه
كان في بغداد فلم أجد وحشة ولم أشعر بغربة وكل ما في الأمر أنني
وجدت نفسي متمثلاً بقول الشاعر وأنا لا أدري:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل
لم يكن بناء المدرسة قد تم يومئذ. ولذا بت أترقب انتهاء البناء وأنتظر
حفلة الافتتاح بفارغ الصبر. حتى حان.

وبلغنا الحي بعد جهد فقابلنا الصرح الجبار المشمخر فنسينا تعب
الطريق وبعد الشقة. وقرأت اسم (بلاسم) على ذلك الطود الراسخ فأكبرت
الاسم؛

إلى القصر، إلى الراحة والطعام، وفي بابه العام وقف الشيخ بلاسم

يستقبل وفود مدعويه وهم بلا عدد. أقسم بكل مقدس أنه لولا واجب الضيافة وواجب الترحيب بالضيوف لهرب الرجل من أمامنا إلى حيث لا يسمع كلمة مدح أو ثناء أو شكر حتى ولا نظرة تنم على تقدير وإكبار وإجلال.

كان يستقبل ويتفقد مدعويه كباراً وصغاراً حتى اطمأن بنفسه على راحتهم وعلى ما أمر بتهيئته لهم ثم كان آخر من مد يداً إلى الموائد.

وفي الليل وقد أضاءت القصر الأنوار ومدت الموائد وانتشرت المناضد وعلت الأصوات وانتشر المدعون في الحديقة الغناء الفيحاء كانت ليلة لا أدري ماذا أعبر عنها. لم أجد حينذاك وصفاً لما غير أن صديقاً أجنبياً أنقذني قائلاً : إنها الليلة الثانية بعد الألف. عندئذ أدركت أن إعجاب الرجل بالدعوة لا يقل عن إعجابه بكرم الشيخ بلاسم بل لا أغالي إذا قلت إن الرجل كان قد نسي إعجابه بفخامة بناء المدرسة في تلك الليلة التي سماها الليلة الثانية بعد الألف.

أصبح الصباح وانطلق المدعوون إلى المهرجان. إلى حفلة الافتتاح، وهناك تجلت أخلاق الشيخ بلاسم وظهرت صفاته. لم يرض إلا أن يكون مستقبلاً للمدعوين رغم الحاحنا عليه بالراحة ثم أذعن واعتقد أن ذلك الإذعان لم يأت عفواً بل إن خلقه الكريم أوحى إليه بأنه قد أصبح مدعواً تلك اللحظة لا داعياً فاندس بين الصفوف يصغي مضطراً إلى الخطب والقصائد لا ينظر إلا إلى الأرض وقد تملكته عدة وسرت في جسده رعشة حاول كثيراً إخفاءها ولكن مظهرها بان على وجهه.

وإن أنسى فلا أنسى بحث معالي السيد عبد المهدي عنه بين الجماهير وعثوره عليه بعد مدة ومعانقته له.

وانفض الاجتماع وعاد الجميع إلى القصر، إلى الحديقة الغناء، إلى الحديث والسمر. والشيخ بلاسم إلى وقوفه واستقباله لمدعويه.

في مساء ذلك اليوم فقط أدركت سر عظمة الرجل. ذلك أننا كنا نفرأ

قليلاً (ممن لم يهن عليهم فراق الحي بسرعة) جلوساً في حديقة القصر وقد صفا الجو وعم الهدوء بعد تلك الليلة الليلاء التي ماجت وهاجت. كنا نتحدث عن قصيدة الأستاذ الكبير شاعر العرب محمد مهدي الجواهري ونستعيد أبياتها وما إلى ذلك من أحاديث ونستعرض ما مرّ بالأمس واليوم من أحداث والشيخ ساكت لا ينطق إلا جملاً قصاراً يدير بها دفة الحديث وكأنه لا يريد أن نتطرق إلى ذكره بحضوره. وأخيراً التفت إليّ قائلاً :

- والله يا عبد الهادي لقد تأثرت كثيراً اليوم من منظر رمز الجامعة العربية الذي قام به الطلاب وقد هزني وملك على مشاعري.

عندئذ أدركت أن الشيخ بلاسم ليس بكريم فقط ولا أن أحداً لا يجاريه في هذا المضمار فحسب، بل إنه شاعر مرهف الحواس. إنه قطعة من عواطف وشعور وإنه وطني بكل ما في الوطنية من معنى.

وبعد وأراني عاجزاً عن وصف شعوري نحو الرجل ولا سيما وهو لا يريد الإطناب حتى ولا الإيجاز ونزولاً عند إرادته أقف عند هذا الحد من التقصير بواجبي.



أمجاد... (١)

السيد محمد رضا شرف الدين



السيد محمد رضا شرف الدين

بمناسبة افتتاح كلية الحي
الجعفرية الضخمة بعد غد واعترافاً
بخدمات فخامة رئيس الوزراء لهذه
المؤسسة الثقافية الأهلية، وتسجيلاً
لأياديهِ البيضاء على هذه المعاهد
الجليلة والكل يذكرون موقف فخامته
من هذه المؤسسة في بغداد ذلك
الموقف الذي هز أريحية الشيخ بلاسم
الياسين ببناء (فرع) الحي الشامخ.

صرح على (الغراف) أم أمجاد
و(الحي) هذا (الريف) أم (بغداد)
أم (واسط) عادت وذو أعلامها
رفعت وهذا ما بنى الأجداد

(١) عن جريدة (الساعة) الغراء (٢).

مرت بـ (واسط) للزمان مواكب
صهلت بساحتها الخيول فمصبح
ويعود يستاق الملوك غنائماً
طوراً مآتم تارة أعياد
ممس ورائده هدى وجهاد
وعليه من أسلابهم ابراد



كم راية للنصر عز قوامها
زرد الحديد عليه جأش رابط
يقتاد ألفاً مثل (عنتره) له
ومن الحوائر لا (زبيبة) أمه
جلد له عند الزحوف عناد
وله العزائم في الوغى أجناد
ألف (كشداد) أب شداد
أم الفوارس زينب وسعاد



ومن (الغزاة) حصونها كم شاهدت
ردت على الأعقاب أو سالت على
ورأت من (الزنجي) ما تعبى به
نزلت بها عند (المذار) مصائب
فمروعاً خفراتها ومجدلاً
ونمت وأمرع بعد ذلك مراحها
فقسا الزمان بها وإذ هي بالعرا
وغياضها جفت نضارتها فلا
وجنائن في الضفتين تصارحت
فكأنها لا الخصب نبت ترابها
وكأنها في الجانبين بلاقع
وكأنما غاباتهما ما أنبتت
وكأنما في الشاطئين قصورها
لا (الجامع) المعمور جلجل بالصلا
لا (القبة الخضراء) حاكي لونها
لا (معهد التجويد) فيها عامر
لا (الجسر) يربط جانبيها رابضاً
للخيل كوكبة لها أمداد
ساحاتها بحرراً له ازباد
وصفا براعة كاتب ومداد
ما لم تذق أمثالهن بلاد
سرواتها ومخرباً ما شادوا
حتى أتاها المنجل الحصاد
لا ماء يروي غلة لا زاد
طير يناغيها ولا انشاد
لا الغيد تزهيها ولا الأوراد
لا مرتع فيها ولا مرتاد
ما أكرمت ضيفانها أجواد
أسداً نمتها للعلأ آساد
لم ينعكس ظل لها مداد
خمساً وصات بأفقه الارشاد
الآمال أو دها الربيع جواد
لا (المقرئون) لهم به تجواد
فوق السفين كأنهن جياذ

تختال فوق الموج وفق صعوده ونزوله صفالهن قياد



هاتيك (واسط) في تليد فخرها يا طارقاً هلا هداك تلاد؟
كانت لحائزة الليالي مشعلاً والعلم ذاك المشعل الوقاد
غرسب بأربعها (نزار) قناتها وتحوطتها كالحديد (اياد)
أزمان فاض على مراتع عزها النعمتان الأمن والاسعاد



قد أسس (الحجاج) أولها على الأشلاء يبني ملكه استبداد
من مبلغ الحجاج أن العلم في الـ دنيا له السلطان لا الجلاذ
قد أبدل (الهيمن) سجنك بالهدى صرحاً مع الذكر الجميل يشاد
(صرح) مدرجة (المعارف) جاثم طوداً وسابل دونه الأطواد
ذهبت بآفات العلى شرفاته وامتد للجوزاء منه عماد

هذي (الحضارة) هكذا تبني وذي

طرق الندى والبذل يا مجواد

هذي المفخر والمحامد.. هذه دنيا الخلود.. وهذه الأمجاد
هذي التي لا عيب يلحق شاعراً في عدها إن هزه تعداد
فأنا لها في الشاعرين [فرزدق] وإذا عيبت فإنني [حماد]
أحييت [حيك] يا [بلاسم] بعدما أعى الطبيب ومله العواد
وتفرقت أبناؤه بمتاهة للجهل قائدها هوى وفساد
فرفعت في ملك الظلام منارة وإذا بها للتائهيـن رشاد
ودعوت حائرهما بصرخة مخلص في الناشئين لها الصدى الرداد
فنظمت شملهم [بدار ثقافة] عقداً تولى نخبه نقاد
أسلفتهم طوق الهواذي منة ستردها شكراً لك الأحفاد
يهنيك خالد ما بنيت محامداً والزينتان المال والأولاد



من وحي واسط:

أيها الأغنياء هذا [بلاسم]

بقلم : سالم مامو

قالوا: إن الشباب لا يسود وأن ليس للماضي من سبيل إلى رجعة
فقلت: هذا زعم باطل قال به الناس ورددته الزمن وإن الله في كل يوم هو
في شأن مبدية وله سبحانه آيات يمحي بها آيات كآية الليل تمحوها آية
النهار في الأولى لباسهم وفي الأخرى معاشهم.

قالوا: أرأيت شيخاً مادته إليه فتوته أو عجوزاً أسكر أهل المدام رضا
بها فترامى على أقدامها العشاق وقد أذهلهم حسننها وبهاؤها؟

قلت: نعم رأيت هذا الشيخ وقد أدت إليه فتوته وهذه العجوز وقد
سمت في الحسن حتى كادت تصبح بدراناً رحلاً رضاها حتى خلته شهداً
فأطربني صوتها وأسكرني شجوها فسرت وإياها في ركاب الغرام وشدوت
وإياها لحن الفضائل في أهل الفضل والمكرمات من جلائل (معن)
وأصحابه.

ها هي (الحي) تشهد يوماً من أيام (واسط) وكأنك قد طويت القرون
لترى يوماً من أيامها الساحرة وكأنك قد أرجعت الصحائف في سفر لتقرأ
أو فصل من فصول تلك الخوالي النظرة.

سمعنا عنهم فقلنا هذا حديث خرافة وقرأناهم مثني وثلاث قلنا هذا
من خيال الشعراء والشعراء في كل واد يهيمون إنهم يرون أمة سوداء

فيجعلون منها قينة تسبي الناظرين ويرون خردة فيجعلون منها قبة تملأ
الفضاء وسعة والعيون بهجة وسروراً. حتى رأينا الحي، تكذبنا فيما قلنا وها
هي العين تؤكد لنا أننا ما استوعبنا بالسمع إلا قليلاً من كثير وما نقل
الشعراء خيالاً وإنما أفرطوا في الإيجاز لا عن عمد وإنما عن عجز.

لقد سمعت عن مهرجان الحي الشيء الكثير - وكثيره لا يصدق -
وكنت أود أن أكون شاهداً ليكون علمي في الأمر علماً يقيناً ولكني لم
أستطع ولي في هذا المقام عتاب أود لو سمعه (صديق) لي أعنيه.

أيها الأغنياء هذا (بلاس) أعاد في يوم جملة من أيام التاريخ قد
أحيى بين العرب روح الكرم وأعاد إليه شبابه فالكرم بعد اليوم (بلاسمي) لا
(حاتمي).

لقد بنى للعلم حصناً يأوي إليه أصحاب المواهب من أبناء الفقراء
فينهلون من صنوف العلم ما يصقل عقولهم ويرفع من قدرهم فيخدمون هذه
الأمة التي طالما سخر منها الغرباء لعيها وسخر الغاصبون لجهلها.

أيها الأغنياء هذا (بلاس)، وكنت أجهله فعرفني عليه كرمه فقرب بين
قلبينا وان كنت أبعد البعدين بين الدارين.

وكنت أزدري بماله وقد جمعه لنفسه فصرت أعجب بنفسه وقد سخر
المال في سبيل الله. وكنت أحسبه كغيره من عبيد الدينار وإذا بي أراه سيداً
من أسياده يستصغره في سبيل اليتامى ليعلمهم والأرامل ليفرحهن والمعلم
ليعلي من شأنه. وأية فرحة بمال كذا الفرح بغبطة الناس، وأية بهجة بمال
لها مثل هذا الإكبار والإعجاب. وأي قلب أسكرته نشوة الطرب كقلب
(بلاس) يوم هتف الناس باسمه وساعة أوى إلى فراشه وقد اشترى رضاء
الله ورضاء الناس بثمان بخس لو كنتم تعلمون.

إنني لأرى الجود وقد رأى رماده الكثير قد أوى إلى بيته والفضل وقد
رأى فيه هذه التربة الخصبة قد نبت في نفسه وهو موقن من أن الثمر زكي
شهوي وانحدر إليه المجد من ذاك وهذا تحدر ماء المزن في المهمة القفر

فهنا يا سراة القوم لتقتسموا وبلاسم الجود والمجد ولتأكلوا من هذا الثمر الزكي الشهى وإلا فلذة الروح ونشوة الفكر وطرب القلب ومتعة اللسان كانت لبلاسم كالبلسم ينعم بها وأنتم تنظرون وإلا كان المديح والثناء والتقدير له دونكم وأنتم تتحسرون ألا حاربوا جوده بالجود ونافسوا فضله بالفضل وأعدوا له ما استطعتم من بذل فلا يفل الحديد إلا الحديد.

أيها الأغنياء لقد سار هذا الشيخ في طريق من العار أن لا تسلكوه واستن لكم سنة من الخزي أن لا تقتدوا بها واعلموا أن في أموالكم حقاً للسائل والمحروم وأن الله سبحانه وتعالى ليسألكم غداً عما فعلتم بما وهبكم فلا تمنعوا الماعون فالحياة واسطة لا غاية والنعيم إنما هو نعيم النفس لا نعيم الجسد.

والنعيم أمانة ستسألون عنها فاحملوها بالله عليكم كحمل الأمهات ثقلاً لا كحمل الآباء خفاً وضعوها لا كوضعهن ثقلاً وإنما كوضعهن لذة ونشوة. حنوا على الفضل وارضعوه من دمكم واجنوا ثمار العز من بذلكم. فأى فضل لكم في مالكم لولا هذه الأمة؟ وأى فضل للأمة لولا أبنائها البررة؟ وأى بر لولا أن تفرحوا اليتيم في عيد وتدفعوا عن المحتاج حاجة وتبرئوا السقيم من علة؟

إن الحياة لعمرى قصيرة والعاقبة مريرة ونحن بين لفطة وغفلة حتى نوارى التراب فطوبى لمن أرضى الله وطوبى لمن أفرح الناس.

ألا اعملوا (كبلاسم) وحدروا دموع الفرح من أعين البؤساء وكفكفوا دموع الأسى من أعين التعساء فيأتيكم الدعاء من كل قلب والثناء من كل لسان فهذا النعيم في الدنيا وهذا الذي ينفعكم لا مال كثير ولا عقار شامخ ولا لباس من دمس وحريير.

وأنت يا بلاسم اعلم - رعاك الله - أن الله قد خصك بفضل من عنده فلا تقطع الصلة وبدأت بعمل فلا تجعله نهاية المطاف فقد استذوقت حلوه في خلوتك وأدركت فضله في نجوتك فرفعت للعمل مناراً واستديت للمعلم

خدمة فلا تنس أن تمد يدك لليتيم فتفرحه والسقيم فترفع عنه عله والبائس
فتفرج عنه الكربة ثوابك عند الله وأجرك يوم تعطى كتابك بيمينك.



هيا إلى العلم...

للسيد محمد شاكر السيد جابر

أكرم بدار النهى والعلم من دار
كجنة هي قد راقى مناظرها
تنفي الخمول وللتهذيب جاذبة
كأنما لغط الطلاب من أمم
إلى التقدم جدوا يا بني وطني
وانتجوا رغم أشياخ لكم سلفوا
هيا إلى العلم حيث العلم يسعدكم
للعلم هبوا لتجنوا خير فائدة
مواطناً شيدوها من جهودكم
هذي الأجانب كم فيها لكم عظة
نرى مدائنهم بالعلم راقية
زان المدائن علم كالسماء نرى
واهدوا إلى المنشئ الميمون طائفة
أعني الزعيم الذي فاقت خلائقه
بلاسما الخير من درت فواضله
عف السريرة ميمون النقية محمود المزية حر وابن أحرار

عن وصفها اقصرت أبكار أفكار
تستوقف الطرف من عجب وإكبار
كالنجم للرشد يهدي المدلج الساري
فيها مجاوب أطيوار لا طيار
وسابقوا للعلا في خير مضار
في كل جيل يوافي خير آثار
والجهل ما فيه من حظ لمختار
كالنحل جانيه يجني خير أثمار
فوق السماك بعلم لا بأحجار
تغنيكم عن مقالات بأسفار
أوج الكمال كشمس عند أسفار
تزينت بمصاييح وأقمار
خير الثناء بنشر أو بأشعار
خمائل الروض إذ حفت بأزهار
على العفات بصوب منه مدرار

طماحة عينه للمكرمات ولم
 حب الفضيلة رب الفضل ديدنه
 كانت بفضله دار العلم قد بنيت
 أهلاً به من وزير جاء يفتحها
 رعاية الملك المحبوب تشملها
 وعطف خير وصي حازم ورع
 أبقاه مع فيصل الثاني الإله حمى
 لا دار يفضله أرخ ويشبهها

تطمح لضمارة الكشحين ممطار
 إذ لم يكن فيه ذاك الحب من عار
 والفضل يشهد تبقى خير تذكار
 بيمينه الفتح يمن كان للدار
 ولا تغبن عنها رحمة الباري
 بذ الثريا بإيراد وإصدار
 للشعب إذ كان فيه خير أنصار
 أكرم بدار النهى والعلم من دار

سنة ١٣٦٠

جمعية الرابطة الأدبية في مهرجان الحي

بقلم : السيد علي الهاشمي



السيد علي الهاشمي

في جلسة الهيئة الإدارية لجمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف المنعقدة بتاريخ نيسان ١٤ تلي كتاب الدعوة الموجهة إلى معتمد الرابطة الأدبية الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي من معالي الأستاذ الجليل السيد صادق البصام المدير المسؤول لجمعية المدارس الجعفرية في العراق، وفيه يدعو معاليه مؤسسة الرابطة إلى الاشتراك في حفلة افتتاح المدرسة الثانوية (في الحي) والمساهمة في هذا الحفل الوطني فما كان من هيئة الرابطة إلا أن قررت ما يأتي :

- (١) أن يشترك في الحفلة المذكورة كل من الأستاذين اليعقوبي معتمد الرابطة، والشيخ الصغير عضو الجمعية.
- (٢) أن يمثل الرابطة في مهرجان الحي قسم من أعضائها وهم : الأستاذ السيد محمود الحبوبي والأستاذ محمد علي البلاغي صاحب مجلة

الاعتدال والأستاذ الشيخ عمار سميسم والأستاذ هادي محيي الخفاجي والسيد علي الهاشمي.

وذلك لما لهذا المشروع الوطني العلمي من أثر عظيم في إنهاض البلاد ثقافياً، واتفاقه وأهداف جمعية الرابطة الأدبية التي تسعى جهدها لتأييد كل مشروع ثقافي تدعى إلى المساهمة فيه ؛ بقدر ما يتسع لها المجال.

السفر إلى بغداد :

وفي عصر يوم الأربعاء ٢٣/٥/١٩٤٧ غادرنا النجف، متجهين إلى بغداد فقطعنا هذا الطريق الطويل بأشهى الأحاديث وأعذب المطارحات، هذا يبدأ بعرض الرحلة شعراً، وهذا يقترح موضوعاً من المواضيع ؛ وذلك ينشدنا من الشعر العربي أروع وأبدعه، فكنا في سيارتنا وكان الشريف الرضي ينشدنا شعره ؛ والمتنبي شاعر الدنيا يسمعنا روائعه، ومهيار يتلو علينا غرره، والجواهري يتحفنا ببدائعه، والحويزي يسكرنا بقطعه الخالدة، وبدوي الجبل يهزنا بوطنيته وبذلك وأمثاله قد انقطعت هذه المسافة الطويلة، ولم تخل من نكات وظرافات، ومداعبات ولطائف، وتعليقات يكون من ضحاياها كل واحد منا، وهكذا فقد وصلنا بغداد، عاصمة فيصل المعظم ؛ وهي في حركة مستمرة أين منها النجف وهدوؤها. وحال وصولنا نزلنا في أحد الفنادق وما هي إلا لحظات وإذا بجماعات كبيرة من أفاضل الإخوان ؛ وأطايب الأخدان، يتفضلون بزيارتنا، وفيهم كبار الشخصيات، وأعلام الأدب والسياسة، وكل يلح علينا أن نكون ضيوفه ؛ فاعتذرنا واعتذرنا ؛ إلى أن نزلوا متفضلين عند رغبتنا، فقضينا ليلتنا الملهة على أطيب الأحاديث وأمتع المناديات والمسامرات فكانت ليلة ممتعة رائعة بديعة معجبة، ولا عجب فقد اجتمعنا بالصفوة من الأفاضل والأساتذة وبكبار رجال الأدب من الأعيان والنواب والوجوه فكانت حفاوة منهم بالغة : وكان لطفهم عميماً، فهي ليلة زاهرة لا احتمال أن أحداً منا ينساها، أو تمحي من خاطره.

إلى الحي :

وفي صبيحة يوم الخميس ١٤/٥/٢٤ تكررت علينا النداءات التلفونية مبكرة، كما بكر علينا جماعة من الخلان، وكلهم يطلبون إلينا الإسراع إلى المدرسة الجعفرية ليكون منها السفر إلى الحي.

هذه التلفونات تتكرر، وهؤلاء الإخوان يلحون، ولكن بعضنا - حفظه الله - لا يروق له التبكير في الجلوس، وخاصة بعد سهرة امتدت إلى قرب الصباح، فهو لا يستحسن السفر إلا بعد استراحة واستحمام، فلقد أخذ يلقي علينا مختلف المواعظ والحكم والأمثال، ولكن ذلك كله لا يجديه نفعاً، لأن وقت السفر قد قرب ولا مفر من السفر حالاً ..

اتجهنا بسيارتنا نحو بناية المدرسة الجعفرية في بغداد، وهناك في المدرسة كان اجتماع حاشد حفل بكبار الشخصيات، ومختلف الطبقات، فاستقبلنا من الجميع بحفاوة بالغة، وبلطف عميم، وما كاد يستقر بنا المقام في المدرسة حتى طلب منا أخذ أماكننا من السيارات المعدة لنا، وكان من حسن توفيقنا أن يكون منا شاب من إخواننا اللامعين هو السيد حسن الدجيلي، والدجيلي هذا يمتاز بفضله وأخلاقه، وبلطفه وظرفه، فهو ذو روح سام، وعقل راجح، واتزان معجب، وأدب جم، وتواضع محبب، ورأي نافذ، وهو كاتب متبع، ووطني مخلص، عرف بنزعة القومية، وبتبعه للشؤون العربية، وما يرتبط بها مما كتبه في مناسبات مختلفة.

ولقد كانت الشرطة الخيالة تقوم بحراسة الطريق، من بغداد إلى الحي مشى مشى وكلها مستعدة لمقدم حضرة صاحب الفخامة رئيس الوزراء الأستاذ السيد صالح جبر.

ولما وصلنا مشروع الغراف طلب إلينا جماعة من الإخوان أن نقف عليه ونتشرف إلى عظمته؛ فنزلنا متفرجين على ذلك المشروع الغني عن الوصف والإطراء في فنه وإنشائه، في منظره وروعته.

ثم أقلتنا سيارتنا متجهة إلى الحي ؛ وما هي إلا ساعة حتى لاحت لنا - مدينة الحي - وللحي تاريخ زاهر، ومجد تالد ومفاخر سجلها التاريخ على صفحاته الناصعة.

وصلنا الحي، فشاهدناها محتشدة بال جماهير الرائدة عليها من مختلف أنحاء القطر، وآلاف السيارات في مدخل المدينة اتجهنا إلى بناية المدرسة حيث استقبلنا من أعضاء المدرسة ومن وجهاء الحي وزعمائها وبعد أن استقر بنا المقام مدة وجيزة نفضنا فيها عنا غبار السفر ووعثاء الطريق وتناولنا الشاي والمرطبات واطلعنا على البناية العظيمة الشاهقة وفي تفاخر بعلوها السماء عند ذلك طلب إلينا أن نستعرض قصر الزعيم الشيخ بلاسم ؛ المؤسس للمدرسة، والزعيم النافذ الكلمة في تلك المنطقة، والعزيز الجانب من الجميع، فأقلتنا السيارة إلى القصر وهو يبعد عن مدينة الحي بمسافة قصيرة، فوجدناه حافلاً بكبار المدعوين، واستقبلنا الزعيم بلاسم وإخوانه الكرام فأخذنا مكاننا المعد لنا ؛ واجتمع معنا جمع من الإخوان فكانت أحاديث شهية، في حديقة عامرة مع جمع من الإخوان حديقة كبيرة واسعة، أعدت فيها الأماكن الكثيرة لجلوس واستراحة هذه الجموع الزاخرة من مختلف الطبقات، وجوه باسمه يملؤها السرور، قلوب طافحة بالارتياح الذي لا يمكن وصفه. ففي الاجتماع صفوة ممتازة من العراقيين، وجماعة كبيرة من أدباء القطر المشاهير، ولما أن تكامل الجمع مدت موائد الطعام، وقد حوت كل ما تشتهي النفس من أطعمة فاخرة هيئت بكثرة هائلة، فأكل القوم هنيئاً ؛ وشربوا مريئاً، وأخذت جملة من الصور للوافدين وهم على الموائد وبعد الانتهاء وزعت هذه الجماعات من بيوت الحي، وكلها كانت معدة للضيوف، ومفتوحة للوافدين، كما أنها كانت مؤثثة بأحسن أثاث ؛ ومرتبة أحسن ترتيب، وفيها كل أسباب الاستراحة، وهكذا قسم الناس على البيوت الكثيرة.

وأما نحن جماعة الرابطة، فكان مقرناً في دار الوجيه أبي طارق

عربي، وكان معنا في الدار نفسها كل من فضيلة الأستاذ السيد محمد صادق الصدر عضو مجلس التمييز الجعفري، وفضيلة الأستاذ السيد محمد علي الكاظمي قاضي بغداد الجعفري، وبتنا في تلك الليلة مستريحين مرحين، نعم بالذ الأحداث وأشهى المواضيع وما كان عصر اليوم نفسه إلا وأخذت الجماعات المختلفة من وجوه الحي والكوت، وكبار الموظفين؛ وقسم كبير من الوافدين للحي من بغداد شرفونا بزياراتهم ونعمنا بلطفهم؛ وغمرونا بتشريفهم، فلقد كانت هذه الفرصة الجميلة خير فرصة تعرفنا فيها على جماعات كثيرة من أطايب الناس وأفاضل الأطايب.

وقبل الغروب بساعة واحدة ليلة ٢٢/٤/١٤ أقلتنا السيارات كما أقلت غيرنا، إلى القصر العامر، قصر الزعيم الشيخ بلاسم، وهناك التقينا بمختلف الطبقات وأخذ كل منا محله، وكان فخامة الأستاذ السيد صالح جبر رئيس الوزراء في وسط الحديقة ومعه جماعة كبيرة من كبار الشخصيات والرجال المسؤولين وقد قضينا كغيرنا ليلة ممتعة زاهرة زاهية، حديقة باسقة غناء أنيرت بآلاف المصابيح الكهربائية والثريات البديعة، وجماعات ممتازة من مختلف أنحاء العراق؛ ولطف لا يحد من الزعيم صاحب الدعوة وإخوانه الأطايب!!

وعندما حان موعد تناول العشاء أخذنا نتجول في هذه الحديقة الزاهرة؛ وكان فخامة الرئيس الأستاذ السيد صالح جبر بين هذه الجموع المحتشدة فحييناه كما حياه غيرنا قابلنا ببشاشة ولطف، وتفضل فسأل عن بعض إخواننا ممن لم يسمح له الوقت بالحضور وشكر للرابطة مشاركتها، عند ذلك اتجهنا جميعاً نحو موائد الطعام، وبعد الانتهاء بقينا في الحديقة حتى ساعة متأخرة من الليل غمرنا فيها سعادة الزعيم بلطفه وبكرمه فكانت ليلة ليلاء جمعتنا بأقوام وأقوام، كما تفضل علينا جماعة كبيرة من أعيان بغداد وكبار الرجال بالزيارة، وبعد أن كاد الليل أن ينتهي عدنا إلى محلاتنا وإلى البيوت التي أعدت لنا، ليأخذ كل منا قسطه من الراحة.

ولكن أنى لنا الراحة ومعنا ولا نريد أن نسمي من كان معنا : أخ كريم ؛ وأستاذ أديب وصحفي معتدل لا يروق له الاستقرار ولا يأخذه قرار، ولا يود أن تذهب هذه الفرصة، وأن تذهب روعة هذه الليلة، فاضطربنا جميعاً - حتى الأستاذ الحبوبي للجلوس والتحدث والاستماع إلى الأحاديث، وإنشاء القصائد، وما إلى ذلك من كل ممتع وشهي ولذيذ.

وفي صباح الجمعة اتجهنا بسيارتنا إلى بناية المدرسة حيث محل الاحتفال فوجدنا الحي قائماً وقاعداً، وهي زاخرة بالجموع المختلفة، فقطعنا طريقنا حتى المدرسة، وأخذنا أماكننا من الحفل وبعد أن احتشد المحل على سعته ؛ وصل حضرة صاحب الفخامة الأستاذ السيد صالح جبر على انفراد في سيارة غير سيارته، وأخذ محله، دون أن تشعر به الجماهير التي كانت على استعداد لاستقباله والتهاف له، ولقد كانت هذه العملية من فخامته مدعاة إعجاب وثناء وإكبار، وعند ذلك وزع منهاج الحفلة ؛ وتقدم الأستاذ السيد عبد الهادي المختار وتلا المنهاج، ثم افتتح الحفل بأي من الذكر الحكيم من قبل أحد تلامذة المدرسة وبعد الاستماع من تلاوة القرآن الكريم تقدم معالي الأستاذ البصام وألقى كلمته الافتتاحية، القيمة ثم تقدم معالي العين الجليل السيد عبد المهدي المنتفكي وألقى كلمته الارتجالية، ثم تقدمت من بعد معاليه وألقيت قصيدة الأستاذ الشيخ علي الصغير، عضو الرابطة وبعدها تقدم الأستاذ السيد هادي محيي الخفاجي وألقى قصيدة الشاعر الكبير الشيخ يعقوبي معتمد الرابطة في النجف ؛ ثم تلاه الشيخ سعيد الخضير - من وجهاء الحي - وألقى كلمة ارتجالية تخللتها أبيات عامرة ؛ وقطع خالدة، لأكابر الشعراء ولقد كانت كلمته بديعة ثم ختم الحفل الأستاذ الكبير الجواهري - وكان اسمه في المنهاج قبل الشيخ خضير، وقد تأخر لعدم حضوره في الوقت المعين - وألقى قصيدته العامرة، ورائعته البديعة، وفريدته الغراء فهزت الجموع المحتشدة، فانتعش الجمع لروعتها ولبداعتها ولجمالها، وقد تخللت الكلمات والقصائد أناشيد

وموسيقى كان لها أجمل الأثر على الحاضرين، وبعد ذلك طلب إلى أعضاء الهيئة الإدارية للمدرسة الجعفرية أخذ صورة تذكارية فتقدم فخامة رئيس الوزراء الأستاذ السيد صالح جبر وهو من أعضاء الهيئة البارزين ومن دعائمها التي بعثت فيها حركة جديدة، ودعا كذلك الشيخ بلاسم والخطباء والشعراء الحاضرين، ثم طلب فخامة رئيس الوزراء إلى الأستاذ الجواهري أن يقف معهم لأخذ تصويره فأجاب الأستاذ الجواهري وأخذت بعد ذلك عدة صور.

وعند ذلك أخذت الوفود تتجول في المدرسة للاطلاع عليها وللوقوف على مرافقها.

ولقد كان الأستاذ الحبوبي الشاعر المعروف والأديب المتفوق قد ارتجل خمسة أبيات في تقرّظ قصيدة الجواهري، أثناء إلقائه، وقد كتبها أحد إخوانه على بطاقة أوصلها للأستاذ الجواهري، فاطلع عليها جماعة من الحاضرين وفي مقدمتهم صاحباً المعالي السيد البصام والسيد عبد المهدي؛ ولما أن انتهيا من تناول الطعام، طعام الغداء، وتقدمنا لتناول الفواكه، اقترح صاحب المعالي الأستاذ البصام ومعالى السيد عبد المهدي وغيرهم من أصحاب المعالي فطلبوا إلى الأستاذ الحبوبي أن يلقي هذه الأبيات فأجاب السيد الحبوبي، فكانت حفلة ثانية لتكريم شاعر الجيل الجواهري.

اجتماع وفد الرابطة بفخامة رئيس الوزراء :

وبعد أن انفض الاحتفال، نقلتنا السيارات إلى قصر الزعيم وأخذنا مكاننا المعد لنا في حديقته الزاهرة، وعشرات من مختلف الوافدين على الحي شرفونا بزياراتهم وهم يشكرون للرابطة مواقفها المشرفة، التي رفعت الرؤوس فخراً؛ وبيننا نحن على هذه الحالة، وإذا بالأستاذ الفاضل السيد محمود شويليه يهمس في أذني قائلاً: إن فخامة الرئيس سيجتمع بكم في غرفة (خاصة) أعدت لهذا الغرض فأخبرت بذلك إخواني من أعضاء الرابطة

واتجهنا إلى المحل المعد وما هي إلا لحظة وإذا بفخامته يشرف المحل، وبعد السلام عليه من قبلنا تفضل بالسؤال عن الرابطة وعن الأستاذ اليعقوبي وغيره من أعضاء الرابطة، ثم شكر للرابطة موقفها في هذا الحفل، وكذلك شكر لها مواقفها واحتفالاتها الكثيرة التي تقيمها للوفادين على العراق من مختلف الأقطار العربية وغيرها وفيهم كبار الأعلام والأساتذة، فلقد تكرر على مسامع فخامته امتنان أكثر هؤلاء الوفود من الرابطة التي تهيء لهم الأجواء الأدبية التي يرتاحون لها، ويقفون بوساطتها على ما في النجف من روح وثاب وأدب سام، ثم تناول موضوع مركز الرابطة فتكلم عن دارها وضرورة تبديلها وجعلها في محل يتناسب ومقام الرابطة، وطلب إلى الأعضاء الاهتمام بأمر إكمال بنائها الجديدة ليتسنى لها أن تستقبل هذه الوفود في محل مناسب.

حقاً لقد أدهشني فخامته بوقوفه التام على كثير من مواقف الرابطة وأعمالها وخدماتها، وكل شأن من شؤونها وبعد ذلك انفض اجتماعنا بفخامته، وعدنا إلى مكاننا وكلنا مدهوشون للإمام فخامته بخدمات الرابطة وبما تقوم به من أعمال قد لا يحس بتأثيرها حتى بعض قطان النجف، ففخامته مطلع على أكثر ما ينشره الأعضاء من آثار أدبية، وواقف على أكثر ما نشر من مختلف الوفود التي زارت الرابطة في مختلف الصحف العربية، ومتتبع لكل شأن من شؤونها، حتى أن فخامته قد سأل عن بعض أعضائها الذين لم يسبق بفخامته أن تعرف عليهم، ولقد شجع أعضاء الرابطة وطلب إليهم المواصلة في خطتهم التي تعطي خير صورة لهذه الوفود التي تزور العراق وتؤثر في نفوسهم الأثر الطيب.

حقاً إن جلسته قصيرة ولكنها جلسة وقورة أوقفنا على سهر عظيم، ووقوف عام على كل شأن؛ فأسأله تعالى أن يوفقه وجميع رجالنا إلى خير هذه الأمة، والإعلاء من شأنها.

العودة إلى بغداد :

وفي عصر يوم الجمعة ٢٢/٤/٤ عدنا إلى بغداد، وقد غمرنا الشيخ بلاسم وأخوه الشيخ عبد الله (باللطف والعناية) كما بهرنا البناء الشامخ الذي تفضل بإنشائه الزعيم وأدهشنا الحفل العظيم، وما لقيناه من مختلف الطبقات التي حضرت الحفل ؛ فلقد كان معالي الأستاذ البصام يهتم بجماعة الرابطة أكبر اهتمام، فهو يتساءل عن استراحتهم وعن مقرهم، وعن كل شأن من شؤونهم، ولا عجب فمعالي البصام من رجالنا المعروفين بروحهم الطيب وبأخلاقهم الفاضلة، وبنبلهم الفائق، نعم عدنا إلى بغداد ووصلنا إلى الفندق الذي حللناه من قبل، وما أن استقر بنا المقام إلا وتوافدت علينا من جديد جماعات وجماعات وكلها مرحبة بنا ومحترفة بالرابطة وبأعضائها، شاكرين للرابطة موقفها المشكور.

وفي اليوم الثاني أعدت لجماعة الرابطة عدة ولائم من كبار الشخصيات، ولقد عرفتنا هذه الولاائم جماعات كبيرة من عيون بغداد ووجهاؤها، وربطتنا بجماعات من كرام القوم، ثم عدنا من حيث أتينا...

كتاب الدعوة الموجه إلى جمعية الرابطة الأدبية (في النجف الأشرف)

هيئة إدارة جمعية المدارس الجعفرية بغداد
التاريخ ٧ نيسان ١٩٤٧

حضرة الأستاذ الفاضل معتمد جمعية الرابطة الأدبية المحترم ..
تحية وسلاماً :

وبعد فإن هيئة إدارة المدارس الجعفرية في العراق تستعد الآن للاحتفال بافتتاح (ثانوية الحي الجعفرية) احتفالاً رائعاً يليق لسمو الغاية من

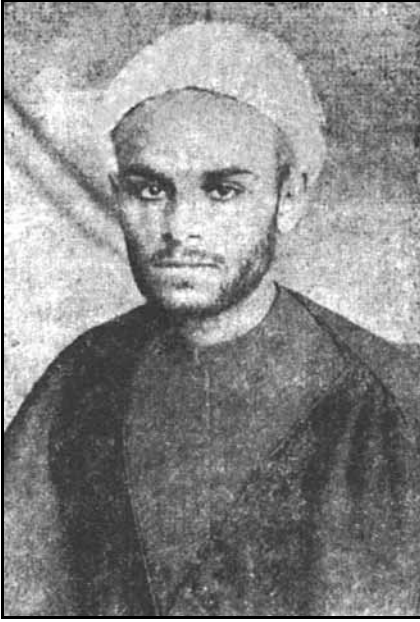
تشيد هذه المدرسة ويتناسب ونبل الشعور الذي حدا بالمحسن الكبير الشيخ
بلاسم محمد الياسين إلى تشيد هذا المعهد الفخم العظيم: وأن ينفق عليه
من خالص ماله بسخاء وأريحية تستحق الذكر والإشادة والتخليد. ولما كانت
جمعيتكم الكريمة في طليعة المعاهد التي تعنى بأمر انتشار دور العلم
واتساع نطاق التعليم والثقيف. وتقدر مثل هذه المنائر حق قدرها فإننا
ندعوكم إلى الاشتراك معنا في هذا المهرجان راجين أن تتفضلوا فتوفدوا من
يمثلكم ليلقي كلمة الجمعية منشورة أو منظومة وسنوافيكم بتفاصيل المنهاج
وبكيفية السفر إلى الحي وتفضلوا بقبول فائق احترامنا.

المخلص صادق البصام
المدير المسؤول لجمعية المدارس الجعفرية



نبل وشهامة

بقلم: عبد الزهراء الصغير



الشيخ عبد الزهراء الصغير

كثيراً ما عرفت من المثرين الذين طلبوا الثروة والمال بنهم ؛ وجشع شديد مخجل، حتى حصلوا على مقدار منه ؛ قد أثقلوا به كاهل الأرض إذا أودعوه بها وخبئوه في بطنها، ضانين عليه كما تضمن الأم الرؤوم على ولدها الوحيد الذي عقت عنه ولم تلد سواه، ظناً منهم أنهم قد حصلوا الخلود به والسلطة والسلطان.

ولكن سرعان ما يدور الدهر، ويضرب ضربته القاضية، وإذا بذلك النهم الجشع، الذي صرف نفسه عن كل نبل وفضيلة وأتعبها في حب

الذهب وضمه بعضاً إلى بعض في جب خزانته الفاغرة الثغر أسير تحت أطباق الثرى يعاني العذاب بما قد كنز، وقد انتقل ذلك المال الجرم الذي أنفق على جمعه كل حياته ؛ وقصر عليه كل أعماله إلى من لا يجتمع معه بنسب ولا سبب.

وإن الأنداد من هؤلاء لم يخلدوا بالمال ولم يرقوا به إلى أية سامية من الغايات ؛ ولكنه يزيد في ضعتهم ، واحتقارهم في المجتمع الإنساني الذي عرف معنى الخلود فسعى ليخلد نفسه.

فسعى الفيلسوف ليخلد بآرائه والعالم بعلمه. والأديب بأدبه. والشاعر بشعره والسلطان بعدله لا بسعة ملكه وامتداده وقوته التي فرضها على الضعفاء المساكين فكل ذلك حائل ذاهب. والثري لا ينال الخلود إلا أن يبذل درهمه ويحتقره ليشبع به فقيراً أو يربي به جاهلاً فيصبح عالماً أو أديباً أو فيلسوفاً ولا يكون الخلود في المال إلا بواسطة الإنفاق قليل من أولئك المحسنين. وخاصة في عصرنا اليوم قد قل عدد هؤلاء وضعف فلا يحسبون إلا ببعض الأنامل ولا يشار إليهم إلا من بعيد.

ولا أريد الإطراء على سعادة الزعيم الشيخ بلاسم. وأذكر ما له من أياد بيضاء ناصعة. وأعمال جبارة خالدة ستخلده بها الأجيال وتذكره في سجل التاريخ الحافل بالذكريات الطيبة. والأعمال الخالدة المشكورة. وإنما قام بعمل خاص لنفسه من ناحية الحدود فقد خدم نفسه، وخلق لها كياناً جديداً، ومجدداً جديداً والذي خدم نفسه ويبني لها مجداً وسودداً لا يجب على الناس أن تهتف باسمه وتشيد بذكره إلا أن يكون عمله عملاً مشكوراً يخدم به الإنسانية قبل أن يخدم به نفسه ولا شيء أعظم من هذه الخدمة. فقد هبت به عاصفة الخير ونسمة الصلاح وفكر بعد ما أنعم التفكير فوجد (حيه) قد قارب الموت وأنذر بالاضمحلال بعد ما كان حياً زاخراً بالعلم والعرفان تؤمه طلاب العلم ورواده من كل حذب وصوب يستقون منهله العذب النмир عللاً ومنهلاً. واليوم وقد سادت عليه الأمية وابتزت ما كان لديه من علم وعرفان وأنذرته بجيشها اللجب من أن تذهب به كل مذهب من مذاهب الجهالة وتطرق به كل باب من أبواب الشقاء.

هب مؤتزرأ بالحزم متدرعاً بالنهي ليجدد دور (حيه) الذاهب ويعيده إلى حياته الأولى الحياة العلمية والأدبية السالفة قبل قرون وأعوام. لا حياة

النظر والعدوان حياة أميرها السابق الحجاج بن يوسف الثقفي.

هب بعد أن سمع بأذنيه أصوات أبناء (حيه) مجلجلة في سماء بغداد طالبة من وزارة المعارف لتثقيفها. وذلك بإنشاء مركز ثقافي في حيهم ينتشلهم من هوة الجهالة والشقاء، ويأخذ بكفهم إلى أوج المعالي والسعادة في قلب وزارة المعارف طلبهم ولم تؤملهم حتى بالتسويق والتقريب فسمع هذه الشكوى فدافعتة نفسه ونازعته أن يحقق لهم ما طلبوا وأن يتم لهم ما أرادوا فجاء بعمله شهامة منه ونبلًا. وحقيق إذا قلنا إنه أول عمل انساني في بابه يقوم به الشيخ بلاسم لا لنفسه ولا لبنيه. ولكن لما سواه من عامة الناس ممن عشقوا العلم وطلبوه وأقعدهم عنه عدم تيسر ما لديهم من لوازم السفر وقيوده لطلاب العلم - فخصص قسطاً مما أنعم الله به عليه وأفاض لإنشاء مدرسة عامة ينتفع بها الغني والفقير على سواسية في ذلك. وما ذلك إلا إحساس منه كامل وشعور طيب تجاه أبناء (حيه) يريد لهم اليقظة العقلية والتقدم الروحي ليطاول بهم وليفاخر بنتائجهم.

وكما قد هزت الأريحية سعادة أخيه الشيخ عبد الله الياسين أن فكر بإنشاء مستشفى كبير إلى جنب هذه البناية لينقذ أبناء بلده وما سواهم من المجموعة البشرية وأملنا أن سينجز هذا الشعور وهذا التفكير بأسرع وقت مناسب لتستفيد به الأمة وليكون سبباً لإنقاذها وحياتها من خطر الأمراض المفاجئة وليمسها الزعيमान أداةً وسبباً للنهضة الفكرية حياة للنفوس البشرية ونبتهل إلى الله أن يودع أبناء الرافدين إلى أن يقتفوا أثرهما ويتبعوا نهجهما وسبيلهما الذي سلكاه ولمثل هذين فليعمل العاملون.



الإنسان الشاعر

بقلم : محمد الإزيرجاوي

تتمخض السنون والأعوام وتتعاقب الأحقاب والأيام على النوع الإنساني منذ وجد حتى تقوم الساعة. وكل حياته تجارب وعبر ودروس وعظات بالغة. يشهد بها التاريخ القديم والحديث، فإذا ما مرّ على هذه الأسفار القيمة ورآها عن كثب ووقف منها موقف الحكيم البصير وفرق بين الصالح منها والطالح والمضر من النافع وتمسك بلباب الأمور الصالحة التي تنقذه من مهاوي الزلل والعثار واتبع سير الأعظم من الرجال وقادة الشعوب وسار على غرار خطط رسمها من قبل رسل الإنسانية ومنتشليها من برائن الجهل والشقاء إلى أنوار العلم والعرفان. أصبح ذلك الإنسان في عداد الذين تفخر بهم الأمة وتنعقد عليهم آمالها وتدخرهم لمهمات. بيد أن الأهداف التي يتوخاها ذلك الإنسان والمرامي التي تصبو إليها نفسه لا تأتي له ما لم يسانده جماعة من ذوي الخبرة والمعرفة وحصافة الرأي ؛ مضافاً إلى جماعة يمدون لهم يد العون والمساعدة بكل ما يرومون. ليكون من الجميع كتلة متكاتفه مثلها مثل البنيان المرصوص وهنا يتم كل مقصود لذلك [الإنسان الشاعر] وبإمكانه أن يشق الطريق اللاحب في معترك الحياة، ليعيش هو وأبناء جلدته بالرفاه والرخاء دون أن تمد عليهم يد المعتدي الإثم فتنتاشهم وتقلق راحتهم وهم في صومعة السلم والسلام.

وعلى هذا الأساس قامت الدول وتألقت الشعوب وتبوأّت المحل

اللائق بكرامتها ما بين الأمم. وترى الفرد منها يسمو بشعور ومشاعر وتوقد إحساسه والنداء باسم وطنه نداء الواله الظمآن حكومة وشعباً.

أما إذا كان أبناء الأمة مختلفة آراؤهم مشتتة أفكارهم وما يفكر به الأول مناقض لتفكير الآخر والشعب ناظم على رجال الحكومة والحكومة صاحبة على أوضاع الشعب، وابن البلاد لا يفكر إلا بمصالحه الخاصة التي يسعى لها بمختلف الطرق وشتى السبل وان كانت مؤدية لانتزاع جلود البشر وامتصاص دمائهم وإزهاق أرواحهم.

فهنا [لعمري - أبليك] شعب أعرج ينهض مرة ويكبو مراراً، شعب متأرجح بيد النزعات مضطرب النفسيات. متدافع عن نيل غاياته لا متسابق إلى تحصيلها، ونتيجة هذا التدافع البطيء، والوقوف المحتم الذي يعقبه الإخفاق والفشل فيصبح فريسة لكل مفترس ولقمة سائغة يزدردوها كل ذي شدة.

وها نحن وقد أصبح كل فرد منا في مثل هذا العصر عصر القسوة والإرهاب، يشعر بنقص أمته ومدى حاجتها للإصلاح. لتكون في مصاف الأمم الحية. وكذلك أيضاً قد عرفنا الداء وشخصنا الدواء في إصلاح الفرد نفسه وأن الأمة لا تقوم الا بفضل رجالها النابهين إن كنا نؤمن بزعم من يقول :

ثمن البلاد رجالها لا مالها إن سيمت الأوطان بالأثمان
إذاً فيجدر برجال الأمة وقادتها ومفكريها. وأرباب المال والثراء منها أن يسيروا الشعب على البرنامج الصحيح والصراط السوي. وينقذوا أبنائهم من فتك الجهل والمرض بفتح المدارس والمستشفيات ليكونوا بذلك مؤدبين رسالة مدينين بها. ولهم برمز الإباء والشمم ونبراس النبل والشرف الزعيم بلاسم الياسين أسوة حسنة [فلعمري - الحق] أدى رسالته كما هي بتأسيسه لمدرسة علمية تخلده ما دام العلم خالداً. وها هو قد أعاد لواسط مجدها الزاهر وأوصل ماضيها اللامع بحاضرها الحي. فشكراً للزعيم الشاعر ذي

الفكر المرفف الحساس وحقاً إنه قمين بالإكبار والتقدير لما أسدى من أيادٍ بيضاء على أبناء شعبه الكريم وجعلهم ينتهلون نور العلم والعرفان من معدنه. وإنه لخليق بالحمد والثناء ما دام أحد يحب الفضيلة ويمجد باسم رجال الإنسانية وكماتها. فمن أحب الخير فليسلك نهجه ويتبع خطاه ويهتدي بهداه.



قد كتب السعد على أبوابها

للشيخ صالح قفطان

فهي لأخلاق الورى حوارس
به انجلي للجهل ليل دامس
وهي لدوحات العلى مغارس
هيا على نيل العلى تنافسوا
بالعلم نعم للفتى الملايس
زفت لأبكار العلى عرائس
وطرف أحداق الرياض الناعس
بها ووجه الجهل عنها عابس
نفائس ليس لها مجانس
فذا الدوحة المعالي فارس
يحيا لنا من العراق الدارس
من ظلمات شعبنا الحنادس
شمخن من ربيعة معاطس
تهدى لها أمواله النفائس
لآل ياسين بها نوامس
أكرم به العرب نعم السائس
يهنى بها العافي ويغنى البائس

للعلم قد شيدت المدارس
بأفقهها نور العلوم ساطع
شبه الجنان زهرة وثمره
قد كتب السعد على أبوابها
فانزع ثياب الجهل وامش رافلا
وللورى لا سيما طلابها
ثغر المنى في روضها مبتسم
وجه العلوم ضاحك مستبشر
فكم بها فوائد وفوائد
وإن من بالمجد يسمو شرفاً
وفي جلالة المليك فيصل
وبالوصي ابن علي تنجلي
بجده وجده ومجده
سعى أبو بشار في تشييدها
بشرى أبي بشار في مدرسة
ساد الورى وساسها بسؤدد
طوق أجياد البرايا منناً

وليحي في أبهى حياة حينا ولتزدهي أربعه الأوانس
مذ كملت ناديت في التاريخ (يا للعمل قد شيدت المدارس)

— ١٣٦٥ هـ



يا أمة الحق

للسيد فيصل القرشي

معاهد الملا حيا الله بانيها
معاهد العلم كم زفت لأهلها
جادت بغيث من التهذيب تكلؤها
وقد سمت ببنيها للسهى شرفاً

الجود شيدها للنشء هاديها
مجداً يباهي الثريا في مجاريها
يد السماحة لا خابت مساعيها
السعد موكبها والنور حاديها



بلاسم جاد للعرفان ما بلغت
بجنة من جنان الخلد يانعة
أزهارها عبقت علماً ومفخرة
طوبى من زين التاريخ صفحته
لله صفحته بيضاء ناصعة
يا حبذا لو مشوا فيما مشيت به
في موطن قد زها بالعلم من قدم
مآثر بقيت تبدو لناظرها
كانت معالمها تتلو لسامعها
لكن يد الجهل قد عفت محاسنها

به المواطن في أسمى معانيها
عنادل العلم والآداب شاديها
أطيّارها صدحت حمداً لبانيها
أكرم بصفحته الرحمن جاليها
[مثل الجواشن مصقولاً حواشيها]
ذوو الثراء لما عمت مآسيها
والغرب لم يستطع يخفي معاليها
في الكون خالدة تزهو مغانيها
أنشودة تطرب الدنيا معانيها
تبكي لحاضرها ترثي لماضيها



يا أمة الحق حيث العلم ناصرها	شيدت مجداً ولا مجد يضاهيها
يا أمة العدل حيث السيف قائدها	مدائن الفرس قد دكت رواسيها
هلا بحرية تهفو النفوس لها	والنفس قد رزحت من كد عاديها
تهفو إلى وحدة قعساء يشملها	جمع الطوائف بالحسنى لتحيتها
تهفو إلى وحدة قعساء يشملها	مع الأعاريب بالتوحيد تهديها
في ظل فيصلنا الثاني الذي وشجت	أعراقه بنبي جل منشيها



الشعب يجب أن يسند الحكومة

بقلم : موسى اليعقوبي

يتم الإصلاح وترقى الأمة إذا تعاون الشعب والحكومة على الإصلاح واتفقا على التقدم ومتى أُلقيت المسؤولية على أحدهما وحده كان الانحطاط وكان الويل والتقهقر.

وليس من شك في هذه الحقيقة الناصعة، إذ إن الأمة أو الدولة حكومة وشعباً تشكل كياناً واحداً متماسكاً فليس من الحق أن نلقي على عاتق الحكومة كل شيء كما ليس من العدل أن نطالب الشعب بكل أمر فإن الأمور التي تحتاج إليها الأمة كثيرة والمطالب لا تعد.

فإذا تيقظت الأمة ونهضت سعت بحكومتها وشعبها إلى إحراز تلك المطالب ونيل تلك المطامح فتتوازن الكفتان في المسؤولية وتتوازن الجهتان في العمل لأن قوام الحكومة بقوام الشعب والعكس بالعكس، ولا تتقدم الأمة نحو الرقي ونحو الغاية المطلوبة في الحياة إلا إذا كانت الحكومة تأخذ على عاتقها إصلاح بعض تلك المطالب العائدة بالفائدة العميمة للشعب ولها وإلا إذا كان الشعب يضحي من جهده ومن ماله ومن تفكيره في سبيل بعض المطالب الأخرى التي يعود نفعها للحكومة والشعب معاً كما أن الجسم الصحيح الكامل ما كانت أعضاؤه جميعاً تأخذ مطالبها من النمو والتكامل والصحة.

ومن الواضح الجلي أن أساس النهضة هو تدعيم الروح الثقافية في البلاد وبثها بين أفراد الشعب بما يكون عاماً شاملاً.

فالمقياس الصحيح الذي توزن به الأمم من ناحية رقيها وانحطاطها هو مبلغ الثقافة ومبلغ انتشارها بين أفراد تلك الأمة، فكلما كانت قلوب أفرادها وعقولهم عامرة بالعرفان والعمل بصورة واسعة كانت تلك الأمة في طليعة الأمم الراقية المرموقة.

والعراق بين الأمم كان في سالف عصوره درة لامعة في تاريخ البشرية ثم تعاقبت السنون وتعاقبت في طيها الأحداث والزوابع المدمرة وألقتة صريعاً أو كادت، فبقي يئن ولا يستطيع النهوض ويتململ ولم تسعفه الظروف للأيال والصحة حتى القرن الأخير فقد فتح عينيه ونهض من رقده الطويلة ونفض عن عقله وقلبه غبار الجهل المطبق والخمول البغيض وحكومته هذه هي التي بذلت جهدها في سبيل إيقاظه وإنهاضه فقطعت به شوطاً لا يستهان به في طريق الرقي.

ولكن كما قلنا سابقاً لا بد لنهوضه وبلوغه أقصى أهدافه من أن يقف شعبه مع الحكومة جنباً إلى جنب لتسير الحكومة قافلة الشعب إلى أهدافها ويسير الشعب بحكومته إلى آمالها.

ومن الغلط والجهل أن نعد الحكومة عصابة من الناس بعيدة عن الشعب لا ترتبط به بشيء بل هي منه وإليه، غاية الأمر إنها تحس أكثر مما يحس وتقدر الأمور والأحوال أكثر منه، فهي تدافع عنه وتحسه في نفس الوقت الذي تسعى في سبيل رقيه.

ومما يثلج الفؤاد ويدعو إلى الغبطة والسرور اننا نرى بواد الوعي القومي وسمات الشعور بالواجب ومزايا الإحساس بما ينفع الشعب تتمثل كلها في شخصية الزعيم الكبير الشيخ بلاسم آل محمد الياسين في هذا العصر وفي هذه الأمة التي نفطنا أيدينا من الأمل في وعيها ويئسنا من علاج ناجع يقيمها ويبرئ دواءها فإن هذا المحسن والله دره هو أول من

زلزل قنوطنا وبدد بأسنا وأثبت لنا بعمله الخيري الجبار وهو تشييد مدرسة كبيرة.

إن أبناء العراق الأغيار فيهم من يعرف كيف تترقى الأمة وتنهض، وفيهم من يشعر بالواجب فيؤديه على أتم وجه، وفيهم من يقدر الثقافة والعلم وما يتطلبان من جهد وتضحية ونهوض.

لقد شق بلاسم طريقاً مباركاً ميموناً شق طريقاً ما كان أحد من أفراد هذه البلاد يعرفه من قبل أو يفكر فيه، فحياه الله وجعله أول جندي مجاهد من أفراد الشعب يتبرع للسير إلى جنب حكومته ليصل معها إلى رقي الأمة المنشود ونهوضها المطلوب.

فهو قدوة حسنة لكل الرجال الذين تحس قلوبهم بالشعور بالواجب وبالطموح إلى حيث الرقي والتقدم.



شهامة متناهية ورجولة فذة وكرم نفس لا يحد



هذه صورة للشاب الأديب حسين ابن الزعيم الشيخ
بلاسسم الياسين

ولهذه الصورة المحببة قصة
طريفة وحادثة إن دلت فإنما تدل
على شهامة متناهية ورجولة فذة
وكرم نفس لا حدَّ له.

إن للزعيم الشيخ بلاسم
ثلاثة أنجال هم : أكبرهم بشار
ومهدي وحسين ؛ ولقد أصيب
[حسين] صاحب هذه الصورة
المنشورة أعلاه في يوم إقامة
الحفلة، وفي اليوم الذي
احتشدت فيه الجموع من مختلف
شخصيات العراق ورجال المملكة
وزعماء الأمة أصيب بمرض
مفاجئ اضطرهم إلى لإرساله إلى
بغداد للمعالجة، وكانت إصابته بالزائدة الدودية، فأجريت له العملية
الناجحة في بغداد بمستشفى العلمين.

كل هذا جرى، والجموع غير عالمة بما حدث ووالده لم يظهر عليه أي أثر، ذلك لأنه يخشى أن يحس المحتفلون بالأمر فيتكدر صفوهم، ويتأثرون من جراء الحادثة.

وهذه الحادثة المهمة في بابها، تعطي صورة جلية عن شهامة هذا الرجل الكريم.

نسأله تعالى شأنه أن يوفقه لكل عمل طيب، ويجعله وأنجالة عنوان فخر لكل مكرمة ومحمدة.



في واسط رايةً للعلمِ قد خَفَقَتْ

للشاعر ربعة السيد حسن العلي

يا بهجة العلم حي اليوم نادينا
وراقبي نظرة في الأفق ترمقنا
واستعرضي موكب الأحلام عن كُثب
واصغي إلى همسة الأحلام ترسلها
في واسط راية للعلم قد خفقت
يا آل ياسين بشراكم بمكرمة
نذفها باقة صيغت أزاهرها
ومن غداً زارها في الحقل مكرمة
يا بهجة العلم حي اليوم موكبنا
وحي من فيه قد تمت أمانينا
وبسمة في فم الدنيا تحيينا
ونشوة العلم نذكيها وتذكينا
ضمائر الغيب ألحاناً تناغينا
ودار علم به شيدت لتهدينا
شيدتم العلم والآداب والدينا
من القلوب ومن نجوى أمانينا
جنت يده وروداً أو رياحيننا
إلى المعالي ويحيا فيصل فينا



المصدر : مجلة (الغري) النجفية لصاحبها ورئيس تحريرها آل كاشف
الغطاء، السنة الثامنة، العدد (٢٠)، الثلاثاء [١٤ شعبان ١٣٦٦هـ / ١ تموز
١٩٤٧م]، ص٦٤٣.

بها غذاء العقول

للسيد علي الهاشمي

كان الأستاذ الفاضل السيد علي الهاشمي عضو جمعية الرابطة الأدبية في النجف، أحد خطباء حفل مهرجان الحي الرائع، وقد أرخ بهذه الأبيات عام تشييد المدرسة، وهذا التاريخ - كما يراه القراء الكرام - من أحسن التواريخ المطابقة لمقتضى الحال.

بلاسم الخير - بلغت المنى - خالدة ذكراك ليست تزول
يد على (حيك) أسديتها بوصفها الإطراء منه يطول
وشدتها مدرسة قائل تأريخها [بها غذاء العقول]

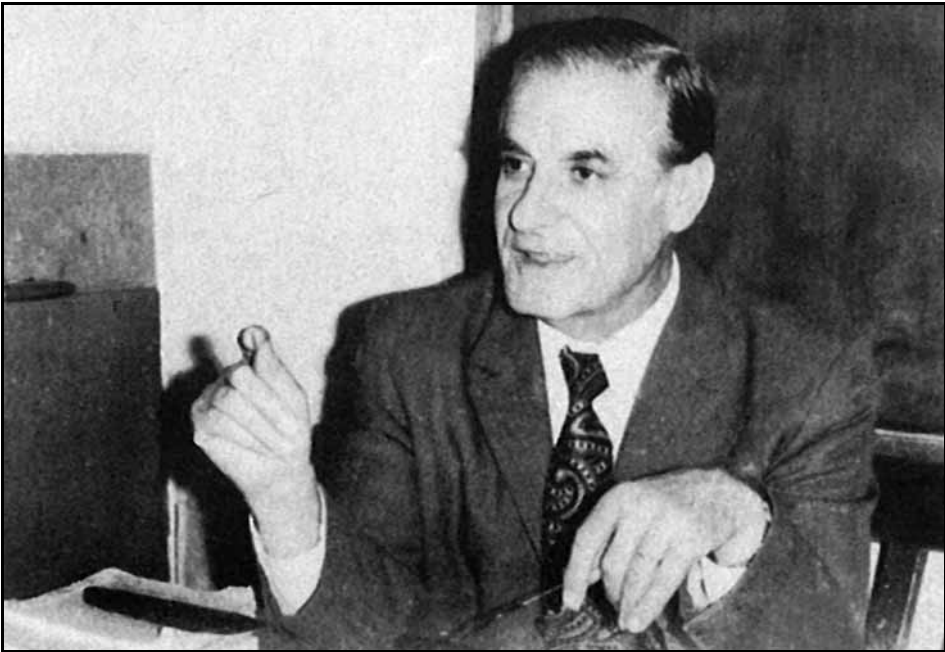
١٩٤٧



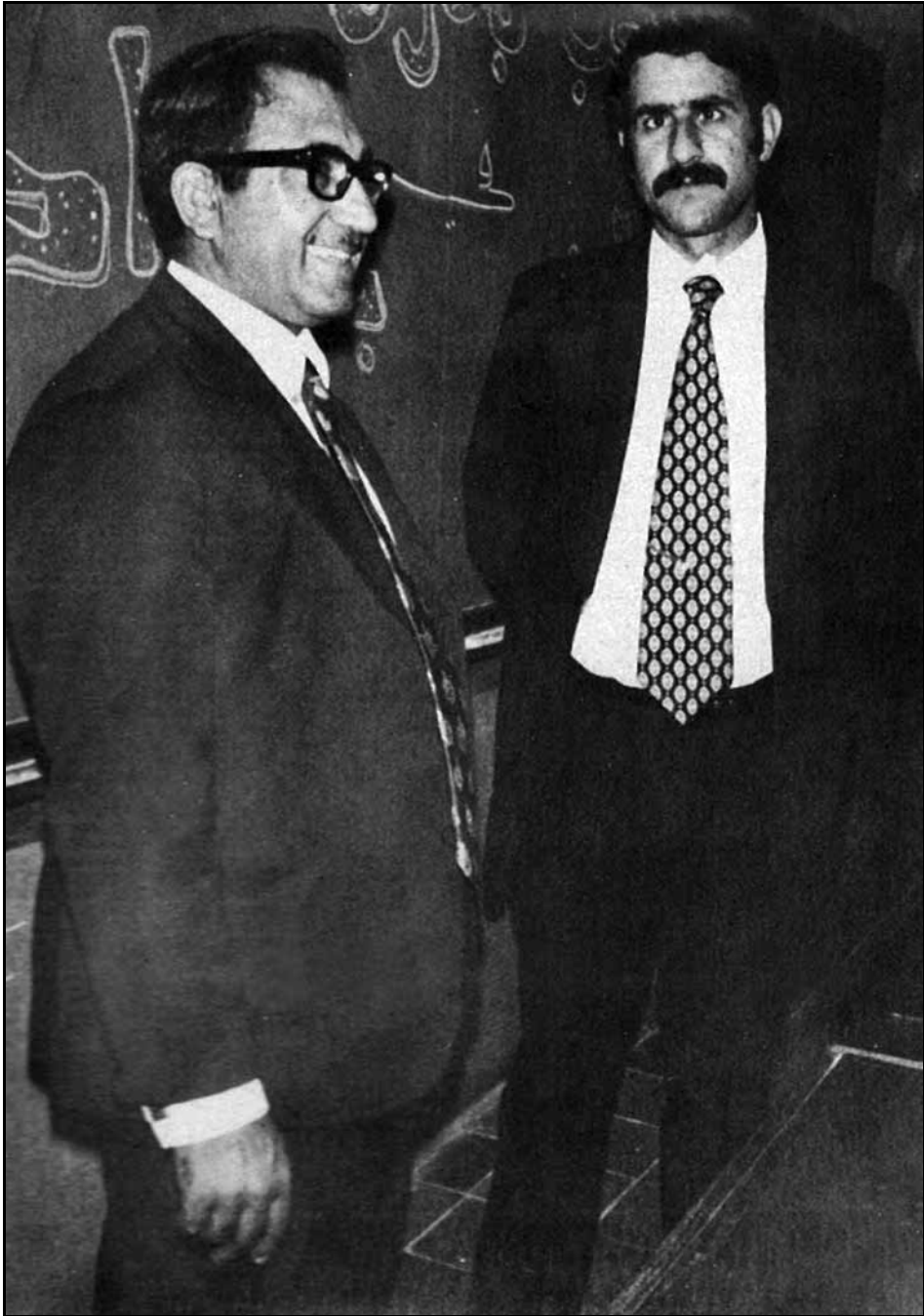
**وثائق وصور من
أرشيف التعليم في العراق
(القسم الثاني)**



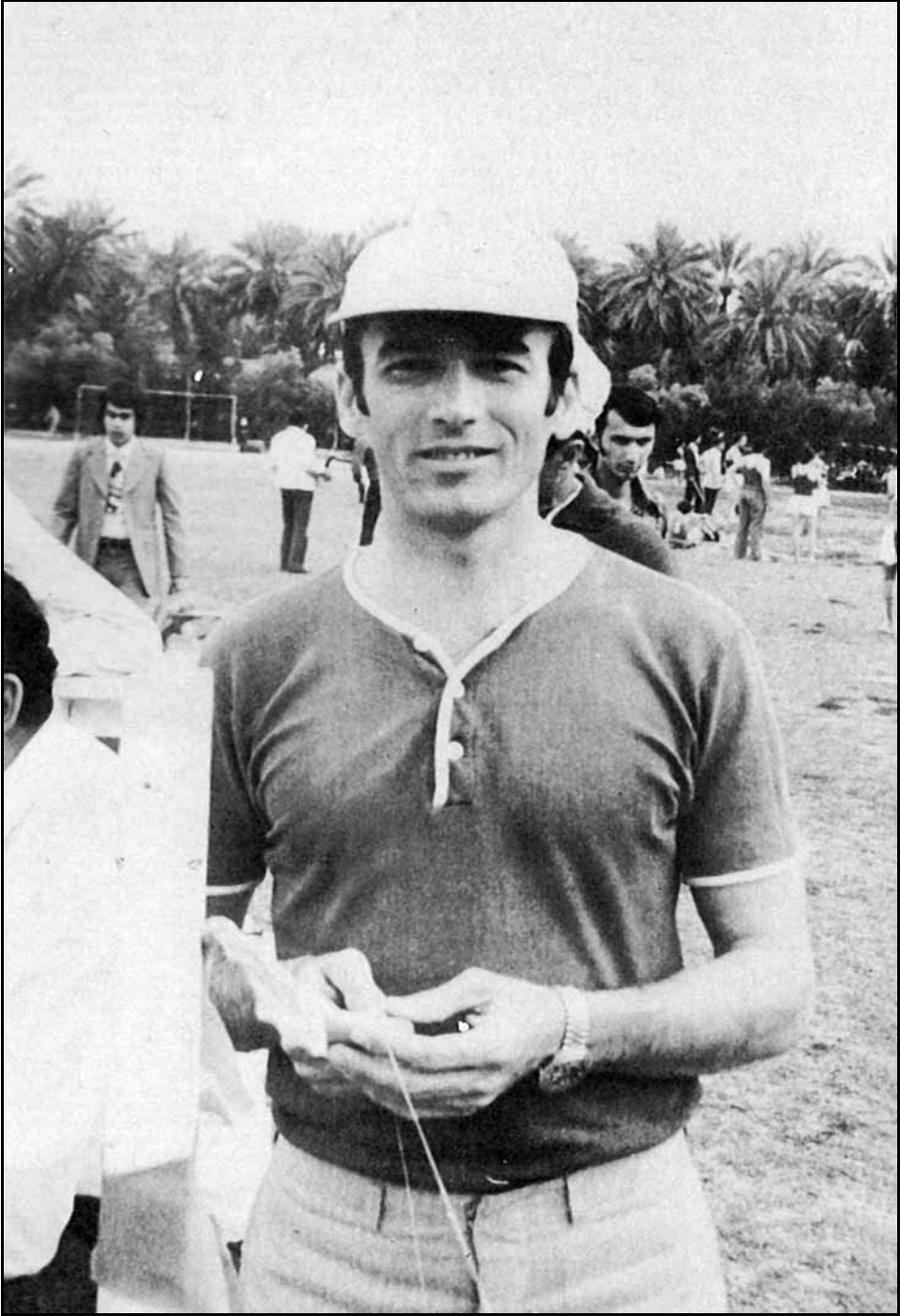
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري وزير التربية مع بعض الأساتذة
خلال الاحتفال بيوم كلية بغداد عام ١٩٧٤م



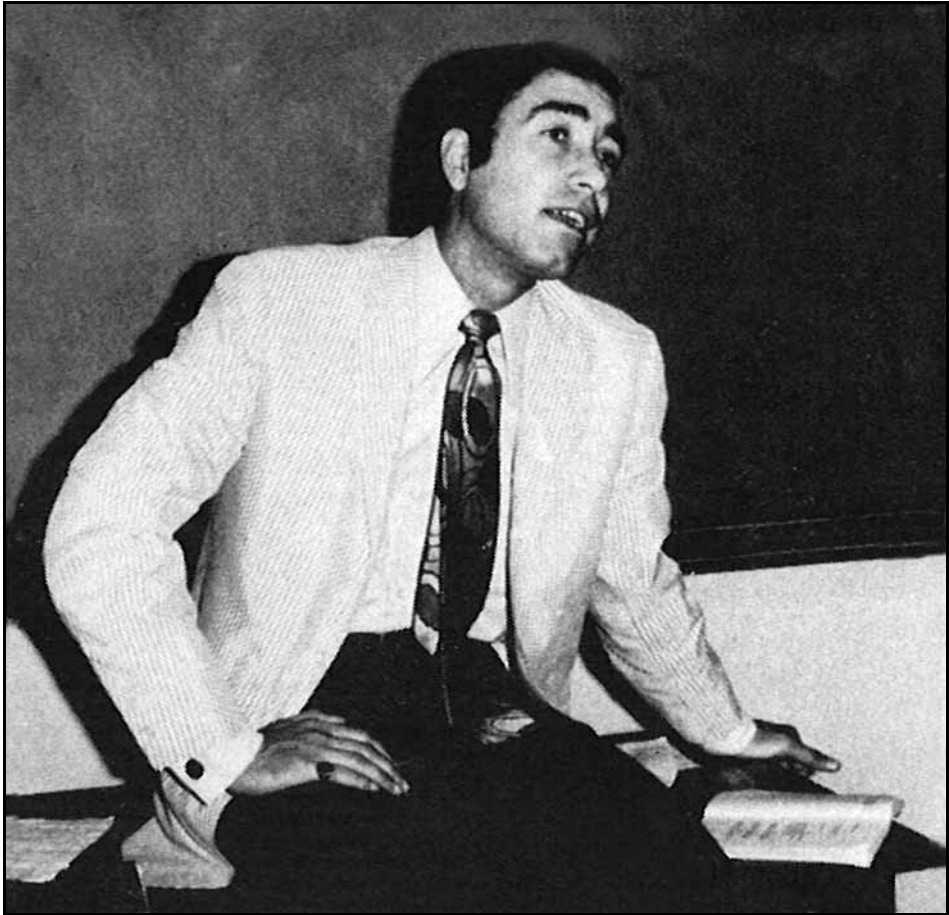
السيد جميل حنا سليم أحد أعضاء لجنة إصدار العراقي في كلية بغداد ١٩٧٤م



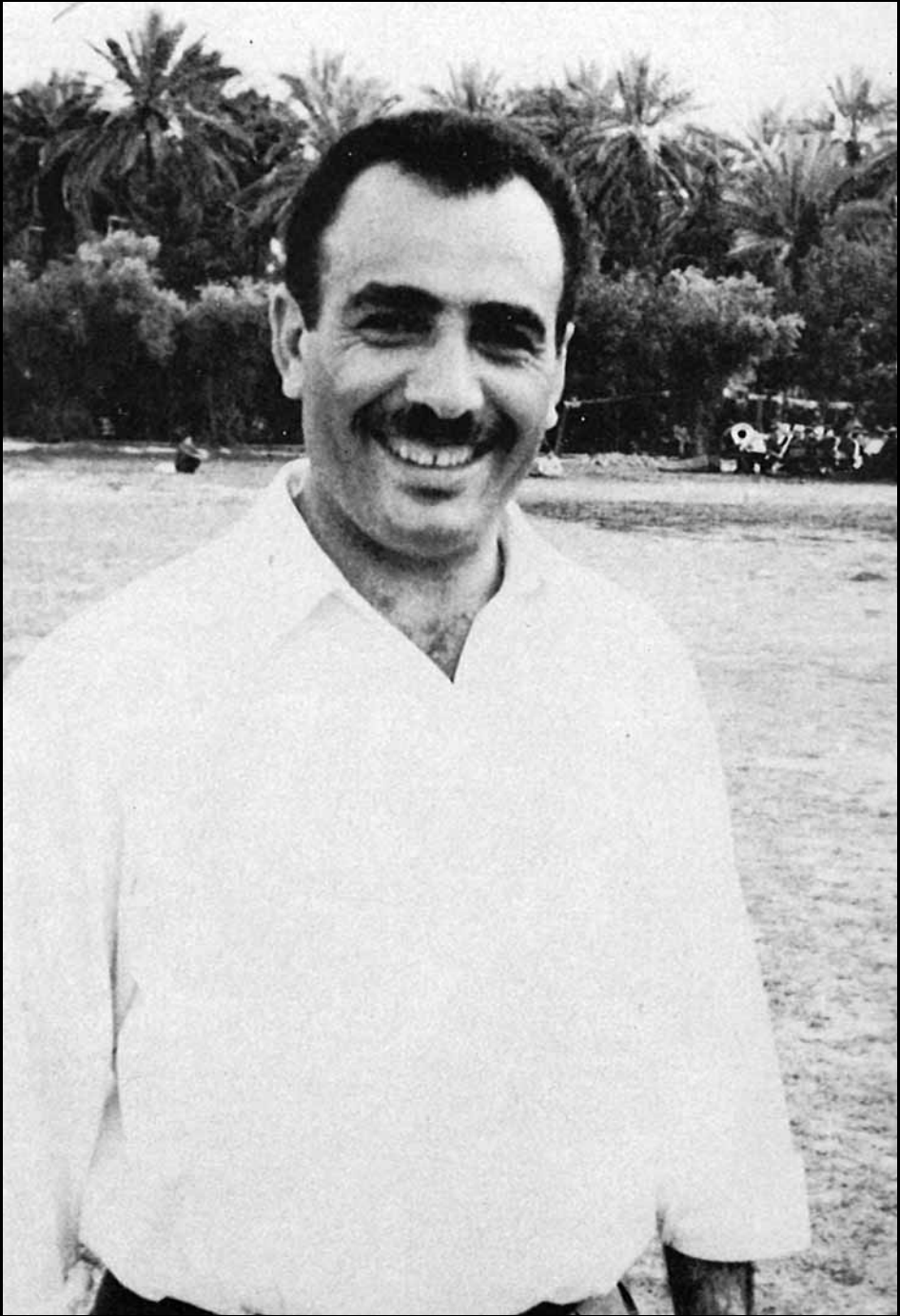
الأستاذ سلمان محمد حسن من اليمين مع الأستاذ بدري العاني في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



الأستاذ سالم بشير قطلمة - أحد التدريسيين في كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة نادرة



الأستاذ ساطع أحمد الداود مدرس الانكليزية في كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تذكارية



الأستاذ حميد فرحان الراوي مدرس الرياضة في كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تذكارية



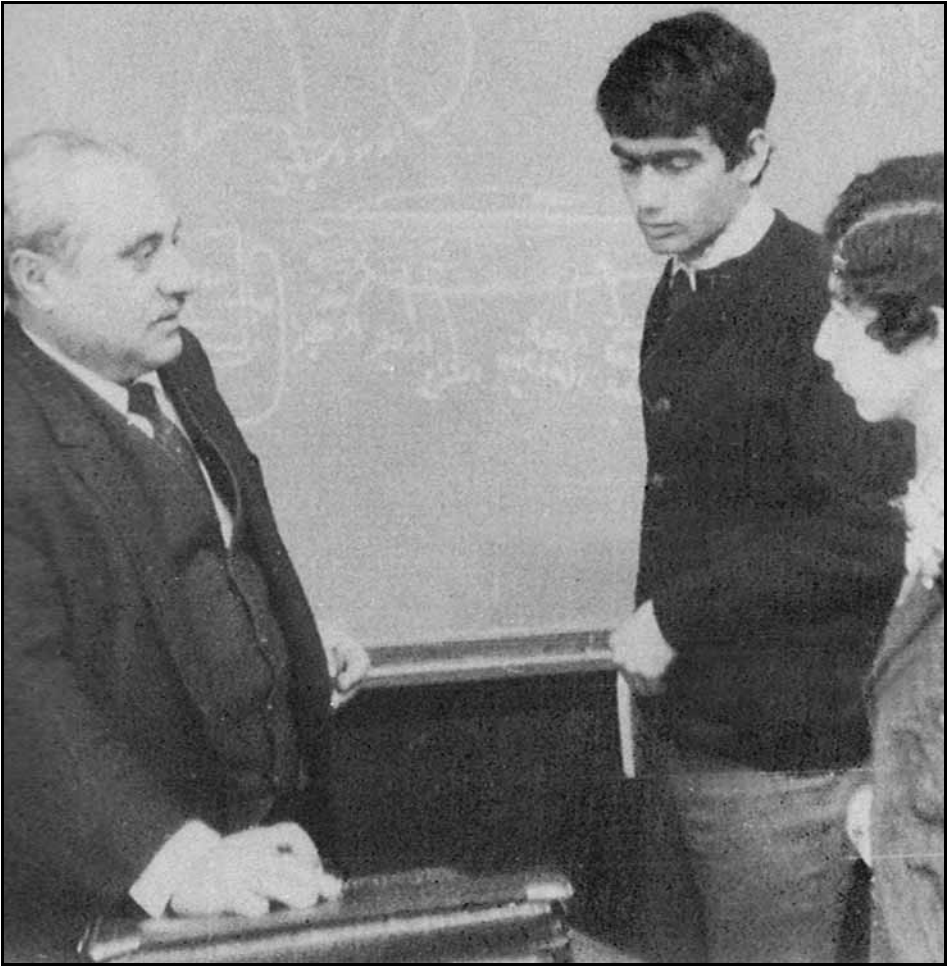
الأستاذ حميد عبد المجيد الكبيسي وكيل مدير كلية بغداد عام ١٩٧٤م



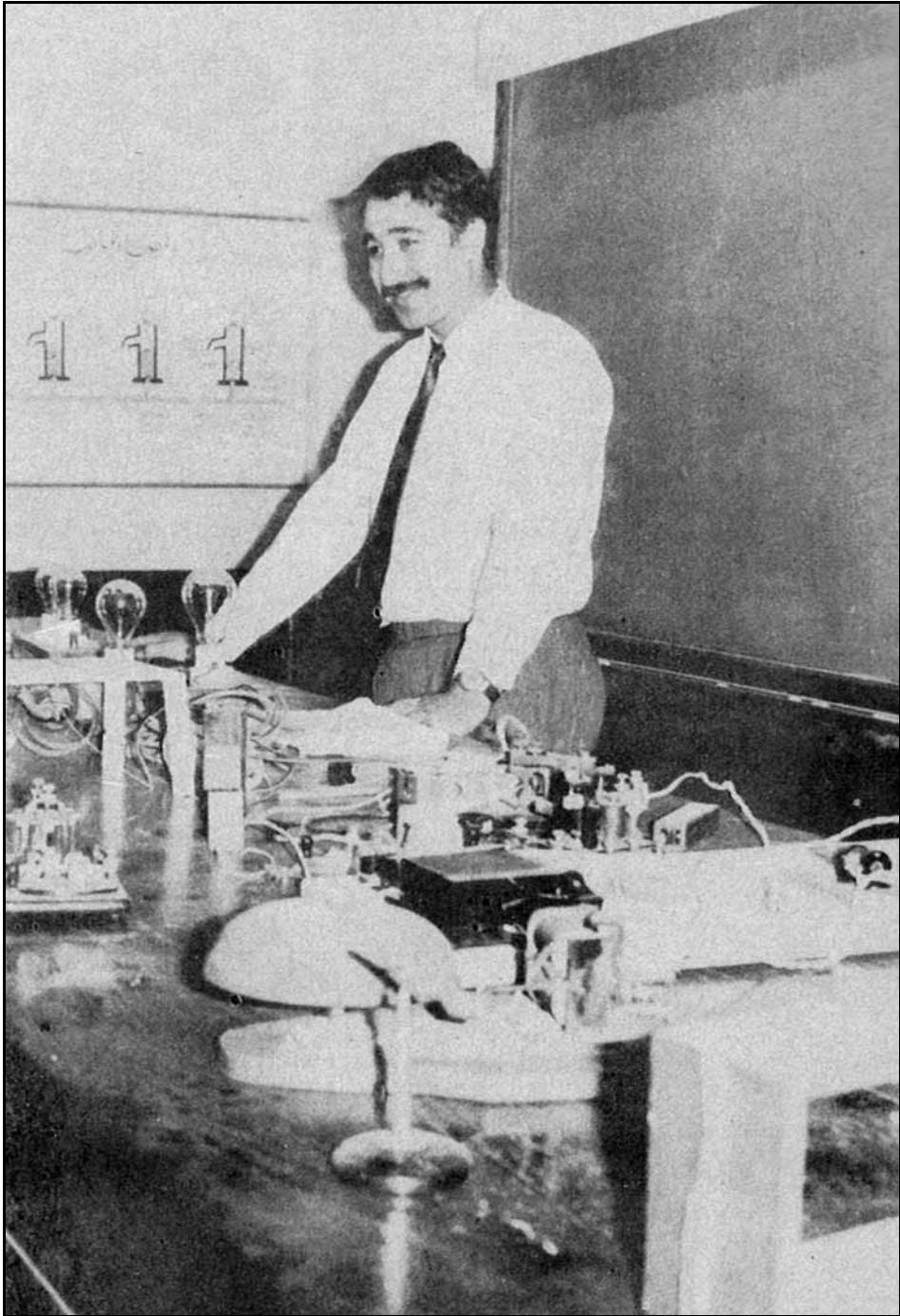
الأستاذ حميد عبد المجيد الكبيسي وكيل مدير كلية بغداد خلال الاحتفال بيوم الكلية عام ١٩٧٤م



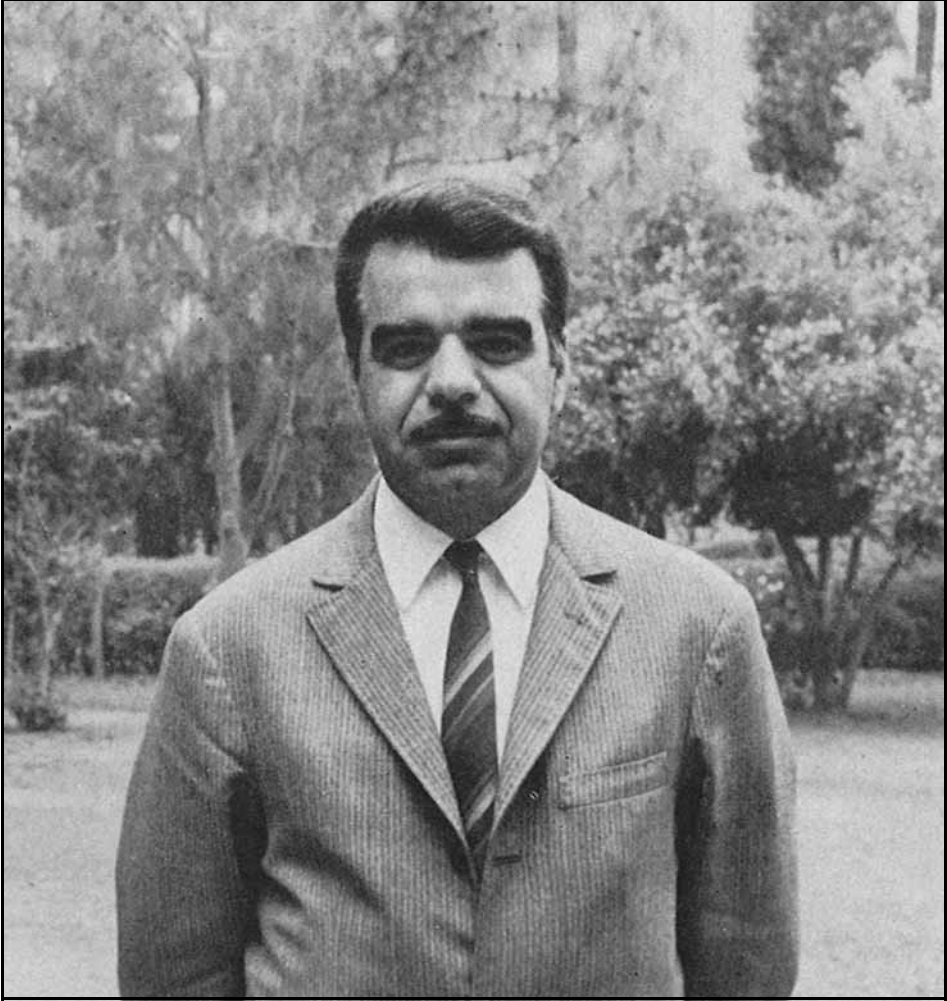
أحد أساتذة الرياضة مع بعض طلابه في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



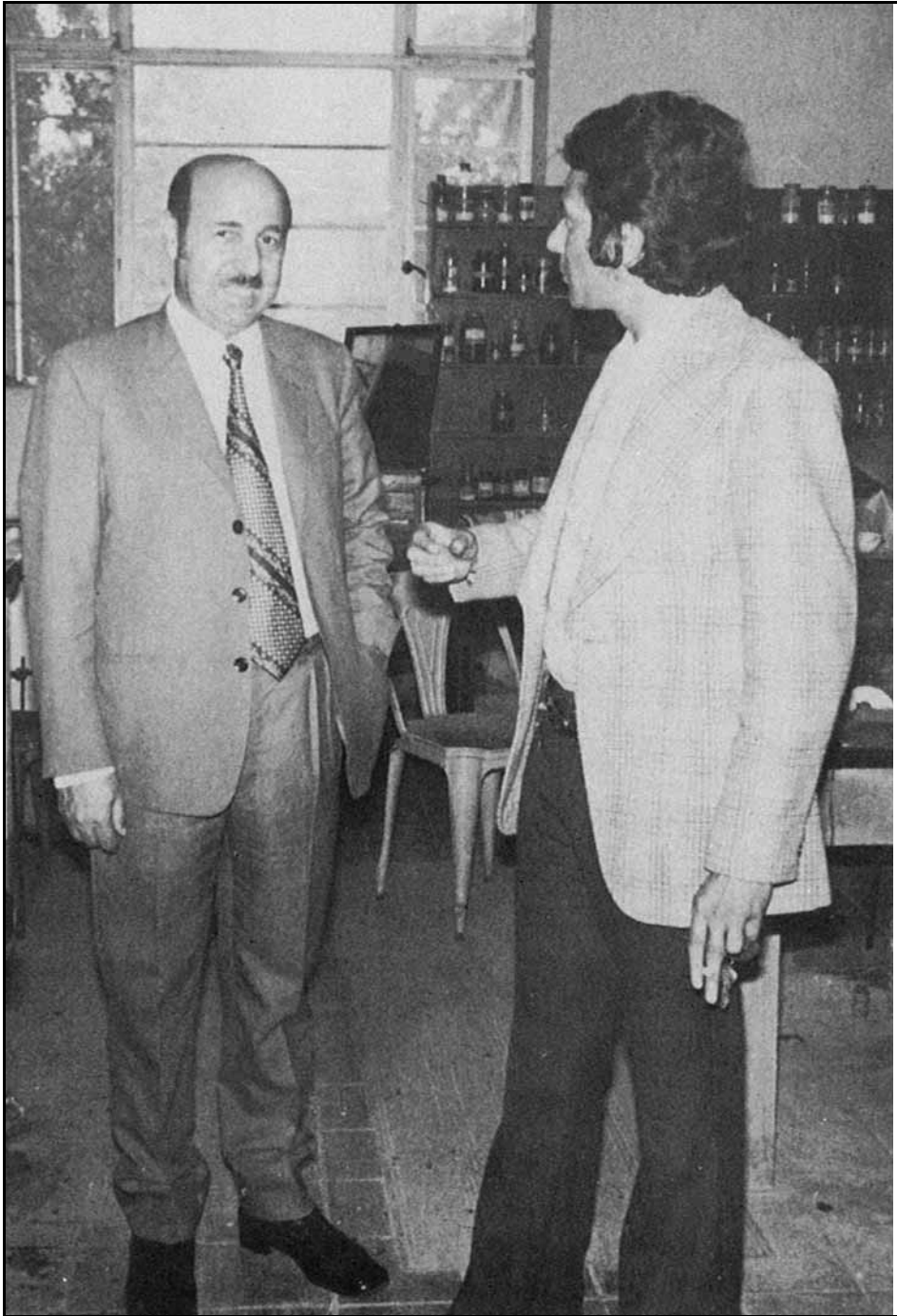
أحد أساتذة كلية بغداد عام ١٩٧٤م مع بعض الطلبة



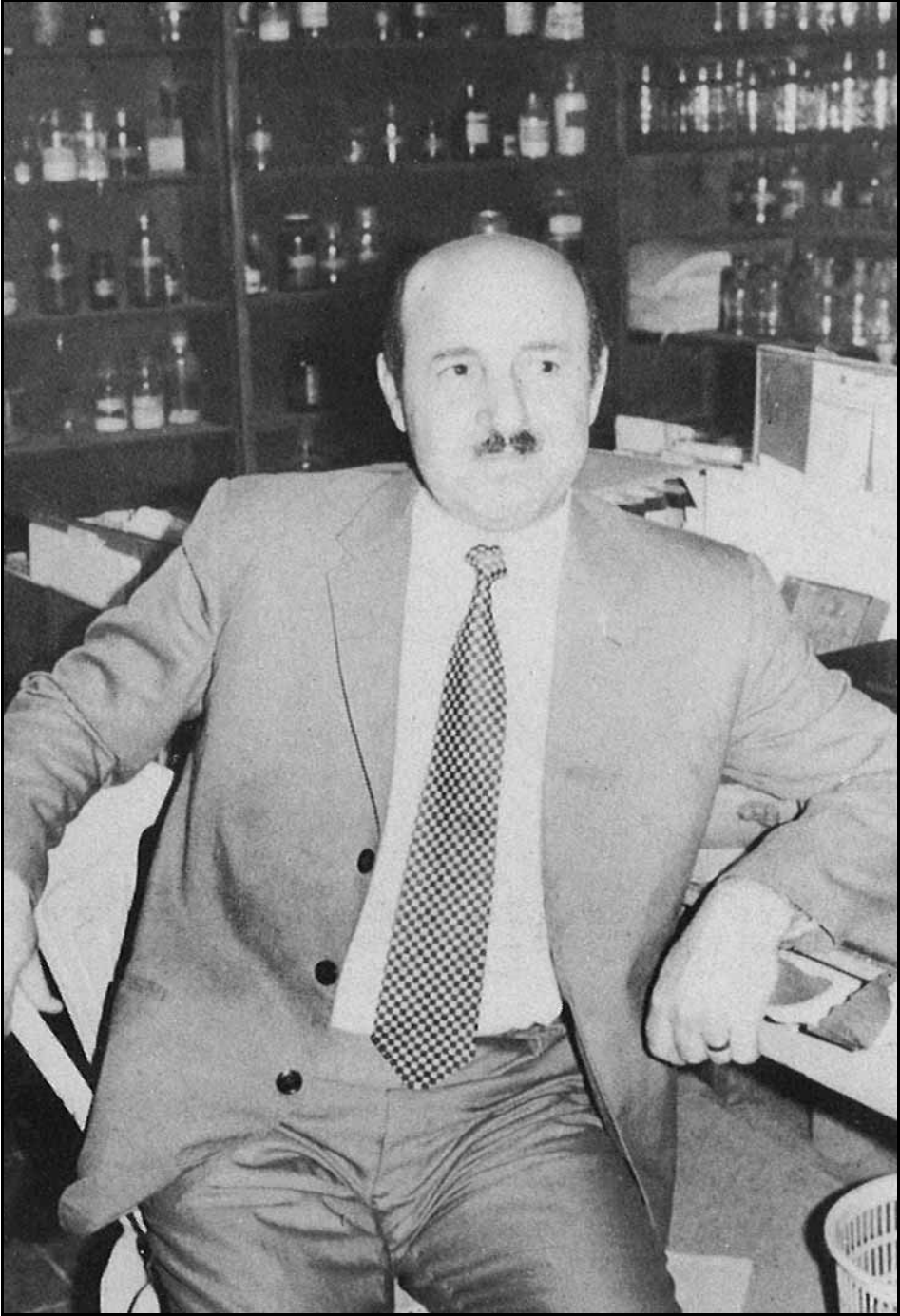
الأستاذ إسماعيل أحمد زكي مدرس الفيزياء في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



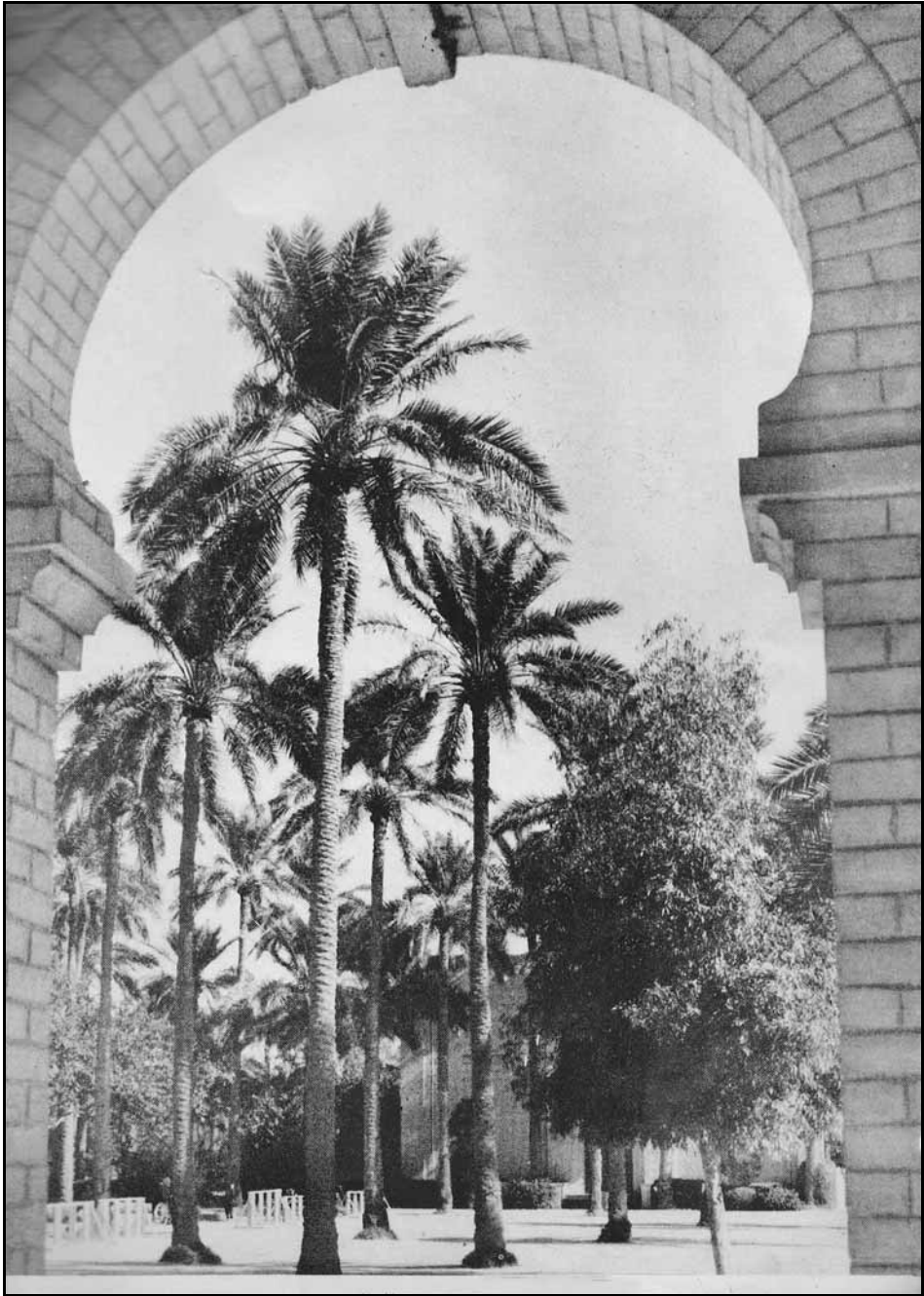
الأستاذ إبراهيم الميراني أستاذ اللغة الكردية في كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تذكارية



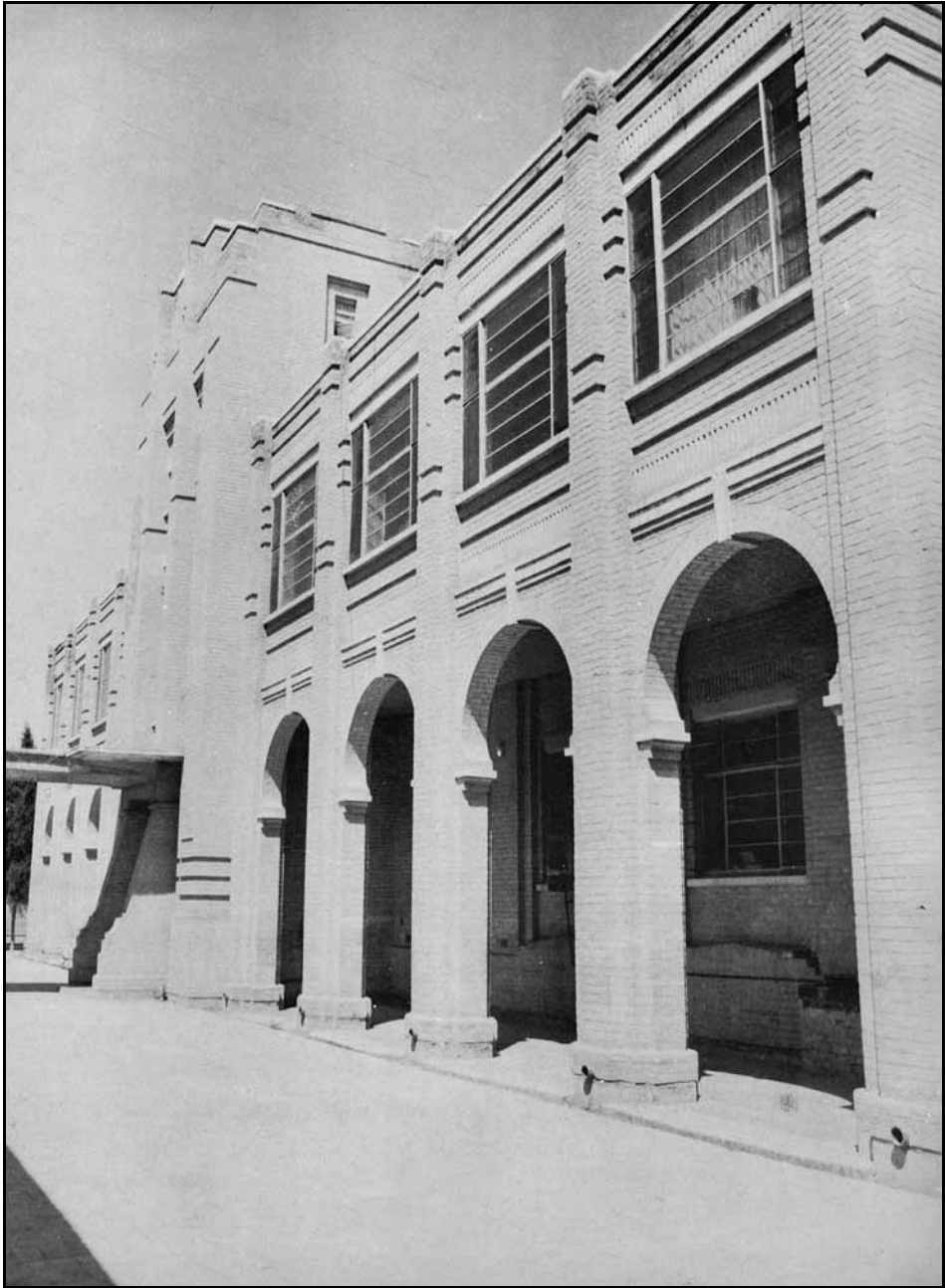
الأستاذ إيليا يعقوب مدرس الكيمياء في كلية بغداد مع أحد الأساتذة عام ١٩٧٤م



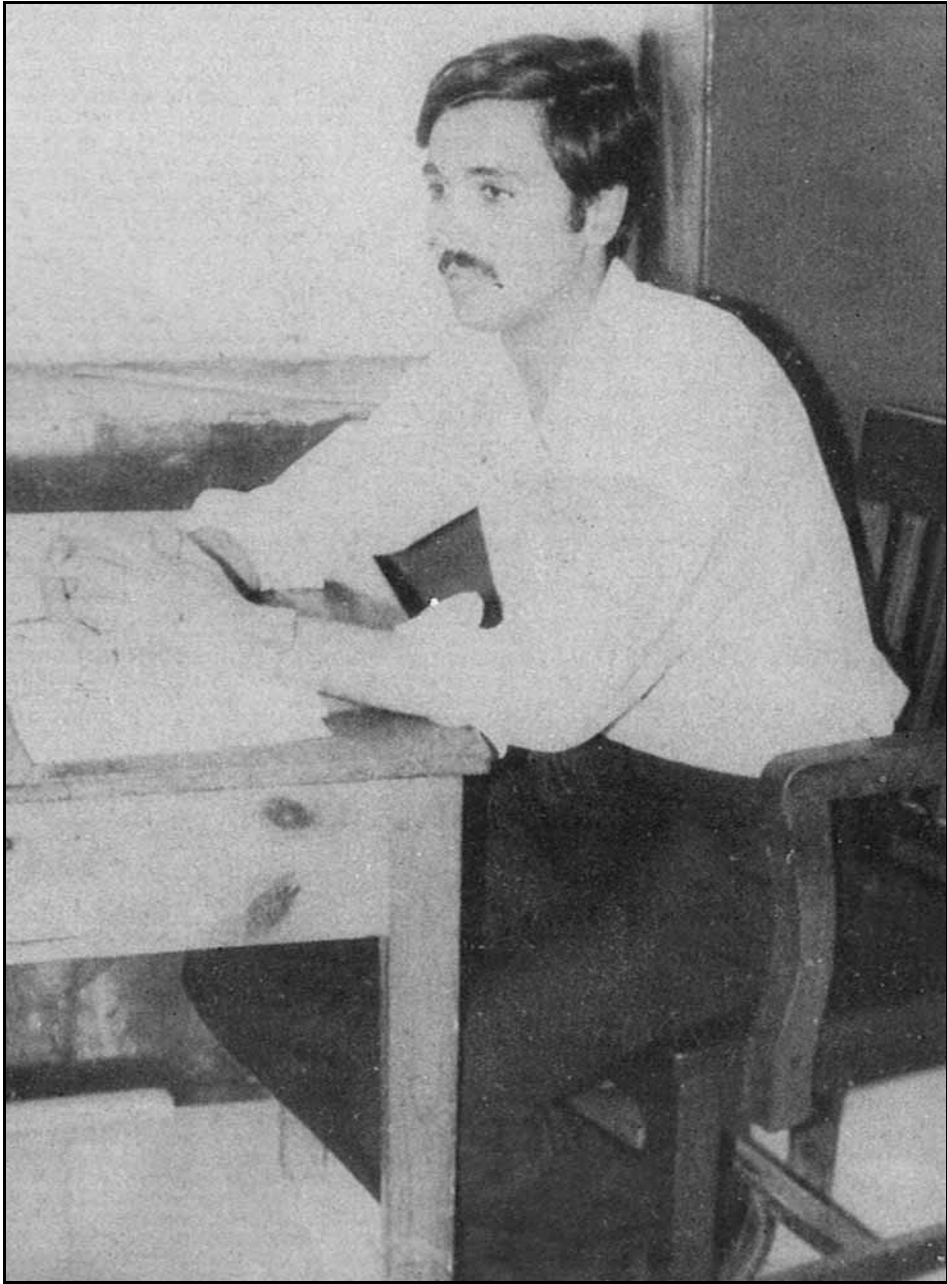
الأستاذ إيليا يعقوب مدرس الكيمياء في كلية بغداد ١٩٧٤م



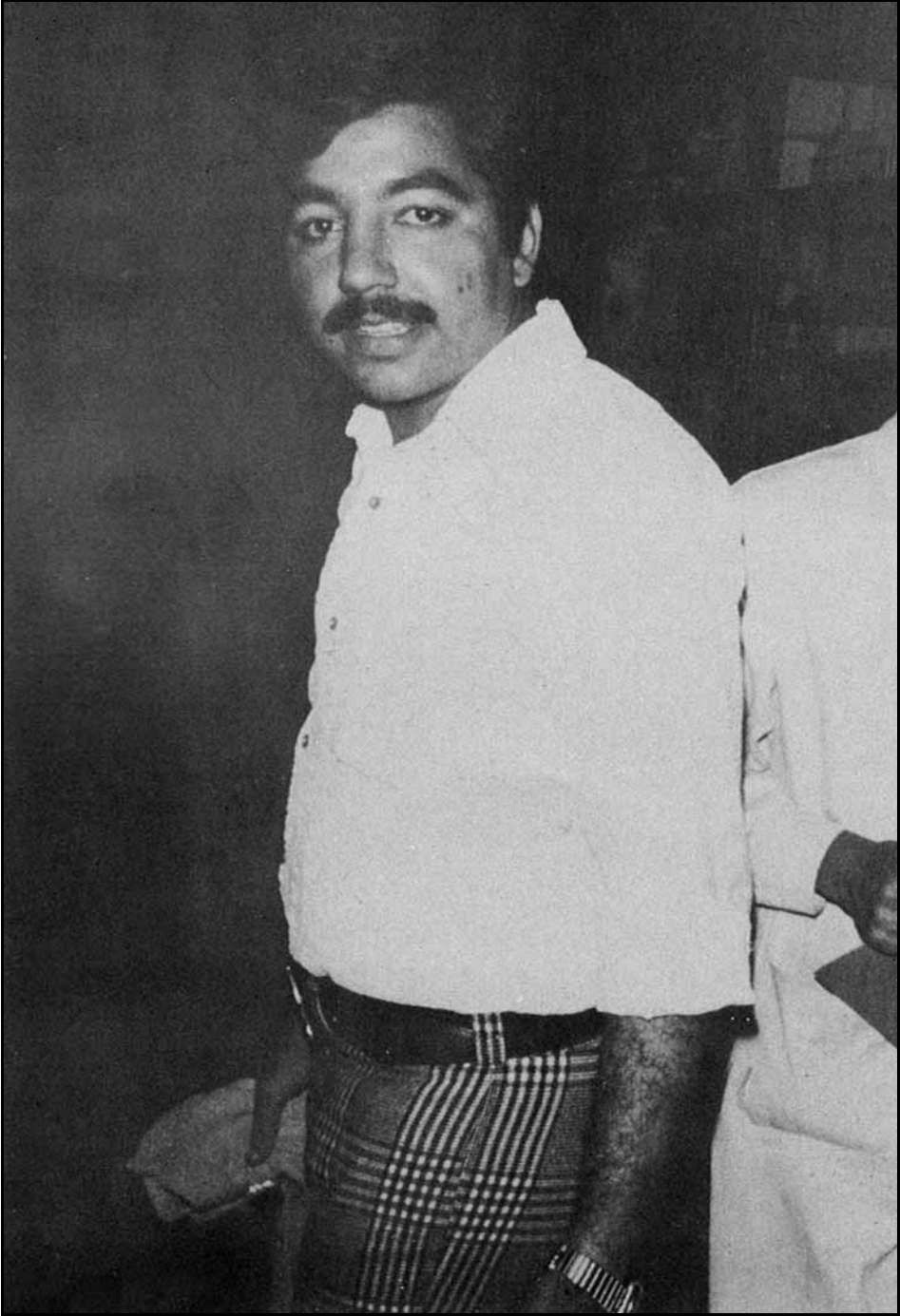
إحدى جوانب كلية بغداد عام ١٩٧٤م



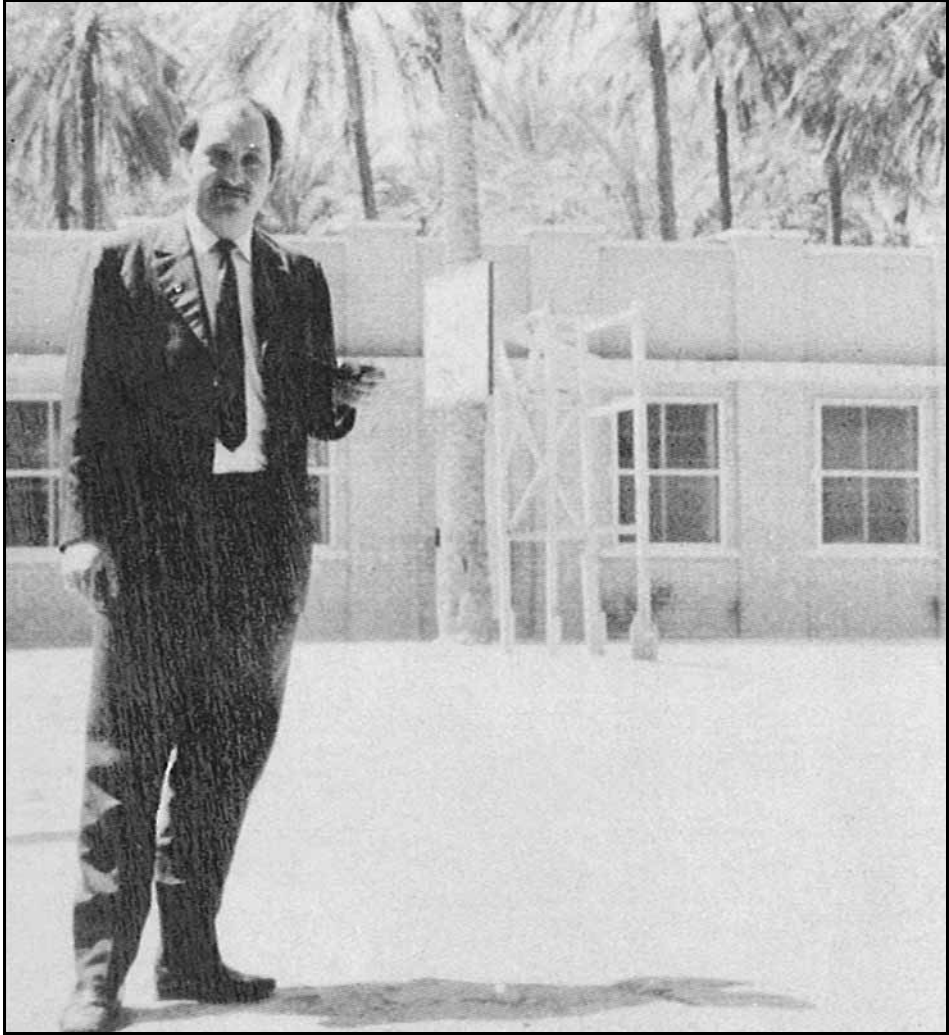
إحدى جوانب كلية بغداد عام ١٩٧٤م



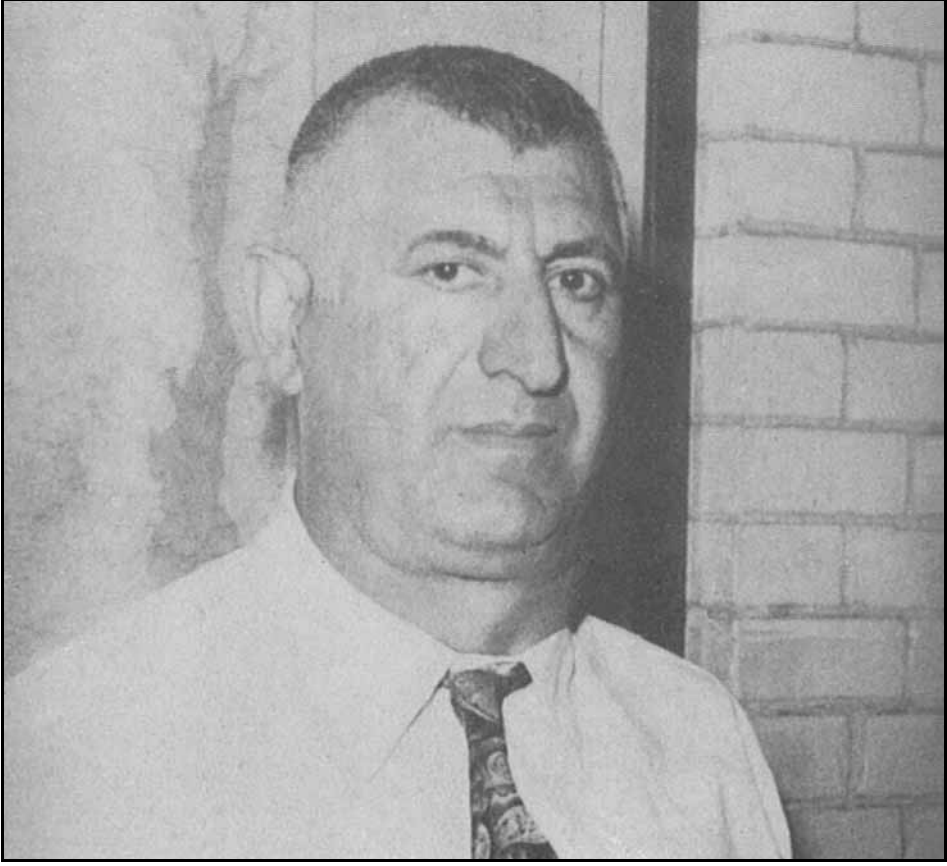
أحد طلبة كلية بغداد عام ١٩٧٤م في لقطة تنكارية - ١



أحد طلبة كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تنكارية



أحد أساتذة كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تذكارية



الأستاذ اسحق الجواهري أحد محاضري درس الرياضيات في كلية بغداد عام ١٩٧٥م



السيد جميل حنا سليم أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



السيد سامي روفائيل بطي أحد مدرسي الكيمياء في كلية بغداد النموذجية

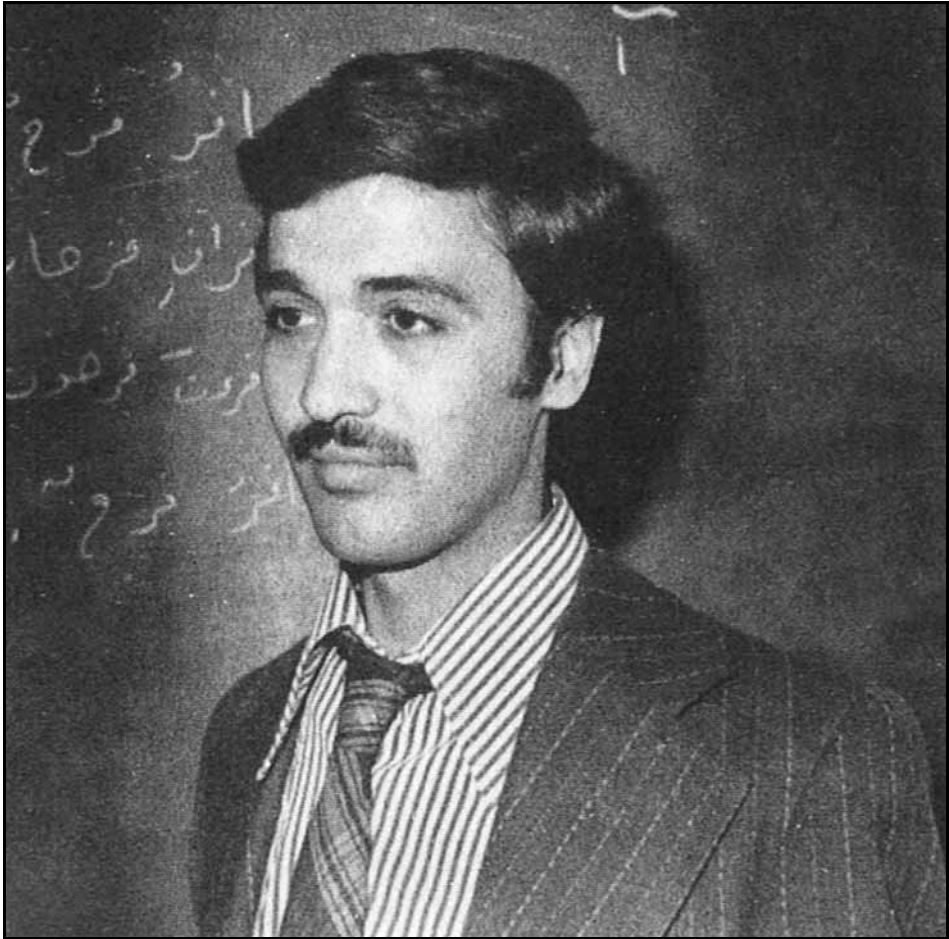
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



بعض أعضاء قسم الكتاب السنوي في جامعة الحكمة ١٩٦٢ وهم يقومون بتحضير الصور



السيد أكرم عثمان أحد المحاضرين في كلية بغداد
عام ١٩٧٥م في درسي العربية والدين

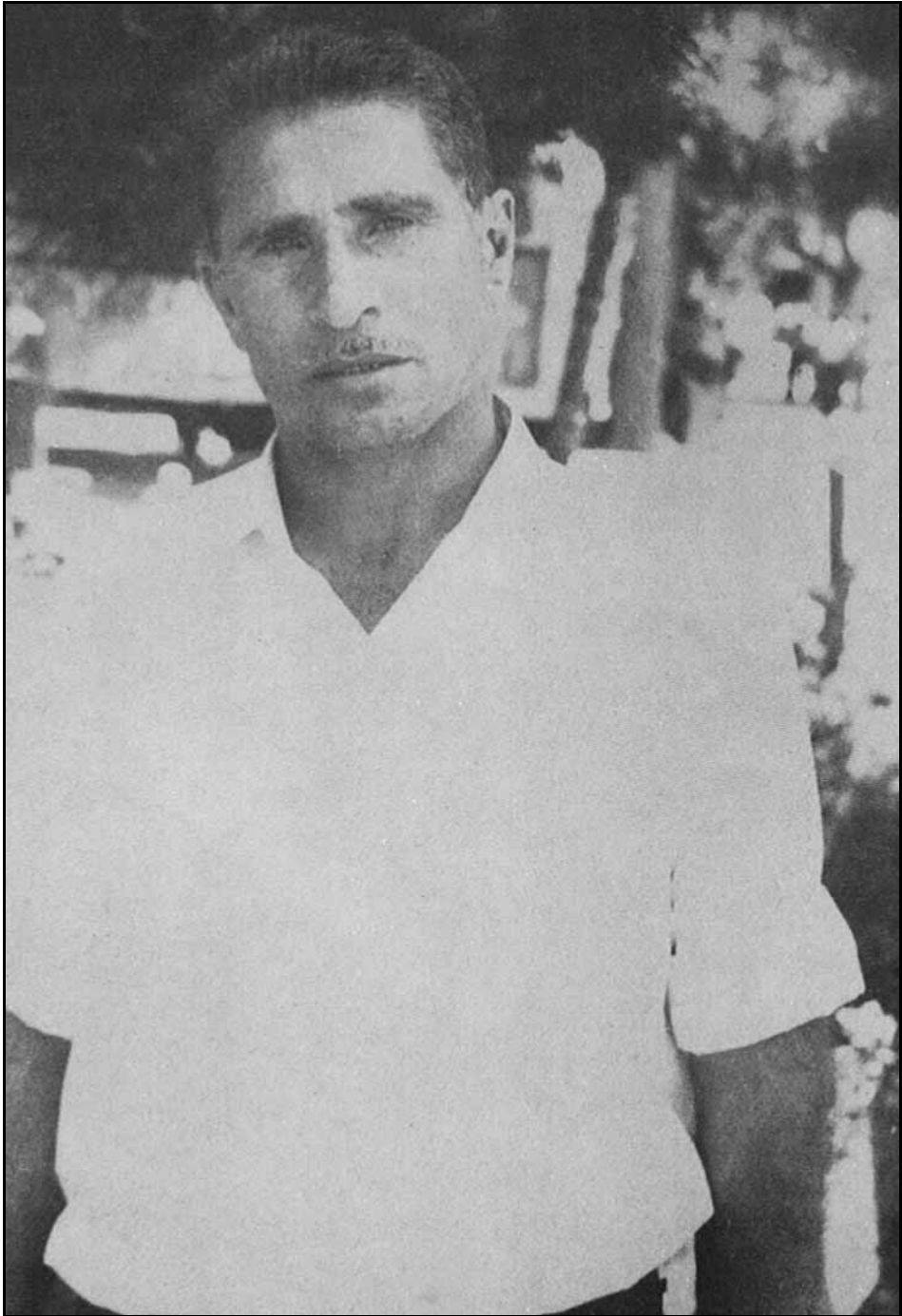


الأستاذ حازم سعيد يونس أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد عام ١٩٧٥م

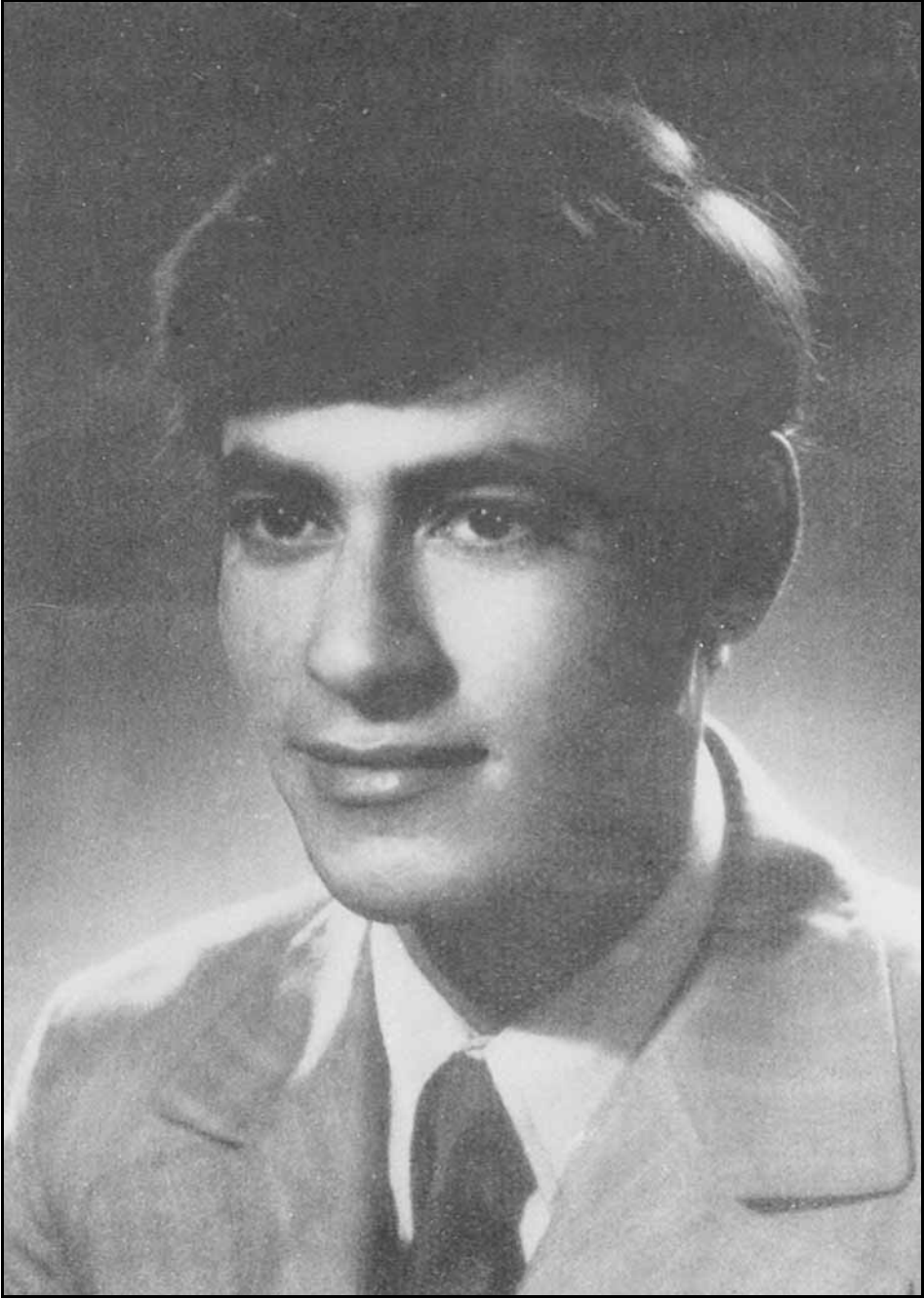


السيد صائب علي الأعرجي أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد النموذجية

عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



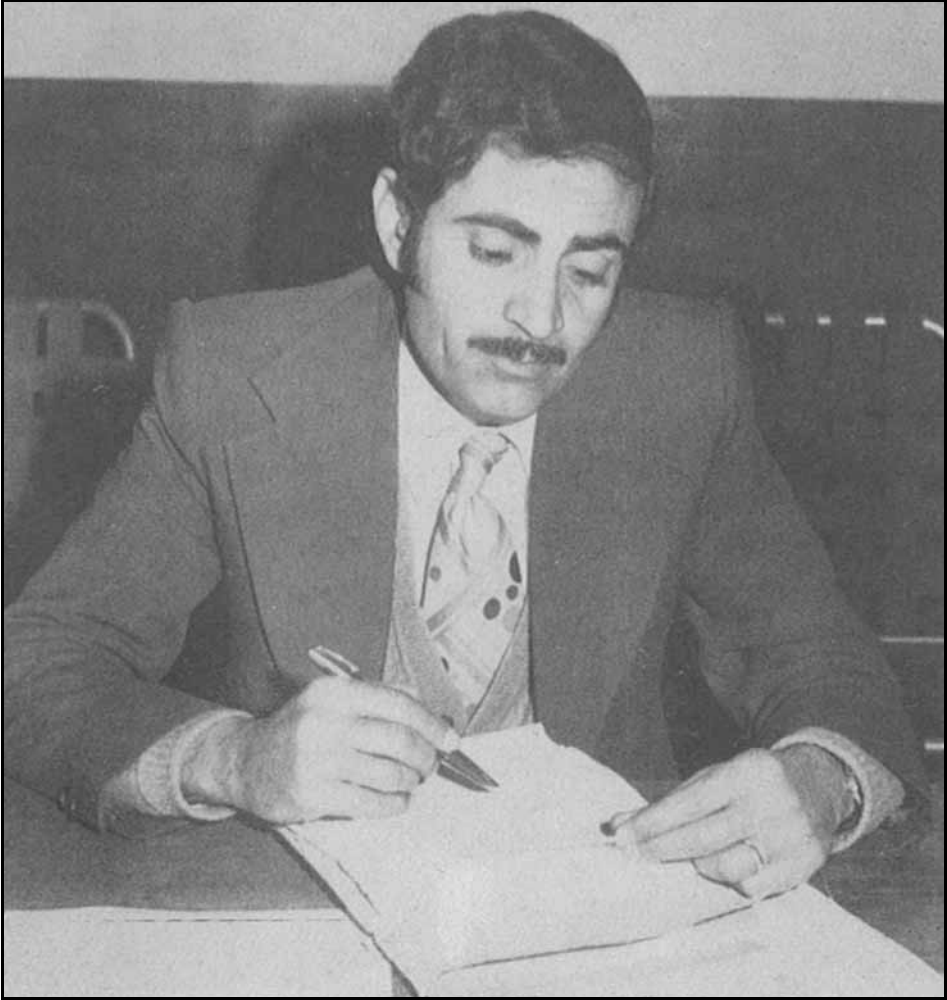
الأستاذ خلف العاني أحد مدرسي التربية الرياضية في كلية بغداد عام ١٩٧٥م



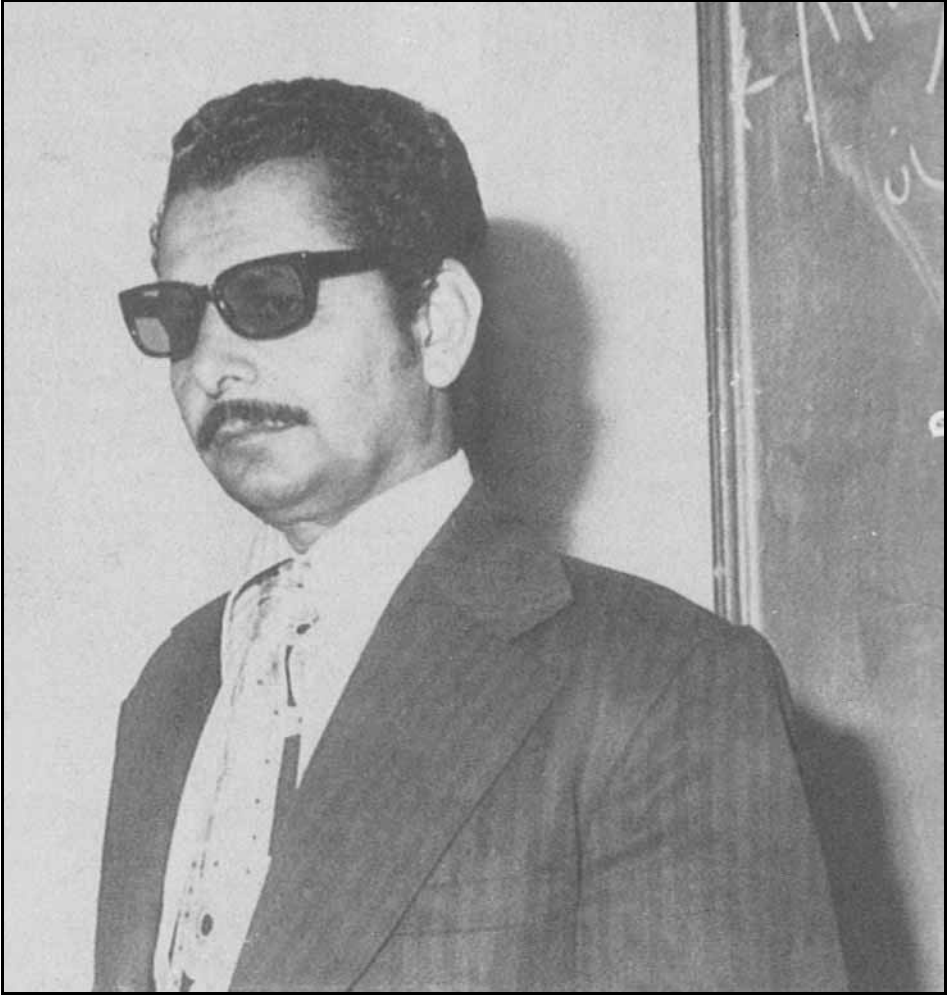
السيد عبد علي حميد أستاذ التربية الفنية في كلية بغداد عام ١٩٧٥م



السيد ليون بانوس أستاذ الرياضيات في كلية بغداد عام ١٩٧٥م

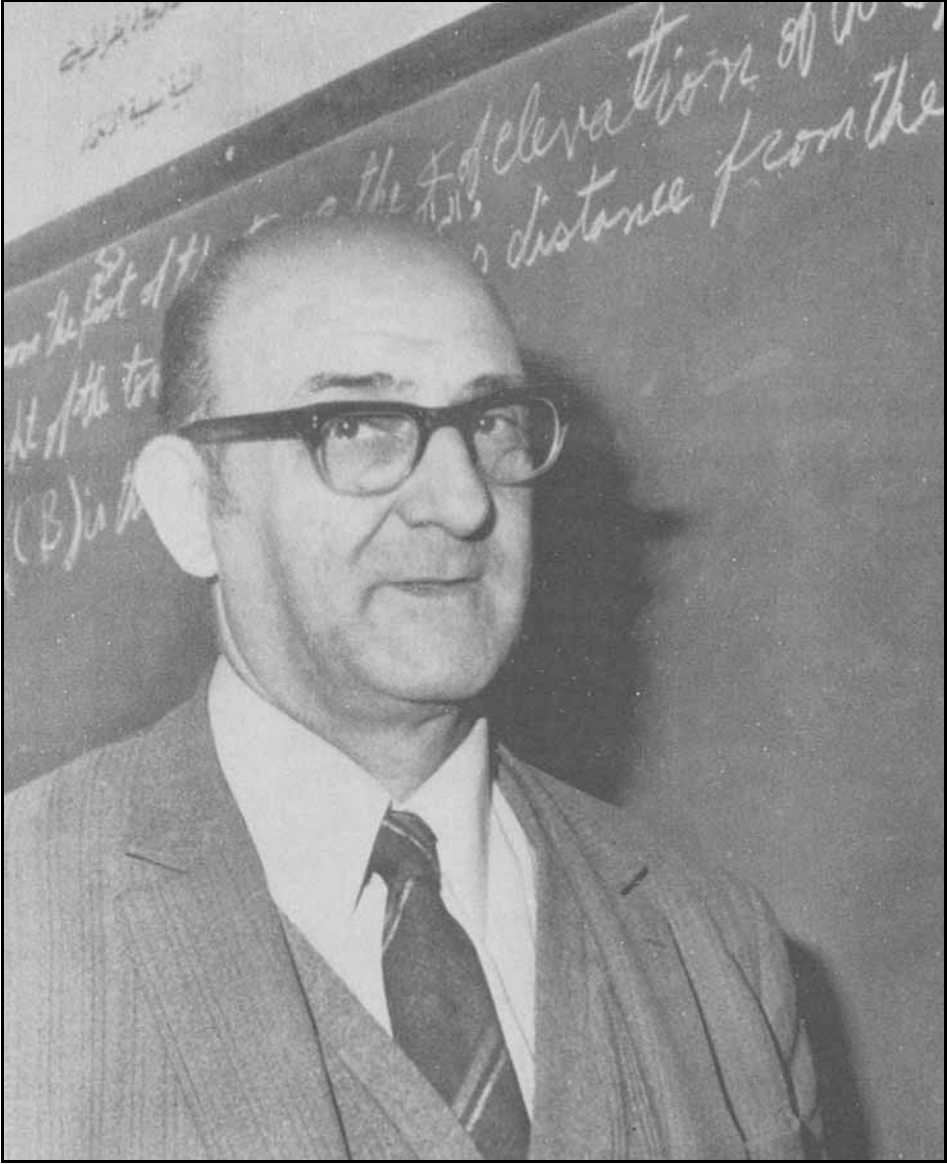


السيد قتيبة عبد الواحد الدروبي أستاذ الاجتماعيات في كلية بغداد
عام ١٩٧٥م وهو جالس في مكتبه

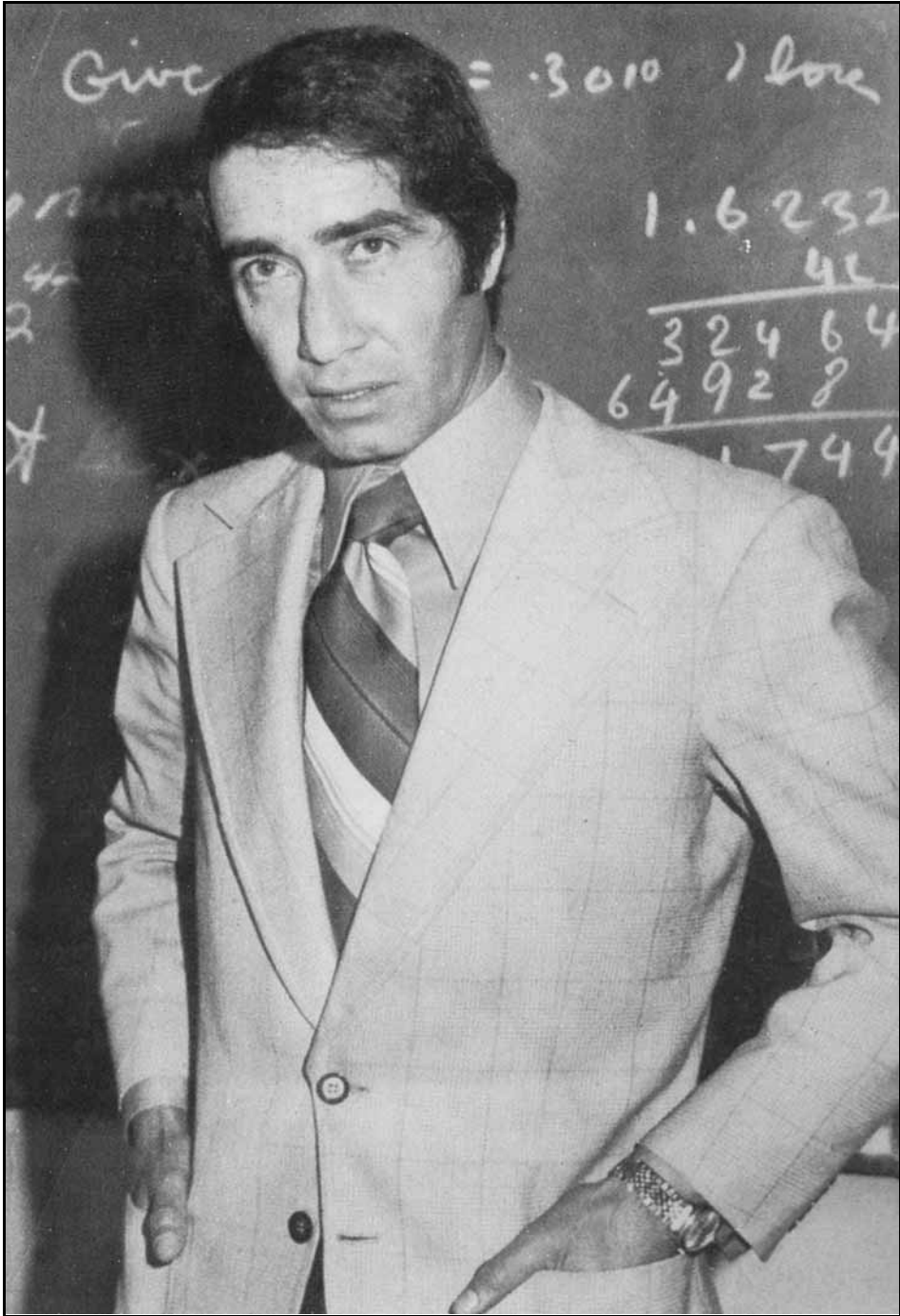


السيد يحيى وحيد الدين أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد النموذجية

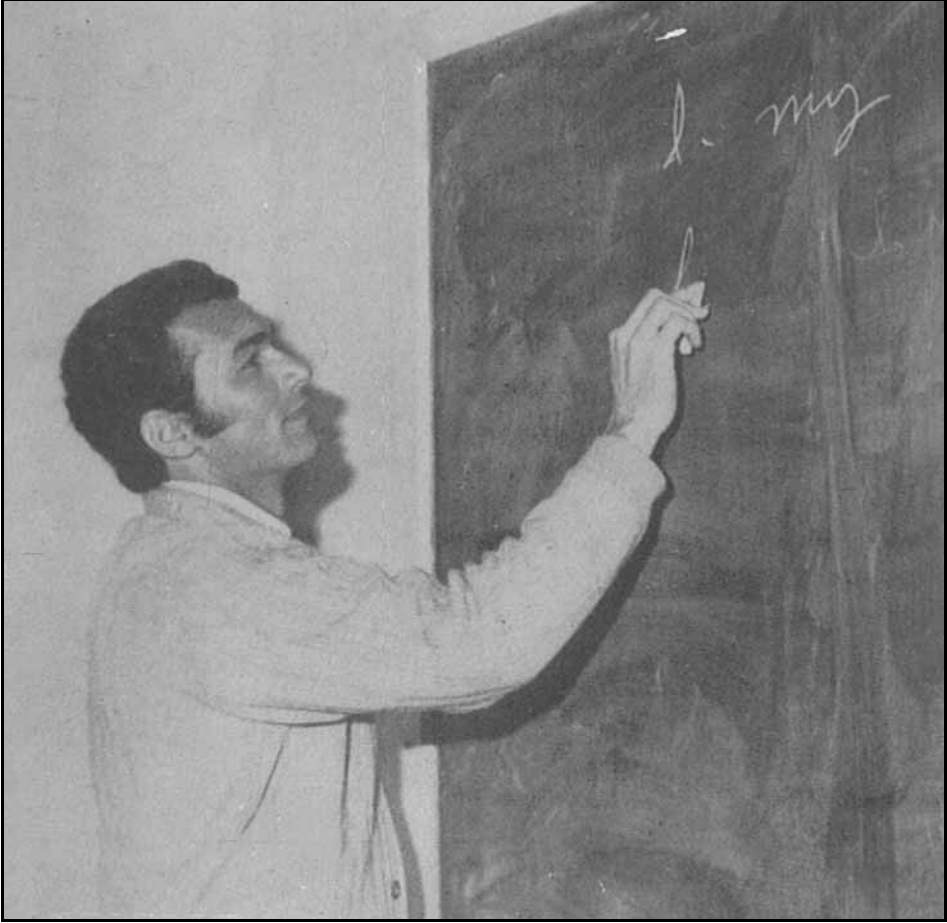
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



السيد يوسف سمعان أحد مدرسي درس الرياضيات في كلية بغداد عام ١٩٧٥م

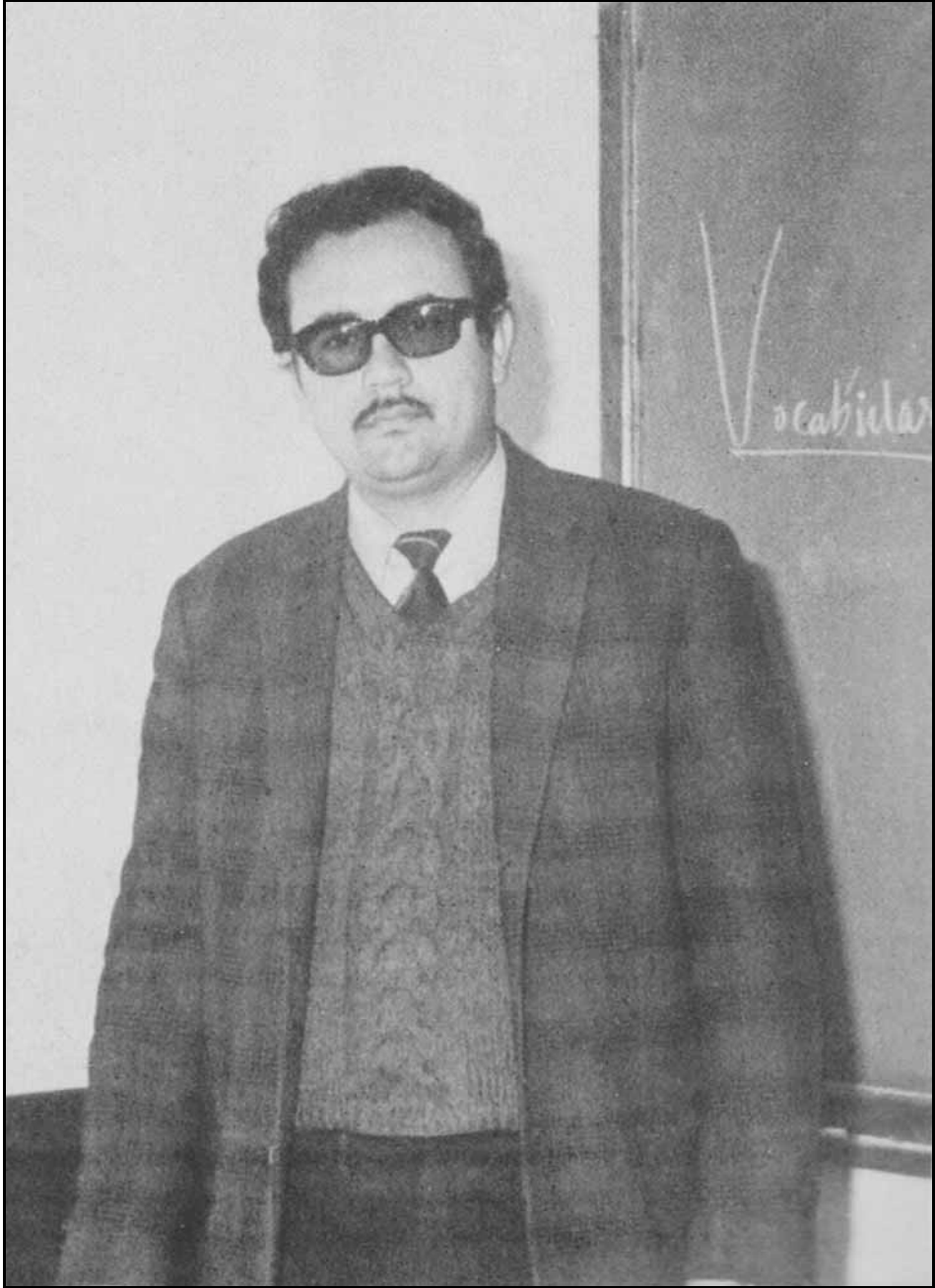


السيد ساطع الداود أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية

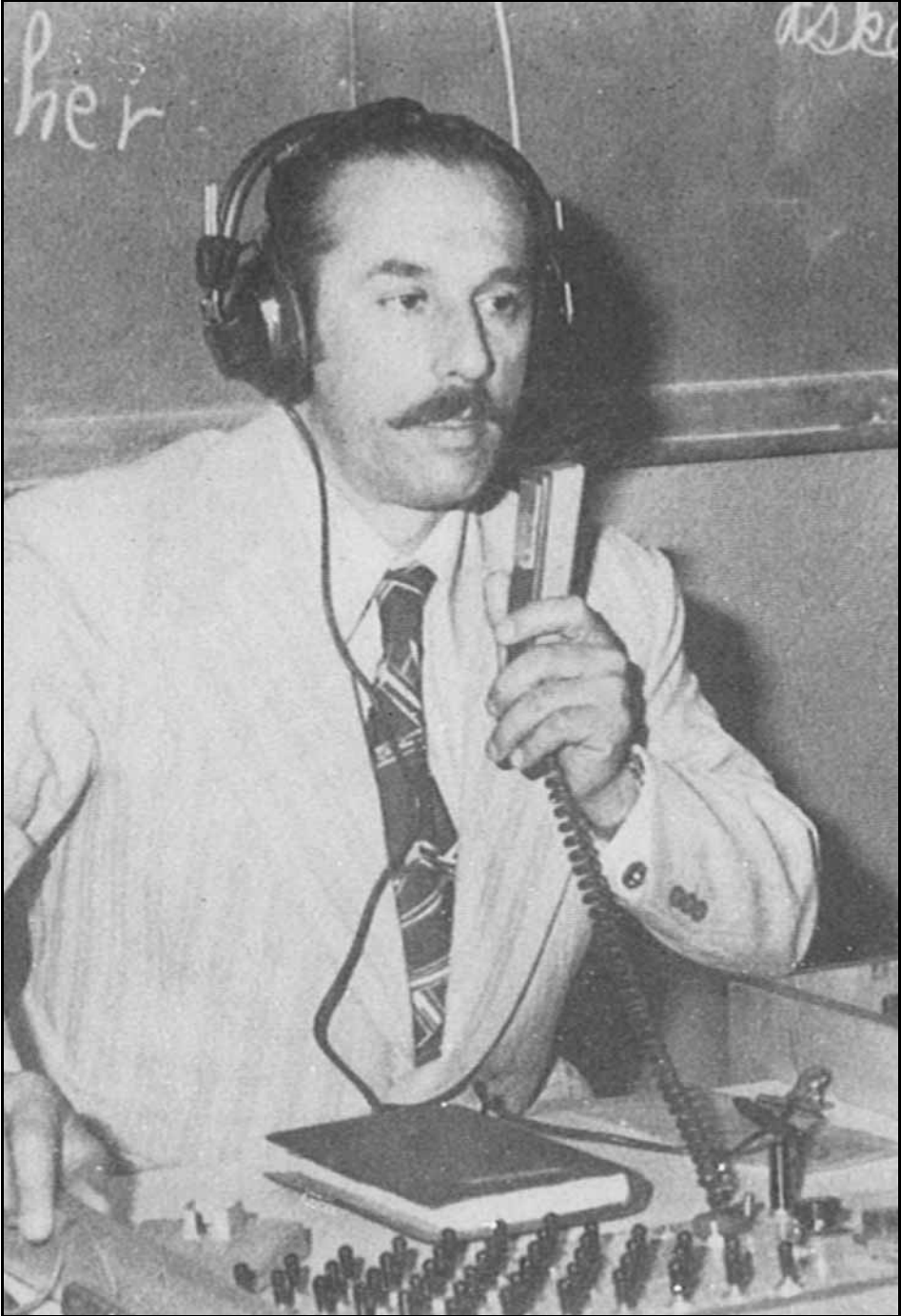


السيد حنا موسى أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية

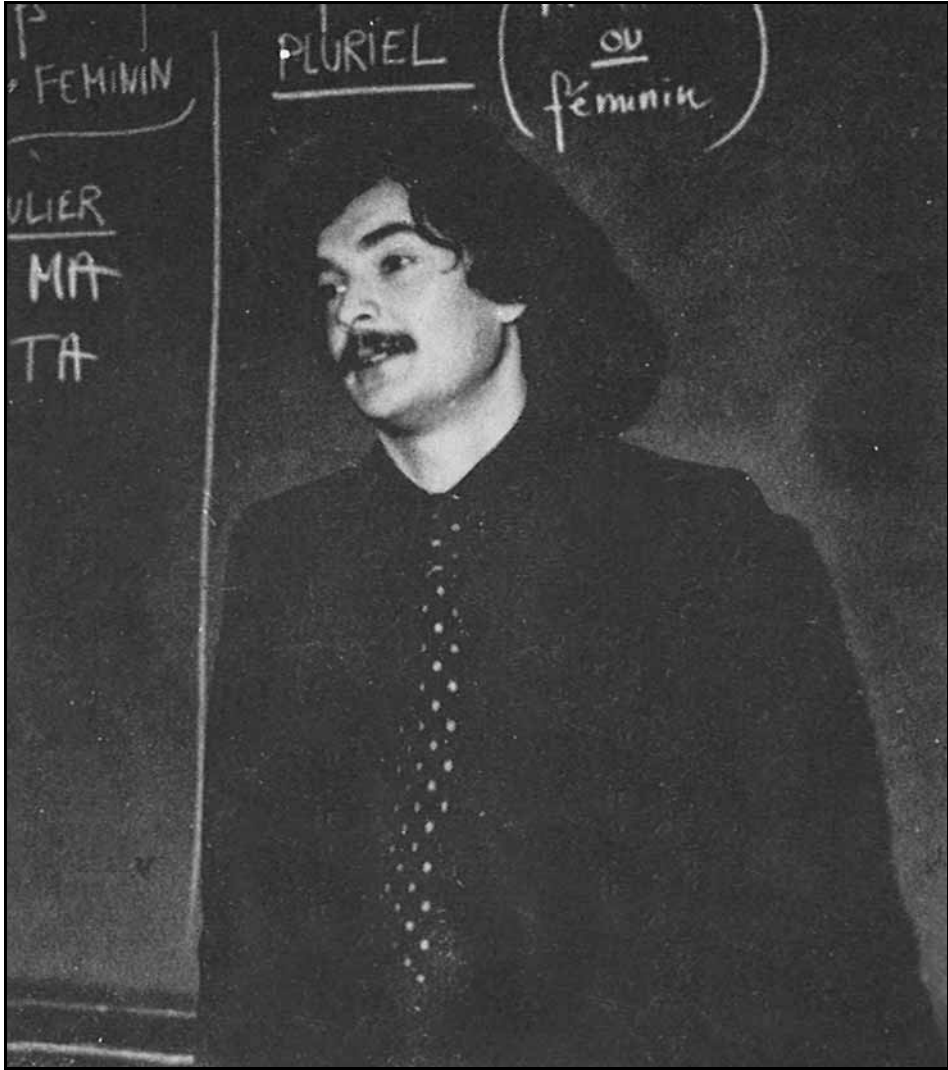
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



السيد عدنان حسين أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية

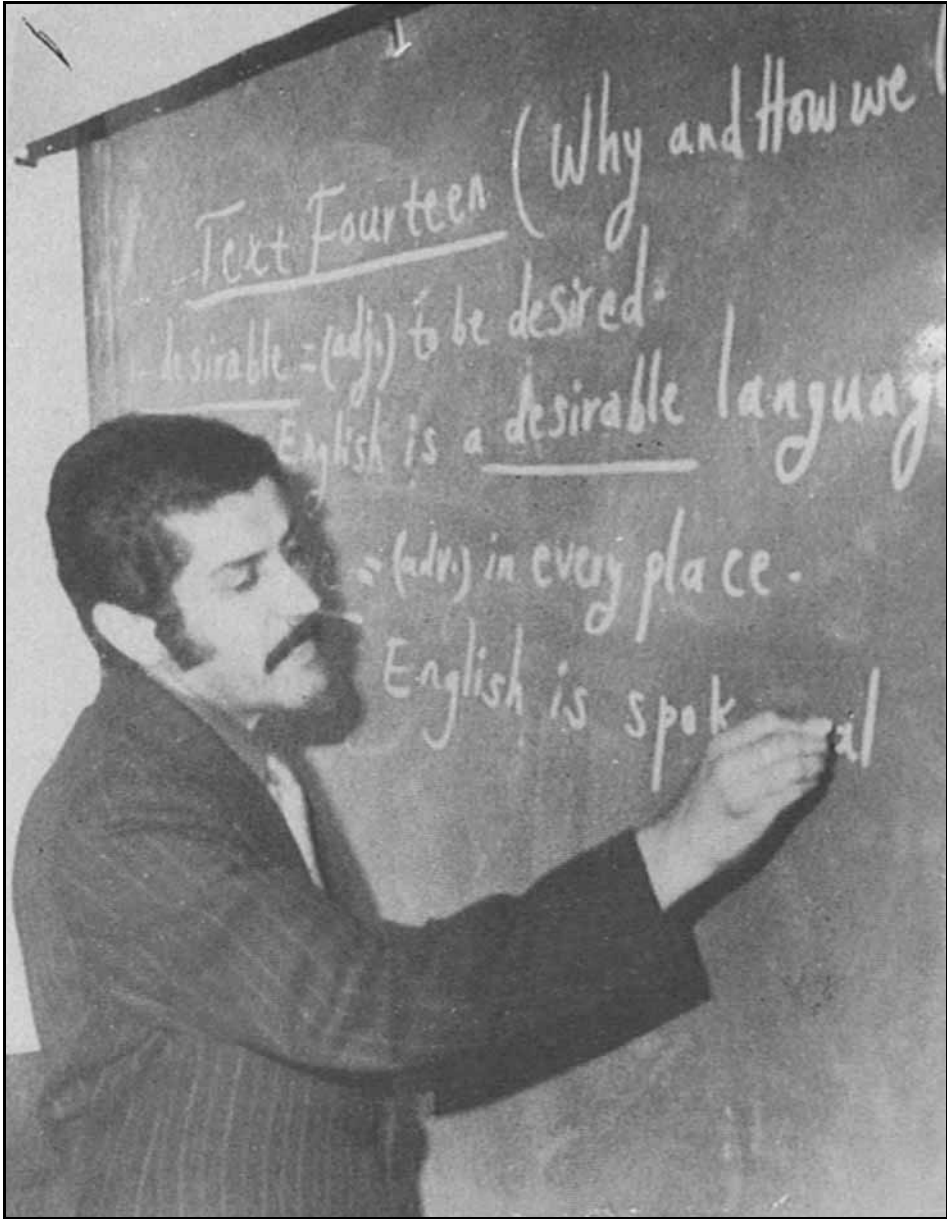


السيد فؤاد سعيد أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



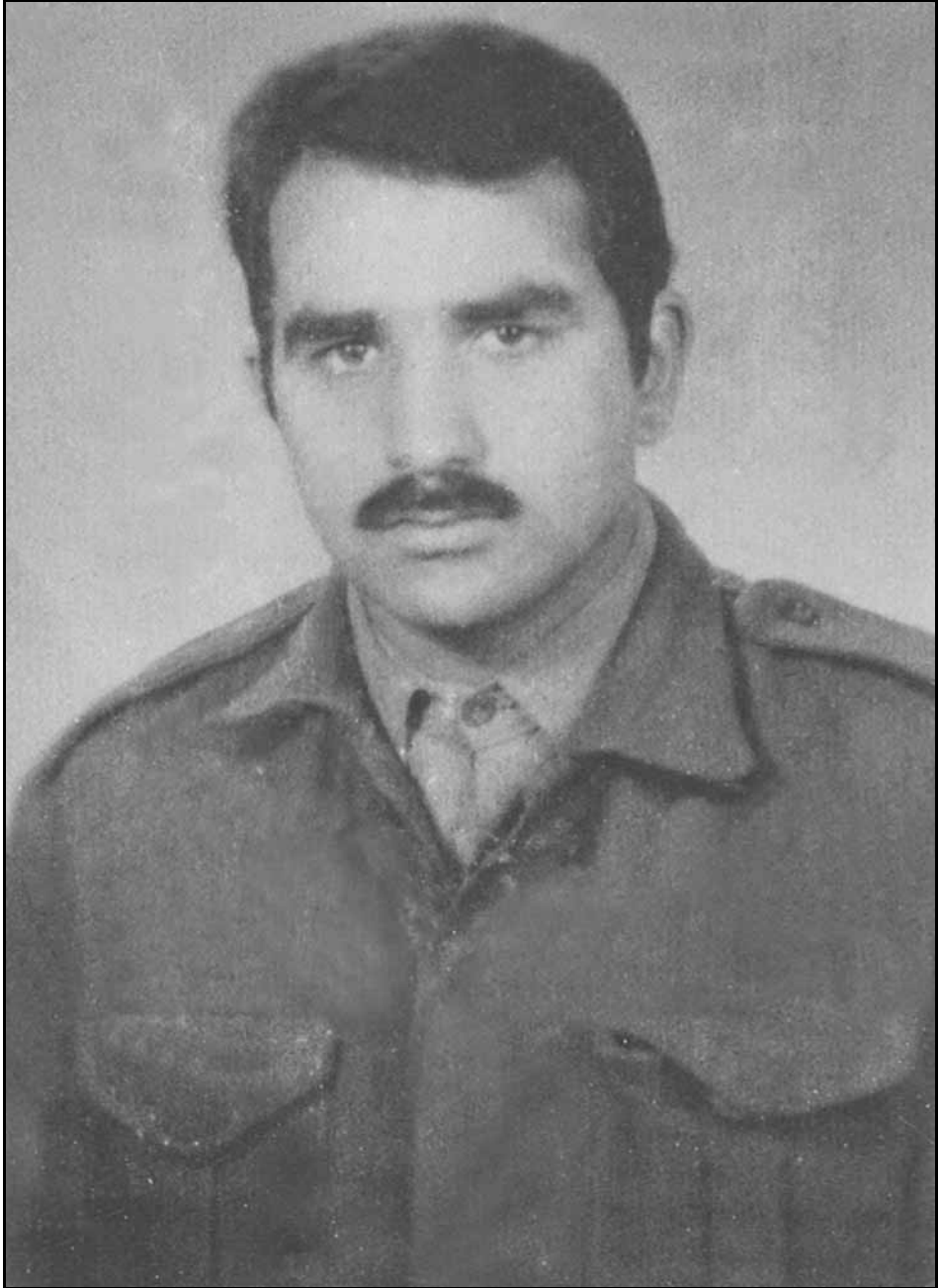
السيد فيليب رادنيز جاك مدرس اللغة الفرنسية في كلية بغداد

عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



السيد يشار غازي عسكر أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية

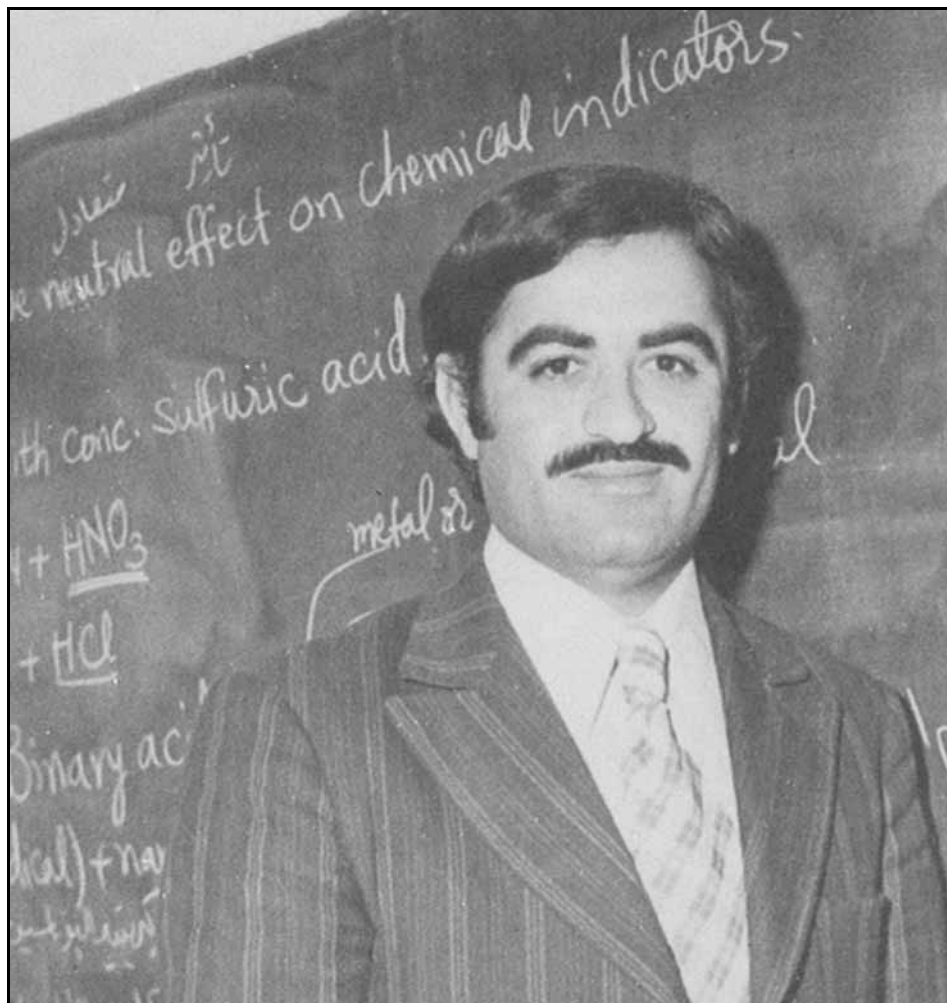
عام ١٩٧٥م خلال إحدى الصفوف



السيد محمد كريم حسون أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية

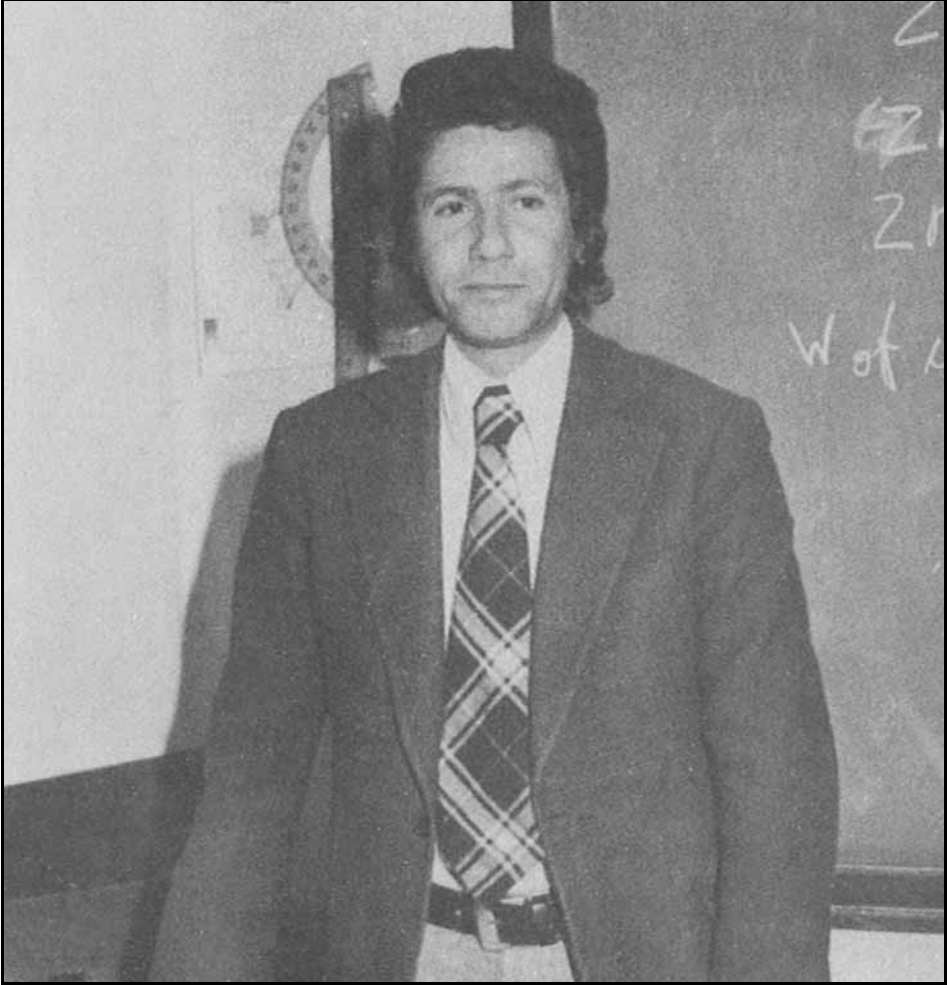


الاستاذ صادق العبيدي أحد محاضري درس التربية الدينية في
كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



السيد صبري منصور أحد مدرسي الكيمياء في كلية بغداد النموذجية

عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية

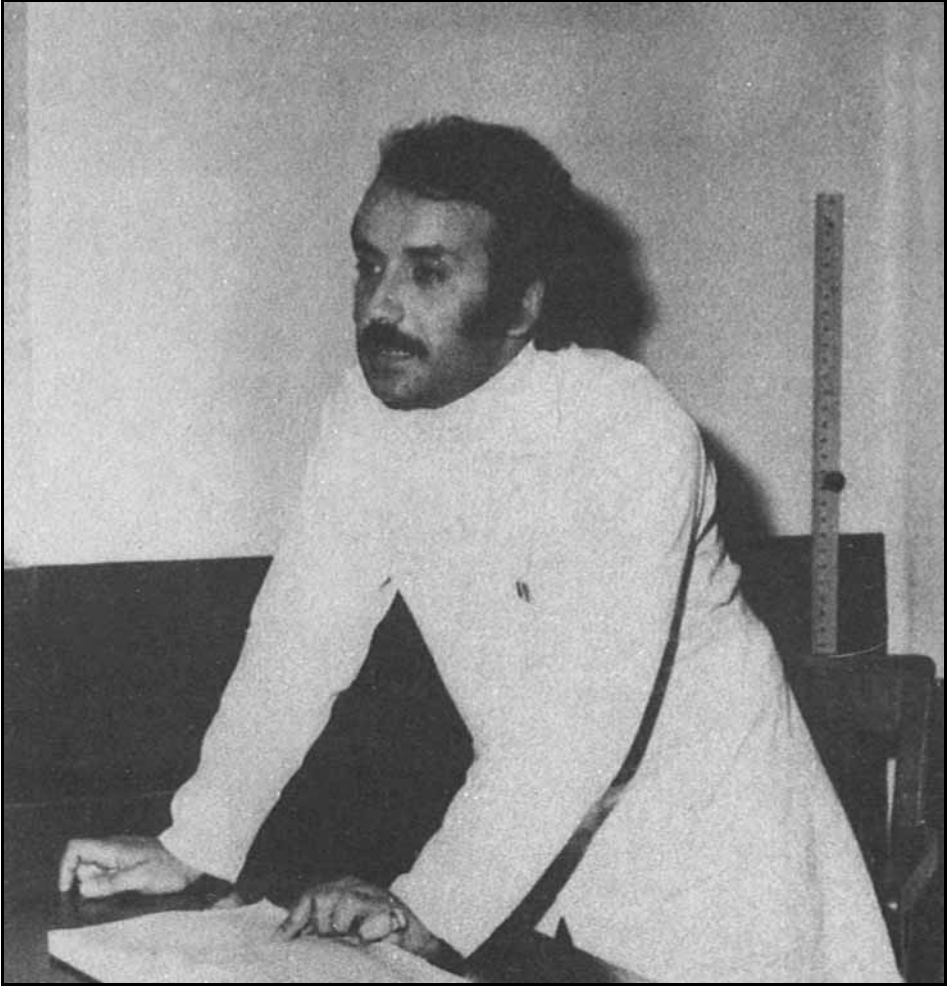


السيد ماجد كامل ابو طبيخ أحد مدرسي الكيمياء في كلية بغداد النموذجية

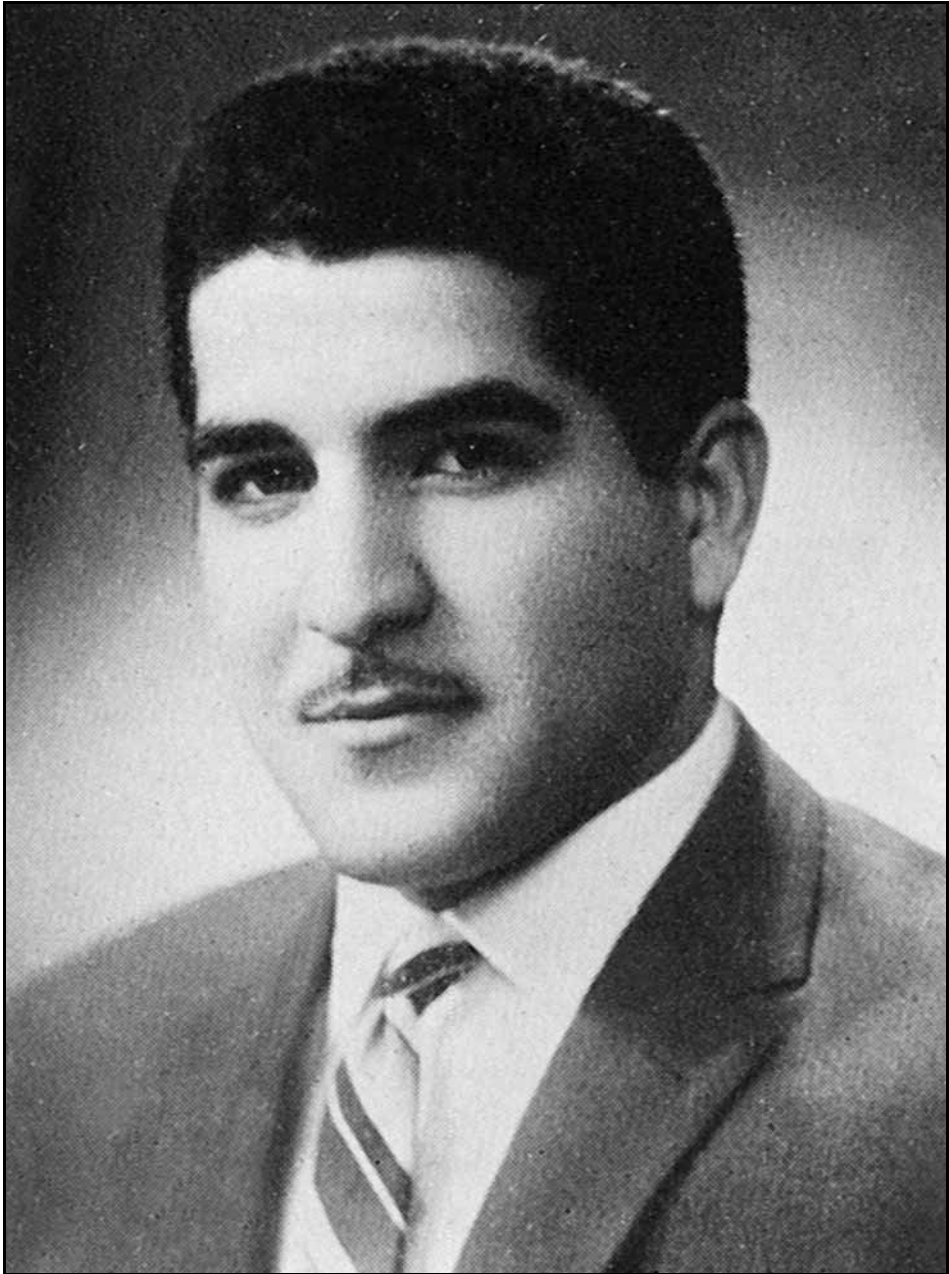
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



الأستاذ خالد عبد الواحد الهيتي أحد مدرسي الاجتماعيات في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م وهو جالس في مكتبه



الأستاذ عبد الغني العبيدي أحد مدرسي الفيزياء في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



نمير زينل الطالب في كلية الهندسة المدنية بجامعة الحكمة ١٩٦٢



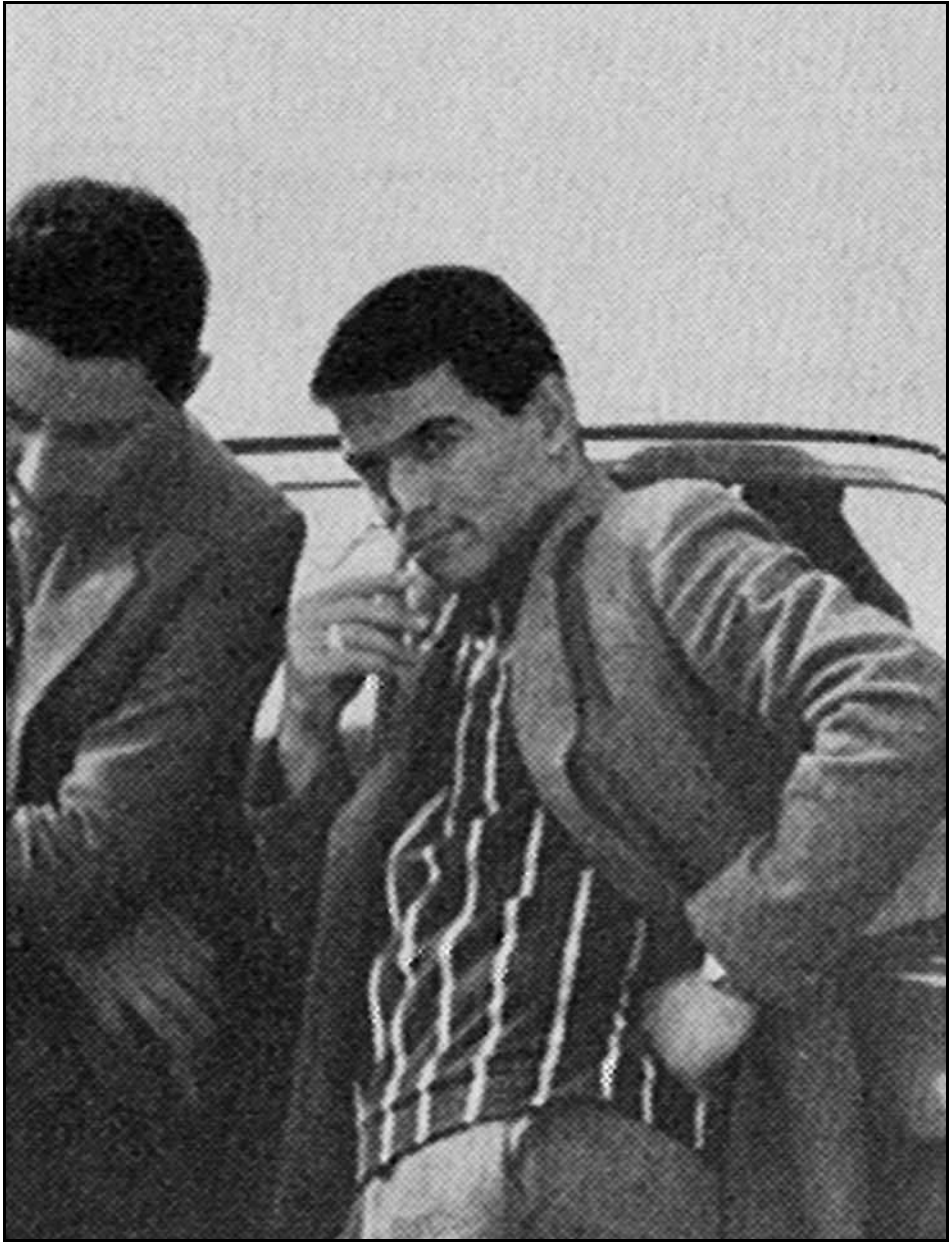
ممارسة رياضة كرة القاعدة بجامعة الحكمة ١٩٦٢



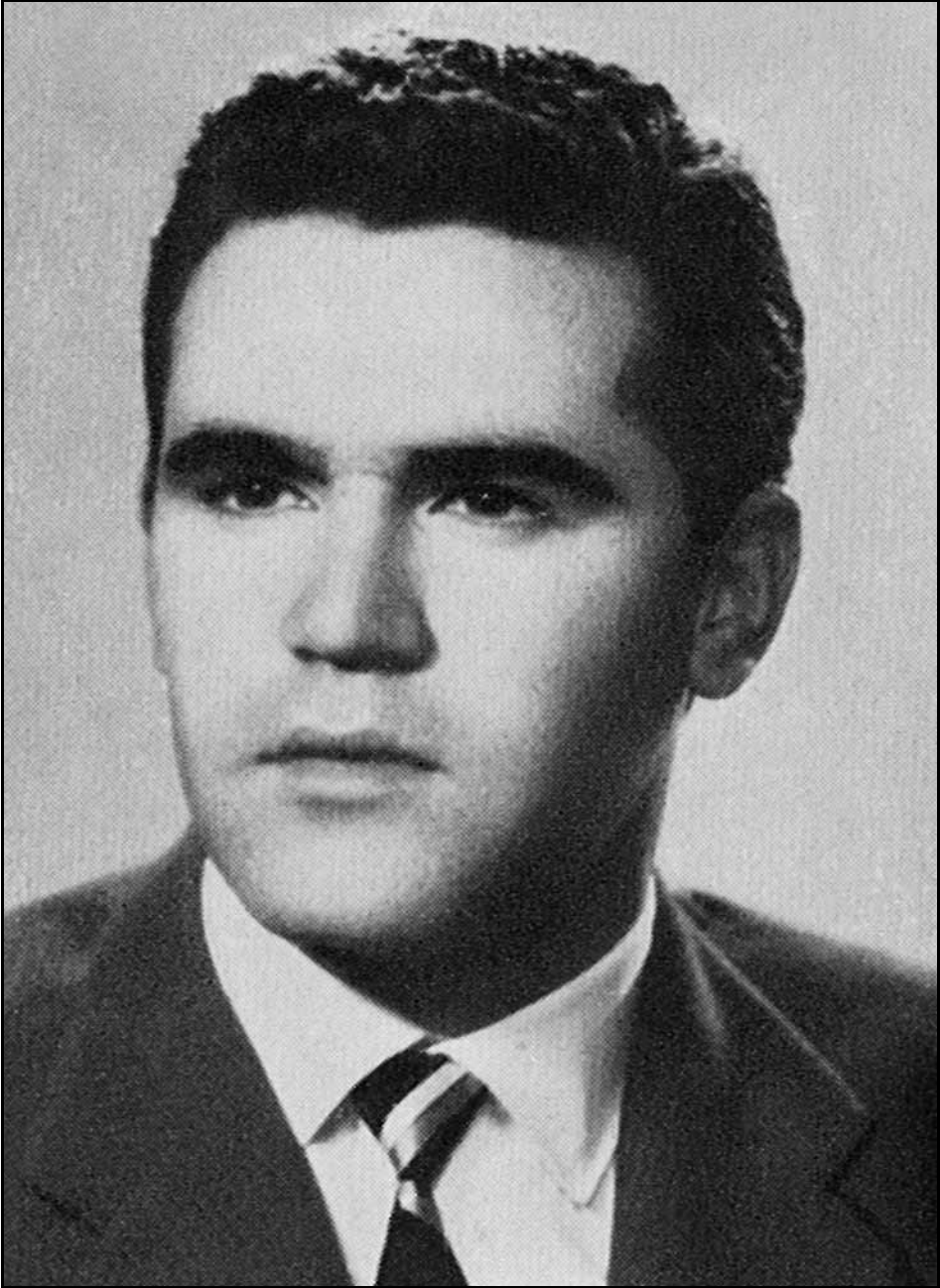
مسكن الآباء في جامعة الحكمة ببغداد عام ١٩٦٢م



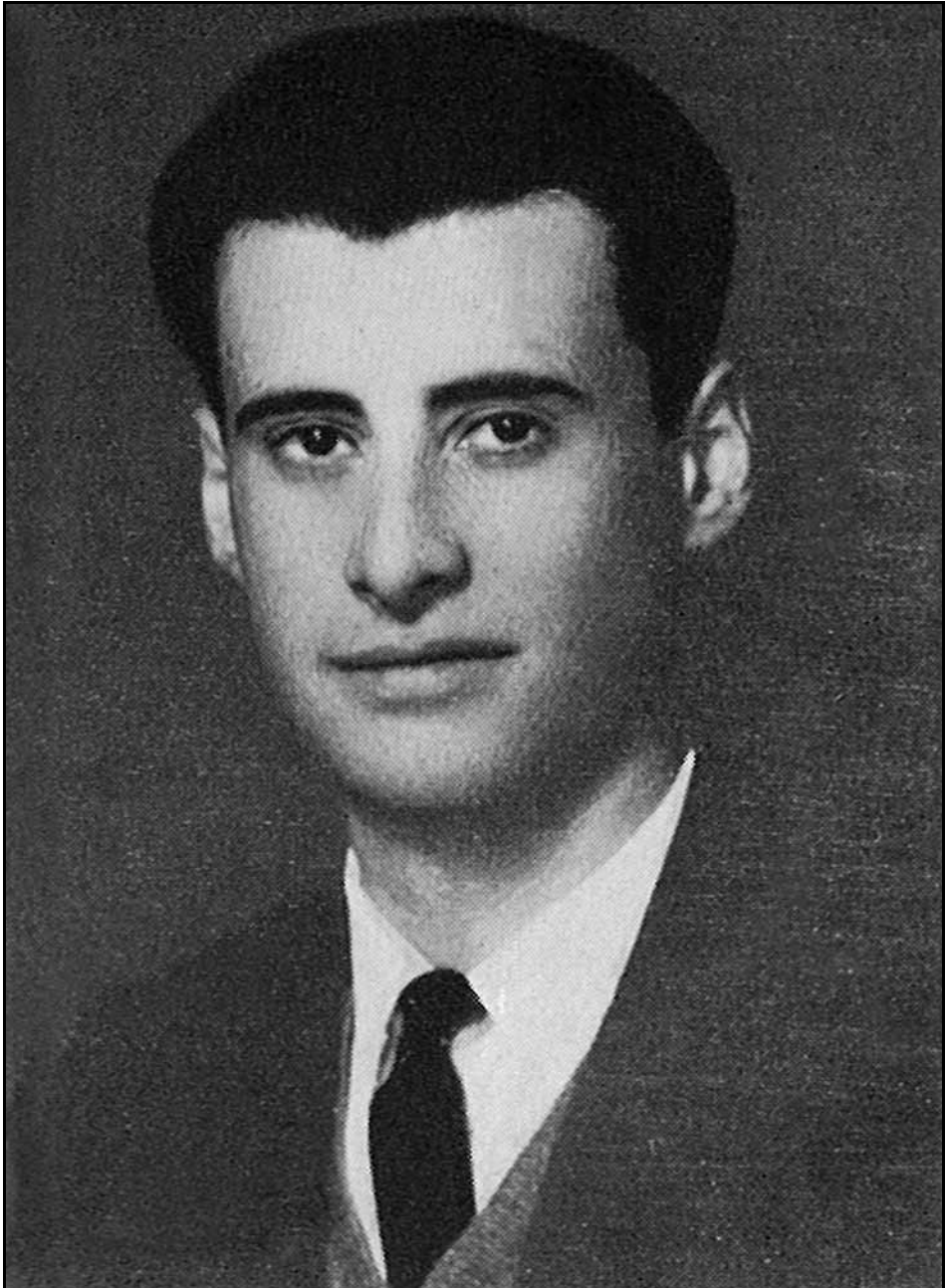
مبنى كولبنكيان الهندسي في جامعة الحكمة ١٩٦٢



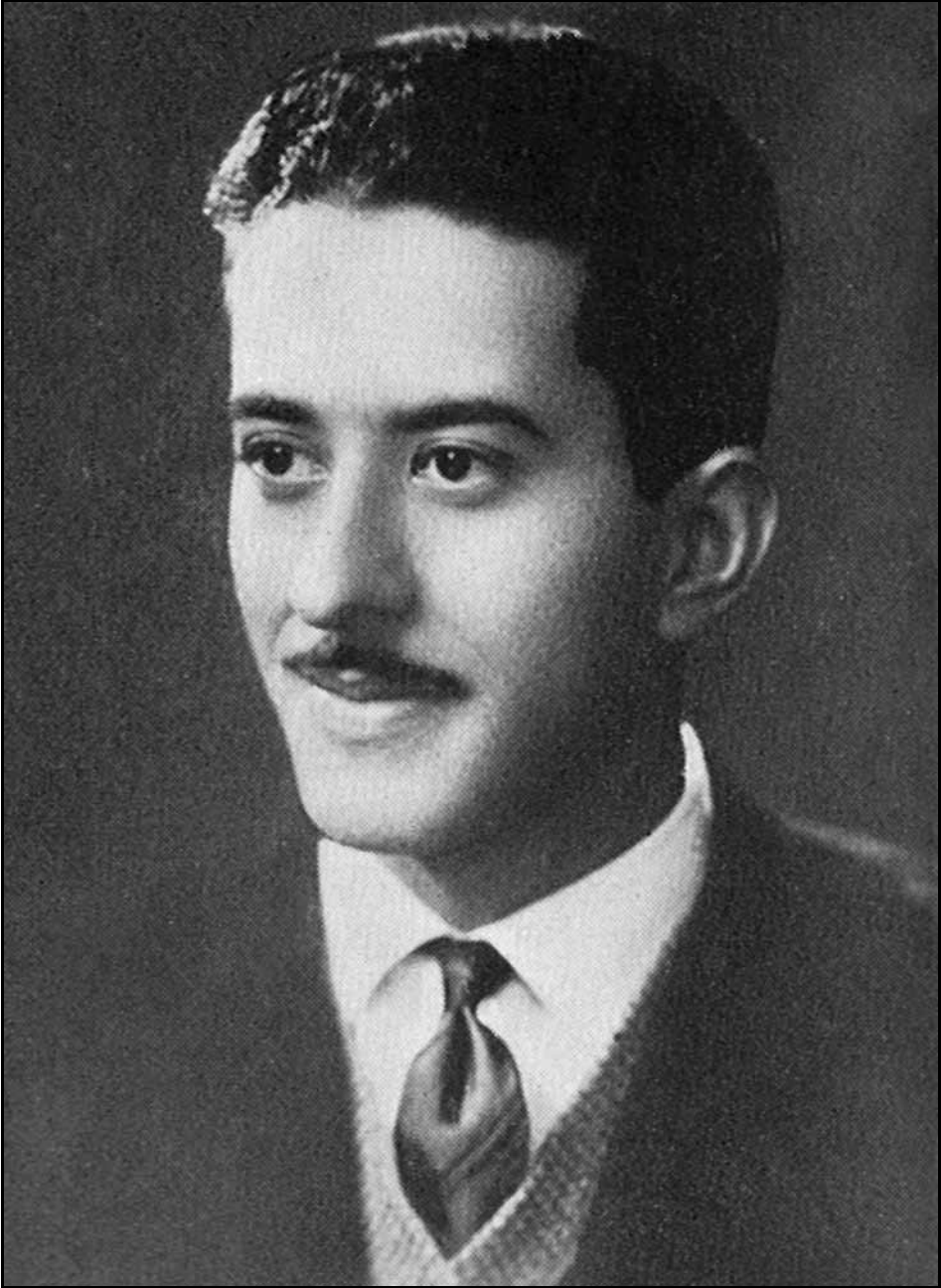
لقطة استثنائية لأحد طلبة جامعة الحكمة ١٩٦٢م



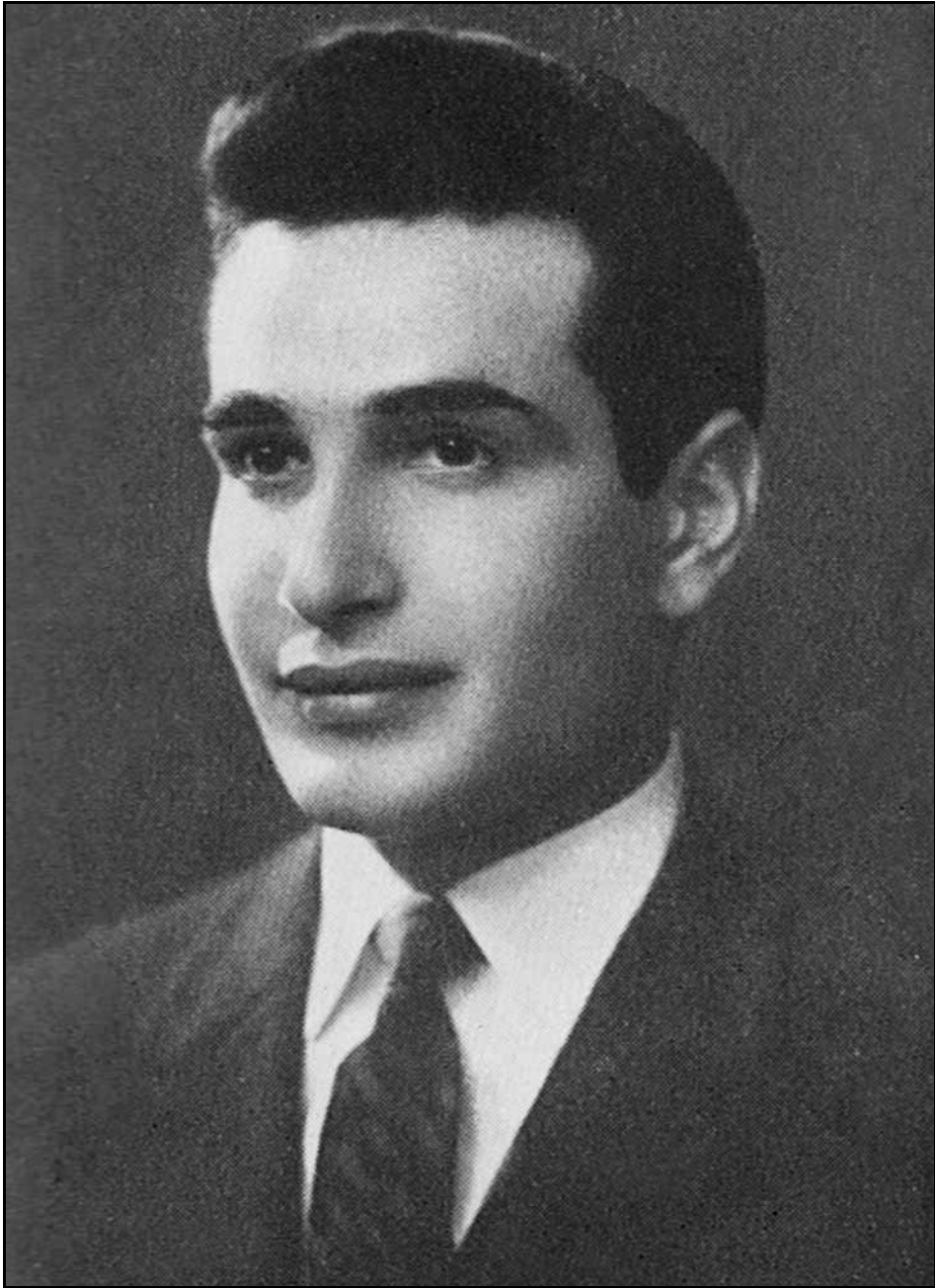
ضياء عزو الطالب في كلية ادارة الأعمال بجامعة الحكمة ١٩٦٢



صلاح توتة طالب أردني في كلية إدارة الأعمال بجامعة الحكمة ١٩٦٢



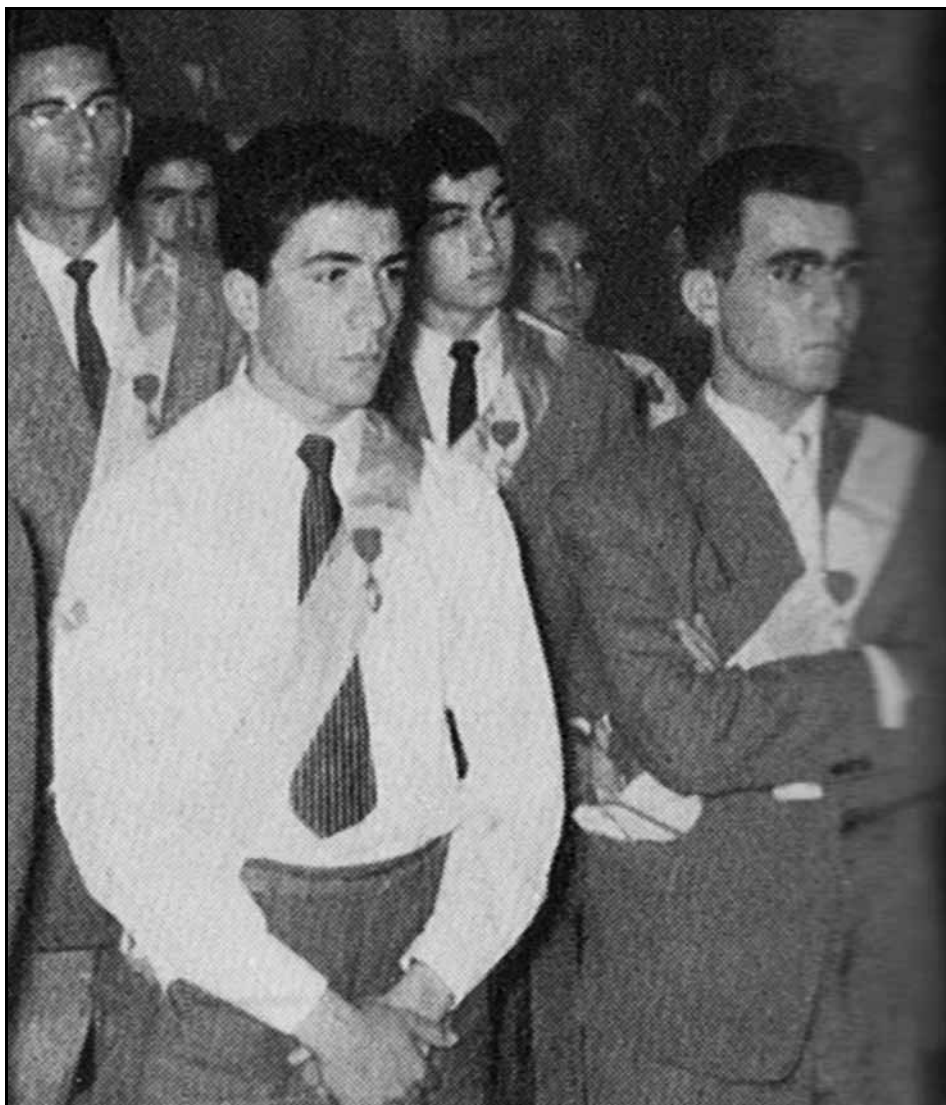
صباح رشدي الطالب في كلية الهندسة المدنية بجامعة الحكمة ١٩٦٢



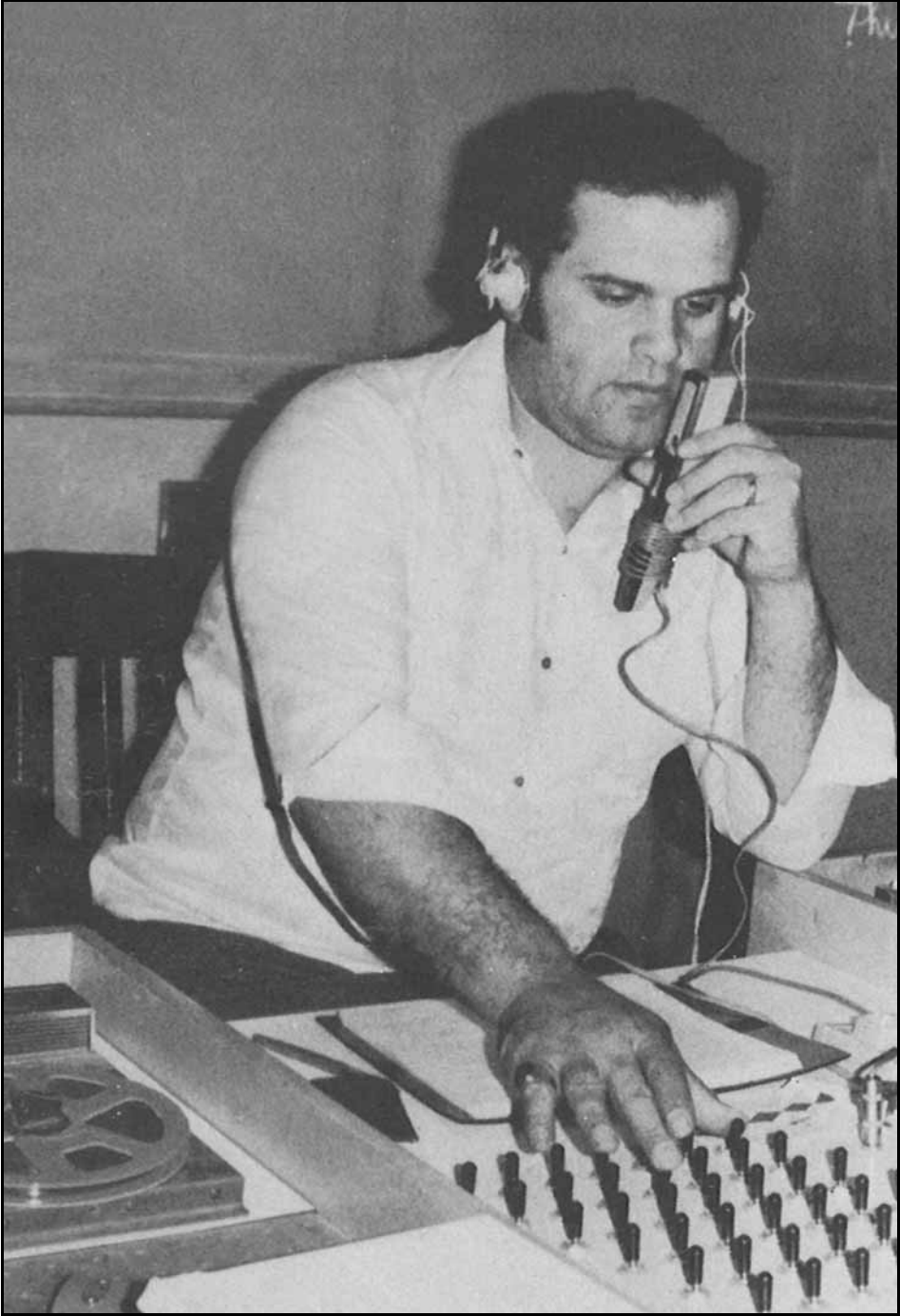
صباح الخياط الطالب في كلية الهندسة المدنية بجامعة الحكمة ١٩٦٢



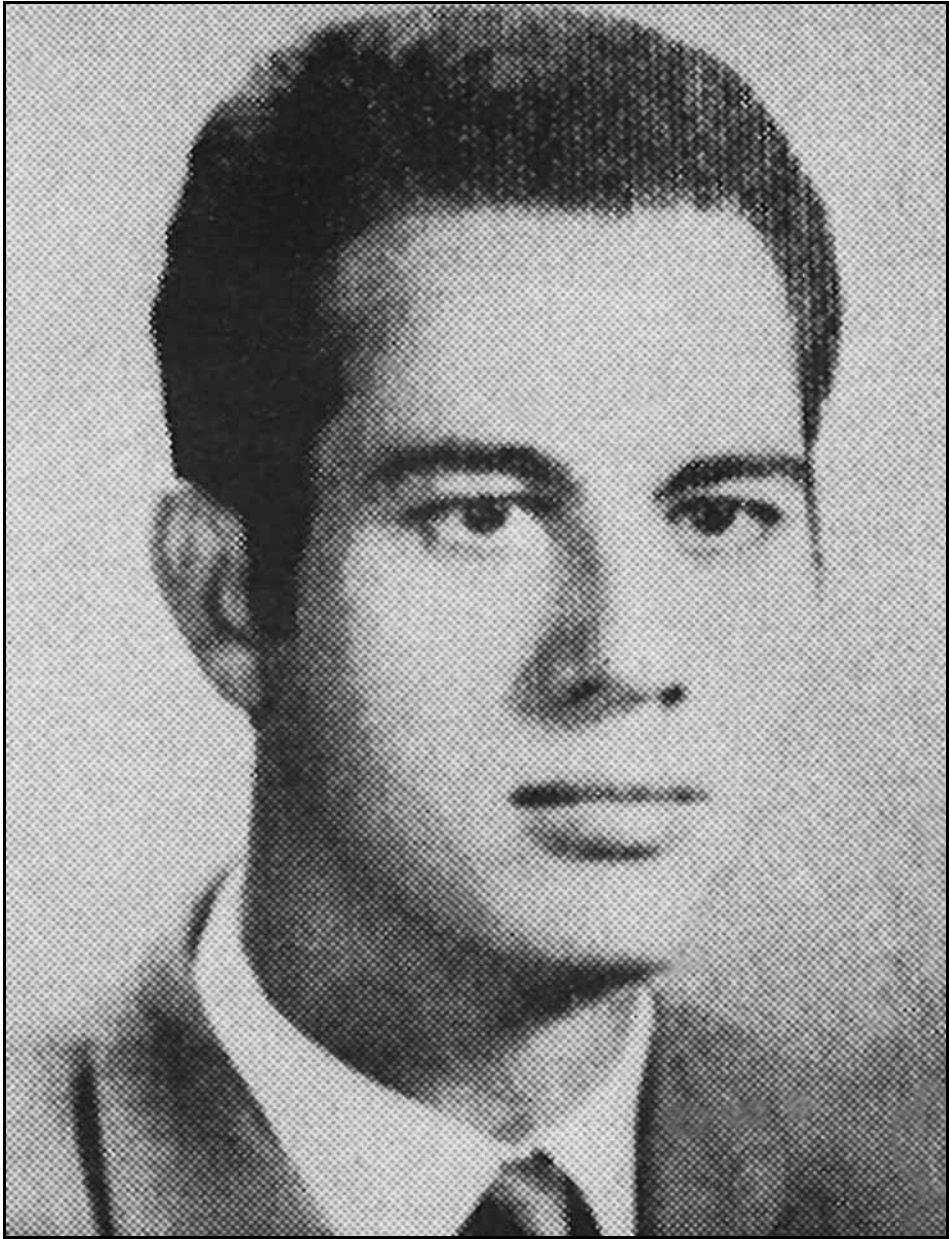
سمير نيسان طالب في كلية ادارة الأعمال بجامعة الحكمة ١٩٦٢



خريجوا جامعة الحكمة ١٩٦٢ في حفل التخرج

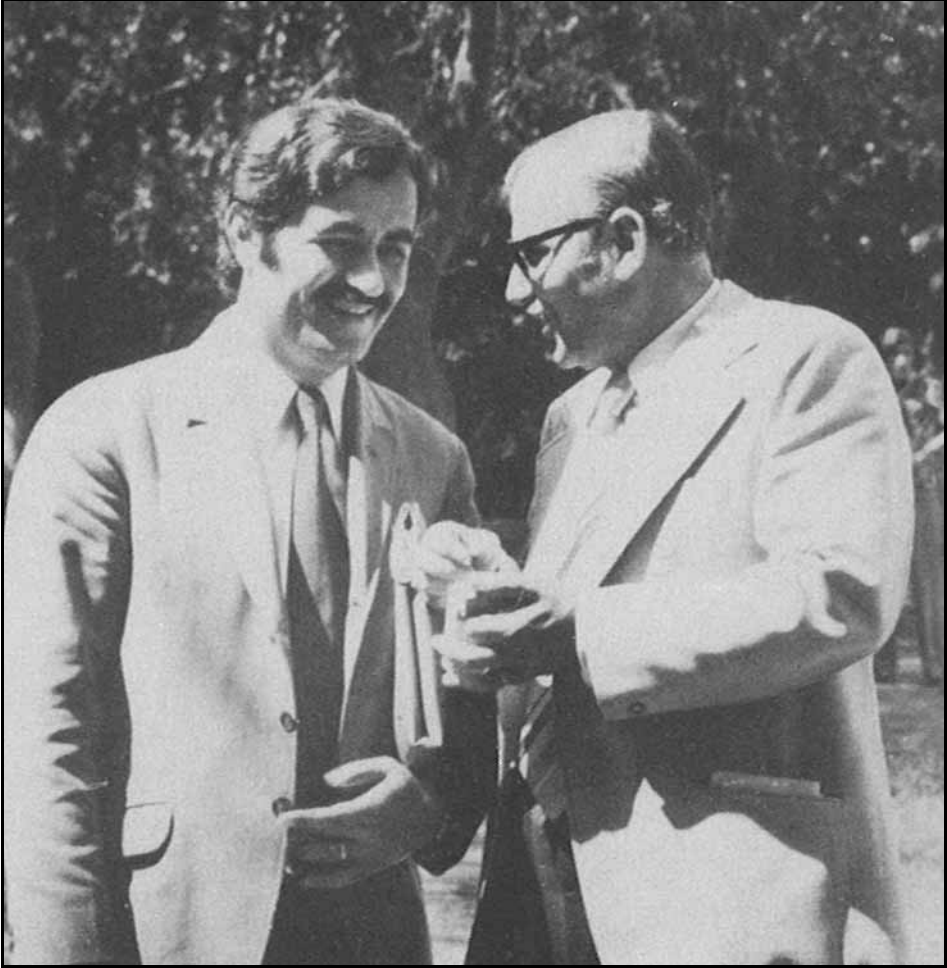


السيد جبرائيل جوزيف شمسي أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



بهاء صبري محمد - أحد طلبة الصف الرابع (١) في القسم المعماري بكلية الهندسة جامعة بغداد

عام ١٩٧٠-١٩٧١

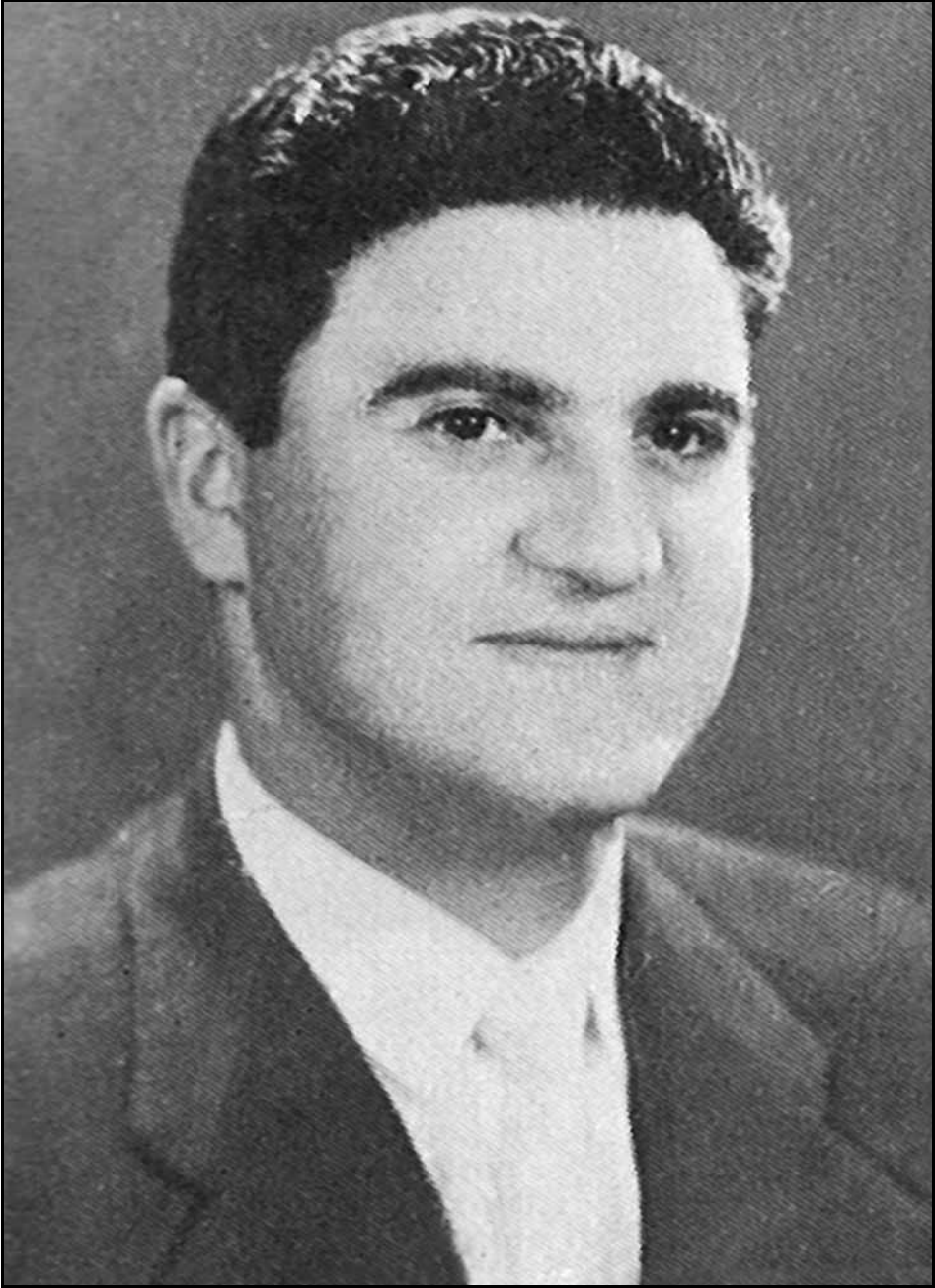


الى اليسار الأستاذ صبري منصور أستاذ الكيمياء في كلية بغداد في صورة تذكارية مع أحد الأساتذة

عام ١٩٧٤



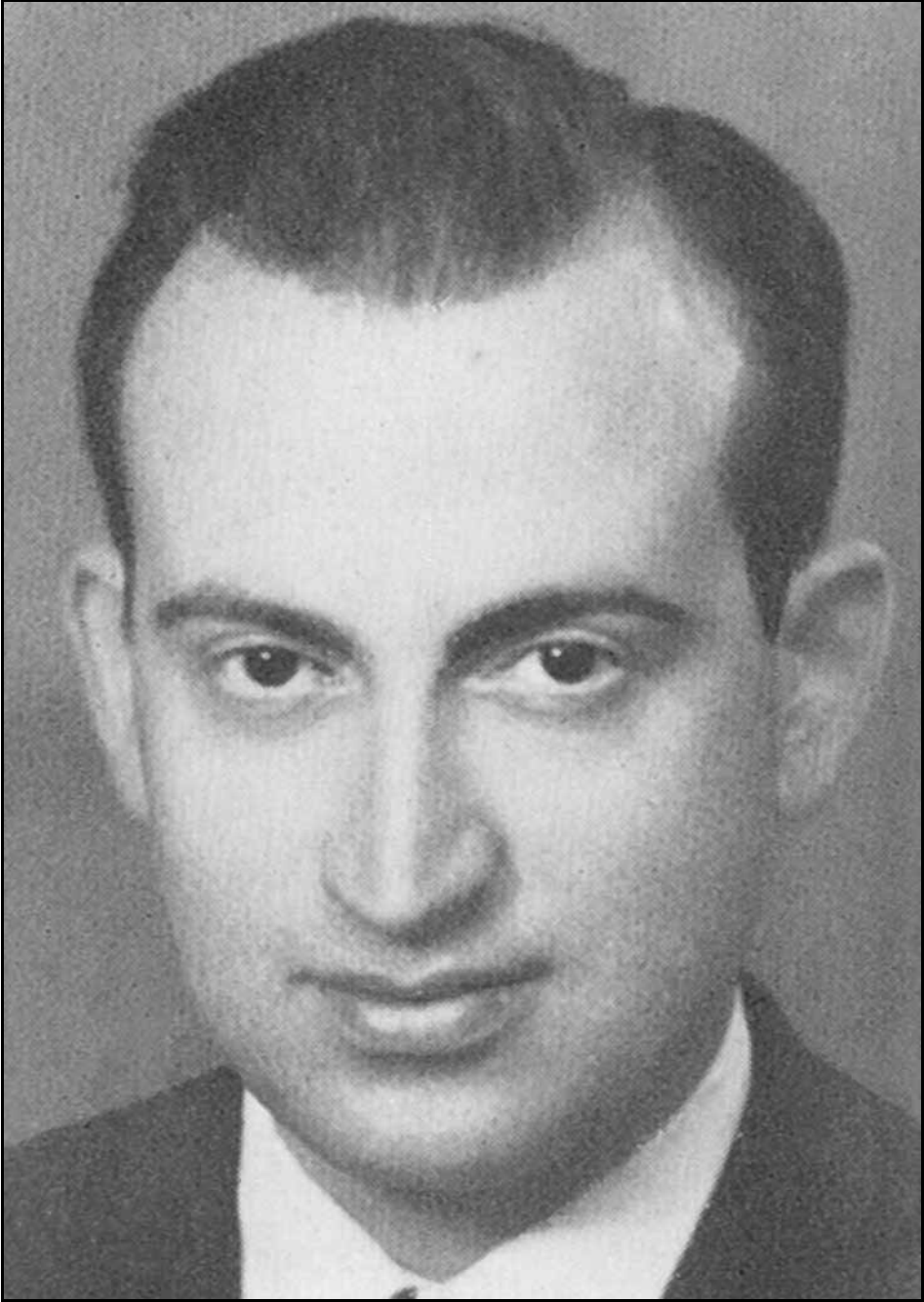
النجم التمثيلي اللامع هاشم عجينة طالب في الهندسة المعمارية
عام ١٩٧٠-١٩٧١ في صورة تذكارية



السيد نويل العزاوي السكرتير في إحدى كليات جامعة الحكمة ١٩٦٢م



السيد مفيد ميرزا الموظف في الحسابات في جامعة الحكمة ١٩٦٢م



السيد مدحت فاضل فضالة أحد التدريسيين المختصين بالهندسة في جامعة الحكمة ١٩٦٢م



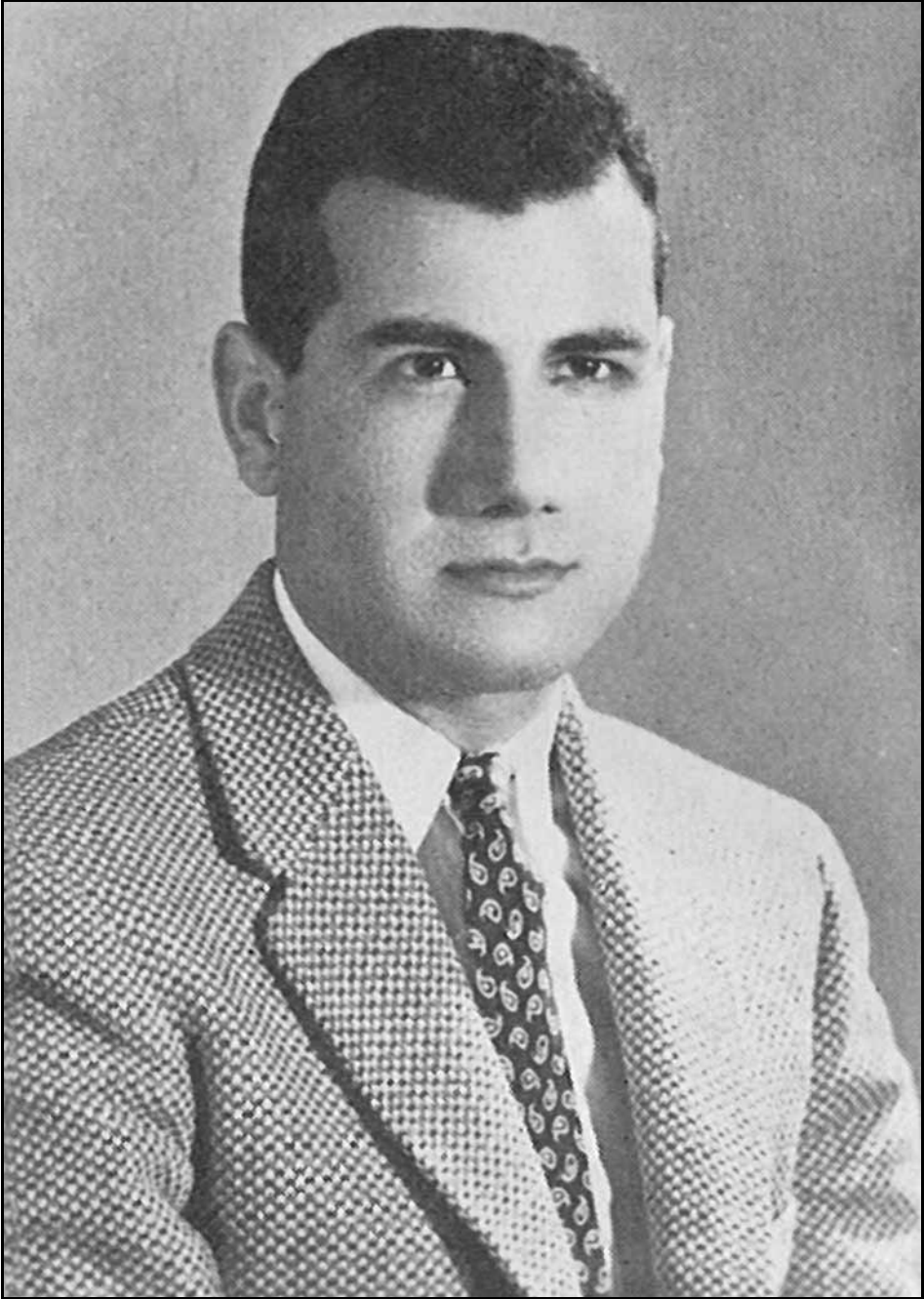
السيد كلارك لودن أحد تدريسيي جامعة الحكمة والمختص بإدارة الأعمال ١٩٦٢



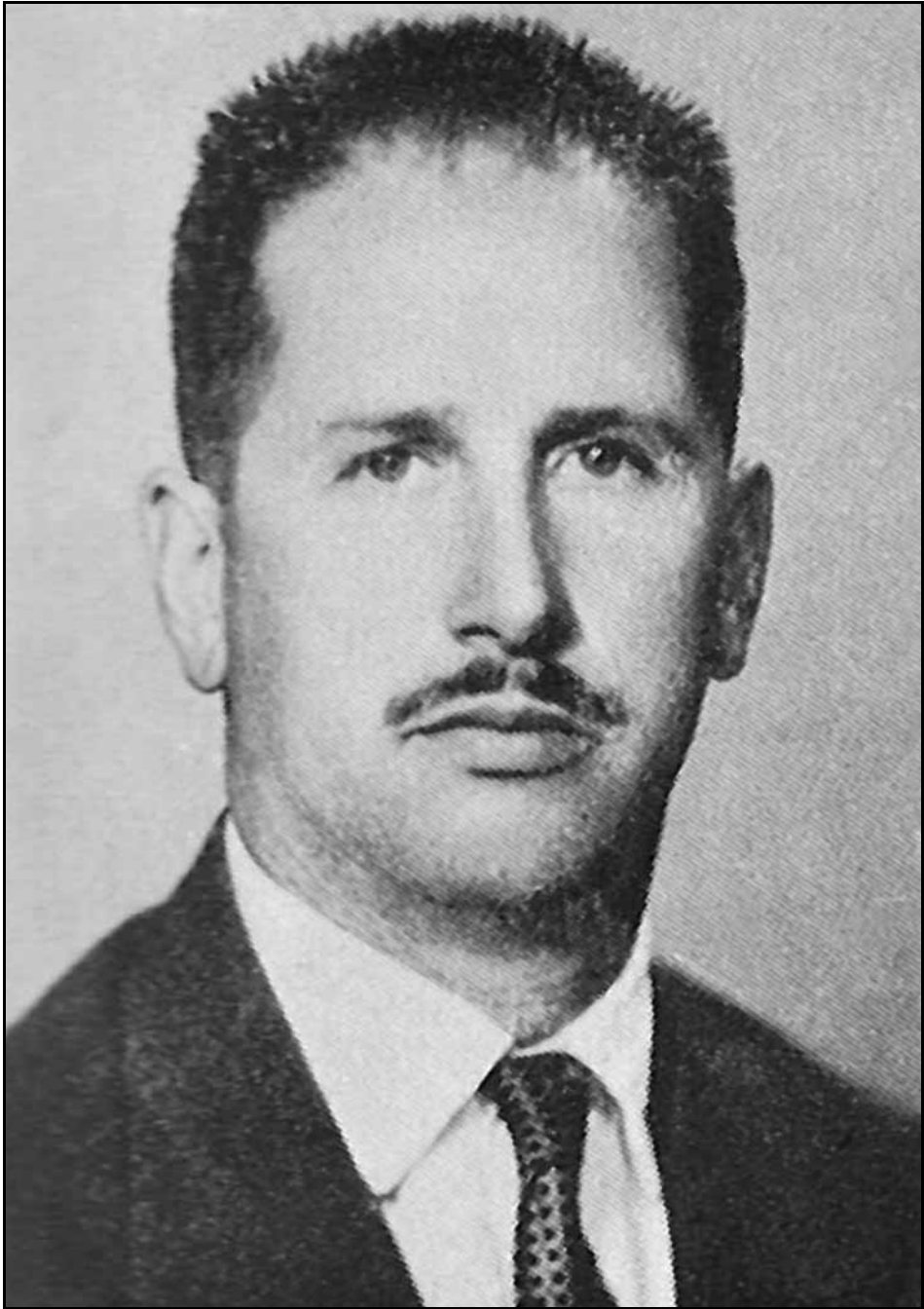
السيد جون اندريوس أحد التدريسيين المختصين بالهندسة في جامعة الحكمة ١٩٦٢م



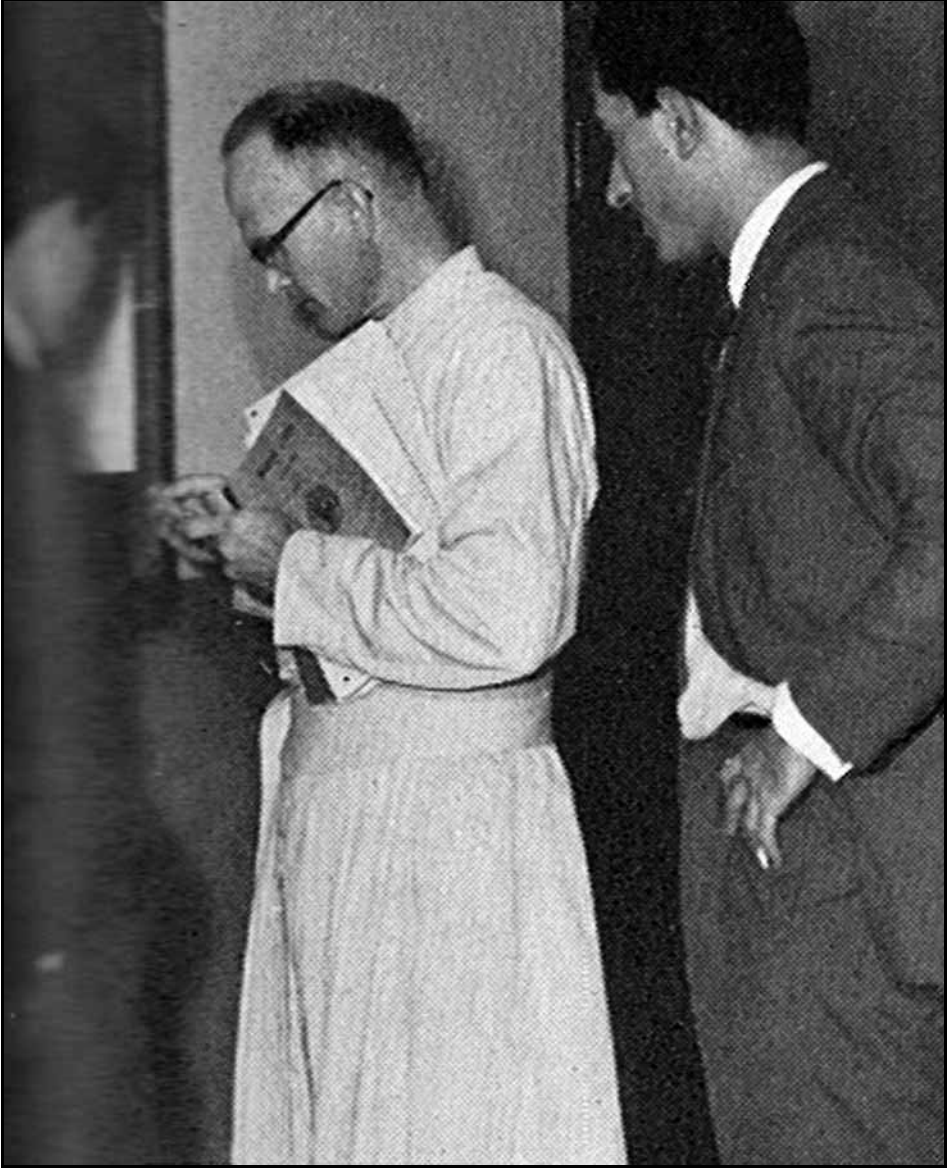
السيد جوزيف فلبرت - الاختصاص في اللغة الانكليزية بجامعة الحكمة ١٩٦٢



السيد جبرائيل روميا - أحد المختصين في الهندسة بجامعة الحكمة ١٩٦٢



السيد جاكوس بالجين - أحد إداريي جامعة الحكمة ١٩٦٢



الأب جون بانكس اليسوعي رئيس جامعة الحكمة مع الطلبة في أحد أروقة الجامعة ١٩٦٢م



خلال الحفل الذي أقيم في كلية بغداد عام ١٩٧٥م حيث يظهر

السيد مدير التربية لمحافظة بغداد - الرصافة وهو يوزع الجوائز للفائزين بمناسبة أسبوع المكتبة



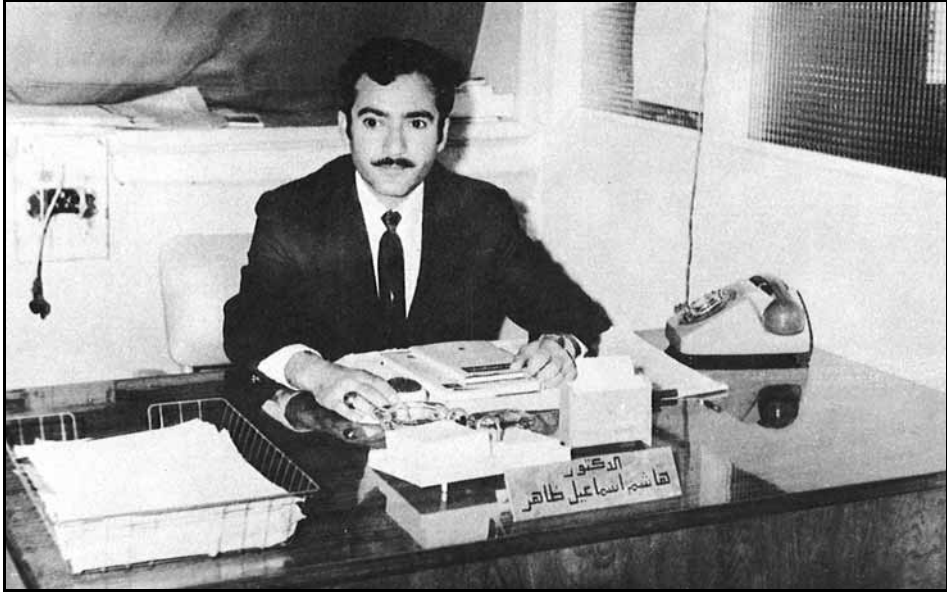
السيد يحيى وحيد الدين أحد مدرسي اللغة العربية في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



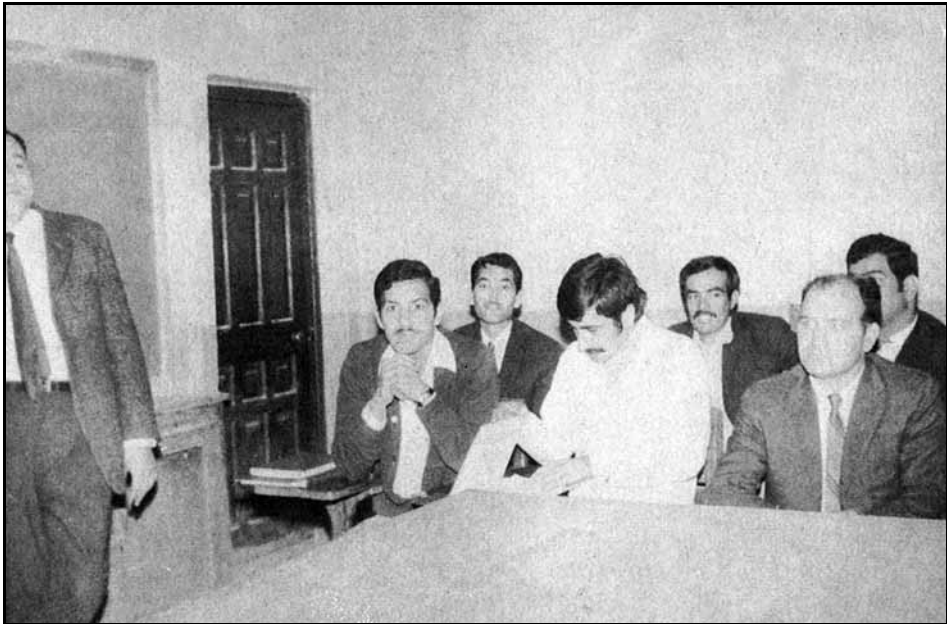
السيد أنور خوشناو - مدير التسجيل في كلية الصيدلة - جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م



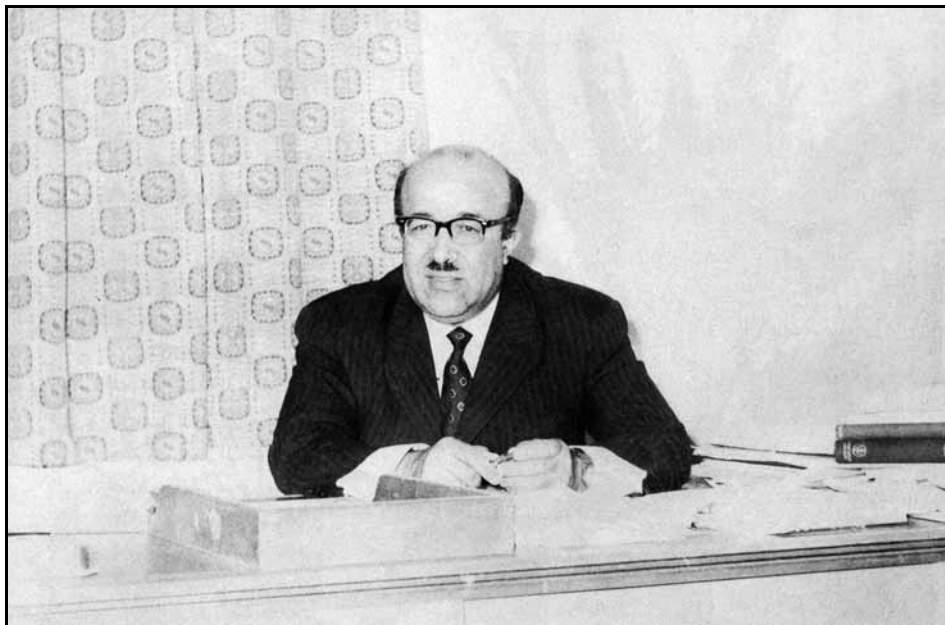
البروفيسور كروفز والعميد في قصر العاشق بسامراء خلال أسبوع الكلية العلمي
الذي يقام في كلية الصيدلة - جامعة بغداد عام ١٩٧١ - ١٩٧٢م



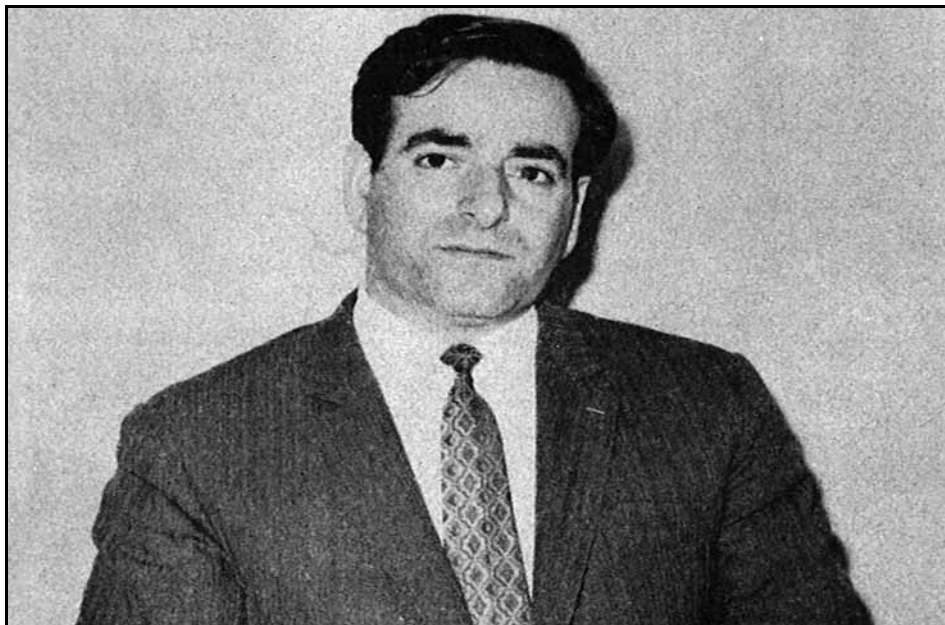
الدكتور هاشم إسماعيل ظاهر - من الأساتذة الجدد في كلية الصيدلة - جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م



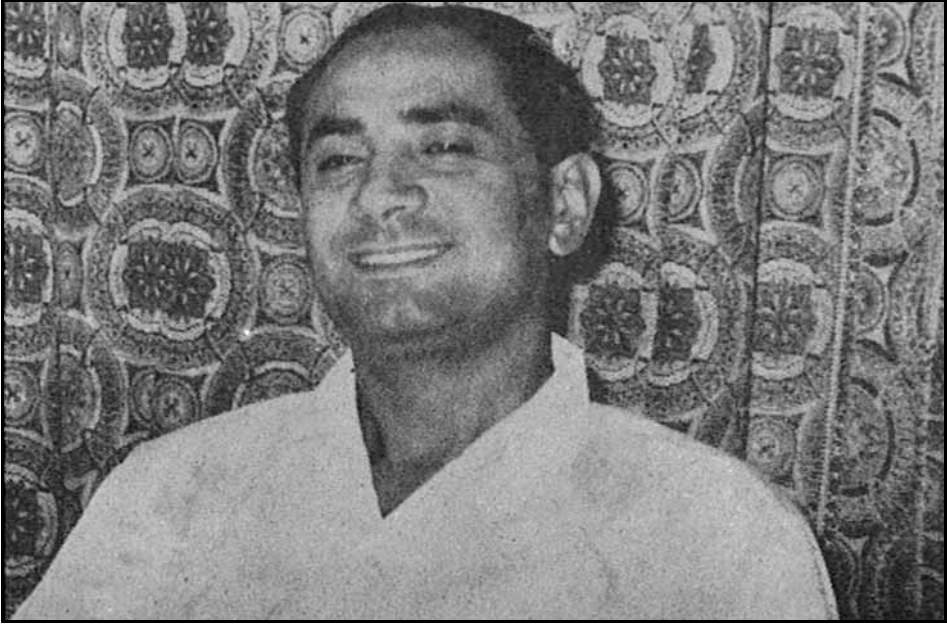
الدكتور هاتف حمودي الجليل - عميد كلية الصيدلة جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م



الدكتور نجيب خروفة رئيس قسم الهندسة الزراعية في كلية الهندسة
جامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ م



الدكتور ناجح الراوي الحاصل على الدكتوراه بالهندسة المدنية
أحد المدرسين بكلية الهندسة بجامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ م



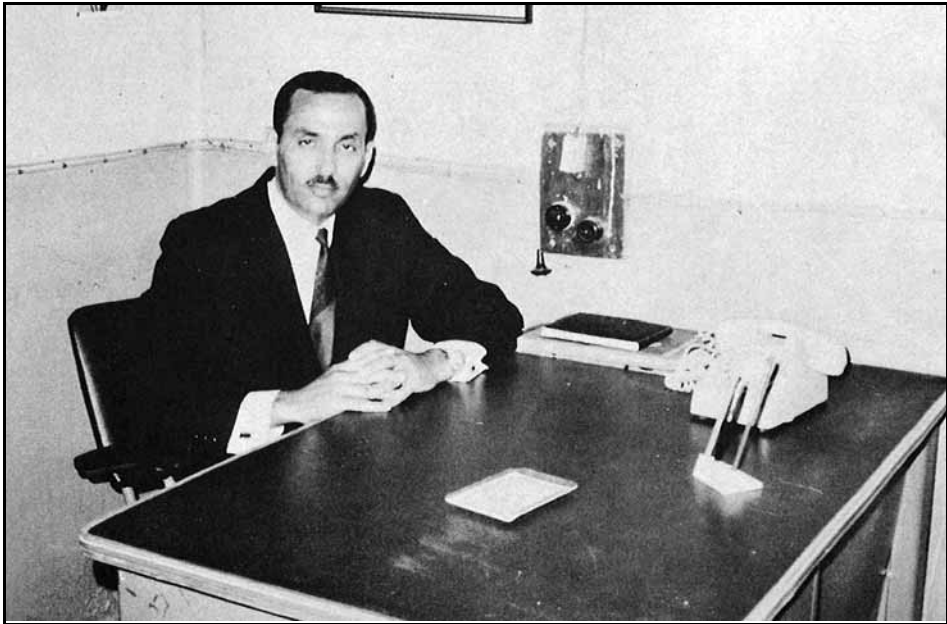
الدكتور منذر الدروبي أحد مدرسي قسم الهندسة الميكانيكية في كلية الهندسة جامعة بغداد
عام ١٩٧٠ - ١٩٧١م



الدكتور فاروق حسن الجواد - معيد في قسم السموم والصيدلة الحياتية في
كلية الصيدلة جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م



الدكتور عبد الله البهادلي رئيس قسم الهندسة الميكانيكية في
كلية الهندسة جامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١م وهو جالس في مكتبه



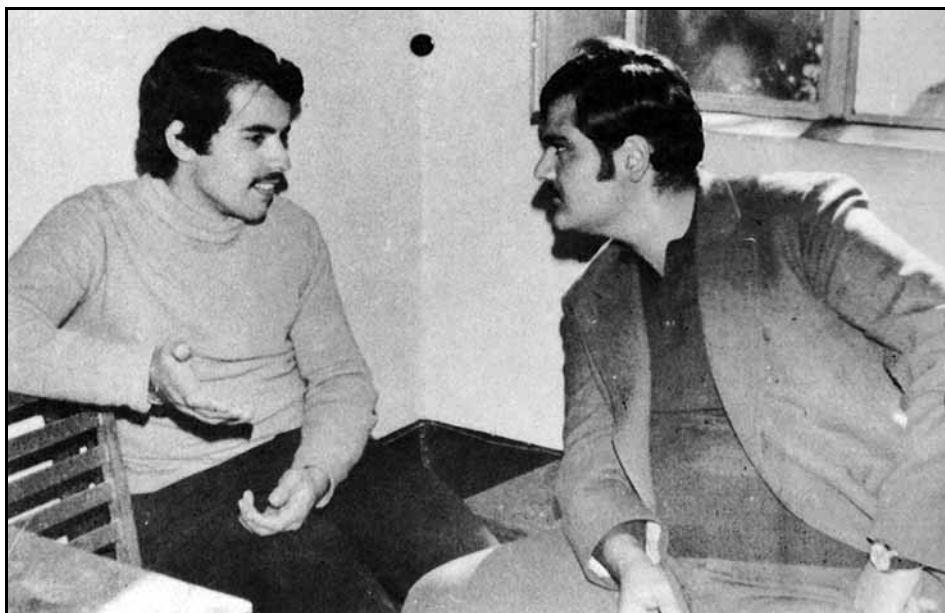
الدكتور عبد الرحمن محمود الرحيم - طبيب مختص بعلم الفسيولوجي في كلية الصيدلة
جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م



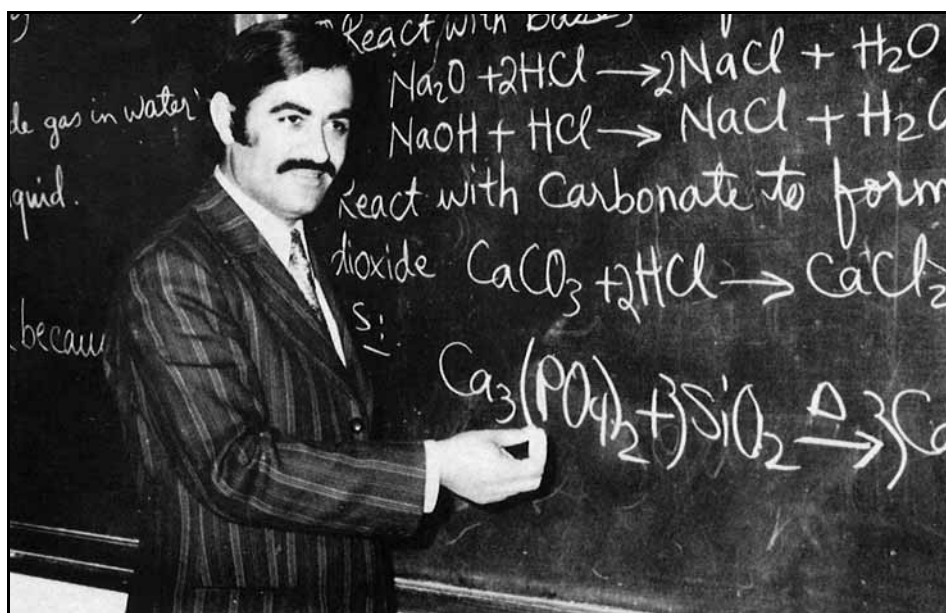
الأستاذ محمد أحمد الحاج حسين معاون العميد لشؤون الصف الأول في كلية الهندسة
جامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ م



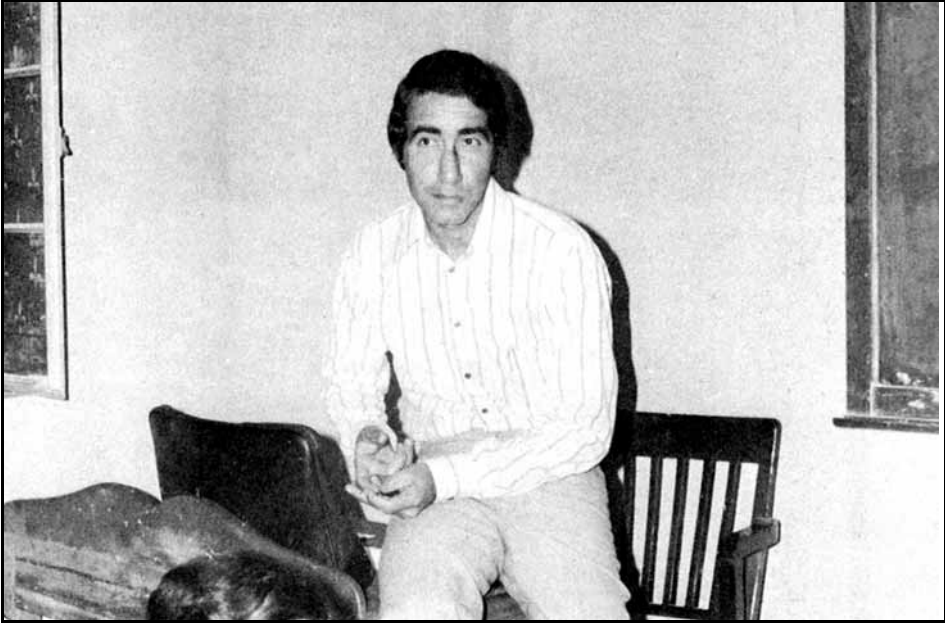
الأستاذ علي الكاظمي يلقي كلمة في إحدى الندوات بقسم الكهرباء في كلية الهندسة
جامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ م



الأستاذ صبري منصور مع أحد طلبته في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



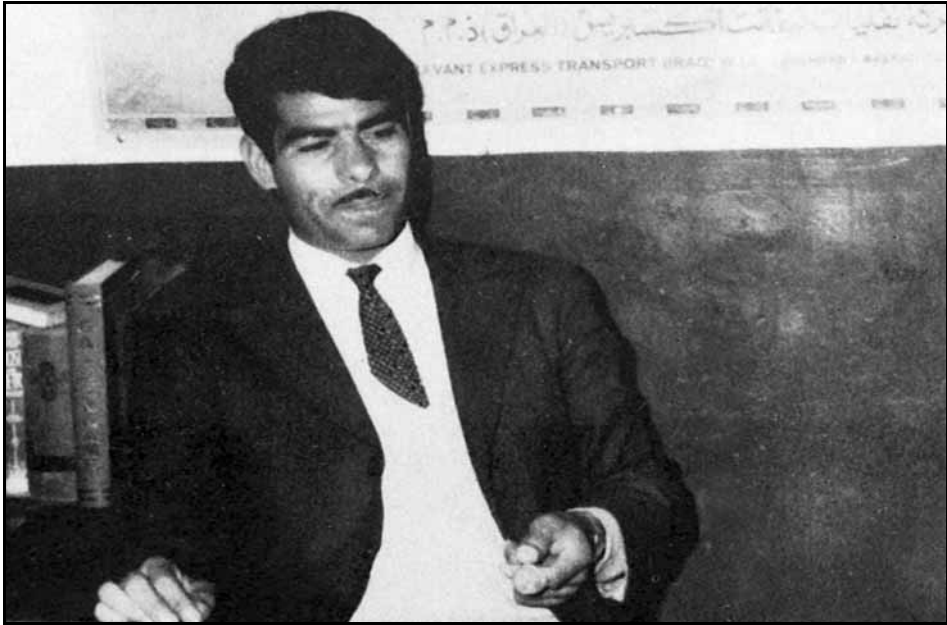
الأستاذ صبري منصور مدرس الكيمياء في كلية بغداد عام ١٩٧٤م

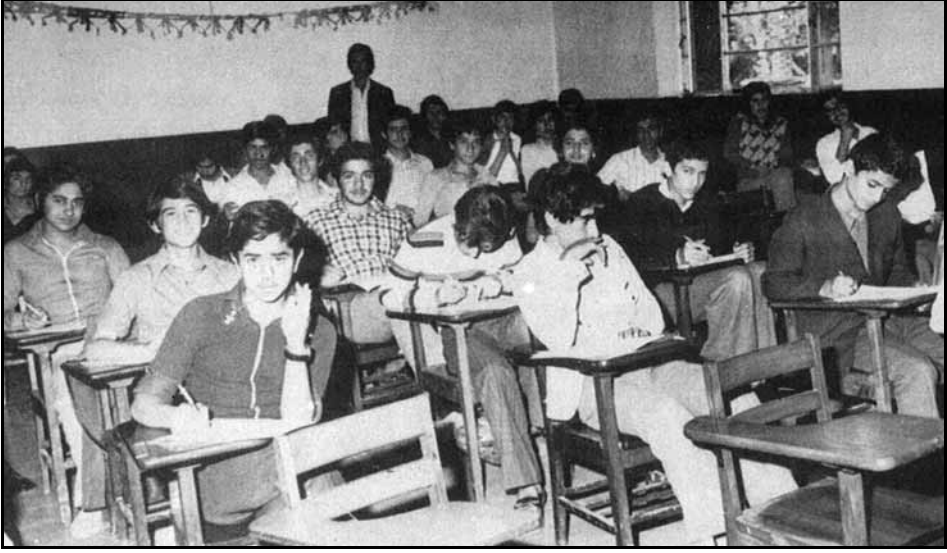


الأستاذ ساطع أحمد الداود مدرس الانكليزية في كلية بغداد عام ١٩٧٤م

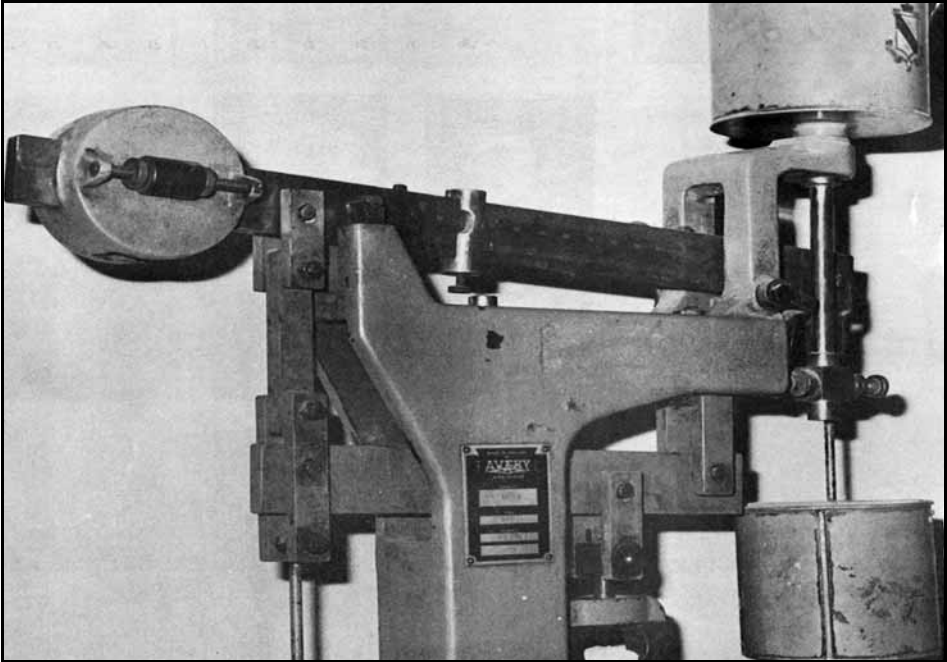


الأستاذ حميد عبد المجيد الكبيسي مدير كلية بغداد مع بعض الطلبة
خلال أسبوع المكتبة في الكلية عام ١٩٧٤م





أحد الصفوف في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



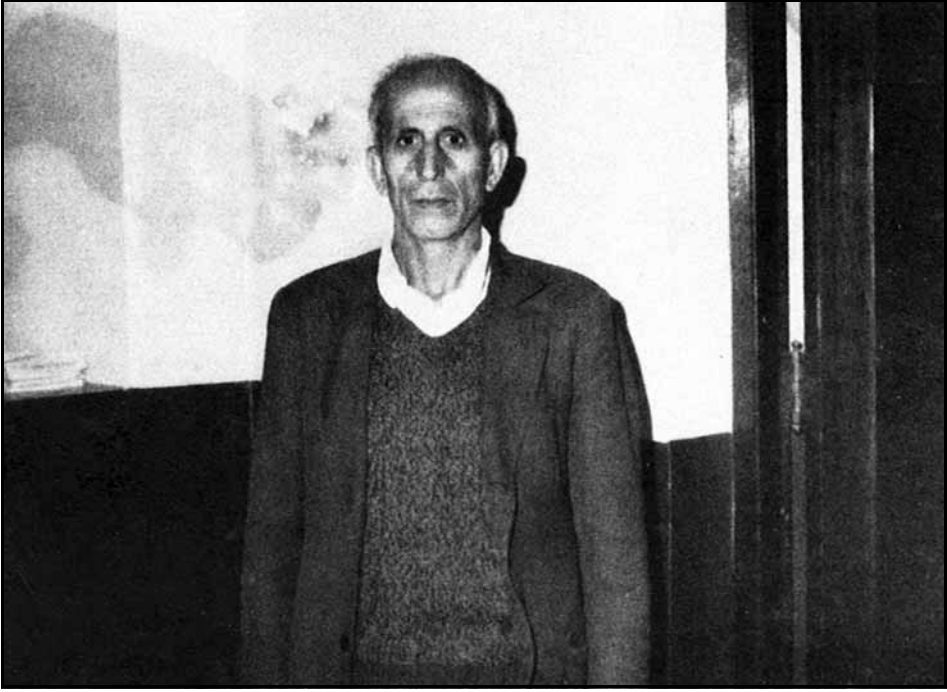
إحدى الأجهزة الميكانيكية في مختبر قسم الميكانيك بكلية الهندسة جامعة بغداد عام ١٩٧٠ - ١٩٧١م



أعضاء اللجنة الاتحادية في كلية بغداد ١٩٧٤م وهم الجالسون من اليمين راجح الشبلي - أحمد العمري - وليد رومانيا - لؤي ادور - يوسف بحوشي. الواقفون هاني وصفي وفواز الخوري



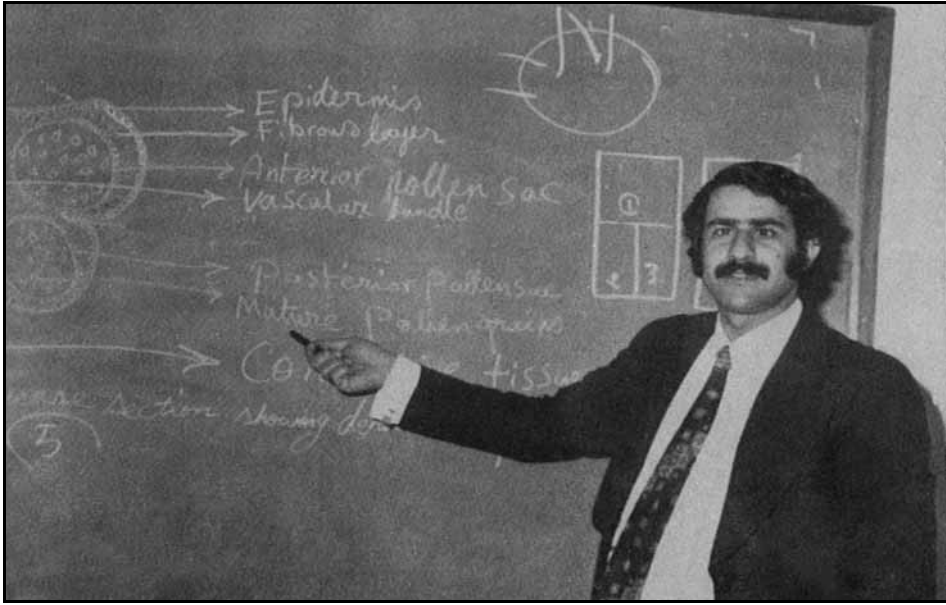
أعضاء اللجنة الاتحادية في كلية الهندسة وهم زهير الخضير - غياث عبد الكريم - سراب أكرم - يوسف عبد اللطيف - معتز كمونة - غالب جعفر - سمير فتحي - عارف محسن - وآخرون



أحد موظفي كلية بغداد عام ١٩٧٤م في صورة تذكارية



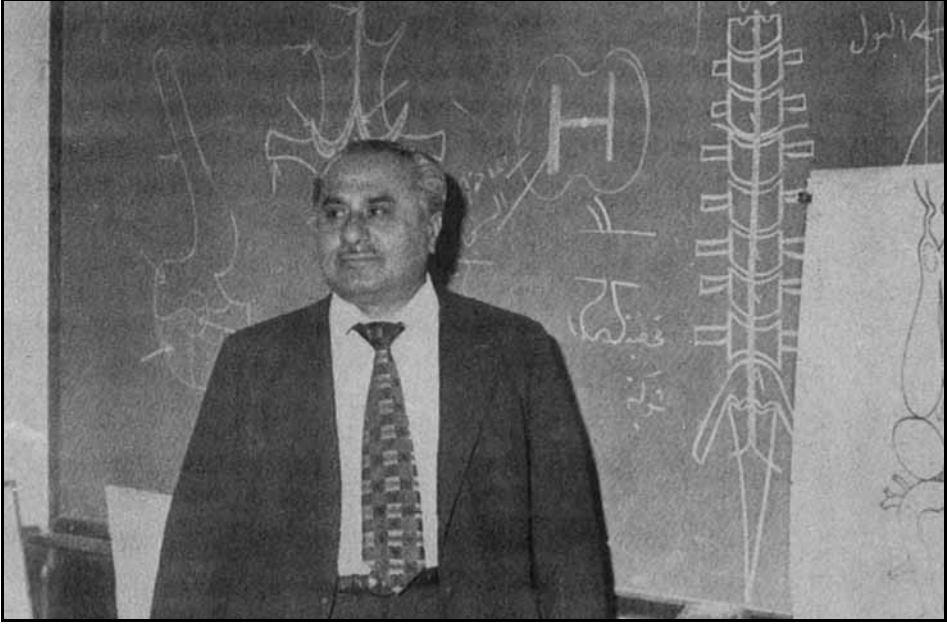
أحد أساتذة الكيمياء مع بعض طلابه في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



السيد سلمان حسن أحد مدرسي الأحياء في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



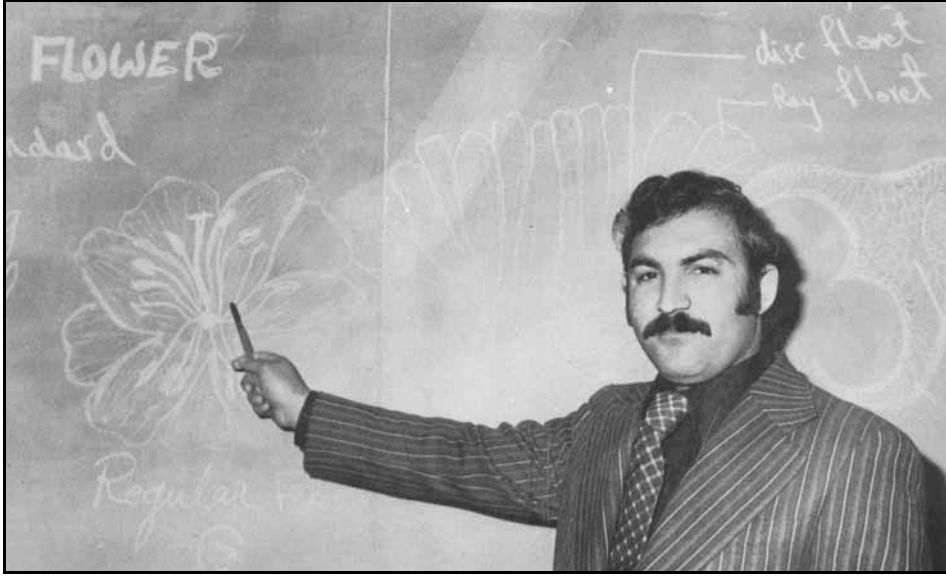
السيد وليم جندي عوض أحد مدرسي اللغة الإنكليزية في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م في صورة تذكارية



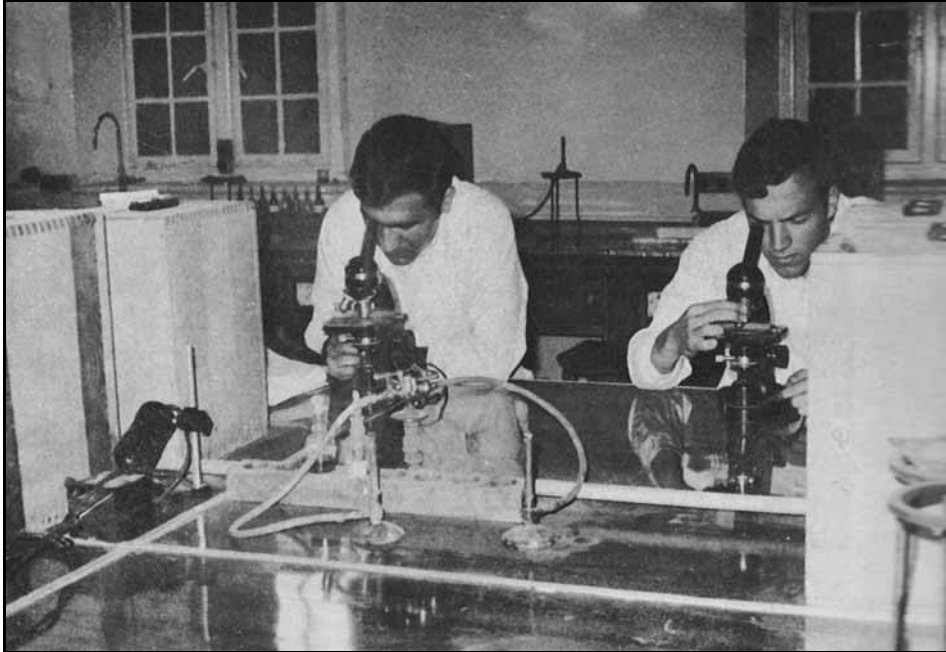
السيد عبد الرحمن كركجي أحد المحاضرين بدرس الأحياء في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م



الأستاذ وسام توفيق أحد مدرسي الاجتماعيات في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م وخلال إحدى المحاضرات



السيد عبد اللطيف جواد أحد مدرسي الأحياء في كلية بغداد النموذجية
عام ١٩٧٥م وفي صورة تذكارية



الميكروسكوب من أهم أجهزة قسم العقاقير في كلية الصيدلة جامعة بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢



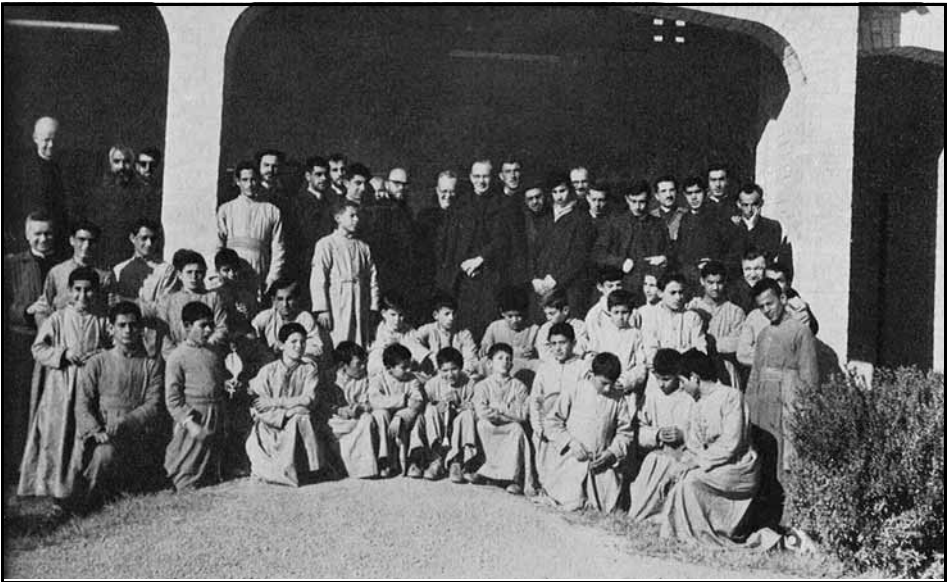
فريق كرة القاعدة بجامعة الحكمة ١٩٦٢ وهو يتحضر لأحد المباريات



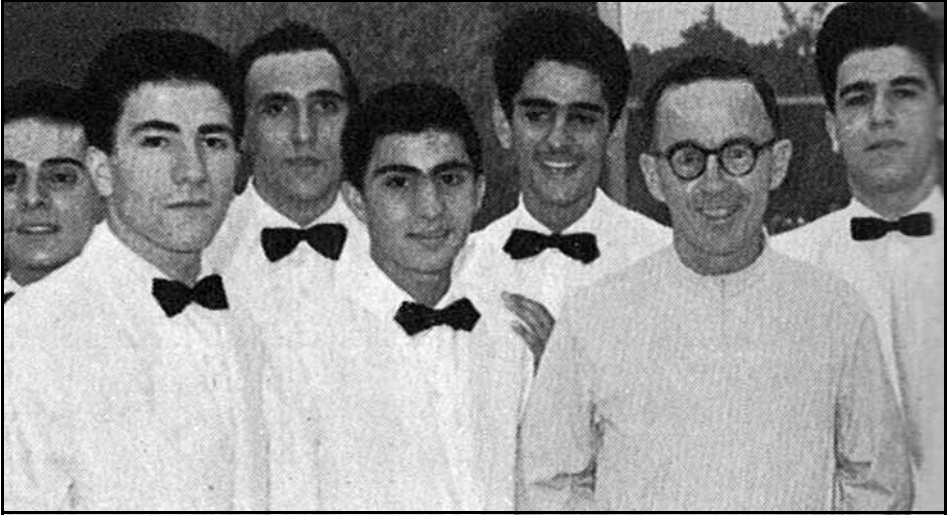
طلاب جامعة الحكمة ١٩٦٢ في أحد أروقة الجامعة



صورة لبعض طلبة جامعة الحكمة ١٩٦٢ وهم يتناولون الطعام في أحد الاحتفالات



صورة قديمة تجمع الطلاب مع أساتذتهم في جامعة الحكمة ١٩٦٢م



صورة تجمع بعض الطلبة مع استاذهم في جامعة الحكمة ١٩٦٢



أحد الطلبة المميزين في جامعة الحكمة في كافيتريا الجامعة ١٩٦٢م



زيارة أحد القادة العسكريين لجامعة الحكمة ١٩٦٢ ويظهر في الصورة الأب جون بانكس اليسوعي



خلال إحدى المعارض في كلية بغداد بمناسبة يوم الكلية السنوي عام ١٩٧٤م



جلسة لاعبي فريق الكرة الطائرة للإستعداد والتحضير في كلية الصيدلة - جامعة بغداد عام ١٩٧١ -
١٩٧٢



جانب من الحضور خلال الإحتفال بأسبوع المكتبة في كلية بغداد عام ١٩٧٤م



الأب بانكس اليسوعي يوزع الهدايا للطلبة المميزين بجامعة الحكمة ١٩٦٢



أعضاء لجنة الكتاب السنوي في جامعة الحكمة عام ١٩٦٢ ويظهر في وسط الصف الأول الأب جوزيف أوكاين اليسوعي



خلال الحفل الذي أُقيم في كلية بغداد عام ١٩٧٥م حيث يظهر السيد مدير التربية لمحافظة بغداد -
الرصافة بمناسبة أسبوع المكتبة في الكلية



السيد رياض عبد المجيد معاون المدير للصف الثالث في كلية بغداد النموذجية عام ١٩٧٥م